





W. Arthur Jeffery











# الوسيط

في

## الأدب العربي وتاريخه

تأليف

الشيخ أحمد الإسكندري و الشيخ مصطفى عناني  
المدرس بمدرسة دار العلوم المفتش بوزارة المعارف

قررت وزارة المعارف العمومية تدريس هذا الكتاب بمدارسها :  
الثانوية ، والمعالم العليا ، والمعالم الأولية ، والمعالم السنوية

( حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين )

الطبعة الخامسة

١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م

مطبعة المعارف بشيخ الفخري بمصر



BUTLSTAX  
PJ  
7510  
.184  
1925g

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمودُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ، والمصلَّى عليه محمدٌ وآله، والمدعو له الوطنُ ورجالهُ  
وبعدُ فإننا رأينا النَّشءَ من طلابِ الأدبِ العربيِّ في حاجةٍ الى مُختصرٍ  
مُليِّمٍ بفقونه، مؤثِّرٍ لعيونه، مؤرِّخٍ لشيئونه؛ فوضعنا هذا الكتابَ، لعلنا  
تُقرب اليهمُ القصدَ، ونُسَهِّلُ عليهمُ الصَّعبَ. وعلى اللهِ قَصدُ السبيلِ!  
وهو حسبنا ونعم الوكيلُ!

٩ ذى القعدة سنة ١٣٣٥  
٦ اغسطس سنة ١٩١٦

أحمد الاسكندري  
المدرِّس بمدرسة دار العلوم

مصطفى عناني  
المدرِّس بمدرسة دار العلوم











# تاريخ أدب اللغة

التاريخ - هو معرفة أخبار الماضين وأحوالهم من حيث معيشتهم ، وسياستهم ، واعتمادهم ، وأديبهم ، ولغتهم

والادب - ( كل رياضة <sup>(١)</sup> محمودة يُتَخَرَّجُ <sup>(٢)</sup> بها الإنسان في فضيلة من الفضائل )  
وهذه الرياضة كما تكون بالفعل ، وحسن النظر <sup>(٣)</sup> ، والمحاكاة ، تكون  
بمزاولة الأقوال الحكيمة التي تَضَمَّنَتْها لغةُ أيِّ أُمَّةٍ

واللغة <sup>(٤)</sup> - أَلْفَاظٌ يَعْبُرُ بِهَا كُلُّ قَوْمٍ عَنْ أَغْرَاضِهِمْ

(١) الرياضة - التذليل والتمرين والمعالجة

(٢) خَرَجَتْهُ فَتَخْرُجُ - درَّبْتَهُ فَتَدْرِبُ ، والادب بهذا التعريف نقله المصباح عن أبي زيد

(٣) التعمق والاستنباط

(٤) المعروف بشهادة العقل والاستقراء وتتبع نطق الاطفال والامم المتوحشة والراقية ، أن لغات العالم ( على كثرتها التي لم تتناه ولن تتناهي ) ترجع الى أمهات أصلية تولدت وتتولد عنها ، وان كل واحدة من هذه الامهات هي المنشأ الاول لفروعها ، وانها كلها تنشأ من جدة عليا مجهولة هي لغة الانسان الاول ، وتلك الجدة هي الكلمات القليلة التي كان يعبر بها الانسان عن رغائبه القليلة أو عن الاشياء المحيطة به . وبعض هذه الكلمات مقتبس من محاكاة الاصوات التي تصدر عن الحيوان والانسان والرياح وغيرها : كما تفعل البغاء التي هي دون الانسان في الادراك ، وبعضها مرتجل بطبيعة القوة الناطقة التي أودعها الله الانسان وميزه بها من سائر الحيوان ، وهي فيه الهام فطري أسمى من الالهام المودع الحيوان الاعجم : فانا نسمع الهرة مثلاً تموء ببضعة أصوات مختلفة تظهر بها انفعالها ومطالبها : فصول الاستعطاء والاستعطاف غير صوت الزجر والغضب الخ . فنجد ما يجيش صدر الانسان باظهار رغبة أو رهبة يصبح بصوت مصوّر بصورة ما على حسب ما يلهمه الله فيسمعه غيره وبفهم منه مراده بضافة قرينة حال أو إشارة ( كما نشاهد ذلك كثيراً في بعض الاطفال عند محاولتها النطق ) فاذا وجد أنه أدى غرضه استعمله ثانية وثالثة في افهام رفقاته فيذاع بينهم ويعرف ، ولا يحتاج في استعماله الى قرينة ، وهكذا يفعل غيره فعله ، ويقلدهما ثالث ورابع حتى تتكون اللغة الاولى الضرورية للبيئة التي يعيشون فيها ويتفق عليها من غير تعمل ولا قصد الى الاتفاق . ثم تتسع هذه اللغة بطرق النمو المعروفة كالاشتقاق والزيادة والنقص والتحريف والتحويل من الحقيقة الى المجاز فيشتهر المجاز ثم يصير حقيقة

نشأة اللغات

اللغة



وأدب لغة أيّ أمة - هو ما أودع نثرها وشعرها من نتائج عقول أبنائها ،  
وأمثلة طباعهم ، وصور أخيلتهم ،<sup>(١)</sup> ومبلغ بيانهم : مما شأنه أن يهذب النفس ،  
ويثقف<sup>(٢)</sup> العقل ، ويقوم اللسان

وتاريخ أدب اللغة - هو العلم الباحث عن أحوال اللغة : نثرها ونظمها في  
عصورها المختلفة من حيث رفعتها وضعتها ، وعمّا كان لناغيها من الأثر اليبين فيها .  
وهو على النظام الآتي بعد حديث النشأة في مصر

هذا ، والظاهر أن الانسان نطق أولاً بأسماء المحسوسات ، ثم بأسماء بعض العقولات ، وبالمصادر  
وبالافعال ، وبأسماء الاشارة والضمائر والموصولات ، ثم بالحروف والمشتقات ، يعرف ذلك من  
تتبع لغات الامة الوحشية ومشاهدة كلام الاطفال عند ابتداء نطقهم  
أما اللغات الفرعية فتنشأ من هجرة بعض طوائف أهل اللسان الاصلية الى جهات متباعدة ، فيدفعهم  
التقاطع الى نسيان بعض الكلمات : لعدم استعمالها في وطنهم الجديد ، أو الى تحريفها على طول  
الزمان ، ثم هم يرون في هذا الوطن الملم يروه قبل : من أنواع الحيوان والنبات والجماد فيضطرون  
الى وضع كلمات على الوجه الآنف الذكر وهكذا ، فتباعد اللغة الفرعية عن الاصلية كلما تباعد  
الزمان والمكان . ويزيد مدى التباعد اذا جاؤوا أمماً تتكلم بغير لسانهم الاصلية ، فيستعرون  
من لغاتهم كلمات تتمثل بعد حين في بنية لغتهم . ثم اذا طال الامد على أهل لغة وكثر عددهم  
وارتقت الصفات الانسانية فيهم ، اتسعت هذه اللغة وتعددت أساليب التعبير فيها وضاق حفظ  
أى فرد من علمائها عن أن يحيط بها

فظهر من هذا أن اللغات وضعتها البشر من غير سابقة اصطلاح واتفاق ، وان قول من يقول انها  
توقيفية لا يعقل منه الا أنها متوقفة على الهام من الله واهب النطق للانسان  
أما من يقول انها توقيفية : بمعنى أن الله أوحى بها الى أنبيائه ( عليهم صلواته ) وهم علموها  
الناس ، فاذا يقول في اللغات التي نشأت وتنشأ بعد الانبياء كلغاتنا العامية ولغات أهل أوربة الحديثة  
أم ماذا يقول في اللسان العام ( الاسبرنتو ) الذي ارتجله أحد علماء أوربة ليكون لسان العالم  
ويرفع به العصبية الجنسية من الارض ، ويستعمله الآن كثيرون في أغراض خاصة  
 واحتجاجه بقوله تعالى « وعلم آدم الاسماء كلها الآية » ليس بقطعي لجواز أن يكون معنى  
علمه : ألهمه وأقدره ، ولانه قد فسرت الاسماء بأسماء الملائكة بدليل إعادة ضمير العقلاء عليهم ،  
ولجواز أن تلك خصوصية لآدم فكما خلقه ابتداءً علمه ابتداءً . ولو أريد بالاسماء أسماء جميع  
الموجودات فهل تعلمها بجميع أسنفة أولاده وهي الآن ألوف مؤلفة ومنها المختبرات ذوات الاسماء  
المرتبجة . هذا ما ظهر لنا والله أعلم

(١) الخيال والحياة ما يتراءى لك : من ظل أو شبح أو صورة . والمراد هنا الصورة الباهرة  
المنتزعة من محسوس متعدد بقصد تليحها في النفس أو تشويهها فيها ولو لم تقع في الخارج  
(٢) أى يقوم ويعدل



ومن أهم فوائده :

١ - معرفة أسباب ارتقاء ( أدب اللغة ) وانحطاطه ، دينية كانت تلك الأسباب أو اجتماعية أو سياسية ، فنستمسك بأسباب الارتقاء ، ونتحاشى أسباب الانحطاط

٢ - معرفة أساليب اللغة ، وفنونها ، أفكار وأهلها ، وموضوعاتهم <sup>(١)</sup> ، واختلاف أذواقهم في نثرهم ونظامهم ، على اختلاف عصورهم ، حتى يتبين للمتخرج في هذا العلم أن يميز بين صور الكلام في عصر وصورة في آخر ، بل ربما صحَّ له أن يلحق القول بقائله عينه

٣ - معرفة أحوال النابيين <sup>(٢)</sup> من أهل اللغة في كل عصر ، وما كان لنثرهم ، وشعرهم ، وتأليفهم : من أثر محمود ، أو حال ممقوتة ، لنحتذى مثال المحسن ، وتتنكب عن طريقة المسيء

واللغة العربية - إحدى اللغات السامية <sup>(٣)</sup> . وهي لغة أمة العرب القديمة العهد ، الشائعة الذكر التي كانت تسكن الجزيرة المنسوبة إليها في الطرف الغربي من آسيا ويظن أنها أقرب اللغات السامية إلى أصلها : لأن العرب لم تخالط غيرها كثيراً ولم تدخل طويلاً تحت حكم أمة أعجمية

وهذه الأمة - منها القدماء . وهم الذين كانوا يسكنون تلك الجزيرة وينطقون باللغة العربية سليمة وطبعاً

وهم ثلاث طبقات - أولاها العرب البائدة ، وهؤلاء لم يصل اليها شيء صحيح من أخبارهم إلا ما قصه الله علينا في القرآن الكريم ، والآما جاء في الحديث النبوي . ومن أشهر قبائلهم طسم ، وجديس <sup>(٤)</sup> ، وعاد <sup>(٥)</sup> ، وثمود <sup>(٦)</sup> ، وعمليق <sup>(٧)</sup> ، وعبد ضخم <sup>(٨)</sup>

(١) مصطلحاتهم (٢) المشهورين (٣) أى اللغات التي تكلمت بها الشعوب المختلفة من أولاد سام بن نوح وهذه اللغة مجهولة لم تعلم أصولها ولا قواعدها (٤) كانتا تسكنان اليمامة أيام ملوك الطوائف من الفرس (٥) كانت تسكن الاحقاف (٦) كانت تسكن الحجر ( المسمى الآن بمدائن صالح ) ووادي القرى بين الحجاز والشام (٧) العمالقة قوم سكن أوائلهم اليمن ثم انحدروا إلى مكة ويثرب وأرض الشام ومنهم فراعنة الرعاة بمصر (٨) كانوا يسكنون الطائف ويقال انهم أول من كتب بالخط العربي ( راجع مصور بلاد العرب في هذا الكتاب )



وثانيتها العرب العاربة - وهم بنو قحطان الذين جأوا عن سِقي<sup>(١)</sup> الفرات ،  
واختاروا اليمنَ منازلَ لهم ، وامتزجت لغتهم بلغة سابقهم ، ثم انتشرت في أنحاء  
الجزيرة . ومن أمهات قبائلهم كَهْلَانُ<sup>(٢)</sup> ، وَحَمِيرُ<sup>(٣)</sup>

وثالثتها العرب المستعربة - وهم بنو اسمعيل الطارئون على القحطانيين ،  
والممتزجون بهم لغةً ونسباً ، والمعروفون بعدُ بالعدنانيين<sup>(٤)</sup> ومن أمهات قبائلهم  
رَبِيعَةُ ، وَهَضْرُ ، وَإِبَادُ ، وَأَنْمَارُ<sup>(٥)</sup>

وبقية القبائل المشهورة وبطونها من الطبقات الثلاث مبنية في الأشكال الآتية  
بعدُ مراعىً في ترتيبها مرتبة الشهرة لا مرتبة البُنوّة الحقيقية<sup>(٦)</sup>

ومنها المحدثون - وهم سلائل<sup>(٧)</sup> هؤلاء الأقسام الممتزجون بسلائل غيرهم ،  
والمنتشرون بعد الإسلام في بقاع الأرض من المحيط الأخضر (الاطلنطي) الى ما وراء  
بِحْرِ فَارِسَ وَدِجْلَةَ ، ومن أعلى النهرين<sup>(٨)</sup> الى ما وراء جأوة وسومطرة . ويتكلمون  
بلهجات عامية مختلفة ترجع الى اللغة العربية الفصيحة التي يتعرفونها بالتعام

- 
- (١) سقي النهر ما يسقيه من الارض وهو المسمى الآن بحوض النهر
  - (٢) كهلان بن سبأ ، وأصل مساكنهم اليمن ثم تفرقوا ببادية جزيرة العرب
  - (٣) قبيلة تنسب الى حمير بن سبأ ؛ وكانوا يسكنون أول أمرهم غربي صنعاء ، واكثر قبائل  
اليمن متفرعة من حمير وكهلان
  - (٤) نشئوا بمكة والحجاز ثم انتشروا ببادية جزيرة العرب وأواسطها وشمالها ممتزجين بالقحطانيين
  - (٥) هؤلاء هم الشعوب الاربعة الكبرى التي تفرعت منها قبائل العدنانية واكثرهم عدداً :  
مضر ، ثم ربيعة ، وهم أولاد نزار بن معد بن عدنان
  - (٦) أخذنا أشكال الانساب الثلاثة في هذه الطبعة من كتاب صبح الاعشى للقلقشندي صاحب  
كتاب (نهاية الارب في معرفة أنساب العرب) وهو أشهر كتب النسب عند المتأخرين ومنه رسم  
جدوله صاحب سبائك الذهب المشهور . واخذت في الطبعة الاولى من تاريخ أبي الفداء ، واعتمدنا  
هنا بعض زياداته في الشكل الثالث . والحلاف بينهما انما هو في الزيادة أو النقص او ترتيب البطون  
باعتبار الشهرة أو باعتبار البنوّة الحقيقية . هذا واضطراب النسابين في الانساب طويل عريض
  - (٧) اولاد (٨) دجلة والفرات















## عصور اللغة العربية وآدابها

لما كان تاريخ لغة أى أمة وأدبها يرتبط كل الارتباط بالحوادث السياسية والدينية والاجتماعية التى تقع بين ظهورانى<sup>(١)</sup> هذه الأمة ، ناسبَ لذلك ولسهولة الدرس وضبطه أن نقسم تاريخ أدب اللغة العربية خمسة أعصر:

الاول - عصر الجاهليہ - وينتهى بظهور الاسلام ، ومدته نحو خمسين ومائة سنة

الثانى - عصر صدر الاسلام ، ويشمل بنى أمية - وابتدئ بظهور الاسلام ، وينتهى بقيام دولة بنى العباس ( سنة ١٣٢ هـ )

الثالث - عصر بنى العباس - وابتدئ بقيام دولتهم ، وينتهى بسقوط بغداد فى أيدي التتار<sup>(٢)</sup> ( سنة ٦٥٦ هـ )

الرابع - عصر الدول المتتابعة التركمية<sup>(٣)</sup> - وابتدئ بسقوط بغداد ، وينتهى بمبدأ النهضة الأخيرة ( سنة ١٢٢٠ هـ )

الخامس - عصر النهضة الاخيرة - وابتدئ من حكم الأسرة المحمدية العلوية بمصر ، ويمتدُّ الى وقتنا هذا

---

(١) مثنى ظهر ، وزيدت الالف والنون فى الصيغة لزيادة المعنى والتأكيد ، ومعناه ان ظهوراً منها قدامها ، وظهراً منها وراءها ، فهى مكتوفة من جانبيها ، ثم استعمل فى معنى الاقامة والحلول بين القوم مثلاً

(٢) هى احدى الامم الطورانية التى كانت تسكن شمالي الصين ثم انتشرت فى غربى آسيا وشرقى اوربة

(٣) وتشمل دولتى المماليك بمصر والشام ، والدول المتخلفة عن التتار فى آسيا ، وممالك الدولة العثمانية فى القارات الثلاث القديمة



# العصر الأول عصر الجاهلية

حالة اللغة وآدابها في ذلك العصر

لغة العرب من أغنى اللغات كَلَمًا، وأعرَقها <sup>(١)</sup> قَدَمًا، وأخلدِها أثرًا، وأرحبها <sup>(٢)</sup> صدرًا، وأدومها على غير <sup>(٣)</sup> الدهر مُحاسنةً وصبرًا، وأعدبها منقطعًا، وأسأسبها أسلوبًا، وأروَعها <sup>(٤)</sup> تأثيرًا، وأغزرها مادَّة، وأوسعها لكل ما يقع تحت الحِس، أو يَجول في الخاطر: من تحقيق علوم، وسنن قوانين، وتصوير خيال، وتعيين مرافق <sup>(٥)</sup>. وهي على هَندمة <sup>(٦)</sup> أوضاعها، وتناسق أجزاءها، لغة قوم أميين، لم يكونوا في حكمة اليونان ولا صنعة الصين، بادوا وبقيت بعدهم سائرة مع كل جيل، ملائمة لكل زمان ومكان. ولولا رُوحٌ عظيم ما خلدت ودَرَج <sup>(٧)</sup> أقرانها، وأنفت <sup>(٨)</sup> واستخذى <sup>(٩)</sup> سلطانها <sup>(١٠)</sup>. ولا عجب أن بلغت تلك المنزلة: من بسطة الثروة وبعُد المدى <sup>(١١)</sup>؛ إذ كان لها من عوامل النمو، ودواعي البقاء والرقى، ما قلما يتهيأ لغيرها، وذلك لما فيها من اختلاف طرق الوضع والدلالة، وغلبة اطراد التصريف، والاشتقاق، وتنوع المجاز، والكنائية، وتعدد المترادف، الى النحت، والقلب، والابدال، والتعريب، ولما تشرفت به من ورود القرآن الكريم، والسنة النبوية بلسانها

وما رواه لنا منها أمة اللغة وجاء به القرآن الكريم والحديث النبويّ هو نتيجة امتزاج لغات الشعوب التي سكنت جزيرة العرب. ولا يُعلم بالضبط الوقت الذي تمثّلت فيه بصورتها المعروفة لنا، ولا كلُّ الأسباب التي أدت الى اندماج لغات بعض هؤلاء الشعوب في بعض. وغاية ما علم من الآثار الحجرية وبعض الروايات أنه كان جنوبيّ الجزيرة وشماليتها لغاتٌ متميزة كل التميز من العربية التي رويت

(١) أصلها (٢) أوسعها (٣) حوادث (٤) أشدها اعجاباً وهزة في النفس (٥) جمع مرفق كمنبر وهو كل ما ارتفعت به أى انتفعت (٦) الهندمة اصلاح الشيء على مقدار خاص ونظام بين (٧) انقرض (٨) استكبرت (٩) خضع (١٠) السلطان الغلبة والقمهر والمراد سلطان أهلها (١١) الغاية أو مد البصر

وصف  
اللغة العربية  
ومزاياها

عوامل  
نمو اللغة

توحيد اللغة  
العربية المروية



لنا ، دَرَسَتْ وبقيت منها أشباح<sup>(١)</sup> تتراءى أحياناً في بعض لهجات العربية الأخيرة وأوجه إعرابها واشتقاقها وترادف ألفاظها ، كما أنه لا شك في أن من أسباب امتزاج هذه اللغات ما يأتي :

مراتب  
تهذيب اللغة

- ( ١ ) هِجْرَةُ القحطانيين الى جزيرة العرب ومخالطتهم فيها العرب البائدة باليمن ، ثم تمزقهم في بقاع الجزيرة كل مُمَزَّقٍ بظلمهم أنفسهم وتخرُّب بلادهم بسيل العرم<sup>(٢)</sup>
- ( ٢ ) هجرة اسمعيل عليه السلام الى جزيرة العرب واختلاطه وبنيه بالقحطانيين بالمصاهرة ، والمجاورة في المنازل والمراجم<sup>(٣)</sup> ، والمخاربة ، والمتاجرة . وأظهر مواطن هذا الامتزاج مشاعر<sup>(٤)</sup> الحج ، وخاصة بيت الله الحرام بمكة بلد قريش<sup>(٥)</sup> الأيمن ؛ والأسواق التي كانت تقيمها العرب في أنحاء بلادها ، ومن هذه الأسواق : عكاظ<sup>(٦)</sup> ومَجَنَّة<sup>(٧)</sup> وذو المَجَاز<sup>(٨)</sup>

سوق عكاظ

وأهمها سوق عكاظ - وكانت تقام من أوّل ذي القعدة الى اليوم العشرين منه . وأقيمت تلك السوق بعد عام الفيل<sup>(٩)</sup> بخمس عشرة سنة ؛ وبقيت الى ما بعد الإسلام وان لم تكن في شأنها الأوّل حتى سنة تسع وعشرين ومائة ، وكان يجتمع بهذه السوق أكثرُ أشرف العرب للمتاجرة ، ومفاداة الأسرى ، والتحكيم في

(١) جمع شبح وهو سواد الانسان وغيره تراه من بعد (٢) العرم جمع عرمة كفرحة وهي سد يعترض به الوادي ، أو هو جمع بلا واحد ، أو هو الاحباس والسدود تبني في الوادي لحبس المياه خلفها وهي المسماة الآن بالخزانات . وحادثة سيل العرم انه كان لسبأ في اليمن عرم تحبس المياه خلفها لتوزع بنظام فهدمت العرم بسيل عظيم اغرق البلاد ودمر القرى امامه فكان هو مع كثير من الفتى والحروب الاهلية سبباً في تفرق قبائل سبأ في أنحاء جزيرة العرب حتى ضرب بهم المثل في التفرق فقيل ( تفرقوا أيدي سبأ ) (٣) جمع مربع وهو في الاصل المكان الخصب يقيم فيه القوم زمن الربيع (٤) معالم الحج وأماكن نسكه (٥) قبيلة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي بطن من كنانة من المضربة (٦) موضع قرب الطائف (٧) موضع قرب مكة (٨) سوق على فرسخ من عرفة بناحية كعبك ، وكعب جبل بعرفات خلف ظهر الامام اذا وقف (٩) عام الفيل هو العام الذي ولد فيه النبي عليه الصلاة والسلام وهو سنة ٥٧١ من الميلاد — وملخص حادثة الفيل أن الحبشة طمعت في الاستيلاء على مكة وقهر قريش وهدم الكعبة فتجرد لذلك أحد ملوكهم المسمى أبرهة بجيش ومعها فيل عظيم فأرسل الله عليهم طيراً ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ما كول



الخصومات ، ولمفاخرة<sup>(١)</sup> والمنافرة<sup>(٢)</sup> بالشعر والخطب في الحسب والنسب والكرم  
والفصاحة والجمال والشجاعة وما شاكل ذلك حتى في عظم المصائب والارزاء<sup>(٣)</sup> .  
وكان من أشهر المحكِّمين بها في الشعر النابغة الذبياني ، ومن أشهر خطبائها  
قس بن ساعدة الإيادي . وقد لهج الشعراء بذكرها في شعرهم<sup>(٤)</sup> ، وحضرها منهم  
الرجال والنساء

آثار قريش  
في اللغة

ولقريش عظيم الأثر فيما نجم عن اجتماع العرب في مشاعر الحج والأسواق  
بتهديب لغتهم أنفسهم : لأخذهم من لغات القبائل الوافدة عليهم ما خف على اللسان  
وحسن في السمع ؛ حتى لطفت لهجتهم ، وجاد أسلوبهم ، واتسعت لغتهم لأن  
ينزل بها خير الكلام كلام الله . ولمكانهم من الفصاحة والرياسة حاكمهم شعراء  
القبائل وخطبائها في استعمال لغتهم : ليكون مقالهم أسير ، وخبرهم أشهر  
وما نشأ من الهجرتين السابقتين وغيرهما من تداخل اللغات واندماج بعضها في  
بعض حتى تكونت اللغة الفصيحة هو ما يسمى طوراً تكونين اللغة وتهديبها

### اختلاف لهجات العرب<sup>(٥)</sup>

لهجات العرب

قدّمنا أن الأمة العربية تألفت أخيراً من شعبين<sup>(٦)</sup> عظيمين : القحطانيين أو  
(اليمانيين) والعدنانيين أو (النزاريين) . وتشعب من كليهما شعوب وقبائل لها  
لهجات مختلفة الفروع متحدة الأصول ، غير أن لغة حمير من القحطانيين غلبت  
على أخواتها<sup>(٧)</sup> . ثم دخل فيها من اللغة العدنانية ألفاظ وأساليب اختلفت قلة

(١) المفاخرة المحاكمة في الحسب . والحسب ما تعدّه من مفاخر آبائك (٢) المنافرة أن يفتخر  
الرجلان كل واحد منهما على صاحبه ثم يحكما بينهما رجلاً ، وسميت منافرة لان المتنازعين كانا  
يسألان الحكم : أينا أعز نفراً (٣) وتسمى المفاخرة بذلك (المعاظمة) ومنها معاظمة هند بنت  
عتبة أم معاوية حين قتل أبوها وعمها شيبه وأخوها الوليد وغيرهم بوقعة بدر ، مع الحنساء بنت  
عمرو بن الشريد السلمى المصابة بموت أبيها وأخوها صخر ومعاوية ، فقرنت هند جملها بجمل  
الحنساء وتماظمتا في مصائبهما نثراً ونظماً بسوق عكاظ

- (٤) قال حسان : ( سأُنشر ان بقيت لهم كلاماً ينشر في الجامع من عكاظ )  
وقال طريف بن تميم : ( أوكلنا وردت عكاظ قبيلة بعثوا الى عريفهم يتوسم )  
(٥) لهجة القبيلة لسانها مراعى فيه الترفيق والتفخيم ، والتتميم والترخيم ، والهمز والتلين  
والسرعة والبطء ، والوصل والقطع ، والامالة وعدمها ، وما الى ذلك من النبرات الصوتية  
(٦) الشعب بالفتح القبيلة العظيمة (٧) كالمعنية والسبئية



وكثرة باختلاف الجهات ، وعمرت حتى ظهور الإسلام ، وزالت بعده وبقيت منها ألفاظ امتزجت بالعدنانية

سباب اختلاف  
اللهجات

ولغة عدنان الممثلة بعدد في المصيرية ظهرت أيضاً على أخواتها بل على الحميرية في موطنها . ولكننا لا ننسى أن البيئة ، ونزوح الديار ، ووسائل المعيشة واختلاف المراثيات وتنوع طرق الوضع والارتجال ، كل ذلك قد أبقى في كلام كل قبيلة ميزات هي ما يسمى مجموعها باسم لهجة القبيلة أولغتها ، وتكاد تنحصر طرق الاختلاف فيما يأتي : الإبدال<sup>(١)</sup> ، وأوجه الأعراب<sup>(٢)</sup> ، وأوجه البناء والبنية<sup>(٣)</sup> ، والتردد بين الإعراب والبناء<sup>(٤)</sup> ، والتصحيح والاعلال<sup>(٥)</sup> وما يشبههما ، والاقتمام والنقص<sup>(٦)</sup> ، والادغام والفك<sup>(٧)</sup> ، والترادف<sup>(٨)</sup>

طرق اختلافها

ولكل لهجة من لهجات العرب عدا القرشية هنة أو أكثر ، واشتهر من هذه الهنوت عَجَجَةٌ<sup>(٩)</sup> قُضَاعَةٌ ، وغغمة<sup>(١٠)</sup> وشَشْنَةُ<sup>(١١)</sup> الين ، ووتهم<sup>(١٢)</sup>

اللهجات  
المشهورة

- (١) مثل ابدال الميم باه والباء ميماً في لغة مازن فيقولون باسمك في ما اسمك ، ومكر في بكر
- (٢) كنصب خبر ليس عند الحجازيين مطلقاً ، ورفع عند تميم إذا اقترن بالاحتمالها على ما مثل ليس الطيب الا المسك (٣) كتسكين شين عشرة عند الحجازيين وفتحها وكسرها عند تميم ، وكبناء الهاء من أيها على الضم عند بني مالك من بني أسد إذ لم يتلها اسم إشارة فيقولون يا ايه الناس ، وبنائها على الفتح ووصلها بألف عند غيرهم مثل أيها الناس (٤) كأعراب لدن عند قيس بن ثعلبة وبنائها عند غيرهم (٥) كأعلال الأفعال الثلاثية التي من باب علم كرضى وبقى عند طيء بقلب يائها الفاء وكسرتها فتحة فيقولون رضى وبقى وغيرهم يصححها ، وكقلب الألف المتطرفة همزة عند تميم مثل العلاء في العلى وغيرهم يبقها على حالها (٦) كحذف نون من الجارة عند خثعم وزيد إذا وليها ساكن وابقائها عند غيرهم فيقولون في خرجت من البيت خرجت مليت كلغة العامة في مصر (٧) مثل فك المثلثين في المضارع المجزوم بالسكون المضعف وأمره عند الحجازيين مثل أن يفضض طرفه فأغضض طرفك ، وادغامها عند تميم ، مثل أن يفضض طرفه يفضض طرفك (٨) وهذا النوع كثير في اللغة المروية لأنها جمعت من لغات قبائل شتى ، وذلك كالمدية عند الليثانيين والتسكين عند الحجازيين (٩) وهي تحويل الياء جيها إذا وقعت بعد العين فيقولون الراعي خرج معج يريدون الراعي خرج معي ، وفي المزهري قلب الياء المشددة جيها فيقال فقيم في فقيمي ومرّج في مرّى (١٠) وهي عدم تمييز حروف الكلمات وظهورها أثناء الكلام (١١) وهي جعل الكاف شيئاً مطلقاً كإيش ، وشلني في لبيك ، وكامني (١٢) وهو جعل السين تاء فيقولون التات في الناس



وطُمُطْمَانِيَّة (١) حمير ، وتَلْتَلَةٌ بِهَرَاءَ (٢) وفخْفحة (٣) هُدَيْل ، وَعَنْعَنَةٌ (٤) تَمِيم ،  
وَكَشْكَشِيَّة (٥) أَسَدٌ أَوْ رَيْبَعَةٌ ، وَوَهْمٌ (٦) كَلْبٌ ، وَوَكْمٌ (٧) رَيْبَعَةٌ كَلْبٌ ،  
وَلَخْخَانِيَّة (٨) الشَّحْرُ وَعُمَانٌ ، وَقُطْطَةٌ طِيءٌ (٩) ، وَاسْتِنْتَاطٌ (١٠) سَعْدُ بْنُ بَكْرٍ  
وهذيل والأزد وقيس والأنصار

## كلام العرب

الغرض من كلام العرب كغيره الإبانة عما في النفس من الأفكار ، ليكون  
مدعاة إلى المعاونة والمعاضدة ، وذريعة إلى تسهيل أعمال الحياة

ولما كانت هذه الأفكار لا تزال متجددة غير متناهية ، كانت صور الكلام  
الدال عليها لا تزال كذلك متجددة خاضعة لقوى الاختراع والابتداع ، على حسب  
ما يقتضيه المقام ؛ فقد تصل صورة الكلام إلى الغاية القصوى في البلاغة من حيث  
إيجاز اللفظ ، وصحة المعنى ، وحسن البيان ، ولطف الإشارة ، واصابة الغرض ، وصدق  
التجربة ، فترتاح النفوس لها وتنشط لحفظها ، ليسير مئونها ، وحسن وقعها ، وسهولة  
الاحتجاج بها ، ولأنها تورث ما تتخلله من الكلام رواجاً ، وتكسبه قبولاً ، وهذا

- (١) وهي جعل أم بدل ال فيقولون طاب امهواء ، في طاب الهواء
- (٢) وهي كسر أحرف المضارعة مطلقاً ، وهم بطن من قضاة
- (٣) وهي جعل الحاء عينا مثل العسن أخو العسين في الحسن أخو الحسين
- (٤) وهي ابدال العين من الهمزة المبدوء بها فيقولون في أن ، عن ، وفي أمان عمان
- (٥) وهي ابدال الشين من كاف الخطاب للمؤنث كعائش في عليك . أو هي زيادة شين بعد الكاف المكسورة مثل عليكش في عليك ، وأشهر ما يكون ذلك في الوقف
- (٦) وهو كسر هاء الغائب اذا وليها ميم الجمع وان لم يكن قبلها ياء ولا كسرة فيقولون منهم وعنهم وبينهم
- (٧) وهو كسر كاف الخطاب في الجمع اذا كان قبلها ياء أو كسرة فيقولون عليكم وبكم ؛ وكلب بطن من قضاة
- (٨) كقولهم مشا الله في ماشاء الله
- (٩) وهي حذف آخر الكلمة فيقولون ( يا أبا الحكا ) يريدون يا أبا الحكم كما في لغة بني سويف الآن وشمالى مديرتي الغربية والبحيرة
- (١٠) وهو جعل العين الساكنة نونا اذا جاورت الطاء مثل انطى في أعطى



ما يسمى ( بالمثل أو الحكمة ) . وقد تنحط صورة العبارة الى الدرك الأسفل من الإبانة ، بحيث لو انحطت عن ذلك لكانت عند الأدباء بأصوات العجماوات أشبهه ، وبين الحالين مراتب تفاضل فيها العقول ، وتبارى <sup>(١)</sup> الفحول وجُلُّ بحث علم الأدب وتاريخه في التفاوت بين هذه المراتب ورجالها ، وستنكلم بعد فيها

ونشير هنا الى أن المثل قول محكيٍّ سائر يقصد منه تشبيه حال الذي حُكي فيه بجال الذي قيل لأجله . والحكمة قول رائع يتضمن حكماً صحيحاً مُسأماً . وكما يكون كل منهما نثراً يكون نظماً . فمن أمثال الجاهلية النثرية :

ان البُعْثَ <sup>(٢)</sup> بأرضنا يَسْتَنْسِرُ ، - اذا عَزَّ أخوك فُهِن <sup>(٣)</sup> - رُبَّ رَمِيَةٍ من غير رام <sup>(٤)</sup> - أنتَ تَتَّقِي ، وأنا مَتَّقِي ، فمتى تنفق <sup>(٥)</sup> جَوَّعَ كلبك يَتَبَعُكَ <sup>(٦)</sup> - قد اسْتَنَوَقَ الجملُ <sup>(٧)</sup> - الحديث ذو شجون <sup>(٨)</sup> - أن العوان <sup>(٩)</sup> لا تُعلم الخِمْرةَ <sup>(١٠)</sup> - سَبَقَ السَّيْفُ العَدْلُ <sup>(١١)</sup> - ما يومٌ حلِمة <sup>(١٢)</sup> بسرٍّ - مواعيدُ عرقوب <sup>(١٣)</sup> - مُكْرَةٌ أخاك لا بطل <sup>(١٤)</sup> تُكَلِّهُ أَرَامَهَا ولدا <sup>(١٥)</sup> - أتبع الفرس لجامها <sup>(١٦)</sup>

المثل  
والحكمة

تعريف  
المثل  
والحكمة

طائفة  
من الامثال

(١) تتعارض وتتسابق (٢) البعث مثلث الباء طير اغبر ضعيف ، يستنسر يصير كالنسر في القوة ، يضرب للضعيف يصير قوياً ، وللذليل يعز بعد الذل (٣) قائله هذيل بن هبيرة التغابي ومعناه كما قال أبو عبيد : مياسرتك صديقك ليس بضمير يركبك منه ، فتدخلك الحمية به ، انما هو حسن خلق وتفضل ، فاذا عاسرك فياسره . يضرب في التساهل مع ذوى القربى والاصدقاء (٤) أى رب رمية مصيبة حصلت من رام شأنه أن يخطئ ، وأول من قال ذلك الحكم ابن يعوث المنقرى يضرب للمخطئ يصيب أحياناً (٥) التثني السريع الى الشر ، والثني السريع الى البكاء ، يضرب للمختلفين أخلاقاً (٦) قائله أحد ملوك حمير الجبارة - يضرب في معاشرة اللئام وما ينبغى أن يعاملوا به (٧) قائله طرفة بن العبد - يضرب للرجل الواهن الراى الخلط في كلامه (٨) طرق ، قاله ضبة بن أد بن طابخة ، يضرب في الحديث يتذكر به غيره (٩) التي سبق لها زوج (١٠) كيفية لبس الحمار (الطرحة) يضرب للعالم بالامر الجرب له (١١) اللوم قائله ضبة بن أد بن طابخة يضرب في استعالة تدارك ما فات (١٢) حليلة بنت الحارث بن أبي شمر الفسائي - يضرب في كل أمر متعارف مشهور (١٣) رجل من العمالقة - يضرب في خلف الوعد (١٤) قائله أبو حنش - يضرب لمن يحمل على ما يكره (١٥) قائله يهوس الملقب بنعامه لخمته - يضرب في استعظام الحقير للحاجة اليه (١٦) قائله عمرو بن ثعلبة بن كلب يضرب للرجل قضى الحاجة ولم يتمها



ومن أمثالهم النظمية :

تمتّع من شميم عرار نجدٍ فما بعد العشيّة من عرار (١)

لا تقطن ذنب الأفعى وترسلها ان كنت شهماً فاتبع رأسها الذنبا (٢)

انى وقتلى سليكا ثم أعقله كالثور يُضرب للماعز بقرة (٣)

أف تردّ الماء بماء أوفقُ لاذنب لى قدقلت للقوم استقوا (٤)

وتسمى الأمثال حقيقية ان كان لها أصل معروف نُقلت عنه وسيقت له كالأمثال تقسيم الامثال السابقة ، وفرضية ان كانت تُمثلُ على لسان حيوان أو نبات أو جماد : مثل « في بيته يؤتى الحكم » (٥) و « كيف أعودك وهذا أثر فأسك » (٦) ، والأول محكى على لسان الضب ، والثانى على لسان الحية

وتكثر الفرضية فى الأيام التى يكثُر فيها الجور والاستبداد والتضييق على الهداة والمرشدين ، فيضطرون اليها للوصول الى أغراضهم ، مع الأمن على حياتهم ، على

(١) قاله الصمة بن عبد الله القشبرى - ويضرب فى التمتع من الزائل ، والعرار نبت طيب الرائحة وهو النرجس البرى (٢) قاله ابو أذينة اللخمي يمرض الاسود بن المنذر على قتل أسراه من ملوك غسان ، وأن لا يقبل منهم فدية . يضرب فى التحريض على استئصال شاة الشر (٣) قاله أنس بن مدرك . يضرب فى عقوبة الكبير ليخضع الصغير (٤) يضرب لمن لا يقبل الموهبة (٥) هذا المثل مما زعمته العرب على ألسن البهائم قاوا ان الارنب التقطت ثمرة فاخلتها الثعلب وأكلها ، فانطلقا يتصمان الى الضب فقالت الارنب يا أبا الحسل - قال سميعة دعوت - قالت أتيناك لنخضعم اليك - قال عادلاً حكمتما - قالت فاخرج الينا - قال فى بيته يؤتى الحكم - قالت انى وجدت ثمرة - قال حلوة فكلها - قالت فاخلتها الثعلب - قال لنفسه بنى الخير - قالت فلطمته - قال بحتك أخذت - قالت فلطمنى - قال حر انتصر - قالت فاقض بيننا - قال قد قضيت - فذهبت أقواله كلها أمثالا (٦) أصل هذا المثل على ما حكته العرب أن أخوين اجدت بلادهما وكان بالقرب منهما واد خصب فيه حية تحميه ، فهبط أحدهما الوادى مخالفا نصيحة أخيه فرعى فيه زماناً ثم نهشته الحية فقتلته ، فجاء أخوه الوادى يطلب ثأره فقاتل له الحية هل لك فى الصلح : أدعك فى هذا الوادى وأعطيك كل يوم ديناراً ما بقيت ، خلف لها أن لا يؤذيها ما وقت . فلما حسن حاله ذكر أخاه فأخذ فأساً ثم تبعها وضربها فأخطأها ، وأرت الفأس فى جرحها ، فقطعت عنه الدينار ، فخاف شرها وندم ، فقال لها : هل لك فى أن نتواق ونمود كما كنا ، فقالت كيف أعودك وهذا أثر فأسك : يضرب لمن لا ينى بالعهد



ما فيها من الترويح عن الخاطر ، ولطف المدخل ، وجمال الفكاهة المطوية في  
تضاعفها النصيحة ، وذلك أعمل في النفس وأدعى الى الاتعاض

أثر الامثال

والأمثال مرآة تُريك صور الأمم وقد مضت ، وتقفك على أخلاقها وقد  
انقضت ، وهي ميزان يوزن به رُقي الشعوب وانحطاطها ، وسعادتها وشفقاؤها ، وأدبها  
ولغتها . ولقد أكثر العرب منها فلم يتركوا باباً إلا ولجوه ، ولا طريقاً إلا سلكوه .  
وقد أفردوا العلماء بالتأليف . وأقدم الأمثال (على ما نعلم) أمثال لقمان الحكيم (١)  
ومن الحكم النثرية : مصارع الرجال تحت برُوق الطمع . من سلك  
الجَدَد (٢) أمن العِثَار (٣) خيرُ الموت تحت ظلال السيوف . كلّم (٤) اللسان أنكى (٥)  
من كلّم السِّنان . العتاب قبل العقاب . خير الغنى القناعة . قطيعة الرحم تورث الهم .  
رضى الناس غاية لا تدرك . أوّل الحزم المشورة . رب عجلة تهب ريثاً (٦) . أنجز  
حرّ ما وعد . اترك الشرّ يتركك . من عزّز (٧) . بعض الشر أهون من بعض .  
ان أخاك من واساك (٨) . يكفيك من شر سماعه

طائفة  
من الحكم

ومن الحكم النظمية :

قد قيل ما قيل ان صدقا وان كذبا  
وا كذب النفس اذا حدّثتها  
ان صدق النفس يُزرى بالأمل (٩)  
فكل رداء يرتديه جميل  
اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه  
فليس على شيء سواه بخزان  
اذا المرء لم يخزن عليه لسانه  
على شعث أي الرجال المهذب (١٠)

(١) هو لقمان بن عاد أحد حكماء العرب ومن أمثاله رب أخ لك لم تلده أمك - الصمت  
حكم وقيل فاعله - كل امرئ في بيته أمير - كل امرئ بشأنه عليم - آخر الدواء الكي  
(٢) ما استوى من الارض (٣) مصدر عثر بمعنى زل وسقط (٤) جرح (٥) أشد  
ايلا ما (٦) بطئا (٧) من غلب سلب (٨) ساعدك (٩) لا تحدث نفسك بأنك لا تظفر فان  
ذلك يثبطك (١٠) الشعث انتشار الامر وخله : أي ولست مستديما صحبة صديق لا تحتمله  
على ما فيه من زلل ، بل ينبغي لك لاستدامة صحبته أن تلمه وتصححه وتجمع ما تشتت من أمره ،  
اذ لا يوجد رجل خال من العيوب



ومن لم يندُ عن حوضه بسلاحه يُهدِّمُ ومن لا يظلمُ الناس يُظلمُ  
وكلام العرب بمراتبه : ( العليا والدنيا وما بينهما ) تعتوره كغيره أحوال تُنغير  
بتغير حياة أهله : العقلية والمعاشية والدينية والسياسية ، وتلك الأحوال تُنجلي في  
( أغراض اللغة ، ومعانيها ، وعباراتها ) وهي في اللغة الواصلة الينا المروية عن العرب  
أخرى جاهليتهم وبعد تضعُّع مدنيهم القديمة يمكن الإشارة إليها بما يأتي :

### أغراض اللغة <sup>(١)</sup> في الجاهلية

- (١) كانت اللغة تستعمل في أغراض المعيشة البدوية ، ووصف مرافقها : من  
حلّ وترحال وتبج حيوان ، وانتجاع كلاً واستدرار غيث
- (٢) وفي اثارة المنازعات والمشاحنات ، وما يتبعها : من الحض على ادراك  
الثار ، والنفاخ بالانتصار ، والتباهى بكرم الأصل والتجارة
- (٣) وفي شرح أحوال المشاهدات ، والإخبار عن الوقائع ، والقصص ، وغير  
ذلك مما يلائم بيئتهم ويناسب طباعهم

### معاني اللغة في الجاهلية

تجمل أحوال معاني اللغة في الأمور الآتية :

- (١) قصر معاني المفردات على ما تقتضيه البدأوة والفترة الغضة الخالية من  
تكلف أهل الحض وتأنقهم
- (٢) سيرُ التعقل - المُستنبط من الحس والمشاهدة أو الطبيعة أو التجربة أو  
الوجدان - في طريق غير طريق المبالغة والاغراق
- (٣) ارسالُ التخيل - المنتزعة صورهُ من المحسوسات - على وجه قلمانيخرج  
عن الإمكان العقلي والعادي

(١) أغراض اللغة مقاصدها التي تؤدبها وتستعمل فيها



## عبارة اللغة في الجاهلية

تلخّص أحوالُ العبارة في الجاهلية فيما يأتي :

(١) استعمال الألفاظ في معانيها الوضعية ، أو في معانٍ مناسبة للمعنى الأصليّ بطريق المجاز الذي يُصبح بعد غلبة الاستعمال والألف حقيقةً جديدةً ؛ ولذلك يظهر لنا عند تلاوة الشعر العربيّ القديم أن المجاز فيه أقلُّ مما هو في كلامنا ، وأنه قريب من الحقيقة : لشدّة علاقته بالمعنى الأصليّ ، وارتقاء بعضه الى رتبة الحقيقة

(٢) كثرة الترادُف في المفردات ؛ والحقُّ أن لأكثر الألفاظ المترادفة معنى خاصّاً لا يؤدّيه الآخر بالدقة<sup>(١)</sup> ، وإن تُنوّس بعض هذه الخصائص . وبعض المترادفات من اختلاف لغات القبائل الفصيحة التي جُمعت لغاتها وتكوّن منها اللسانُ العربيّ المروى لنا المحفوظ في كتب اللغة

(٣) قلة الأعجميّ المعبر عنه بالمعرب ، على أنه لم يتم الى الآن دليل قطعيّ على أن كل الألفاظ المشتركة بين لغة العرب ولغات الاعاجم نقلها العرب عن غيرهم ، ولم ينقلها غيرهم عنهم حتى نحكم بأنها أعجمية لا عربية

(٤) ارسال الأساليب الكلامية على حسب ما تقتضيه البلاغة بدون تكلف وبدون مراعاة لما تستلزمه الصناعةُ البديعية ، فلم يتعمدوا جناساً ، ولم يتكلفوا طباقاً ، ولم يقصدوا الى تورية<sup>(٢)</sup> ، وما وقع لهم من المحسنات الكلامية على قلبه فانما كان عفواً لا تعمل فيه خلا بعضاً من سجع الكهان

(٥) خلو الكلام العربي من اللحن . لأن الحق أن العربي لا يلحن في لغته

(٦) شيوع الإيجاز في كلامهم كما ترى ذلك واضحاً في نثرهم وشعرهم

(١) كالحث والحض فالاول يكون في السير والسوق وكل شيء ، والثاني لا يكون في سير ولا سوق . وكالجلوس والقعود : الاول عن ضجّة ، والثاني عن قيام

(٢) وأما ادعاء بعضهم — أن في ( سخينا ) من قول عمرو بن كلثوم :

مشعشة كأن الحصى فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

تورية مقصودة بجملة فعلا من السخاء ، أو امها من السخونة ، فتخرص وظن بلا دليل

الترادف

المعرب



## تقسيم كلام العرب

ينقسم كلام العرب قسمين : نثراً ونظماً ؛ فالنظم هو الموزون المقفى ؛ والنثر ما ليس مرتباً بوزن ولا قافية

### النثر

#### المحادثة - الخطابة - الكتابة

الأصل في الكلام أن يكون مشوراً : لإبانتة مقاصد النفس بوجه أوضح ، وأقسام النثر وكلفة أقل . وهو إما حديث يدور بين بعض الناس وبعض في إصلاح شؤون المعيشة ، واجتلاب ضروب المصالح والمنافع ، وذلك ما يسمى (المحادثة) أو (لغة التخاطب) ؛ وإما خطاب من فصيح نابه الشأن يُلقيه على جماعة في أمر ذي بال ؛ وهذا ما يسمى (الخطابة) ؛ وإما كلامٌ نفسى مدلول عليه بحروف وتقوش : لإرادة عدم التلفظ به ، أو لحفظه للخلف ، أو لبعث الشُّقَّة بين المتخاطبين ، وذلك ما يسمى (بالكتابة) . فأقسام النثر ثلاثة : محادثة ، وخطابة ، وكتابة . وكلها : إما أن تكون كلاماً خالياً من التزام النغمية في أواخر عباراته ، وذلك ما يسمى (النثر المرسل) ، وإما أن تكون قطعاً ملتزماً في آخر كل فقرتين منها أو أكثر قافيةً واحدة ، وهذا ما يسمى (السجع) ، وهو نوع من الحلية اللفظية إذا جاء عفواً ولم يتعمد التزامه ؛ ولحسن وقعه في الأسماع وحوّكه<sup>(١)</sup> في الطباع ، كان أكثر ما يستعمل في الخطابة ، والأمثال ، والحكم ، والمفاخرات ، والمنافرات وتخرُّصات الكهان ، والكتابة التي من هذا الوجه

#### مميزات النثر الجاهلي

ومن مميزات النثر في الجاهلية :

(١) قلة تأنيدهم في انتقاء الألفاظ المتناسبة الوزن ، المتشابهة في النغم والجرس

(١) حوكه تأنيده وأخذه



وانما يعمدون في تأدية المعنى الى ألفاظ تطابقه على ما يتفق وكما يكون

(٢) قلة استعمالهم الجمل والعبارات المتواردة على معنى واحد كما يفعل الجاحظ وأشباؤه من المولدين

(٣) قلة ولوعهم بالتكلف في صوغ عباراتهم وأساليبهم وسجعهم ، اللهم إلا ما وقع من سجع كاهن أو عرّاف

(٤) قصر الجمل ، أو توسطها ، وكثيراً ما يلتزمون ذلك في الحكم والأمثال والوصايا

(٥) ميلهم الى الايجاز من غير اخلال بالمعنى

(٦) كثرة استعمالهم الكناية القريبة المنال ، اتقاء التصريح بما يستهجن ، أو تحريكاً للنفس في استحضار صورة المكنى عنه بذكر أخص صفاته

(٧) قلة تعمقهم في استخراج المعاني البعيدة وفي استقصاء الأفكار العويصة التي تحتاج الى كد خاطر أو درس علم

ومن أمثلة النثر المرسل ما قاله أبو جُبَيْل قيس بن خُفّاف البُرْجُمِيُّ لحاتم في دماء<sup>(١)</sup> حَمَلَهَا : انى حَمَلت دماء عوّلت فيها على مالى وآمالى ، فأما مالى فقدّمته ؛ وكنت أكبر آمالى ، فان تحمّلتها فكم من حق قضيت وهمّ كفتيت ؛ وان حال دون ذلك حائل ، لم أذمّ يومك ، ولم أيتسّ من غدك

ومن سجع الكهان قول سَطِيح<sup>(٢)</sup> بن مازن في تعبير رؤيا ربيعة بن نصر اللخميّ أحد ملوك اليمن :

أحلف بما بين الحرّتين<sup>(٣)</sup> من حنّس ، ليبيطن أرضكم الجيش ، وليملكن ما بين أيبين<sup>(٤)</sup> الى جرّش<sup>(٥)</sup>

وقول شِقِّقِ أَمّار<sup>(٦)</sup> في تعبير تلك الرؤيا :

(١) جمع دم والدم هنا الدية

(٢) اسمه ربيع بن ربيعة ، مات في أيام أنوشروان بعد مولده صلى الله عليه وسلم

(٣) الحرة كل أرض ذات حجارة سود نخرة (٤) مخلاف ممة مدينة عدن المشهورة

(٥) مخلاف باليمن من جهة مكة (٦) كاهن كان في زمن كسرى أنوشروان

مثال للمرسل

امثلة للسجع



أحلف ما بين الحرّين من انسان ، لينزَلَنَّ أرضكم السودان ، وليغلبَنَّ على كل طفلة<sup>(١)</sup> البنان ، وليملكَنَّ الى ما بين أيّين ونَجْران<sup>(٢)</sup>

ومن السجع في غير الكهانة قول لبيد<sup>(٣)</sup> يصف بقلة<sup>(٤)</sup> تدعى التربة : هذه التربة التي لا تُدْكَى<sup>(٥)</sup> ناراً ، ولا تُوهل<sup>(٦)</sup> داراً ، ولا تُسرُّ جارا ، عودها ضئيل ، وفرعها كليل<sup>(٧)</sup> ، وخيرها قليل ، بلد هاشاسع<sup>(٨)</sup> ، ونبتها خاشع<sup>(٩)</sup> ، وآكلها جائع ، والمقيم عليها ضائع ، أقصر البقول فرعاً ، وأخشبها مرعى ، وأشدّها قلعاً ، فتعساً<sup>(١٠)</sup> لها وجدعاً<sup>(١١)</sup>

### المحادثة أو لغة التخاطب

لغة التخاطب عند عرب الجاهلية بعد أن توحدت<sup>(١٢)</sup> لغاتها هي اللغة المعربة المستعملة في شعرها وخطبها وكتابتها ؛ ولا فرق بينها في البلاغة إلا بقدر ما تستدعيه حال الخطابة والشعر والكتابة : من نبالة الموضوع والتأنق في العبارة

خلوها من اللحن  
واقوال باحثي  
زماننا فيها

وأكثر ما وصل الينا منها ما كان شريف المعنى ، فصيح اللفظ . وما زعمه بعض باحثي زماننا : من أن هذه اللغة لم تكن مُعربة مطلقاً ، أو أنها كانت معربة عند الخاصة غير معربة عند العامة أو أن غير المعربة كانت خاصة بالمحادثة دون الشعر والخطابة والكتابة ، أو خاصّة بلغات أطراف الجزيرة لمجاورتها أمم الأعاجم دون أواسطها ، ظنون لم يقيم عليها دليل ، نشأت من عدم فهم كلام العلماء وثقله اللغة

### الخطابة

الخطابة ضرب من التكلم ، وهي - إذا تهيّأت داعيتها : ووفرت أداتها ، وقلت كفاية الكتابة أو ثقلت مؤنتها - سبيلُ الاقناع ، وعدة التأثير : لما فيها من حضور المتكلم بشخصه ، ودفاعه عن رأيه بنفسه ، وافاضته<sup>(١٣)</sup> في كل ما يؤيد مذهبه . ومن طبيعة القبائل المتبدية<sup>(١٤)</sup> التي تعمها الأمية ، ولا يربطها قانون عام ، ولا

(١) ناعمة (٢) مخلاف شمالى اليمن (٣) شاعر ستاني ترجمته (٤) البقل ما نبت من بزة لا من أرومة ثابتة والبقلة واحده (٥) أذكى النار أوقدها (٦) من قولهم ثريدة مأهولة أى فيها اهالة وهي ما يؤتدم به من زيت ونحوه أى لا تؤدم (٧) ضعيف غير صليب (٨) بعيد (٩) دان من الارض (١٠) هلاكا (١١) قطعاً (١٢) المراد بتوحد اللغات توحدتها بعد امتزاج لغات العرب البائدة والقحطانية والعدنانية بعضها ببعض (١٣) اندفاعه (١٤) المقيمة بالبادية



تضبطها حكومة منظمة ، ولا تضمها راية سلطان واحد - كما كانت الأمة العربية في جاهليتها - أن تكون الخطابة لها ضرورية ، وفيها فطرية فمن الدواعي الطبيعية للخطابة في الجاهلية ما يأتي :

( ١ ) غلبة الأمية على العرب غلبة أجاتها الى الاستعانة باللسان اداة القول ، بدلَ القلم اداة الكتابة

( ٢ ) تملكهم زمام الفصاحة ، وانقيادهم لسلطان البلاغة واستجابة خاصتهم وعامتهم لدعاء سادتهم وكبرائهم وأولى النجدة فيهم عند الأمر الحافر<sup>(١)</sup> ، والخطب الداهم<sup>(٢)</sup> ؛ لما بين الداعي والمدعو من وحدة الجنس واللسان ، وتوافر أسباب التفاهم والبيان

( ٣ ) تفرقهم قبائل مستقلة ، وعشائر صغيرة ، وفتاتٍ مقاتلة ، بحيث يتيسر لكل جمهور منهم الاجتماع في صعيد واحد ، والاستماع الى خطيب فرد

( ٤ ) تعذر طرق التواصل المنظمة بينهم : كبريد يحمل رسائل ضافية ، وكتباً مطولة ، أو برقي يوصل أخباراً هامة ، أو صحف تنشر حوادث عامة ، فكانت الداعية شديدة الى رسول مؤفدٍ نابه الشأن ، فصيح اللسان قوى الحججة

( ٥ ) شن الغارات لأوهى الأسباب ، وافضاء ذلك الى الدفاع عن النفس والعرض والمال ، ثم الى الانتقام : لفرغ اكثرهم مما يشغل الخواطر والجوارح من صناعة وزراعة وتجارة ، وللخطابة في ذلك المثل الأعلى ، والقُدح المعلى<sup>(٣)</sup>

ومن أغراض الخطابة والمقامات التي يخطب فيها ما يأتي :

( ١ ) التحريض على القتال ، والحض على الأخذ بالثار ، وما الى ذلك من تهوين لشأن العدو ، أو تنبيه على غرّة<sup>(٤)</sup> منه ، أو تهئية تعبئة لملاقاته

( ٢ ) اصلاح ذات البين عند نشوب الحرب ، فيخطب رؤساء القبيلتين في تعظيم رزايا الحرب ، وتعديد مصائبها ، والتنفير منها أو في إمكان تحمل دماء القتلى ، ومفاداة الأسرى ، ونحو ذلك

(١) الدافع والسائق (٢) دمه غشيه (٣) سابع سهام الميسر وهو أكبرها حظا (٤) غفلة



(٣) المفاخرة والمنافرة ، والمباهاة بقوة العصبية وكرم النجار<sup>(١)</sup> ، وشرف

الخصال وعظم الفعال : ترهيباً للظالمين ، وتهديداً للمعادين

(٤) توضيح المقاصد وترية التواصل بالسفارات ما بين سادات قبائلهم وأقيالهم ،

وبينهم وبين ملوك الممالك المجاورة لهم ، في تأمين سبيل ، أو خفارة دَرَب ، أو إجازة  
تجارة ، أو استنجاج ، أو تهنئة ، أو تعزية

(٥) خِطبة الإِملاك<sup>(٢)</sup> : بترغيب القبيل المخطوب اليه في قبيل المخطوب له ،

وعد فضائله ، وذكر ما يسوقه من المهر ونحو ذلك

(٦) التوصية بفعل الرغائب ، واقتناء المحامد ، والتبصر في العواقب ، والترؤى

عند الحوادث ، ويكثر ذلك من حكمائهم وكهانهم لعامتهم ، أو من الآباء لأبنائهم ،  
وخاصة عند دنو آجالهم

وانما لم تصل إلينا أخبار خطبائهم الأوائل ، وشئ من خطبهم كما كان ذلك

في الشعر ، لحفلهم قديماً بالشعر دون الخطابة ، ولصعوبة حفظ النثر

وما عني الرواة بنقل أخبار الخطباء وخطبهم إلا عند ما حلت الخطابة بعد منزلة

أسمى من الشعر : لابتداله بتعاطي السفهاء والعامة له ، وتلوئهم<sup>(٣)</sup> بالتكسب به

والتعرض للحُرْم ، فنبه بذلك شأن الخطابة ، واشتهر بها الأشراف . وكان لكل

قبيلة خطيب كما كان لكل قبيلة شاعر

واذ كان جل القصد من الخطابة إثارة الشعور ، وإيقاظ الوجدان كما هو الشأن

في الشعر ، كان جل الاعتماد فيها على الأدلة المؤثرة في النفوس ، المهيجة للعواطف ،

مُمَثِّلة في صور العبارات الرائعة ؛ وكثرت فيها الفواصل والأسجاع الحسن وقعها ،

على ما فيها : من استرواح الخطيب ، وسهولة تدارك المعاني

وخطب العرب منها الطوال ومنها القصار ، ولكل مكان يليق به ، وهم إلى القصار

أميل : لانطباعهم على الإيجاز ؛ ولانها إلى الحفظ أسرع ، وفي الأصقاع أشيع ؛

(١) الأصل (٢) الزواج (٣) تلطخهم



وكانوا يُعَنُونَ في خطبهم ولا سيما القصار منها بسرد كثير من الحكم والأمثال والنصائح ، على أنه قلما رويت لنا خطبة بنصها وفصها <sup>(١)</sup> : لفسو الأمية في الجاهلية ولعجز الرواة عن استظهار جميعها ، وإنما يحفظون منها ما كان أشدّ قرعاً للسمع ووقفاً في النفس ، بعبارات تنفق في أصل المعنى ، وتفترق في بعض اللفظ

قيامهم فيها

وكان من عادة الخطيب في غير خطب الإملاك <sup>(٢)</sup> أن يخطب قائماً ، أو على نشز من الأرض <sup>(٣)</sup> ، أو على ظهر راحلته : لابعاد مدى الصوت ، وللتأثير بشخصه ، واظهار ملامح وجهه ، وحرركات جوارحه ؛ ولا غنى له عن لوث <sup>(٤)</sup> العمامة ، والاعتماد على مَحْصَرَة <sup>(٥)</sup> ، أو عصا ، أو قناة <sup>(٦)</sup> ، أو قوس ، وربما أشار باحداها أو بيده وقد كانوا يستحسنون من الخطيب أن يكون رابط الجأش <sup>(٧)</sup> ، قليل اللحظ <sup>(٨)</sup> جهير الصوت ، متخير اللفظ ، قوى الحجّة ، نظيف البرّة <sup>(٩)</sup> ، كريم الأصل ، عاملاً بما يقول

فات الخطيب

وخطباء العرب كثيرون ( من أقدمهم ) كعب بن لؤى <sup>(١٠)</sup> وكان يخطب العرب عامة ، ويحض على البرّ كنانة خاصة ، ولما مات أكبروا موته ، وأرخوا به حتى كان عام الفيل . وذو الاصبغ العدواني وهو خرّثان بن محرّث ، وسمى كذلك لأن حية نهشت إبهام رجله فقطعها

اقدام الخطباء

( ومن أشهرهم ) قيس بن خارجة بن سينان خطيب حرب داحس والغبراء <sup>(١١)</sup>

مهر الخطباء

(١) النصّ تبيين الشيء والفص مفصل الشيء ، والمعنى أتت معينة مفصلة كما قالها صاحبها بالضبط (٢) الترويح (٣) مرتفع من الارض (٤) عصب (٥) المحصرة السوط ونحوه وما يأخذه الملك لبشير به أو الخطيب اذا خطب (٦) رمح (٧) النفس أى شجاع (٨) اللحظ النظر بمؤخر العين وهو أشد من الشزر ، والمراد قليل التلفت والنظرات (٩) الهيئة والثياب (١٠) هو الجد السابع للنبي صلى الله عليه وسلم

(١١) داحس والغبراء فرسان لقيس بن زهير سيد عبس ، راهنه حذيفة بن بدر الفزاري على أن يسابقه بفرسيه : الخطار والحنفاء ، فوضعت فزارة كميناً في طريق السباق فلطم وجه الغبراء وكانت سابقة ، فهاجت الحرب بين عبس وفزارة ، ثم بين عبس وذبيان لنصرتها فزارة ، وفي القصة روايات أخرى



وَحُوَيْلِدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْغَطَفَانِيِّ خَطِيبُ يَوْمِ الْفِجَارِ<sup>(١)</sup>. وَقَسَّ بْنُ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيَّ<sup>(٢)</sup> خَطِيبَ عُمَاظَ. وَأَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ زَعِيمُ الْخَطْبَاءِ الَّذِينَ أَوْفَدَهُمُ النَّمَانُ - فِيمَا يُقَالُ - عَلَى كَسْرِي : وَهُمْ ( أ كْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ وَحَاجِبُ<sup>(٣)</sup> بْنُ زُرَّارَةَ النَّيْمِيَّانِ ، وَالْحَارِثُ بْنُ عُبَادِ<sup>(٤)</sup> ) وَقَيْسُ بْنُ مَسْعُودِ<sup>(٥)</sup> الْبَكْرِيَّانِ ، وَخَالِدُ بْنُ جَعْفَرِ<sup>(٦)</sup> وَعَلْقَمَةُ بْنُ عَلَاتَةَ<sup>(٧)</sup> ، وَعَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ<sup>(٨)</sup> الْعَامِرِيُّونَ ، وَعَمْرُو بْنُ الشَّرِيدِ السُّلَمِيِّ<sup>(٩)</sup> ، وَعَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبِ الرَّثِيدِيِّ<sup>(١٠)</sup> ، وَالْحَارِثُ بْنُ ظَالِمِ الْمُرِّيِّ<sup>(١١)</sup>

تراجم  
مختصرة للخطباء

(١) يوم الفجار حرب كانت بين قريش وهو ازن حضرها النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمره أربع عشرة سنة ، وسميت كذلك لانها كانت في الاشهر الحرم (٢) ستأتي ترجمة قس وأكثم (٣) سيد من سادات تميم ، وهو الذي وفد على كسرى حين منع تيمما من ريف العراق حتى أصابهم القحط ، فأعجب به ومنعه مطالبه ، وتمهد له حاجب بحسن الجوار ، ورهن عنده قوسه على ذلك فقبلها منه ، وبقيت عند كسرى حتى أخذها ابن حاجب ثم بيعت بمد بأربعة آلاف درهم (٤) كغراب كان خطيبا مؤثرا ، وشاعرا بليغا ، وله عمل جليل في الحرب التي نشبت بين بكر وتغلب لقتل كليب بمد أن اعتزلها ، وله فيها قصيدة مشهورة منها :

قربا مربيط النعامه منى لقتت حرب وائل عن حيال

(٥) هو قيس بن مسعود بن خالد بن ذى الجدين ، كان كريما على الهمة من أفضل العرب حسبا ونسبا وكانت تقرر له القبائل كلها بذلك بل هي وكسرى أيضا ، وكان له حظيرة فيها مائة من الابل لأضيافه اذا نحرت ناقة قيدت أخرى مكانها (٦) سيد من سادات بني عامر ، خلص قومه من العبودية لغطفان بمد أن قتل سيدهما زهير بن جذيمة (٧) خطيب بليغ اشتهر في قومه بالعمفة والمحافظه على الجوار والعقل الراجح والحسب الواضح (٨) هو ابن عم ليبيد الصحابي شاعر متين ، وفارس من أشهر فرسان العرب نجدة ، وأبدهم اسما ، ولقد بلغ من شهرته أن يقصر كان اذا قدم عليه قادم من العرب قال ما بينك وبين عامر فان كانت بينه وبينه رحم واشجة ، قربه وأكرمه (٩) وهو أبو السيدة تماضر الخنساء يميل الى الفخر والمصراحة في القول ولقد بلغ من تعاليه في ذلك انه كان يأخذ ابنيه معاوية وصخرافى المواسم العامة ويقول أنا أبو خيرى مضر فن أنكر فليغير ولا يغير ذلك عليه أحد (١٠) خطيب شاعر ، وفارس قاهر ، وصحابي جليل ، شهد اليرموك والقادسية وأبلى فيهما البلاء الحسن على كبر في سنه وضعف في جسمه وستاق ترجمته في الخضر مين (١١) كان شجاعا فاتكا ، وخطيبا شاعرا ، يميل الى معاقرة الخمر . وهو الذى قتل خالد بن جعفر غيلة لقتله أباه وكثيراً من قومه



## نماذج من الخطب والوصايا

قال هانئ بن قبيصة الشيباني لقومة في يوم ذي قار وهو يحرضهم :  
يا معشر بكر : هالك معذور ، خير من ناج فرور ، أن الخذر لا يُنجى من  
القدر ، وان الصبر من أسباب الظفر . المنية ، ولا الدنية . استقبال الموت خير من  
استدباره . الطعن في ثُغر<sup>(١)</sup> النحور ، أكرمُ منه في الأعجاز والظهور . يا آل بكر  
قاتلوا فما للمنايا من بدِّ

وخطب مرثد الخير أحد أقيال حمير في الصلح بين سُبَيْع بن الحارث أخي  
ذِي جَدَن ومَيْثَم بن مَثُوب بن ذِي رُعَيْن حين تنازعا الشرف وتشاخنا حتى خيف  
أن يقع بين حبيهما شرفيتفاني جذماهما<sup>(٢)</sup> فقال :

ان التخبط<sup>(٣)</sup> وامتطاء الهجاج<sup>(٤)</sup> ، واستحقاب الأجاج<sup>(٥)</sup> ، سيقفكما على  
شفا هوة<sup>(٦)</sup> في تورثها بوار الأصلة<sup>(٧)</sup> ، وانقطاع الوسيلة . فتلافيا أمر كما قبل  
انتكاث<sup>(٨)</sup> العهد ، وانحلال العقد ، وتشئت الألفة ، وتباين الشهمة<sup>(٩)</sup> ، وأتما في  
فُسحة رافهة<sup>(١٠)</sup> ، وقدم واطدة<sup>(١١)</sup> ، والمودة مئرية<sup>(١٢)</sup> ، والبقيما معرضة<sup>(١٣)</sup> ، فقد  
عرقم انباء من كان قبلكم من العرب ممن عصى النصيح ، وخالف الرشيد ، وأصغى  
الى التقاطع ، ورأيتم ما آلت اليه عواقب سوء سعيهم ، وكيف كان صيور<sup>(١٤)</sup>  
أمورهم ، فتلافوا القرحة<sup>(١٥)</sup> قبل تفاقم الثأى<sup>(١٦)</sup> ، واستفحال<sup>(١٧)</sup> الداء ، وأعواز  
الدواء ، فانه اذا سفكت الدماء ، استحكمت الشحناء ، واذا استحكمت الشحناء ،  
تقضبت<sup>(١٨)</sup> عرى الإبقاء ، وشمل البلاء

- (١) جمع ثفرة وهي نقرة النحر بين الترقوتين (٢) اصلاحهما (٣) السير على غير هدى  
(٤) أى ركوب الرأس وعدم التروى (٥) والاحترام بالخصومة أى التمسك بها (٦) حافة  
حفرة (٧) هلاك الاصل (٨) انتفاض (٩) القرابة (١٠) ناعمة (١١) ثابتة (١٢) متصلة  
(١٣) ممكنة (١٤) عاقبة (١٥) أى الجرح (١٦) الافساد (١٧) اشتداده (١٨) تقطعت



ومن منافرة عامر بن الطفيل مع علقمة بن علاثة :

قال علقمة - الرياسة لجدى الأحوص ، وانما صارت الى عمك ابي براء من  
أجله ، وقد استسقى<sup>(١)</sup> عمك وقعد عنها فأنا أولى بها منك ، وان شئت نافرتك . قال  
عامر : قد شئت ؛ والله لأنا أشرف منك حسباً ، وأثبت منك نسباً ، وأطول قصباً<sup>(٢)</sup>  
قال علقمة : أنافرك : واني لبرئ وانك لغاجر ، واني لولود وانك لعافر ، واني لوافٍ  
وانك لغادر . قال عامر : أنافرك : واني أنشَر منك أمة<sup>(٣)</sup> ، وأطول رِقمة ، وأحسن  
لِمة<sup>(٤)</sup> ، وأجعد جُمَّة<sup>(٥)</sup> ، وأبعد همة . قال علقمة : أنا جميل وأنت قبيح ؛ ولكن  
أنافرك ، أنا أولى بالخيرات منك . فخرجت أم عامر وقالت نافره : أيكما أولى  
بالخيرات ؟ ففعلوا على مائة من الإبل وحكموا هرما الفزاري فلم يفضل أحدهما على  
الآخر حتى لا تكون فتنة بين الحيين

وخطب أبو طالب حين تزوج النبي صلى الله عليه وسلم السيدة خديجة

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزرع اسماعيل ، وجعل لنا بلداً حراماً  
وبيتاً محجوجاً ، وجعلنا الحسكام على الناس . ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخي من  
لا يوازنُ به فتى من قريش الأرجح<sup>(٦)</sup> عليه برّاً وفضلاً ، وكرماً وعملاً ، ومجداً  
ونُبلاً<sup>(٧)</sup> ، وان كان في المال قُل<sup>(٨)</sup> فانما المال ظل زائل ، وعارية<sup>(٩)</sup> مسترجعة ، وله  
في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصداق<sup>(١٠)</sup> فعلى

لما احتضِر ذو الأصبغ العَدُواني دعا ابنه أسيداً ليوصيه فقال :

يا بُنيَّ ان أباك قد فني وهو حي ، وعاش حتى سئم العيش ، واني موصيك بما

(١) كبرت سنه (٢) القصب عظام اليدين والرجلين ونحوهما والمراد طول قامته (٣) أي

أكثر قوماً (٤) اللمة الشعر المتجاوز شحمة الاذن (٥) مجتمع شعر الرأس

(٦) فاق (٧) ذكاء ونجابة (٨) قلة (٩) ما تداوله الناس بينهم (١٠) المهر



ان حفظته بلغت في قومك ما بلغت، فاحفظ عني : ألن جانبك لقومك يُحبوك ،  
وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم<sup>(١)</sup> بشيء  
يسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك  
صغارهم ، واسمح بالك ، واحم حرملك وأعزز جارك ، وأعن من استعان بك ،  
وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة في الصريح<sup>(٢)</sup> ، فان لك أجلاً لا يعدوك ، وصن  
وجهك عن مسألة أحد شيئاً فبذلك يتم سوؤدك

وقال مروان بن زنباع العبسي :

يا بني عبس ! احفظوا عني ثلاثا : اعلموا أنه لم ينقل أحد اليكم حديثاً الا نقل  
عنكم مثله ، واياكم والتزويج في بيوتات السوء ؛ فان له يوماً ناجئاً<sup>(٣)</sup> واستكثر وا  
من الصديق ما قدرتم ، واستقلوا من العدو فان استكثاره ممكن

### قس بن ساعدة الإيادي

هو خطيب العرب قاطبة ، والمضروب به المثل في البلاغة والحكمة والموعظة  
الحسنة ، كان يدين بالتوحيد ، ويؤمن بالبعث ، ويدعو العرب الى نبذ العكوف  
على الأوثان<sup>(٤)</sup> ، ويُرشدهم الى عبادة الخالق ، ويحطّ بهم بذلك في المحافل العامة .  
ومواسم الأسواق ، ويقال انه أوّل من خطب على شرف ، وأوّل من قال في خطبه  
( أما بعد ) وأول من اتكأ على سيف أو عصا في خطبته ؛ وكان الناس يتحاضرون  
اليه فيقضى بينهم بسديد رأيه ، وصائب حكمه ، وهو القائل ( البيئنة على من ادّعى ،  
واليمين على من أنكر ) وكان قس يفسد على قيصر ويزوره ، فقال له يوماً :  
ما أفضل العقل ؟ قال معرفة المرء بنفسه ، قال فما أفضل العلم ، قال : وقوف المرء عند عمله ،  
قال فما أفضل المروءة ، قال استبقاء الرجل ماء وجهه ، قال فما أفضل المال . قال ما قضي  
به الحقوق . وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يخطب في عكاظ على جملة

(١) تختص بالحسن (٢) أي عند الصريح وهو نداء المستغيث (٣) الناجت الجافر ،  
والنجيثة ما يخرج من تراب البئر يريد كاشفاً (٤) الاصنام



أورق<sup>(١)</sup> فعجب من حسن كلامه وأظهر من تصويبه ، وأثنى عليه ؛ وعمر قس<sup>٢</sup>  
طويلاً ومات قبيل البعثة

وقد كان مهذب الألفاظ ، قوى التأثير ، بعيداً عن الحشو واللغو في كلامه .  
وسجعه كما سترى قصير الفواصل ظاهر على مرسله

ومن خطبه خطبته التي خطبها في سوق عكاظ : وهي كما في صبح الأعشى<sup>(٣)</sup>  
أيها الناس . اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت .  
ليل<sup>(٤)</sup> داج<sup>(٥)</sup> . ونهار<sup>(٦)</sup> ساج<sup>(٧)</sup> . وسما<sup>(٨)</sup> ذات أبراج<sup>(٩)</sup> . ونجوم تزه<sup>(١٠)</sup>ر . وبحار  
تزخر<sup>(١١)</sup> وجبال مرساة ، وأرض مدحاة<sup>(١٢)</sup> وأنهار مجرأة . ان في السماء لخبرا<sup>(١٣)</sup> ،  
وان في الارض لعبرا ، ما بال<sup>(١٤)</sup> الناس يذهبون ولا يرجعون ، ارضوا فأقاموا ؟ ، أم  
تركوا فناموا . يُقسم قس<sup>(١٥)</sup> بالله قسماً لا إثم فيه : ان لله ديناً هو أرضى لكم وأفضل  
من دينكم الذي اتم عليه . انكم لتأتون من الأمر منكرًا . ويروى أن قسا أنشأ بعد  
ذلك يقول :

في الزاهبين الأولين — من القرون لنا بصائر<sup>(١٦)</sup>  
لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر<sup>(١٧)</sup>  
ورأيت قورمى نحوها تمضى : الأكارب والأصاغر  
لا يرجع الماضي إلى م ولا من الباقين غابر<sup>(١٨)</sup>  
أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر

(١) الأورق من الابل مافي لونه يياض الى سواد (رما دى)  
(٢) صفحة ٢١٢ من الجزء الاول طبعة سنة ١٣٣١ هـ بالمطبعة الاميرية  
(٣) مظلم (٤) الساجى الساكن والدائم (٥) البرج واحد الابراج : وهي اثنا عشر  
برجا تقابلها الشمس في طريقها طول السنة . والبرج صورة من مجموعة كواكب تشبه صورة  
حيوان أو غيره (٦) تضىء وتتلأ<sup>(٧)</sup> (٧) تطمى وترتفع (٨) مدحوة أى مبسوطة وانما  
جاءت على هذا الوزن لمشكلة أخواتها في اللفظ (٩) أى ان في صنع السماء لدليلاً على خالق  
عظيم (١٠) جمع بصيرة وهي العلم والخبرة (١١) ورد الماء أتاه ليشرب ، وصدر عنه شرب  
ورجع أى تذهب الناس للموت ولا تعود (١٢) مقيم



## أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي

هو من أبلغ حكماء العرب ، وأعرفها بأنسابها ، وأكثرها ضربَ أمثال ، واصابة رأى ، وقوة حجة ؛ كان خطيباً مصفَعاً<sup>(١)</sup> ؛ وحكماً موفّقاً ، رفيع المِكانة في قومه ، يُعدّ من أشرافهم ومن كبار المحكّمين فيهم ؛ وقلّ من جراه من خطباء عصره في معرفة الانساب ، وضرب الأمثال ، والاهتداء لحلّ المشكلات ؛ والسّداد في الرأى ؛ وهو زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى ، وكلهم خطباء مصاقع ، ولسنٌ مَقاول ؛ ولقد بلغ من إعجاب كسرى به أن قال له : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى . وقد عمّر طويلاً حتى أدرك مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وجمع قومه وحثّهم على الإيمان به . وفي اسلامه رواياتٌ

وكان في خطبه قليل المجاز ، حسن الإيجاز ، حلوا الألفاظ ، دقيق المعاني ، مؤلّعاً بالأمثال ، لا يلتزم السجع ؛ يميل الى الاقتناع بالبرهان ، ويعتمد في خطابته على قوة تأثيره وشدة عارضته<sup>(٢)</sup> لاعلى المبالغة والتحويل . ومن جيد خطبه خطبته أمام كسرى وهى :

ان أفضل الأشياء أعاليها . وأعلى الرجال ملوكهم ، وأفضل الملوك أعظمها نفعاً . وخير الأزمنة أخصبها . وأفضل الخطباء أصدقها . الصدق منجاة . والكذب مهواة . والشّرُّ لجاجة<sup>(٣)</sup> ، والحزم مركب صعب . والعجز مركب وطيء<sup>(٤)</sup> . آفة الرأى الهوى . والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر ، حسنُ الظن ورطة<sup>(٥)</sup> ، وسوء الظن عِصمة . إصلاحُ فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعى . من فسدت بطانته<sup>(٦)</sup> كان كالغاصّ<sup>(٧)</sup> بالماء . شر البلاد بلاد لا أمير بها . شر الملوك من خافه البرى .

(١) المصفع البليغ أو العالى الصوت أو الذى لا يرتج عليه في كلاؤه ولا يتتبع (٢) البيان واللسن والجلد والصرامة والقدرة على الكلام (٣) اللجاج واللجاجة تماحك الخصمين وتماديهما أى ان أصل الشر اللجاجه (٤) سهل لين (٥) الورطة الهلسة وكل أمر تمسر النجاة منه (٦) أصحابه وأصدقائه (٧) الشرق بالماء



المرء يعجز لا المحالة<sup>(١)</sup>. أفضل الأولاد البررة . خير الأعوان من لم يراء بالنصيحة .  
أحق الجنود بالنصر من حسنت سريره . يكفيك من الزاد ما بآعك المحل .  
حسبك من شر سماعه . الصمت حكمة<sup>(٢)</sup> وقليل فاعله . البلاغة الأيجاز . من  
شدد نقره ، ومن تراخى تألف



---

(١) الحيلة (٢) الحكم : الحكمة ، ومنه قوله تعالى « وآتيناه الحكم صبياً » والمعنى أن استعمال الصمت حكمة وقل من يستعمله



## الكتابة

نشأة  
الخط العربي

يراد بالكتابة عند الأدباء صناعة انشاء الكتب والرسائل ، واذ كانت الكتابة بهذا المعنى توَدَى بالنقوش المسماة بالخط ، ناسب أن نُشير هنا الى نشأة الخط العربي فنقول :

أول حلقة من سلسلة الخط العربي هي الخط المصري القديم ، ومنه اشتق الخط الفينيقي<sup>(١)</sup> ومن هذا اشتق الآرامي<sup>(٢)</sup> والمسند بأنواعه : الصفوي والثمودي والحياتي شمالي جزيرة العرب ، والحميري جنوبيها . ومن هنا اختلف رأى رواة العرب ورأى باحثي الافرنج ، فيرى باحثو الافرنج أن قد تولد من الخط الآرامي خطوط منها النبطي<sup>(٣)</sup> والسرياني ؛ والأول يظهر في حروفه الاتصال ، ومنه أخذ أهل الحيرة والأنبار خطهم النسخي المنسوب اليهم ، ومنهما وصل الى أهل الحجاز . والثاني اشتق العرب من نوع منه ( يسمى بالسَّطْرَنْجِيلِي ) خطهم الكوفي أما رواة العرب قبل الاسلام وبعده فانهم يقولون : انهم أخذوا خطهم الحجازي عن أهل الحيرة والأنبار ، وهما عن كندة<sup>(٤)</sup> والنبط<sup>(٥)</sup> الناقلين من المسند . ونحن نرى رأيهم لأسباب : منها العثور على فروع من الخط المسند في اراضى النبط وشمالها ، بعضها وهو الصفوي قريب الشبه جداً من أصله الفينيقي

رأى  
الافرنج فيه

رأى العرب

أدلتهم

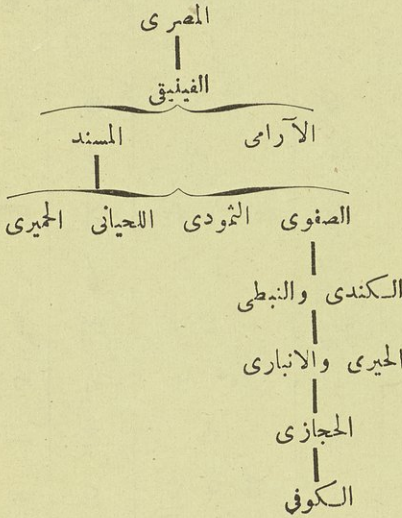
- (١) الفينيقيون سكان أرض كنعان وكانت على ساحل البحر الابيض بمحاذاة جبل لبنان
- (٢) الارام الامم السامية القديمة التي كانت تسكن شمالي بلاد العرب في فلسطين والشام والعراق
- (٣) مملكة الانباط كانت في القرن الاول قبل الميلاد تتسع من شمالي الحجاز الى نواحي دمشق أي كانوا يملكون مدين وخليج العقبة والحجر وفلسطين وحواران
- (٤) يعلم ذلك مما قاله ابن عباس حين سئل عن أصل الخط العربي . وخلصته أن قريشاً أخذته عن حرب بن أمية وهو عن عبد الله بن جدعان أو بشر بن عبد الملك أخى أكيدر صاحب دومة الجندل ، وهما عن أهل الحيرة والانبار عن طاري طراً عليهم من اليمن من كندة
- (٥) يعلم ذلك من رواية المسعودي وابن السكبي وهي أن بن المحصن بن جندل بن يعصب بن مدين هم الذين نشروا الكتابة يريد النبط



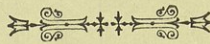
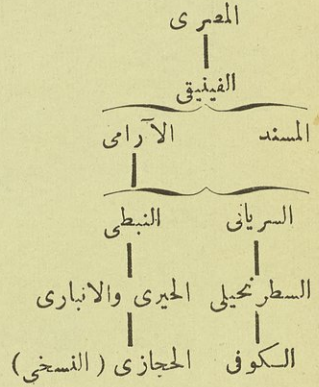
ومنها وجود حروف الروادف وهي : تُحذ ضظغ في الخط المسند دون الآرامى ،  
ومنها صريح الاجماع من رواة العرب على أن الخط العربي مأخوذ من الحميرى  
والأنبارى ، وهو مأخوذ من المسند على يد كندة والنبط

أما الكوفى الذى لم يعرف الا بعد تمصير الكوفة فليس إلا نتيجة هندسة ونظام  
فى الخط الحجازى . ولعل شبهة الافرنج آتية من شيوع استعمال السطرنجمىلى والكوفى  
فى الكتابة الجلية على المعابد والمساجد والقصور وما شا كلها ، مع شدة تشابه  
ما فيهما من الزخرفة والزينة

سلسلة الخط العربى على رأى رواة العرب



سلسلة الخط العربى على رأى الافرنج





وهاك جدولاً يبين لك نشأة هذه الخطوط المختلفة على رأى العرب :

مصرى للعمامة	فينيقى	مسند وآرامى	كندى ونبطى	حبرى وانبارى	نسخ عادى
ا	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	ا
ب	Ⲃ	Ⲃ	Ⲃ	Ⲃ	ب
ج	Ⲅ	Ⲅ	Ⲅ	Ⲅ	ج
د	Ⲇ	Ⲇ	Ⲇ	Ⲇ	د
هـ	Ⲉ	Ⲉ	Ⲉ	Ⲉ	هـ
و	Ⲋ	Ⲋ	Ⲋ	Ⲋ	و
ز	Ⲍ	Ⲍ	Ⲍ	Ⲍ	ز
ح	Ⲏ	Ⲏ	Ⲏ	Ⲏ	ح
ط	Ⲑ	Ⲑ	Ⲑ	Ⲑ	ط
ى	Ⲓ	Ⲓ	Ⲓ	Ⲓ	ى
ك	Ⲕ	Ⲕ	Ⲕ	Ⲕ	ك
ل	Ⲗ	Ⲗ	Ⲗ	Ⲗ	ل
م	Ⲙ	Ⲙ	Ⲙ	Ⲙ	م
ن	Ⲛ	Ⲛ	Ⲛ	Ⲛ	ن
س	Ⲝ	Ⲝ	Ⲝ	Ⲝ	س
ع	Ⲟ	Ⲟ	Ⲟ	Ⲟ	ع
ف	Ⲡ	Ⲡ	Ⲡ	Ⲡ	ف
ص	Ⲣ	Ⲣ	Ⲣ	Ⲣ	ص
ق	Ⲥ	Ⲥ	Ⲥ	Ⲥ	ق
ر	Ⲧ	Ⲧ	Ⲧ	Ⲧ	ر
شى	Ⲩ	Ⲩ	Ⲩ	Ⲩ	شى
ت	Ⲫ	Ⲫ	Ⲫ	Ⲫ	ت



أما الكتابة بمعنى انشاء الكتب والرسائل ، فهي لازمة لكل أمة متحضرة ذات  
دولة منظمة ، ودواوين متعدّدة ، وصناعات متنوّعة ، وتجارة رائجة ، وزراعة  
نامية ، وفنون مختلفة ؛ وقد كان بعض ذلك موفوراً في ممالك التبابعة جنوباً ، ومأثوراً  
عن ممالك المناذرة والغساسنة شمالاً : ولذلك استعمل الخط المسند الحيرى عند  
الأوليين من عهد مديد ، والأنبارى الحيرى عند الآخرين . وإنما لم يصل الينا شيء  
من رسائل تلك الأمم ولا من كتب فنونها ودينها غير ما عثر عليه في بقايا  
خرائبهم وسدود مياههم وبعض دفائن الأبحار والقبور : لتقدم عهد أهلها وعدم  
استكمال البحث بعد في بلادها . ولعل الزمان يُعثرنا على شيء منها

ولم يعرّفنا التاريخ أيضاً بأحد من كتاب هذه الصناعة إلا بلقيط بن يعمر  
الايادى وعديّ بن زيد العبادى<sup>(١)</sup> وابنه ، وكانوا كتاباً وتراجمة عند كسرى  
أما البدو من سكان أواسط الجزيرة وهم جمهور مضر وبعض القحطانيين  
فكانوا أميين . ومن المعقول أنهم لم يعرفوا الكتابة الانشائية إلا بعد أن عرفوا الخط  
آخرَ عصور الجاهلية ، وهو ما نقل عنهم فيه أنهم كانوا يكتبون في بدء رسائلهم  
باسمك اللهم ، ومن فلان الى فلان ، وأما بعد<sup>(٢)</sup> . ولم تقم لهم دولة بالمعنى السابق  
الأ بقيام الإسلام فهو الذى أفشى فيهم الخط والكتابة

ولما كانت علوم كل أمة - وخاصة اللسانية منها - لها الأثر العظيم في تكوين  
فكر الأديب وخيال الشاعر ، والبلاء الحسن في تقويم اللسان ، وتوفير مادّة اللغة ،  
وكانت كتابتها قسماً قائماً بنفسه يسمى كتابة التدوين<sup>(٣)</sup> والتصنيف<sup>(٤)</sup> - ناسب  
أن تُعرّف موضوعاتها ويؤنّى على خلاصة نشأتها في تاريخ الأدب

(١) نسبة الى عباد وهم قبائل شتى من العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة

(٢) وقد عثرنا على وصية مطولة كتب بها اكثم الى طي

(٣) تدوين الكتاب جعله ديواناً ، والديوان مجتمع الصحف ، والكتاب والدفتر ما يكتب فيه

(٤) تصنيف الاشياء جعلها صنوفاً ، وتمييز بعضها من بعض ، ومنه تصنيف الكتب أى

لانه جمع كل طائفة متشابهة من المسائل في باب ، فالتدوين أعم من التصنيف



﴿ علوم العرب وفنونها ﴾

العلوم والصناعات لازمة لحضارة الأمم ، متناسبة معها ؛ ومن العرب أهل حضارة دلت عليها دولهم العظيمة ، وقدم تاريخهم ، وآثارهم الخالدة ، وهم التبابعة في اليمن والمناذرة والغساسنة في الشمال ، وإذا تكون هندسة إرواء الأرض وعمارة المدن ، والحساب ، والطب ، والبيطرة ، والزراعة ونحوها معروفة في الجنوب والشمال ، مدونة في الكتب ، وان لم يحفظ لنا الدهر صوراً منها . أما البدو منهم وان كانوا أميين ، يمتنون الصناعات ويتقنون أهلها فلا غني لهم عن تجربة ترشدهم الى ما ينفعهم في بواديهم المقفرة ، ومجاهلهم الطامسة : ليعلموا ما به تصح أنفسهم وأنعامهم ، وتسطع خفايا أمورهم ، وتدون فيه مفاخرهم ؛ وليعرفوا متى تجود السماء . وبم يتميز الأقرباء من البعداء ، فكسبهم ذلك علم النجوم ، والطب الضروري ، والأنساب والأخبار ، ووصف الأرض ، والفراسة ، والعيافة ، والقيافة ، والكهانة ، والعرافة ، والزجر ، وقرض الشعر

علم النجوم - هو معرفة أحوال الكواكب : من طلوعها ، وغروبها ، وألوانها ، وأنوائها ، ومواقعها ، وقرانها ، وصور أفرادها وجماعاتها ؛ وما يرتبط بها : من حرّ وبرد ، وأمطار ورياح ، واعتدال زمان ، ونتاج حيوان ، الى غير ذلك : مما تمس اليه حاجتهم ، وتدعو اليه ضرورتهم . وقد كانوا أبرع في هذا العلم منهم في كل علم سواه ، تعرفه عامتهم <sup>(١)</sup> قبل خاصتهم : للاهتمام به في ظلمات البر والبحر ، ومعرفة أزمته الحضب والمحل ، وبعض معارفهم فيه مستمد من الكلدان :

(١) قال الاصمعي : كان شيخ من الاعراب في خبائه وابنة له بالفناء اد سمع رعداً فقال ما ترين يا بنية قالت أراها حواء قرهاء ، كأنها أقرب أنان قراء ، ثم سمع راعدة أخرى فقال كيف ترينها ؟ قالت أراها حمة الترفاف ، متساقطة الاكتاف ، تتألق بالبرق الولاف . قال هلمى المعرفة انتى نؤيا



لاختلاطهم بهم ، ولاتفاق اللغتين في بعض أسماء الكواكب والبروج ؛ ومن أشهرهم فيه بنو حارثة بن كلب ، وبنو مرة بن همام الشيباني

الطب الانساني والحيواني (البيطرة) - وقد عانا من العرب كثيرون الطب والبيطرة اكتسبوه بحدقهم وتجاربهم ومما نقلوه عن غيرهم ، يدل لذلك كثرة ما تجده في لغتهم من أسماء الأمراض ، والأدوية ، وأسماء الأعضاء الباطنة والظاهرة وأوصافها المختلفة وأجزائها الدقيقة ، وكانوا يعالجون بالعقاقير<sup>(١)</sup> تارة وبالغزائم والرثي<sup>(٢)</sup> أخرى ، وأطواراً يستعملون الحجامة<sup>(٣)</sup> والكي بالنار . ومن أمثالهم ( آخر الدواء الكي ) . ومن مشهورهم الحارث بن كلدثة التميمي وابن حذيم التميمي

الانساب - علم تتعرف به القرابات التي بين بعض القبائل وبعض فتلحق الانساب فروعها بأصولها . وانما دعاهم الى العناية به حاجتهم الى التناصر بالعصبية : لكثرة حروبهم ، وتفرق قبائلهم وأنقتهم من أن يكون لغريب عنهم سلطان عليهم ، وحبهم الافتخار بأسلافهم ، ولذلك كانوا يحفظون أنسابهم ، ويروونها أبناءهم ، ويحافظون عليها جهدهم . ومن اشتهر بمعرفة أنساب العرب دغفل بن حنظلة الشيباني وزيد بن الكيس النمرى ، وابن لسان الحمرة

الاخبار والتاريخ والقصص - هي معرفة أحوال السابقين ، وكانوا يعرفون الاخبار والتاريخ منها ما كان عليه أسلافهم وبعض مجاورهم من الأحوال الماثورة ، ووقائع أيامهم المشهورة ، وهي كغيرها من أخبار الأمم القديمة بعضها صحيح وبعضها حديث خرافة . وقد جاءنا منها شيء ليس بالقليل في شعرهم ونثرهم وأمثالهم : كقصص الفيل

(١) جمع عقار ككتان وعقير كسكيت ما يتداوى به من نبات وغيره

(٢) الغزائم جمع عزيمة من عزم الرائي على الداء والجن والارواح كانه أقسم عليها ، والرقي جمع رقية وهي ما يتلوه الشخص في ذلك

(٣) صناعة الحجام ، والحجم مص الدم من المريض باداة تسمى المحجم



وحرب داحس والغبراء ، وحرب البسوس<sup>(١)</sup> ، ويوم ذى قار<sup>(٢)</sup> ، وحرب الفجار

وصف الارض - هو معرفة كل بقعة وما يجاورها وكيف يهتدى اليها .

وصف الارض

ومن قرأ شعر العرب في نسيهم ، واطلع على وصف أطلالهم<sup>(٣)</sup> ودمنهم<sup>(٤)</sup> ومصايفهم ومرابعهم ، وكيف كانوا يحدون الحقيير منها بحدود قلما تُحدّ بها مملكة عظيمة - عرف شدة حذقهم بمعرفة بلادهم ، مما كان له الفائدة الجلي في إمداد علم وصف الأرض ( الجغرافية ) بمواضع بلادهم وطبائعها

الفراسة - هي الاستدلال بهيئة الانسان وشكله ولونه وقوله على أخلاقه وفضائله ووزائله . وقد نبغ فيها من العرب من لا يحصى عددهم ، ولهم في ذلك نوادر شتى<sup>(٥)</sup>

الفراسة

القيافة - ضرب من الفراسة منشؤه قوة الخيال والحافظة والذكاء : وهي

القيافة

الاهتداء بآثار الأقدام على أربابها ، أو الاستدال بهيئة الانسان وأعضائه على نسبه ، وربما خصوا النوع الأول باسم القيافة ؛ وللعرب في ذلك أمور تدخل في عداد

(١) هي حرب دامت بين بكر وتغلب أربعين سنة ، وسببها أن رجلا من قبيلة جرم نزل ضيفا على البسوس التيمية خالة جساس بن مرة البكري ، وللاجري ناقة أخذت ترعى مع ابل كليب سيد تغلب ، وكان جبارا يجمع أرضه أن ترعى فيها ابل غيره ، فبصر بناقة الجرمي بين ابله فرماها بسهم في ضرعها فولت تصيح الى فناء صاحبها ، فاستغاث بأمر مثنواه البسوس فصاحت : واذلاه ، فانتهز جساس غرة من كليب وقتله غيلة ، فنشبت الحرب بين التيميلتين

(٢) موضع بقرب الكوفة كان به يوم لبني شيان وعجل على الفرس ، وهو أول يوم انتصف

فيه العرب من المعجم

(٣) الطلل الشاخص من الآثار (٤) الدمن وهو جمع دمنة وهي آثار الناس وما سودوه

بالرماد والسرجين (٥) منها أن أولاد نزار ذهبوا الى الافعى الجرهمي ليحكم بينهم في ميراث أبيهم وبينها هم في الطريق اذ رأى مضر كلاً قد رعى فقال ان البعير الذي رعى هذا أعور ، فقال ربيعة هو أزور ، وقال اياد هو ابتر ، وقال أمار هو شرود وبعد قليل لقيتهم رجل ينشد بعيره فوصفوه كما تفرسوا فتملق بهم وذهبوا الى الافعى الجرهمي فقال كيف وصفتموه ولم تروه ، فقال مضر رأيتهم يرمي جانبنا ويترك آخر ففرفت أنه أعور ، وقال ربيعة رأيت اخدي يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدته ففرفت أنه أزور ، وقال اياد رأيت بعره مجتمعا ففرفت أنه ابتر ، وقال أمار رأيتهم يرمي المكان الملتف ثم يجوزه الى غيره ففرفت أنه شرود . فقال الجرهمي لصاحب البعير اطب ببعيرك من غيرهم . ثم قال لهم أحتاجون الى واتم كما أرى ؟



المستحيلات ، فقد كانوا يميزون بين أثر الرجل والمرأة ، والشيخ والشاب ، والأعمى والبصير ، والأحمق والكيس ، وإذا نظروا عدة أشخاص أحقوا الابن بأبيه ، والأخ بأخيه ، والقريب بقريبه ، وعرفوا الأجنبي من بينهم - وممن اشتهر بالقيافة بنو مدليج<sup>(١)</sup> ، وبنو لهب<sup>(٢)</sup> . ولا يزال هذا العلم باقياً عند عرب البوادي الى الآن

الكهانة والعرافة - وهما القضاء بالغيب ، وربما خُصَّت الكهانة بالأموال الكهانة والعرافة المستقبلية والعرافة بالماضية ، وطريقتهم في ذلك الاستدلال ببعض الحوادث الخالية على الحوادث الآتية : لما بينهما من المشابهة الخفية ، أو المناسبة البعيدة ، أو الارتباط الدقيق ، ويحتاج صاحبها الى كثرة التجارب وحدة الذكاء وصدق الفراسة

وللعرب في الكهانة اعتقاد عريض : لزعمهم أنهم يعلمون الغيب ، فيرفعون اليهم أمورهم للاستشارة ، ويستفتونهم في الخصومة ، ويستفسرونهم عن الرؤى ، ويستطبونهم في أمراضهم . وممن اشتهر من الكهانة شقُّ أثمار وسطيح الذئبي ، ومن الكواهن طريفة<sup>(٣)</sup> الخيزر ، وسلمى<sup>(٤)</sup> الهمدانية ، ومن العرّافين عرّاف نجد : الأبلق الأسدي ، وعرّاف اليمامة : رباح بن عجلة

الزجر - وهو الاستدلال بأصوات الحيوانات وحركاته وسائر أحواله على الحوادث بقوة الخيال والاسترسال فيه . ومن أشهر الزجّارين بنو لهب وأبو ذؤيب الهذلي ومرة الأسدي

ومن العرب من لم يعبأ بالزجر وما شاكلة كالمرقش الشاعر ولبيد بن ربيعة ، ومن قوله في ذلك :

لعمرك ما تدرى الطوارق<sup>(٥)</sup> بالحصى ولا زجرات الطير ما الله صانع

(١) قبيلة من كنانة (٢) بطن من الازد (٣) زوج عمرو بن عامر مزقياء : أحد ملوك اليمن (٤) بنت سيد همدان (٥) الطرق بالحصى هو ضرب الحمى بعصه ببعض القاؤه للنظر فيه كما يفعل بعض النساء بالودع



## النظم الشعر والشعراء

### \* الشعر \*

النظم هو القسم الثاني من قسمي الكلام . وعرفه العروضيون بأنه الكلام الموزون المقفى قصداً ؛ ويرادفه الشعر عندهم . أما المحققون من الأدباء فيخصّصون الشعر بأنه الكلام الفصيح الموزون المقفى المعبر غالباً <sup>(١)</sup> عن صور الخيال البديع . واذ كان الخيال أغلب مادّته أطلق بعض <sup>(٢)</sup> العرب تجوّزاً <sup>(٣)</sup> لفظ الشعر على كل كلام تضمّن خيالاً ولو لم يكن موزوناً مقفياً . وهو يوافق رأي قدماء الافرنج ومُحدّثيهم في شعرهم ، ورأي المناطقة أيضاً : لأن المنطق مستمدّ من اليونان . <sup>(٤)</sup>

الشعر  
عند العرب

تأثير الشعر

ولجزية وفق النظام الممثل في صورة الوزن والتقفية ، وظهوره في حُلل الخيال الرائع ، كان تأثيره في النفس من قبيل إثارة الوجدان والشّعور بسطاً وقبضاً وترغيباً وترهيباً ، لا من قبيل إقناع الفكر بالحجة الدامغة ، والبرهان العقلي . ولذلك يجمُل أثره في إثارة العواطف وتصوير أحوال النفس ، لا في الحقائق النظرية . ولا ريب أن النفس ترتاع بصور المحسوس الباهر <sup>(٥)</sup> وما أنتزع منه من الخيال الجلي <sup>(٦)</sup> لحفة

(١) وقد يعبر به عن الحقائق الثابتة من غير مدخل للخيال فيها كما يأت الحكم والمواعظ والامثال  
(٢) فقد قال حسان لابنه ( شعر ورب الكعبة ) حينما سمعه يصف الحيوان الذي لسمه  
بقوله : « كأنه ملتف في بردى حبرة » ومن هذا تسمية بعض علماء الادب عندنا النثر المسجوع  
المتعمد على الخيال من مثل مقامات الهمذاني والحريري ، ورسائل القاضي الفاضل ، ونسيم الصبا  
شعراً منشوراً . وأما تسمية بعض المعاندين من كفار العرب القرآن شعراً والذي شاعراً ، فذلك  
من باب العناد أو الحيرة والدهشة : لانهم كما سموه شعراً سموه سحراً وكهانته وقصصاً لاساطير الاولين  
(٣) من باب اطلاق الجزء على الكل (٤) ومن هنا يظهر وجه شبهة بعض كتاب  
عصرنا ممن درس أدب لغة الافرنج في خلطهم بين مذهب القوم ومذهب العرب في الشعر الحقيقي  
(٥) بهره غلبه اما بقوته وشدته واما بحسنه وجماله (٦) أى في الحسن أو القبح



مئوته عليها ، وراحته لها من المعاناة والكد ، فكيف اذا انضم الى ذلك نغم الوزن والقافية الشديد الشبه بتأثير الإيقاع<sup>(١)</sup> والتلحين<sup>(٢)</sup> الذي يطرَبُ له الحيوان بَلَّةَ الانسان

والعرب بفطرتهم مطبوعون على الشعر : لبدواتهم ، وملاءمة بيئتهم لتربية الخيال ، فالبدويّ لحرّيته واستقلاله بأمر نفسه ، وعدم خضوعه لسيطرة مُدَلَّة ، أو لقوانين نظرية ، أو سلطان قاهر ، يغلب على أحكامه الوجدان ، ويُسلِّكُ اليه من طريق الشعور ؛ ومعيشته فوق أرض نقيّة التربة ، مبسوطة الرقعة ، مَجْلُوَّة الآفاق ، وفيرة الوحش والطيور ، وفي جوّ صحیح الهواء ، وتحت سماء صافية الأديم ، ساطعة الكواكب ، ضاحية الشمس ، سافرة البدر ، جلت لِحْسَه مناظر الوجود ، وعوالم الشهود ، فكان لخياله من ذلك مادة لا يغور ماؤها ، ولا ينضبُ معينها ، فهام بها في كل واد ، وأفاض<sup>(٣)</sup> منها الى كل مراد ؛ وكان له من لغته وفصاحة لسانه أقوى ساعد . وأكبر معاضد

ويشعرُ الانسان بطبعه أن الشعر متأخر في الوجود عن النثر ضرورة تأخر المقيد عن المطلق . وان كانت واسطة بين النثر المرسل والشعر ، فليست الا السجع ؛ لما فيه من معادلة الفقر ، والتزام القافية ، والميل الى التغنى به ، كما يشاهد ذلك في صغار الصبيان ؛ فيظن أن مُعْغِنِيَا بسجع وقع له سجعتان متوازنتان وزناً سهلاً ( قيل إنه الرجز ) فأعجبه ذلك ومضى فيه ، وتمت له قطعة من الشعر ، رآقت من سَمْعِهَا ، وحاكوه فيها ، وتغنّوا بها ؛ فكان من ذلك المقطعات<sup>(٤)</sup> والأراجيز الصغيرة ، يحدّون بها الابل ، ويعدّون بها المكارم . ثم لما تمت ملكة الشعر فيهم ، واتسعت أغراضهم أمامهم نوّعوا الأوزان وأطالوا القوافي وقصّدوا القصيد

ولبعد العهد بقدمااء الحضرمين العرب ، ومكان الأمية من بدوهم ، خفي علينا

(١) الإيقاع تبيين الالحان وضبط نسبها (٢) التلحين الصوت المصنوع بكيفية خاصة (٣) اندفع وأسرع (٤) المقطعة مادون القصيدة من الايات ، والقصيدة على أرجح الاقوال ما بنيت من سبعة أيات فصاعداً

سبب انطباع العرب على الشعر

مرتبة الشعر في الوجود

اختراع الشعر

واليه الشعر



- كأكثر الأمم - مبدأ قول الشعر ، وأول من قاله ، بل لم يبلغنا مما قيل منه في تلك العصور الغابرة والقرون الطويلة الخالية شيء ، حتى كان منتصف القرن الثاني قبل الهجرة ، فروى لنا منه قُلٌّ من كثير أدركه رواة اللغة ودَوَّنُوهُ قبل أن يبيد كما باد سلفه . أما ما نسب من الشعر الى آدم<sup>(١)</sup> وابلوس<sup>(٢)</sup> والملائكة<sup>(٣)</sup> والجن<sup>(٤)</sup> والعرب البائدة<sup>(٥)</sup> ، فهو حديث خرافة مدسوسٌ على أهل الغفلة من الرواة : لسخافة نسجه ، وركاكة<sup>(٦)</sup> لفظه ، وبدآذة<sup>(٧)</sup> معناه ؛ ولأن لغة هؤلاء غير لغة مضر المنظوم بها هذا الشعر ، وإنما ساقهم الى ذلك ما رأوه في طبائع الناس من ميلهم الى معرفة المجهول . وشغفهم بالغريب ، واسترسالهم في الخيال

والشعر الذي صحت روايته منذ أواسط القرن الثاني قبل الهجرة ينتهي أقدم مطولاته الى مهلهل بن ربيعة ، وأقدم مقطعاته الى نفر لعلمهم لم يبعدها عنه طويلاً ، مثل العنبر بن عمرو بن تميم ، ودؤيد بن زيد بن نهد - وأعصر بن سعد بن قيس عيلان ، وزهير بن جناب الكلبى ، والأفوه الأودى ، وأبى دؤاد الإيادى

وقد رووا أنه لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته ، وأن أول من قصّد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبى في قتل أخيه كليب ؛ فهو أول من رويت له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً ، وتبعه الشعراء : مثل امرئ القيس ، وعلمقة ، وعبيد : ممن أخرجوا لنا الشعر العربى في صورته الحاضرة . والمعقول أن هذه الصورة لم تتشكل طرفة : في تنوع الأوزان ، وطول القوافى ، وتعدّد الأغراض واختلاف الأساليب ، وبراعة الاستعارة ، وروعة التشبيه ، ودقة الكناية ، على يد مهلهل وامرئ القيس وطرفة وأمثالهم ، بل لا بدّ من أن يكون

بدء الشعر  
الصحيح

تقصيد القصائد

تدرج الشعر

- (١) كالقطة التي أولها : تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح
- (٢) » » » تنح عن البلاد وساكنيها ففي الفردوس ضاق بك الفسيح
- (٣) كقولهم : لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى الذهاب
- (٤) » الخيرا ببق وان طال الزمان به والشرا أخبت ما أوعيت من زاد
- (٥) وقال مرثد بن سعد : زعموا أنه من أصحاب هود : عصت عاد رسولهم فأمسوا عطاشا ما تبلهم السماء
- (٦) ضعف (٧) البذاذة سوء الحال ورثاة الهيئة



هؤلاء قد سبقوا بأقوام نقلوا الشعر من السجع الى الرجز، ومن المقطعات الى القصائد، وقالوه في غرض واحد، ثم في أغراض شتى، وهذبوه ورققوه، وجودوه وهابلوه (١)، قبل مهابل ببضعة قرون، يشهد لهذا قول امرئ القيس في شعره :  
عُوجًا على الطلل المَحِيل (٢) لَأَنَّا (٣) نَبِكى الديارَ كما بَكَى ابنُ خِذَام (٤)  
وقول عنترة :

هل غادر الشعراء من مُتَرَدِّم (٥) أم هل عرفت الدار بعد توهم  
وقول زهير :

ما أَرانا نقول الأَّ مُعارا أو مُعادًا من لفظنا مَكْرُورا

يشير الأول الى أن ابن خِذَام وهو رجل من طيِّبى بكي الديار قبله، ولم يرو الأئمة له شيئًا، ولا سمعوا عنه تنويهاً في غير هذا البيت؛ ويعُدُّ الثانى نفسه مُحدِّثًا قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناسُ منه ولم يغادروا له شيئًا، وهو (كما يقولون) ممن عاصر امرأ القيس؛ ويشير زهير الى أن كثيراً من أقوال الشعراء مستعار من غيرهم ومع قصر عهد الشعر الجاهلى المروى لنا الذى لم يطل أجله الى أكثر من قرن ونصف، وموت الكثير من حفظته فى المغازى والفتوح الاسلامية، ألم الأئمة فيه بشعر كثير من الشعراء حتى قيل ان بعضهم (٦) كان يحفظ عشرات الألوف من قصائده وأراجيزه، مما لم يؤثر عن أمة من الأمم (فيما نعلم)

وما أربى العربُ على غيرهم فى قول الشعر الأَّ لأنهم قوم أميون، لم يرجعوا فى تدوين حكمتهم، وتخليد ما تُرثم، الى رَقْمٍ فى رَقِّ، أو نَقْرِ فى حجر، فكسبهم ذلك التائق فى الكلام، وجودة الحفظ، ومُعانة الرواية؛ ولا تتمثل هذه الأمور فى أمثل من الشعر، فاتخذوه كما قال الجُمحى « ديوان علمهم، ومنتهى حكمتهم،

(١) هلل النساج الثوب نسجه رقيقاً، ولقب الشاعر بمهلل لانه أول من رقق الشعر على زعمهم  
(٢) المتغير (٣) لاننا لفة فى لعلنا (٤) ككتاب شاعر جاهلى قديم (٥) تردم الثوب رقه، وكلامه وشعره تتبعه حتى أصلحه وسدَّ خله، أى لم يترك السابق من الشعراء للاحق منهم شيئاً يحتاج الى الاصلاح  
(٦) كحماد والاصمعى وخلف وأبى عمرو الشيبانى وأبى بكر الخوارزمى وغيرهم

كثرة الشعر المروى

سبب اكثار العرب من قول الشعر



به يأخذون ، وإليه يصيرون ، « وأحلوه من الاعتبار في الغاية ، ومن الرعاية في  
الذروة . وكانت القبيلة يرفعها البيت من الشعر ، ويخفيها الآخر (١)

هذا مجمل ما يتعلق بحقيقة الشعر ونشأته في الجاهلية ، أما ما يتعلق بمادته  
وجوهره ، فإنه يرجع الى الأمور الآتية :

( أولاً ) - أغراضه وفنونه . ( ثانياً ) - معانيه وأخيلته . ( ثالثاً ) - ألفاظه  
وأصاليبه . ( رابعاً ) - أوزانه وقوافيه

### ( ١ ) أغراضه وفنونه

نظم العرب الشعر في كل ما أدركته حواسهم ، وخطر على قلوبهم : مما يلائم  
بيئتهم ، وينتظم مع تنشئتهم . ويضيق المقام عن سرد الكثير من فنون الشعر  
وأغراضه عندهم ، وإنما يجمل الالمام بأشهرها ، وهي :

النسيب - ويسمى التشبيب ، وطريقة عند الجاهلية يكون بذكر النساء

النسيب ودواعيه

( ١ ) فن ذلك في الجاهلية قصة الاعشى الشاعر مع آل الملق وسند كرها بعد . وقصة حسان  
مع بني عبد المدان وذلك أنه هجاهم بقوله :

لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ جسم البغال وأحلام العصافير  
فقالوا له والله يا أبا الوليد لقد تركتنا ونحن نستحي من ذكر أجسامنا بعد ان كنا نفخر بها  
فقال لهم سأصلح منكم ما افسدت ، ثم قال :

وقد كنا نقول اذا رأينا لدى جسم يعدّ وذى بيان  
كأنك أيها المعطى لسانا وجسما من بني عبد المدان

وفي الاسلام قصة الخطيئة مع بني أنف الناقة ؛ وقد كانوا يميرون في الجاهلية هذا الاسم حتى  
قال فيهم الخطيئة :

( قوم هم الانف والاذناب غيرهم  
فعاد هذا الاسم شرفا لهم وفخراً فيهم

وقصة جرير مع بني نمير أشرف قيس وذواعبها وذلك أنه قال فيهم :

ففض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فما بقى نميري إلا طأطأ رأسه وانتسب عامرياً ، بعد ان كان اذا سئل « ممن الرجل ؟ » فخم  
لفظه ومد صوته وقال « من بني نمير »



ومحاسنهن<sup>(١)</sup>، وشرح أحوالهن : من ظَعْنِهِنَّ واقامتهن<sup>(٢)</sup>، ووصف الأطلال والديار بعد مغادرتهن<sup>(٣)</sup> والتشوق اليهن بجنين الإبل، وغناء الحائم<sup>(٤)</sup>، ولع البروق وألوح<sup>(٥)</sup> النيران، وهبوب النسيم، وبذكر المنازل والمياه التي نزلتها<sup>(٦)</sup> والرياض التي حللتها<sup>(٧)</sup>، ووصف ما بها من خزاعي<sup>(٨)</sup>، وبهار<sup>(٩)</sup>، وأقحوان<sup>(١٠)</sup>، وعرّار<sup>(١١)</sup>. وكانوا لا يعدّون النساء إذا نَسَبوا، وكان للنسب عندهم المقام الأوّل من بين أغراض الشعر، حتى لو انضم إليه غرض آخر، قدم النسب عليه، وافتتح به القصيد : لما فيه من لهو النفس، وارتياح خاطر، ولأن باعته الفذ<sup>(١٢)</sup> هو الحب، وهو السر في كل اجتماع إنساني، والبدو أكثر الناس حباً : لفرغهم وتلاقى قبائلهم المختلفة في المصايف والمرايع، فاذا ما افترقوا ذكر كل أليف إلفه وحبيب حبه، ثم إذا عاودوا تلك الأماكن مرة أخرى، هاج أشجانهم، وجدّد الذكرى فيهم ما يرونه من آثار أحبابهم وأطلال منازلهم

الفخر - وهو تمدح المرء بمخالف نفسه وقومه، والتحدّث بحسن بلائهم الفخر والحماسة ومكارمهم وكرم عنصرهم ووفرة قبيابهم، ورفعة حسبهم ونسبهم، وشهرة شجاعتهم

(١) قال النابغة : بيضاء كالشمس وافت يوم أسعدها لم تؤذ أهلا ولم تفحش على جار والطيب يزداد طيبا ان يكون بها في جيد واضحة الحدين معطار  
(٢) الظعن الرحيل قال زهير :

تبصر خليل هل ترى من طعائن تحملن بالعلياء من فوق جرثم  
علون بأعماط عتاق وكلة وواد حواشيهامشاكهة الدم

(٣) قال عنتره : حيث من طلال تقادم عهده أقوى وأفقر بعد أم الهيثم  
وقال زهير : وقفت بها من بعد عشرين حجة فلاأعرفت الدار بعد توهّم

(٤) أثافيّ سعفا في معرس مرّجل ونؤيا كجندم الحوض لم يتعلم  
وقال النابغة : اذا تفنى الجمال الورق هيجنى وان تقربت عنا أم عمار

(٥) مصدر لاج بمعنى بدا ولمع

(٦) قال زهير : بكرن بكورا واستحرن بسحرة فهن ووادي الرس كاليد للفم  
فلما وردن الماء زرقا جمامه وضمن عصي الحاضر المتخيم

(٧) انظر نماذج الوصف (٨) نبت برى زهره أطيّب الازهار نفة (٩) نبت طيب الرائحة زهره أصغر اكبر من زهر البابونج (١٠) البابونج البرى (١١) بهار البر  
(١٢) الفرد



المدح - وهو الثناء على ذى شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية : كرجاحة العقل والعفة والعدل والشجاعة وأن هذه الصفات عريضة فيه وفي قومه : وتعداد محاسنه الخَلقية كالجمال وبسطة الجسم . وشاع المدح عند ما ابْتَدَلَ الشعر واتخذ الشعراء مهنةً . ومن أوائل مدّاحيهم زهير والنابغة والأعشى

الرياء - وهو تعداد مناقب الميت ، واطهارُ النَّفْعِ والتَّهْنِطِ عليه . واستعظام المصيبة فيه . ومن عادات الجاهلية في الرياء كما قال ابن رشيقي (١) في كتابه العمدة «ضربُ الأمثال بفناء الملوك العظام . والممالك الكثيرة ، والأمم القوية ، والوعول (٢) الممتعة في قُلل الجبال ، والأسود الحادرة (٣) في الغياض (٤) ، وبجمر الوحش المتصرفة بين الفقار ، وبالنسور والعقبان والحيات لبأسها وطول أعمارها »

الهجاء - هو تعداد مثالب المرء وقبيله ، ونفيُ المكارم والمحاسن عنه . وكانت العرب في بدء أمرها لا تفحش في هجوها ، وتكتفي بالتهكم بالمهجو والتشكُّك في حقيقة حاله (٥) ، ثم أقذع (٦) فيه بعض الاقذاع المحترفون بالشعر ، وحاكاهم السفهاء في ذلك

الاعتذار - هو درء الشاعر التهمة عنه ، والترقُّق في الاحتجاج على براءته منها ، واستمالة قلب المعتذر اليه ، واستعطافه عليه . والنابغة في الجاهلية فارس هذه الحلية (٧)

الوصف - هو شرح حال الشيء وهيئته على ما هو عليه في الواقع : لاحضاره في ذهن السامع كأنه يراه أو يشعر به . وهذا هو الأصل الذي جرى عليه أكثر العرب قديماً ، وقد يبالغ فيه : لتحويل أمره ، أو تملّيجه ، أو تشويبه ، أو نحو ذلك

(١) هو الحسن بن رشيقي القيرواني من أدباء افريقية توفي سنة ٤٦٣ هـ (٢) جمع وعل هو تيس الجبل (٣) المستتر (٤) جمع غيضة وهي الاجمة والشجر المجتمع في مفيض ماء

(٥) كقول زهير : وما أدري ولست أخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

(٦) أحش (٧) جماعة الخيل المتسابقة



فيكون منه المقبول والممقوت . ولا سبيل الى حصر ضروب الوصف عند العرب ، فانهم وصفوا كل ما رأوه أو عانوه أو خالط نفوسهم :

فوصفوا من الحيوان الإبل <sup>(١)</sup> ، وافتتوا في ذلك بما لم تقمهم فيه أمة في وصف نفيس لديها . ومن أبلغ ووصف الإبل طرفة - ووصفوا الخيل <sup>(٢)</sup> في ضروب خلقها وأحوال سيرها . ومن أشهرهم في ذلك امرؤ القيس وأبو ذؤاد الإيادي ووصفوا منه أيضاً كواسر السباع ، وأوابد الوحوش <sup>(٣)</sup> ، وجوارح الطيور وصادحها <sup>(٤)</sup> ، وخشاش الأرض وهوامها <sup>(٥)</sup> ، ووصفوا من النبات ضروبه وشياتها ، ومن السماء نجومها وكواكبها ، وسحابها وبروقها ، وأنواعها وأمطارها <sup>(٦)</sup> ، ومن الأرض سهلها وجبلها <sup>(٧)</sup> ، ومرابعا ومصايفها ، وخاصة الديار والأطلال والدمن وتغذية الرياح والأمطار لآثارها ، وشبهوها أحياناً برقم الكتب ، وصحائف الرهبان ، وبالوشم على ظاهر اليد ، وبالثوب الخلق أو المرقم ، ونحو ذلك <sup>(٨)</sup>

- (١) قال عنترة :  
هل تبلغني دارها شذنية  
خطارة غب السرى زيافة  
لعتت بمجروم الشراب مصرم  
تطس الاكام بوخذ خف ميمم
- (٢) انظر نماذج الوصف
- (٣) قال امرؤ القيس : فن لنا سرب كان نعاجه  
فأدبرن كالجزع المفصل بينه  
عذارى دوار في ملاء منديل  
بجيد معم في العشيرة مخول  
فألحقنا بالهاديات ودونه  
جوارحها في صرة لم تزيل
- (٤) وقال أيضاً :  
كان مكاكي الجواء غندية  
صبعن سلاقا من رحيق مقلل
- (٥) حشرات الارض مالا دماغ له من هوامها ( والهوام ) جمع هامة وهي كل ماله سم يقتل  
وقال شاعر جاهلي يصف افعى :

ويدير عينا للوقاع كانها  
وكان شذقيه اذا استعرضته  
سمراء طاحت من نفيض بربر  
شذقا عجوز مضمضت لظهور

(٦) انظر نماذج الوصف

- (٧) قال امرؤ القيس : كان ثبيرا في عرائين وبله  
لحولة اطلال بيرقه ثمهد  
كبير اناس في بجاد مزمل  
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
- (٨) قال حاتم :  
اتعرف اطلالا ونؤيا مهدما  
مثل سحق البرد عن بعدك الا  
قطر مغناه وتأويب الشمال  
ورسم غفت آياته منذ أزمان  
أنت حجج بعدى عليها فصبحت  
كخط زبور في مصاحف رهبان



ووصفوا جمال الانسان وأخلاقه وطباعه وأحواله في الضغن والاقامة ، وأفعاله  
في قتاله ونزاله ، ودفاعه بمختلف سلاحه

هذا وباب الوصف عند العرب أكبر فنون الشعر

الحكمة والمثل الحكمة والمثل - وقد تقدّم تعريفهما ؛ وأكثر ما تكون أمثالُ العرب وحكمها  
موجزة متضمنة حكماً مقبولاً ، أو تجربة صحيحة ، تليها عليها طباعها بلا تكلف  
كتكلف فلاسفة المولدين ، ولا أكثر منها حتى يخرج الشعر بها عن بابه المبنى  
على الخيال والأوصاف ، وإنما يؤتى بها في كلامهم كالملح في الطعام - وأكثر  
شعراتها أمثالاً زهير والنابعة

## ( ٢ ) معانيه وأخيلته

قصدُ الشاعر من شعره الإبانة عما يُخالَج نفسه من المعاني في أيّ غرض من  
الأغراض السابقة ونحوها ، ومن هذه المعاني : ما هو فطريٌّ في الناس متأصلٌ  
في نفوسهم ، فيشترك فيه البدويُّ والحضريُّ والعربيُّ والعجميُّ : كالأخبار الصادقة ،  
وأوصاف المشاهدات ، وشرح الوجدانات كما يميلها الخاطر بلا مبالغة ولا إغراق ،  
ومنها ما هو غريبٌ نادر انتزعه الخيال من المرثيات البديعة ، والأشكال المنتظمة ،  
والهيئات المتناسقة ؛ وذلك ما يسمى بالمعنى المخترع ، وهو في الفطر السليمة أنمي ،  
وللأمم المتحضرة أطوع ؛ وتتفاضل الشعراء بالاجادة فيه والاكثر منه . وإذا قسنا  
الشعر الجاهلي بهذا المعيار وجدنا معانيه وخيالاته تتجلى في الأمور الآتية :

( ١ ) جلاء المعاني وظهورها ، ومطابقتها للحقيقة والواقع

( ٢ ) قلة المبالغة والغلو فيها بما يخرجها عن حدّ العقل ومألوف الطبع

( ٣ ) قلة المعاني الغريبة المنزع ، الدقيقة المأخذ ، المتجلية في صور الخيال البديع ،

والتشبيه الطريف ، والاستعارة الجميلة ، والكنياية الدقيقة ، وحسن التعليل ، وغير

ذلك مما لا يهتدى إليه إلا بعد التعمّل وكدّ الفكر



(٤) قلة تأتقهم في ترتيب المعاني والأفكار على النظام الذي يقنضيه الطبع أو العقل، بل يرسلونها على ما خيَّلت نفوسهم، واستدعتْ بديهتهم وارتجالهم، فيدخلون معنى في معنى؛ وينقلون من غرض إلى آخر اقنضاباً بدون تحيُّل ولا تلطف، وربما مهد بعضهم لانتقال الذهن بقوله: دعْ ذا، وعدِّ عن ذا

### (٣) ألفاظه وأساليبه

ولما كانت العرب أئماً بدوية تنظم الشعر بطبعها، من غير معاناة صناعة، ولا دراسة علم غلب على شعرها صراحة القول، وقلة الموارد فيه، والبعد عن التكلف وصحة النظم والوفاء بحق المعنى، أضف إلى ذلك الأمور الآتية:

(١) جودة استعمال الألفاظ في معانيها الموضوعية لها: لاحاطة علمهم بلغتهم ومعرفتهم بوجوه دلالتها

(٢) غلبة استعمال الألفاظ الجزلة

(٣) استعمال الألفاظ العربية التي هجرت عند المحدثين: إما لقلة استعمال

مدلولها، وإما للاقنصار على مرادف لها أسهل منها

(٤) القصد في استعمال ألفاظ المجاز

(٥) مقت استعمال الأعجمي الآما وقع نادراً على سبيل التلميح والتظرف في

مثل شعر الأعشى<sup>(١)</sup>

(٦) عدم تعمد المحسنات البديعية مثل الجناس، والمقابلة، والمطابقة،

وما شاكلها

(٧) متانة الاسلوب بحسن إيراد المعنى إلى النفس من أقرب الطرق إليها

وأظرفها لديها: كتجاهل العارف، ومخاطبة الديار والأطلال

(٨) إظهار الإيجاز الآ إذا دعت الحال

(١) انظر ترجمة الاعشى



( ٤ ) أوزانه وقوافيه

الحق أن العرب لم تعرف موازين الشعر بتعلم قوانين صناعية ، وتعرف أصول  
وضعية ، وإنما كانت تنظم بطبعها على ما يُبيِّته لها انشادها وتغنيها وحدأوها . وقد  
هدتهم هذه الفطرة الى أوزان أرجعها الخليل <sup>(١)</sup> الى خمسة عشر وزناً سماها بجزوراً ،  
وزاد عليها الأخفش <sup>(٢)</sup> بجزراً . وقد أكتثروا النظم من بعضها دون بعض بل ان  
بعضهم كان يكثر النظم من بحر دون آخر . وشعر العرب رجزه وقصيده يبني  
على قافية واحدة كيفما طال القول

نماذج من الشعر الجاهلي في الأغراض الآتية :

الحماسة - قال المرقش الأكبر : عمرو بن سعد

ان تُبتدِرَ <sup>(٣)</sup> غايَةٌ يوماً لمَكْرُمَةٍ	تلق السَّوابق <sup>(٤)</sup> منا والمصلينَا <sup>(٥)</sup>
وليس يهلك منا سيِّدٌ أبداً	الآ اِفْتَلِينَا <sup>(٦)</sup> غلاماً سيِّداً فينا
انا لترُخِصَ يوم الرِّوَعِ أنفُسنا	ولو نسامُ بها في الأَمْنِ أغلينا
شُعْتُ مَقادِمنا نُهْجِي مَراجِلنا <sup>(٧)</sup>	نأسو بأموالنا آثار أيدينا <sup>(٨)</sup>
اني لِمَنْ مَعشِرٍ أفتى أوائلهم	قيلُ الكِماة <sup>(٩)</sup> : ألا أين المحامونا
لو كان في الألف منا واحدٌ فدَعَوْا	مَنْ فارسٌ ؟ خالهم إياه يَعنونا
إذا الكِماة تنحَّوا أن يُصِيبَهُمُ	حدُّ الظُّبَاتِ <sup>(١٠)</sup> وصلناها بأيدينا
ولا تراهم وان جَلَّتْ مصيبتهمُ	مع البُكاة على من مات يبيكونا
ونركب الكِرة <sup>(١١)</sup> أحياناً فيفرُجه	عنا الحِفاظُ <sup>(١٢)</sup> وأسيافُ ثَوائنا

(١) هو الخليل بن احمد الفراهيدي النحوي اللغوي مخترع العروض وستأني ترجمته

(٢) هو سعيد بن مسعدة النحوي تلميذ سيديويه ، وسيديويه تلميذ الخليل

(٣) أى يمجل اليها (٤) السابق والمجلى من الخيل في الحلبة الذي يجيىء أولاً

(٥) المصلى من الخيل النالى للسابق (٦) فطمنا من الرضاع ، اى نشأ فينا بدله

(٧) يريد اصحاب حروب وقرى للضيفان ، والمقادم النواصى

(٨) يريد ترفعهم عن القود ورفع اطماع الناس عن مقاصتهم ، والاسو المداواذ اى تقتل وندى

(٩) الشجمان (١٠) يريد السيوف لاحدها (١١) المكروه (١٢) الدفاع عن المحارم



المدح - قال زهير بن أبي سلمى :

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوههم  
وان جثتهم ألفت حول بيوتهم  
على مكثريهم رزقٌ من يعترهم  
سعى بعدهم قومٌ لكي يدركوهم  
فما كان من خير أتوه فأنما  
وهل ينبت الخطى الآ وشيجه

وقال أمية بن أبي الصلت :

أذكر حاجتي أم قد كفاني  
وعلمك بالحقوق وأنت فرغ  
خليلٌ لا يُغيره صباح  
وأرضك كلُّ مكرمة بنتها  
إذا أثني عليك المرء يوماً  
تبارى الريح مكرمة ومجداً

الرتاء - وقال لبيد بن ربيعة يرثي أخاه أربد :

بلينا وما تبلى النجومُ الطوالعُ  
وتبقى الديار بعدنا والمصانعُ<sup>(٩)</sup>

- (١) جمع مقامة وهي الجماعة يجتمعون في مجلس ، والاندية المجالس ، والانتياب القصد الى  
الموضع والحلول به ( أى يبيت فيها الجميل من القول ويعمل به )  
(٢) اغنياهم ، يعترهم يقصدهم . أى ان فقراءهم يسمحون ويبدلون جهد طاقتهم  
واغنياهم يكفون من يقصدهم (٣) يقعون في اللوم (٤) يقصروا  
(٥) الخطى الرمح نسبة الى الخط وهي جزيرة في البحرين ترفأ اليها السفن . والوشيج شجر  
الرماح واحدته وشيجة ، أى لا تثبت القناة الا في شجرها ، ولا تفرس النخل الا بحيث تثبت  
وتصلح ، والمراد انه لا يلد الكرام الا الكرام  
(٦) اشار بالصباح والمساء الى وقتي الضيافة والغارة  
(٧) أى تحي تلك الارض بالغيث في وقت الشدة والحل (٨) أى ادخله برد الشتاء في  
جحره (٩) المباني من القصور والحصون



وقد كنت في أكناف جارٍ مَضِنَّةٍ      ففارقني جارٌ بأربدٍ نافع (١)  
فلا جَزَعُ ان فَرَّقَ الدهر بيننا !      فكل امرئٌ يوماً به الدهر فاجع !  
وما الناس إلا كالديار وأهلها      بها يوم حلُّوها وَعَدَّوا بلاقع (٢)  
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه      يحور (٣) رماداً بعد إذ هو ساطع  
وما المال والأهلون إلا ودائعُ      ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ  
وما الناس إلا عاملان : فعاملٌ      يُتَبَّر (٤) ما يبني وآخرُ رافع  
فمنهم : سعيد آخذ بنصيبه      ومنهم شقيٌّ بالمعيشة قانع

الرجاء - قال يزيد بن قنافة يهجو حاتمًا :

لعمري وما عمري علىَّ بهينٌ      لبئس الفتى المدعوُّ بالليل حاتمٌ  
غداة أنى كالثور أخرج (٥) فاتني      بجبهته أقتاله (٦) وهو قائمٌ  
كأنَّ بصحراء المَريط نعاماً      تُبادرُها جُنْحَ الظلام نعامٌ  
أعارتك رجليها وهافى (٧) لُها      وقد جُرِّدت بيض المتون صوارم

وقال قريظ بن أنيف أحد شعراء بلعنبر يهجو قومه ويرميهم بالجنين عن دفع

الغيرين عليهم ويتهم بهم :

لو كنتُ من مازن (٨) لم تستبح (٩) ابلي      بنو اللقيطة من ذهلٍ بن شيبانا  
لكنَّ قومي وإن كانوا ذوى عدوِّ      ليسوا من الشرِّ في شيء وإن هانا  
يَجْزُونَ من ظلم أهل الظالم مغفرةً      ومن اساءة أهل الشوء احسانا  
كأن ربك لم يخلق لحشيتَه      سواهم من جميع الناس إنسانا  
فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا      شدوا (١٠) الاغارة فُرسانا وركباناً (١١)

(١) اكناف ظلال ، جار مضننة يضمن به ويتنافس فيه ، بأربد أى هو أربد (٢) الغدو الغد والبالق الارض القفر والجمع بلاقع وهى خبر لبتدأ تقديره هى (٣) يرجع (٤) يهلك ويهدم (٥) ضيق عليه وأخرج عن عاداته (٦) الاقتران والاعداء ، يقول متهمكأ جاء كالثور الهائج مغضبا فلما جاء وقت القتال انهمزم (٧) خافق قلبها واراد نفي العقل عنه ؛ يقول لما انهمزم كأن نعاما تسابقها نعامن الى اداحيها اعارت حاتمًا رجليها فكان اسرعه في العدو اسرعاها (٨) مازن تميم (٩) الاستباحة اخذ الشيء مباحا (١٠) هملوا (١١) الاغارة مفعول لاجله



الاعتذار - قال أعشى قيس يعتذر الى أوس بن لام<sup>(١)</sup> عن هجائه اياه :

واني على ما كان مني لنادمٌ  
واني الى أوسٍ ليقبل عذرتي<sup>(٢)</sup>  
فهب لي حياتي فالحياة لقايم  
سأححو بمدح فيك إذ أنا صادق  
وقال النابغة الذبياني :

نبئت أن أبا قابوس<sup>(٣)</sup> أوعدني<sup>(٤)</sup>  
مهلاً فدائه لك الأرقام كلهم  
فلا لعمر الذي طيفت بكعبته  
والمؤمن العائدات الطير يسحها  
ما قلت من سيئ مما أتيت به  
اذن فعاقبني ربي معاقبة  
ولا قرار على زار<sup>(٥)</sup> من الأسد  
وما أتعبر<sup>(٦)</sup> من مال ومن ولد  
وما هريق على الانصاب من جسد<sup>(٧)</sup>  
ركبان مكة بين الغيل<sup>(٨)</sup> والسند<sup>(٩)</sup>  
اذن فلا رفعت سوطي الى يدي  
قرت بها عين من يأتيك بالحسد

الوصف - قال امرؤ القيس يصف فرسه :

وقد أعتدى والطير في وكناتها<sup>(١٠)</sup>  
بمنجرد<sup>(١١)</sup> قيّد الأوابد<sup>(١٢)</sup> هيكل<sup>(١٣)</sup>  
مكرّ مفرّ<sup>(١٤)</sup> مقبل مدبر معاً  
كجلمود<sup>(١٥)</sup> صخر حطّه السيل من عل  
وقال عبيد بن الابرس يصف الغيث :

فسقى الرباب مجلجل<sup>(١٦)</sup> الأكناف للماع بروفة  
جوز<sup>(١٧)</sup> تكفكفه<sup>(١٨)</sup> الصبا وهنا<sup>(١٩)</sup> وتمرّيه<sup>(٢٠)</sup> خريقه<sup>(٢١)</sup>

- (١) بنولام من طيء (٢) عذري (٣) كنية النعمان بن المنذر (٤) هددي  
(٥) صوت (٦) اجمع (٧) هريق : صب . الانصاب : الاصنام . جسد : دم (٨ - ٩)  
نوعان من الشجر (١٠) الوكنات اعشاش الطير (١١) ماض في السير (١٢) الوحوش  
(١٣) طويل (١٤) الكر الهجوم والفر الهرب وفرس مكر مفر جيدهما  
(١٥) الحجر العظيم (١٦) سحاب مجلجل مصوت بالرعد (١٧) اسود من تكافئه  
(١٨) تدفقه (١٩) الوهن نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه (٢٠) تدره وتستخرج مائه  
(٢١) الحريق الريح الباردة الشديدة الهبابة وهي التي تنزل المطر



مَرَى الْعَسِيفِ (١) عِشَارَهُ (٢) حتى اذا دَرَّتْ عُرُوقُهُ (٣)  
 ودنا يَضِيءُ رَبَابُهُ (٤) غَابًا يُضَرِّمُهُ حَرِيقُهُ  
 حتى إذا ما ذَرَعَهُ بالماء ضاقَ فما يُطِيقُهُ  
 هَبَّتْ له من خَلْفِهِ رِيحٌ شَامِيَةٌ تَسُوقُهُ  
 حَلَّتْ عَزَالِيَهُ (٥) الْجَنُوبُ بُ فَتَجَّ (٦) واهيَةً حُرُوقُهُ

وقال طرْفَةُ يَصِفُ السَّفِينَةَ الَّتِي شَبِهَ بِهَا الْحُدُوجُ :

كَأَنَّ حُدُوجَ (٧) الْمَالِكِيَّةِ غُدُوءٌ خَلَايَا (٨) سَفِينٍ بِالتَّوَصِيفِ (٩) مِنْ دَدٍ (١٠)  
 عَدْوَلِيَّةٌ (١١) أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنْ (١٢) يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي  
 يَشْتَقُ حَبَابَ (١٣) الْمَاءِ حِيزُومُهَا (١٤) بِهَا كَمَا قَسَمَ التُّرْبُ الْمُفَايِلُ (١٥) بِالْيَدِ

وقال عنتره يصف غراب البين :

ظَنَّ الَّذِينَ فِرَاقَهُمْ أَتَوَقَّعُ وَجَرَ بَيْنَهُمُ الْغَرَابُ الْأَبْقَعُ (١٦)  
 خَرِقَ (١٧) الْجَنَاحَ كَأَنَّ لِحْيَتِي (١٨) رَأْسَهُ جَلَمَانُ (١٩) ، بِالْأَخْبَارِ هَشَّ (٢٠) مَوْلَعُ

(١) العسيف الاجير أو العبد المستعان به في الحلب ونحوه

(٢) جمع عسراء كنفساء لفظاً ومعنى أو هي الحامل لعشر أى أن الريح تستخرج الماء من

السحاب كما يستخرج العبد اللبن من العشار

(٣) أى السحاب (٤) الرباب السحاب الابيض - أى أن السحاب يرسل صواعقه

بيرقه فيصيب الغاب فيضىء من الحريق الذى نشب فيه

(٥) جمع عزلاء وهي مصب الماء من الراوية ونحوها (٦) تُج الماء سال - والمعنى حتى اذا

ضاق السحاب ذرعاً بالماء ساقته ريح شامية من الشمال وقابلته ريح باردة من الجنوب فحلت أفواهه

(٧) جمع حدج ككبر وهو مركب للنساء كالحففة (٨) جمع خلية كغفنية وهي السفينة العظيمة

(٩) الشعاب في الجبال تكون مسايل ومجارى للمياه زمن الامطار (١٠) اسم مكان

(١١) أى منسوبة الى عدول وهي بلدة بالبحرين أو الى عدول رجل كان يتخذ السفن

(١٢) ملاح كان يتخذ السفن الكبار (١٣) الموج (١٤) الحيزوم الصدر

(١٥) الفيال لعبة كان يلعبها صبيان الاعراب يجثمون الشيء في التراب ثم يقسمونه بأيديهم

ويقولون : فى أيهما هو ؟ (١٦) الذى فيه سواد وبياض (١٧) الحرق الذى لا يحسن العمل ،

يدمه بأنه ليس حسن الطيران فى الخير وإنما ينقل أخبار الشؤم (١٨) أصل اللحي عظم

الحنك الذى تثبت عليه الاسنان من الحيوان والمراد باللحيين فى الغراب شقا منقاره

(١٩) الجلمان المقراض يأتى على صورة المفرد والمثنى باعتبار شقيه

(٢٠) أى خفيف نشيط فرح بنقل الاخبار ، وكذلك معنى المولع هنا



وقال حسان السعدى يصف القمر :

مهما يكن ريبُ المنون فأننى  
يهلُّ صغيراً ثم يعظم ضوءه  
تقارب يخبو<sup>(٢)</sup> ضوءه وشعاعه  
أرى قمر الليل المعذب كالفتى  
وصورته حتى إذا ما هو استوى<sup>(١)</sup>  
ويمصح<sup>(٣)</sup> حتى يستسر<sup>(٤)</sup> فما يرى

وقال عنتره يصف روضة :

ولقد مررت بدار عبلة بعد ما  
جادت عليه كل عين ثرة<sup>(٧)</sup>  
سحاً<sup>(٩)</sup> وتسكاباً فكل عشية  
وخلا الذباب بها فليس يبارح  
هزجا<sup>(١١)</sup> يحك ذراعاه بذراعاه  
لعب الربيع<sup>(٥)</sup> بربعها المتوسم<sup>(٦)</sup>  
فتركن كل قرارة<sup>(٨)</sup> كالدرهم  
يجرى عليها الماء لم يتصرم<sup>(١٠)</sup>  
غرداً كفعل الشارب المترنم  
قدح المكب على الزناد<sup>(١٢)</sup> الاجدم<sup>(١٣)</sup>

وقال أيضاً فى وصف مبارزة :

ومدجج<sup>(١٤)</sup> كره الكماة<sup>(١٥)</sup> نزاله  
جادت له كفى بعاجل طعنة  
برحبية الفرغين<sup>(١٨)</sup> يهدى جرسها<sup>(١٩)</sup>  
فشككت بالرمح الاصم<sup>(٢٢)</sup> ثيابه  
لا ممعن<sup>(١٦)</sup> هربا ولا مستسلم  
بثقف<sup>(١٧)</sup> صدق الكعوب مقوم  
بالليل معس<sup>(٢٠)</sup> الذئاب الضرم<sup>(٢١)</sup>  
ليس الكريم على القنا بمحرّم

(١) استوى بلغ تمامه (٢) يخفى ويزول (٣) يذهب وينقطع (٤) يستتر ويخفى  
(٥) المطر (٦) المتفرس فيه أى يتخيل المتوهم موضعه (٧) العين مطر أيام لا يقلع ،  
والثرة الكثيرة الماء (٨) القرارة الحفرة (٩) سح المطر وتسكابه : هطله (١٠) لم ينقطع  
(١١) كثير الصوت (١٢) أى كقدح الاجدم المكب على الزناد ليوردها والزناد جمع  
زندوهو عود يفرك بالكفين فوق عود آخر من خشب سريع الاحتراق فيشتعلان والعود الاسفل  
يسمى زنده (١٣) الناقص اليدين (١٤) تام السلاح (١٥) جمع كفى الشجاع المستتر  
بالسلاح (١٦) مسرع (١٧) أى برمح معدل صلب الكعوب (١٨) الرحبية الواسعة ،  
والفرغ مخرج الماء من الدلو (١٩) صوتها (٢٠) طالب فريسة (٢١) الجياع  
(٢٢) الصلب - أى انفذت الرمح فى جسمه وثيابه كلها . وقيل ان معنى الثياب هنا القبا



فتركته جَزَرَ (١) السباع يُنشئه (٢) يقضم (٣) حسن بنانه والمعصم

الحكم والامثال - قال طرفة بن العبد :

كلُّ خليلٍ كنتُ خالتهُ لا تركَ الله له واضحَه (٤)  
كلُّهم أروغ (٥) من ثعلبٍ ما أشبه الليلة بالبارحَه !

وقال الأفوه الأودي :

والبيت لا يُبتنى إلا له عمدٌ ولا عمادَ إذا لم تُرسَ أوتادُ  
فان تَجَمَّعَ أوتادُ وأعمدة وساكنٌ بلغوا الأمرَ الذي كادوا  
لا تصلحُ الناسُ فوضى لاسرارة لهم ولا سرارة إذا جهَّأهم سادوا  
تبقى الأمور بأهل الرأي ماصلحتُ فان تولت فبالأشرار تنقاد

### ✽ الشعراء ✽

شعراء الجاهلية أكثر من أن يحاط بهم ، ومن جهل منهم أكثر من عرف ؛  
وأما اشتهر بعضهم دون بعض : لنبوغه ، أو كثرة المروي من شعره ، أو قرب  
عهده من الاسلام زمن الرواية ، أو تعصب عشيرته له ، أو عظم جاهه ، أو اشتهاره  
بمنقبة أخرى فوق الشعر كالشجاعة والكرم والوفاء ، أو اشتراكه بشعره في حادث  
عظيم . وهم بعد متفاوتون في القول قلة وكثرة ، ورداءة وإجادة ، وجفاء ورقة ،  
وروية وارتجالاً

سبب  
شتهار الشاعر

وكان للشعراء عند العرب منزلة رفيعة ، وحكم نافذ ، وسلطان غالب ، إذ كانوا  
أستنهم الناطقة بكارهم ومفاخرهم ، وأسلحتهم التي يدودون بها عن حياض شرفهم  
وبهم كانوا يماجدون ، وينافرون ، ويفاخرون . وما كانوا يسرون بشيء أعظم من

منزلة الشاعر  
عند القبيل

(١) جمع جزرة وهي الشاة المعدة للذبح (٢) يتناولنه (٣) القضم الاكل بمقدم  
الاسنان أى ينشئه (٤) الواضحة الاسنان تبدو عند الضحك (٥) راغ الثعلب ذهب يمنة  
ويسرة في سرعة خديعة فهو لا يستقر في جهة



سرورهم بشاعر ينبغ فيهم . قال ابن رشيقي في العمدة : ( وكانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائلُ فهنأُتها ، وصنعت الأُطعمة وأتت النساء يلبعن بالمزاهر <sup>(١)</sup> كما يصنعون في الأعراس ، ويتباشرون الرجال والولدانُ لأنه حامية لأعراضهم ، وذبت عن حياضهم ، وتخلد لمفاخرهم ، وإشادة بذكورهم ، وكانوا لا يُهتَنون إلا بغلام يُولد ، أو شاعر ينبغ ، أو فرس تُلتجج »

وكانت طريقة نظم الشعر في أكثر الأحوال أن يرتجلوه ارتجالاً ، فتأتيهم ألفاظه عفواً ، ومعانيه رهواً <sup>(٢)</sup> ؛ كما وقع للحارث بن حازمة ، وعمرو بن كلثوم . أما من أخذ من صناعة يستدرُّها ، ومكسباً يستمرُّه ، ويلتمس به الجوائز ، وينشده في المحافل والمواقف العظام فإنه يُعجى <sup>(٣)</sup> عليه بالتثقيف والتجويد ؛ والتهديب والتفقيح : ليجعله كله متشابهاً في الصنعة متساوياً في الأحكام ، رقيق الحاشية <sup>(٤)</sup> حسن الديباجة <sup>(٥)</sup> مُتخير الألفاظ ، يصح أن يقال فيه : إنه المثل الأعلى للشعر الجاهلي ؛ كما ترى ذلك واضحاً في حَوَليَّات زهير ، واعتذاريات النابعة

وقد غبر الناس دهرًا طويلاً لا يقولون الشعر الا في الأغراض الشريفة التكبب بالشعر والمقاصد النبيلة ، لا يمدحون عظيمًا طمعاً في نواله ، ولا يهجون شريفًا تشفيًا منه وانقمامًا حتى نشأت فيهم فئة اهتمت الشعر وتكسبت به ، ومدحت الملوك والامراء كالنابغة الذبياني وحسان مع النعمان بن المنذر وملوك غسان ؛ وزهير بن أبي سلمى مع هرم بن سنان ، وأميرة بن أبي الصلت مع عبد الله بن جُدعان : أحد أجواد قريش ، والاعشى مع الملوك والشوكة ، حتى قصد به الاعاجم ، وجعله متجرًا يتجر به ، فتحامى الشعر الأشراف وآثروا عليه الخطابة

(١) المزهر كمنبر العود يضرب به (٢) سهلة متتابعة

(٣) يقبل عليه (٤) حاشية الثوب جانبه وكلام رقيق الحواشي حسن

(٥) الديباج ثوب من الحرير الخالص ويكون عادة منقشا فيستعار للكلام الحسن المزين

فيقولون لهذه القصيدة ديباجة حسنة اذا كانت بحبرة منمقة

طريقة  
نظم الشعر

بالشعر



## ﴿ طبقات الشعر ﴾

طبقات الشعراء باعتبار عصورهم أربع :

- (١) طبقة الجاهليين
  - (٢) طبقة المخضرمين : وهم الذين اشتهروا بقول الشعر في الجاهلية والاسلام
  - (٣) طبقة الاسلاميين : وهم الذين نشئوا في الاسلام ولم تفسد سليقتهم العربية ، وهم شعراء بنى أمية
  - (٤) طبقة المولدين ، أو المحدثين : وهم الذين نشئوا زمن فساد العربية ، وامتزاج العرب بالعجم ، ولو كانت أصولهم عربية بجته ، وذلك من عصر الدولة العباسية الى يومنا هذا
- والشعراء الجاهليون يُقسَّمون باعتبار شهرتهم في الشعر للإجادة أو للكثرة الى طبقات كثيرة نذكر منها ثلاثاً<sup>(١)</sup> :

- (١) الطبقة الأولى - امرؤ القيس ، وزهير ، والناخعة
- (٢) الطبقة الثانية - الأعشى ، ولييد ، وطرفة
- الطبقة الثالثة - عنتره ، وعروة بن الورد ، ودريد بن الصمة ، والمُرْقَش الاكبر ؛ على أن كثيراً من الفصحاء والأدباء يقدمون بعض هؤلاء على بعض ويزيدون غيرهم عليهم : لملاءمة شعرهم لأذواقهم وهوى نفوسهم



## (١) امرؤ القيس

هو الملك الضليل<sup>(١)</sup> أبو الحارث حنْج (٢) بن حُجْر الكِنْدِيُّ، شاعر اليمانية، ورأسُ شعراء الجاهلية، وقائدُهم الى التنفن في أبواب الشعر وضرابه وأبؤه من أشرف كِنْدَةَ وملوكها، وأمه فاطمة بنت ربيعة أختُ كليب ومُهَلِّب التَّغَلْبِيِّين. وكانت بنو أسد من المضرية خاضعةً للموك كندة، وآخر ملك عليهم هو حُجْر أبو امرئ القيس

نشأ امرؤ القيس بأرض نجد بين رعيَّة أبيه من بني أسد، وسلك مسلك المترفين من أولاد الملوك يلهو ويلعب، ويعاقر<sup>(٣)</sup> الخمر ويغازل الحسان. وزاد على ذلك أنه انفق وقته في التشبيب بالنساء والخروج في ذلك الى حدِّ الصَّراحة في الفحش، منصرفاً عما يأخذ به أمثاله أنفسهم: من الاعتداد للملك وقيادة الشجعان؛ فمقته أبوه لذلك، وزجره عن اللهو والتشبيب بالنساء، ولما لم ينجع فيه القول طرده عنه وأقصاه. فالتف عليه بعض صعاليك<sup>(٤)</sup> العرب وذو بانهم<sup>(٥)</sup> وشذاذهم<sup>(٦)</sup>، ينزلون المياه وينعمون ويذبحون ويشربون ويَطْرَبون، وتغنِّيهم القيان<sup>(٧)</sup>. وانه كذلك في إحدى نزلاته بأرض (دَمُون<sup>(٨)</sup>) يشرب ويلعب النَّرد مع رفاقه إذ جاءه نبأ نوران بن أسد على أبيه وقتلهم له: لأنه كان يعسف في حكمه لهم، ويشتطُّ<sup>(٩)</sup> عليهم في الإتاوة<sup>(١٠)</sup> التي يؤدونها اليه. فلم ينزعج امرؤ القيس للخبر خشيةً أن ينغص على رفاقه عيشهم. ثم قال: « ضيعني صغيراً، وحماني دمه كبيراً! لا صححو اليوم، ولا سُكر غداً، اليومَ خمرٌ، وغداً امرؤ » وأخذ يجمع العدة ويستنجد القبائل في ادراك ثأره، فكان يجيبه بعضها ويعتذر بعضها. فنازل بني أسد وقتل فيهم كثيراً ولم يشف ذلك من

(١) كسكيت الكثير الضلال، وسمى بذلك لانه كان يتعمير في شعره (٢) أصل الحنْج الرملة الطيبة تنبت ألوانا (٣) يلازم ويدمن (٤) فقراء (٥) لصوصهم وصعاليكهم (٦) الشذاذ الذين لم يكونوا في حبيهم ومنازلهم (المتشردون) (٧) جمع قينة وهي الامة المغنية (٨) بلدة بحضر موت من اليمن (٩) يجور ويظلم (١٠) الخراج



غلته . وكانت في نفس المنذر أحد ملوك الحيرة ، موجدة<sup>(١)</sup> على آل امرئ القيس :  
لأن الحارث جدّ امرئ القيس زاحم المناذرة ملوك الحيرة عند كسرى في النيابة  
عنه على ملك الحيرة ، وقت أن شجر<sup>(٢)</sup> الخلاف بين المناذرة وكسرى قبّاذ<sup>(٣)</sup>  
فألب المنذر على امرئ القيس العرب : من إباد وبهراء وتَنُوخ ، وأمدّه كسرى  
أنوشروان بن قبّاذ بجيش من الأساورة<sup>(٤)</sup> لرضاه عن آل المنذر ، فلم يكن  
لامرئ القيس به طاقة ، وتفرق عنه أصحابه ، فجعل يستجير بالقبائل واحدة بعد  
واحدة ، ونفع من أجله حروب عدة ، حتى نزل على السموئل فأودعه ابنته ودروعه  
وسلّاحه ، وطلب إليه أن يكتب له الى الحارث بن أبي شمّر الغساني بالشام ليوصله  
الى قيصر ، فلما بلغ قيصر استنصره على أعدائه الذين جلمهم من شيعة المناذرة التابعين  
للفرس أعداء الروم فأمدّه بجيش لم يفصل<sup>(٥)</sup> به امرؤ القيس عن بلاد الروم حتى  
بدا<sup>(٦)</sup> لقيصر ، فاسترجع الجيش ، وقفل امرؤ القيس راجعاً وحده ، واشتد به  
في طريقه علة قروح مات منها ودُفن بأنقرة . وكان ذلك قبل الهجرة بقريب من قرن

شعره - يعتبر امرؤ القيس رأس فحول الجاهلية والمقدم في الطبقة الأولى  
من شعرائهم المعروفة أخبارهم ، وهو وان كان مسبوفاً بمثل أبي ذؤاد الأيادي ،  
وخاله مهليل لم يسبقه على مبلغ علمنا الى طرق كثير من أبواب الشعر والافاضة فيه  
أحد ؛ فهو أوّل من أجاد القول في استيقاف الصحب ، وبكاء الديار ، وتشبيه النساء  
بالظباء والمها والبيّض ، وفي وصف الخليل بقيد الأوابد<sup>(٧)</sup> وفي ترقيق النسيب ، وتقريب  
مآخذ الكلام ، وتجويد الاستعارة ، وتنويع التشبيه ، حتى ليظنّ أنه المبتكر لاكثر ذلك ؛

(١) غضب (٢) شجر بينهم الامر اضطر (٣) هو ابو كسرى انوشروان

(٤) فرسان العجم وقواده (٥) لم يخرج (٦) بدالهي الامر نشأ له فيه راي ،

فيضم الفاعل ويفسر بلفظ البداه أو الرأي ، وقد يظهر الفاعل احيانا

(٧) الوحوش ، وفرس قيد الاوابد يلحق الوحش لجودته ، ويمتعه من الفتوت بسرعته ،

فكانها مقيدة له لا تعدو



ويغلب على شعره التشبيب والوصف أيام صبوته (١) وبث الشكوى من الزمان  
وتنكر (٢) الخلان زمن محنته

وقد يفحش في تشبيهه بالنساء وتحذثه عنهن . ويشم من شعره رائحة النبل  
وتلمح فيه شارات السيادة والملك : من ذلك قوله :

فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المقتل (٣)

وظل طهاة اللحم من بين منضج صفيف شواء أو قدير معجل (٤)

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال  
ولكنما أسعى لمجد مؤثّل (٥) وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي

وشعره وان اشتمل بشملة البداوة في جفاء العبارة ، وخشونة الألفاظ ، وتجهم  
المعاني ، تراه أحياناً يخاطر في خلل من حسن الديباجة ، وبديع المعنى ، ورقة النسيب ،  
ومقاربة الوصف ، وسهولة المأخذ : مما كان خلفه منه أجمل مثال حاكوه في تزيق  
شعرهم وحسن تأتيمهم في تصوير معانيه

فمن النوع الأول قوله في وصف محبوبته :

واذ هي تمشى كمشى النزير (٦) يصرعه بالكثيب البهر  
برهره (٧) رودة رخصة كخرعوبة البانة المنفطر

(١) الصبوة جهلة الفتوة والشباب (٢) التنكر التغير عن حال تسرك الى حال تتركها  
(٣) بق العذارى اكثر النهار يتعابن بترامى لحم ناقته التي عقرها لهن وبشحمها المسكتنز  
الشبيه باهداب الحرير الابيض المقتول (٤) قال هذا البيت بعد ان اصطاد بقر وحش وجلس  
ينتظر الاكل منه فذكر أنه كان معه في خروجه الى الصيد طباخون يطبخون له انواعا منها الشواء  
ومنها ما يطبخ في القدور وذلك غريب في الصحراء ، لا يفعله الا الملوك (٥) مؤصل  
(٦) النزف الاستخراج والنزيف المنزوف دمه من جراحه . الصرع الطرح على الارض ،  
الكثيب التل من الرمل ، البهر الكلال وانقطاع النفس ، البرهرة الرقيقة الجلد ، الرودة  
الشابة ، الرخصة الناعمة ، الخرعوبة الفصن ، المنفطر المتشقق الذي خرج ورقه . ومعنى البيت  
الاول انه شبه مشية حبيته بمشية رجل نزع دمه حتى صار لا يقدر أن يسرع المشى لما اصابه  
من الضعف خصوصاً اذا كان المكان مما يصعب السير فيه كالكثبة الرمال



وقوله في معلقته :

وفرع يُغشِّي المَنَ أَسودَ فاحم  
أثيث كَقِنُو النخلة المتعشكَل (١)  
غداثُهُ مستشزرات الى العلاء  
تَضَلُّ المَدَارِي في مثنى ومرسل (٢)  
وكشح لطيف كالجديل مَحْصَر  
وساق كانبوب السقي المذلل (٣)  
وتعطو برخص غير شثن كأنه  
أساريع ظبي أو مساويك إسجيل (٤)

ومن الثاني قوله :

كأن عيون الوحش حول خبائنا  
وأرحلنا الجزع (٥) الذي لم يثقب  
كأن قلوب الطير رطباً ويابساً  
لدى وكرها العناب والحشف (٦) البالي  
أغررك مني أن حبك قاتلي  
وأناك مهما تأمرى القلب يفعل  
ولا مرئ القيس المطولات والمقطعات ، وأشهر مطولاته معلقته المضروب بها  
المثل في الاشتهار ، وأوها :

قفا نَبِكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزل  
بِسِقْطِ اللوى بين الدخول فحومل (٧)

(١) الفرع الشعر التام ، المتن الظهر ، الفاحم الشديد السواد ، الاثيث الكثير ، القنو العدق ( السباطة ) المتعشكَل الكثير الشماريح الداخل بعضها في بعض . يريد تشبيه شعر محبوبته بكباسة النخل الكثيرة الشماريح

(٢) غداثُهُ ذواته ، مستشزرات مرتفعات ، تَضَلُّ تغيب ، المدارى الامشاط ومفردها مدرى (٣) الكشح ما بين الحاصرة الى الضلع الخلف ، الجديل زمام يتخذ من سيور ، المحصر الدقيق الحصر ، والانبوب ما بين العمدتين من القصب وغيره . والسقي المذلل يعنى البردى المسقى الملين بالارواء . يريد تشبيه كشح محبوبته بنظام الناقة المتخذ من الجلد ، وساقها بنباته البردى المسقية كثيراً

(٤) العطو تناول ، الشثن الغليظ ، الاساريع جمع اسروع وهو دود يكون في البقل والاماكن الندية ، وظبي اسم مكان ، والاسجل شجرة تدق اغصانها في استواء . يشبه اصابع محبوبته بهذا الصنف من الدود او هذا النوع من المساويك

(٥) خرز اسود يخاطه يياض (٦) اردأ التمر (٧) قال ياقوت قال السكرى الدخول وحومل وتوضيح والمقراة مواضع ما بين امرة واسود العين ، امرة مثل امعة منهل من مناهل حاج البصرة ، واسود العين جبل بنجد يشرف على طريق البصرة الى مكة



فَتَوْضِحَ فَمَلِقَرَةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمَهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ (١)  
ومنها يشكو طول الليل :

وليلٍ كهوج البحر أرخى سُدُولَهُ على أنواعِ الهموم لِيَتَلَى (٢)  
فقلت له لِمَا تَمَطَّى (٣) بِصَلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً (٤) وَنَاءً (٥) بِكَلْكَالٍ (٦)  
ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجَلِ (٧) بِصُبحٍ وما الإصباحُ منكُ بِأَمثَلِ (٨)  
فيا لك من ليلٍ كأنَّ نَجْوَمَهُ بكلِّ غَمَارٍ (٩) القتلُ شُدَّتْ بِبِذْبُلِ (١٠)  
ومن شعره يذكر رحلته الى قيصر مع صاحبه عمرو بن قميئة الضبعي (١١) الشاعر  
وكان امرؤ القيس غره في رحلته وأخفى عليه وجه قصده :

سما لك شوقٌ بعد ما كان أقصرًا وحلت سُلَيْمَى بَطْنَ ظُبِي فَعَرَعَرَا (١٢)  
فدعها وسلِّ الهم عنها بِجَمْرَةٍ ذَمول إذا صام النهار وهجراً (١٣)  
عليها فتى لم تحمل الأرض مثله أبرِّ ميثاق وأوفى وأصبرا  
إذا قلتُ هذا صاحبٌ قد رضيتُهُ وقرت به العينانِ بَدَلتُ آخِرًا (١٤)  
كذلك جَدِّي (١٥) لأصاحب صاحبًا من الناس إلا خانني وتغيَّرَا  
تذكَّرتُ أهلي الصالحين وقد أتت على جَمَلٍ بنا الركبُ وأعفرًا (١٦)  
ولما بدت حورانُ (١٧) والآلُ دونها نظرتَ فلم تنظرُ بعينيك منظرًا  
تقطع أسبابُ اللبانات (١٨) والهوى عشية جاورنا حَمَاةً وشيزرا (١٩)

(١) لم يعف رسمها لم يذهب أثرها ، ونسج الرمحين على البقعة اختلافهما عليها جنوبا وشمالا  
يعجب من عدم عفاء رسمها للسبب الذي من أجله تعفو الرسوم وهو اختلاف الرياح عليها يسفي التراب  
(٢) كهوج البحر في توحشه ونكارة أمره ، والمراد بالسدول الظلمات الشبيهة بالسطور  
(٣) مد ظهره (٤) ما أخير (٥) مقلوب نأى بمعنى بد (٦) الكلكل الصدر  
والمعنى أفرط في الطول (٧) انكشف (٨) أفضل ، وذلك لاني ألقى الهموم نهاراً كما  
أعانيها ليلاً (٩) جبل محكم القتل (١٠) جبل بنجد (١١) نسبة الى ضبيعة قبيلة من بكر  
(١٢) عاودك الشوق بعد ما كان تركك . وظي وعرعر مكانان الاول في أرض كلب والثاني  
في نجد (١٣) الجسرة الناقة الماضية ، والذمول السريعة ، وصام النهار وهجر اشتد حره  
(١٤) به من عيوب القافية سناد التأسيس (١٥) بنجتي وحظي (١٦) جل واعفر  
موضعان بالشام (١٧) كورة واسعة من أعمال دمشق (١٨) الحاجات أى تقطعت  
الحاجات (١٩) حماة مدينة بالشام بينها وبين شيزر مسيرة يوم ، وقد افتتحها المسلمون سنة ١٧ هـ  
الوسيط م (٩)



بكى صاحبي لما رأى الدربَ <sup>(١)</sup> دُونَهُ وَأَيَقَنَ أَنَا لِحِقَانِ بَقِصْرَا  
فَقَلْتُ لَهُ : لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا نَحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتُ فَنَعُذِرَا  
ومن آياته السائرة :

إذا المرء لم يَخْزُنْ عليه لسانه فليس على شيء سواه بِخِزَانِ  
فإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعیف ولم يغلبك مثل مغلَّب <sup>(٢)</sup>  
وقد طوّفتُ في الآفاق حتى رَضِيتُ من الغنيمة بالإياب

## (٢) النابغة الذبياني

هو النابغة الذبياني أبو أمامة زياد بن معاوية : أحدُ فحول شعراء الجاهلية ،  
وحكمهم بعكاظ ، وأحسنهم ديباجة لفظ ، وجلاء معنى ، ولطفَ اعتذار . ولقّبَ  
بالنابغة لنبوغه في الشعر فُجَاءةً وهو كبير ، بعد أن امتنع عليه وهو صغير . وهو من  
أشراف ذُيَّانِ الآن تكسبه بالشعر غضٌّ من شرفه ، على أنه لم يتكسب بشعره  
الآ في مدح ملوك العرب . وكان من أمره في ذلك أن اتصل بملوك الحيرة ومدحهم  
وطالت صحبته للنعمان بن المنذر ، فأدناه منه ، واتخذة جليساَ ونديمًا ، ووصله  
بجوائزه السنوية ونوقه العصافير <sup>(٣)</sup> حتى صار لا يأكل ولا يشربُ إلا في صحاف  
الذهب والفضة ، إلى أن وشى به عند النعمان أحد بطانته فغضب عليه وهمّ بقتله  
فأسرَّ إليه بذلك عصام حاجب النعمان ، فهرب النابغة إلى ملوك غسان المنافسين  
للمناذرة في ملك العرب ، فمدح عمرو بن الحارث الأصغر وأخاه النعمان ؛ غير  
أن قديم صحبته للنعمان ؛ وحسن صنيع النعمان عنده ، ورجاء اظهار براءته ، كل  
ذلك جعله يحنُّ إلى معاودة العيش في ظلاله ، فتنصَّلَ مما رُمي به ، واعتذر إليه بقصائد

منشؤه وتكسبه  
بالشعر

(١) الدرب باب السكة الواسع وكل مدخل إلى الروم فهو درب

(٢) المغلوب مراراً

(٣) العصافير نوق نجائب كانت للملوك تنجت من أكرم فحل للعرب يسمى عصفوراً



استلَّتْ سَخِيمَتَهُ (١) وعظفتُ عليه قلبه ؛ وحل عنده في منزلته الأولى . وعمّر النابغة  
طويلاً ، ومات قبيل البعثة

\* \* \*

شعره - أهل البَصَر بالشعر على أن النابغة الذبيانيّ من فحول الطبقة الأولى  
الجاهلية ، بل جعل بعضهم شعره غاية المدى الذى بلغه الشعر الجاهلى من الجمال  
وحسن الرونق ؛ ويعُدّه الكثير من الرواة في أصحاب المعلقات . ويمتاز شعره  
برشاقة اللفظ ، ووضوح المعنى ، وحسن النظم ؛ وقلة التكلف ، حتى عدَّ عند  
المُرُقِّين من الشعراء - كجرير - أنه أشعر شعراء الجاهلية . وأغراه تكسبه بالشعر أن  
يَفْتِنَ في ضروب المدح والاستقصاء فيه حتى مدح بالشىء وضدّه ، فقال من قصيدة  
يلدح بها النعمان :

فانك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب

وقال من أخرى من اعتذار ياته :

فانك كالليل الذى هو مُدْرِكى وإن خلتُ أن المُنْتأى عنك واسع

كما أغراه بلطف الاعتذار واجتلاب الرضا عند ما فاته طيب المكسب . ولعل  
تقديمه على الشعراء لم يكن من حكم علماء الشعر وحُدِّم ، بل يظهر أنه قد شاركهم  
فيه شعراء الجاهلية أنفسهم ، فلأمر ما قدموه عليهم في عكاظ وجعلوه حكماً يتناشدون  
أمامه أشعارهم ، فيقضى لشاعر على شاعر . وله ديوان شعر شرحه البَطَّايُوسِ (٢)  
وطبع مراراً وان لم يجمع أكثر قوله . ومن أبلغ شعره معلقته التى أوَّلها :

عُوجُوا فَحَيَّوْا نَعْمَ دِمْنَةَ الدار ماذا تُحْيُونَ من نُؤى وأحجار (٣)

أَقْوَى وَأَقْفَرُ من نَعْمَ وَغَيْرِهِ هُوجُ الرِيحِ بهابى الترب مَوَّار (٤)

(١) حقه (٢) هو ابن السيد البطليوسى شارح أدب الكاتب لابن قتيبة ، منسوب الى  
بطليوس مدينة بالاندلس (٣) عوجوا قفوا ، الدمنة ما اجتمع من آثار الديار ، النؤى  
الحفير يكون حول الحباء يمنع المطر (٤) أقوى وأقفر خلا ، هوج الرياح جمع هوجاء وهى  
الشديدة ، الهابى الساقى ، ومواريجىء ويذهب



وقفتُ فيها سرّاةَ اليوم أسألهَا  
فاستعجمتُ دارُ نعم ما تكلمنا  
عن آل نَعَم أُمُونًا عِبْرَ أسْفَارِ (١)  
والدار لو كلمتنا ذات أخبار

ومن جيد قوله في الاعتذار :

أتاني ( أَيْتَ العن (٢) ) أنك لَمُنْتِي  
فبت كأنَّ العائِداتِ (٥) فرشن لي  
حلفت فلم أترك لنفسك رِيبةً  
لئن كنتَ قد بُلغْتَ عني جنايةً (٨)  
ولكنني كنتُ امرأً لي جانبُ (١٠)  
ملوك (١٢) واخوان إذا ما أتيتهم  
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم  
فلا تتركني بالوَعيد كأنني  
ألم تر أن الله أعطاك سَوْرَةَ (١٦)  
وأناك شمس والملوك كواكبُ  
ولست بمسْتَبقٍ أخًا لا تلمهُ  
وتلك التي أهتم (٣) منها وأنصب (٤)  
هراساً (٦) به يُعلَى فراشِي ويُقشَبُ (٧)  
وليس وراء الله للمرء مذهب  
لَمُبْلَغُك الواشِي (٩) أغش وأكذب  
من الأرض فيه مُسْتَرادٌ (١١) ومهْرَبُ  
أحْكَمُ (١٣) في أموالهم وأقرب  
فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا (١٤)  
الى الناس مَطْلِيَّ به القارُ (١٥) أجرب  
ترى كلَّ مَلِكٍ دونها يتدبذبُ (١٧)  
إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكبُ (١٨)  
على شعثِ أيُّ الرجال المهذبُ (١٩)

(١) سرّاة اليوم وسطه ، الامون النافقة التي يؤمن عنارها ، عبر أسفار أي يعبر عليها فيها

(٢) جملة دعائية يخاطبون بها الملوك تحية ، ومعناها آيت أن تفعل شيئاً تلمن به ، وكانت

هذه تحية ملوك لحيم وحذام

(٣) أصير لأجلها ذا هم (٤) أتعب واعيا (٥) الزائرات في المرض

(٦) شوكا كأنه حسك (٧) يخلط (٨) ذنبا (٩) التمام

(١٠) الجانب الناحية وأراد به الشام (١١) موضع يتردد فيه لطلب الرزق

(١٢) بدل من مستراد ومهرب أو مبتدأ بتقدير فيه ملوك (١٣) أنصرف كيف أشاء

(١٤) قال الاصمعي كما فعلت أنت بقوم قربتهم واكرمتمهم فتركوا الملوك ولم يركبوا ذلك

ذنبا عليهم (١٥) القطران (١٦) منزلة رقيقة وشرفا (١٧) يضطرب

(١٨) أراد بهذا البيت والذي قبله تسليية النعمان على ما حصل منه من مدحه لآل جفنة

(١٩) تلمه تصلحه ، والشعث الفساد ، المهذب المتق من العيوب ، يعتذر بذلك عن زلته ،

والمعنى أي الرجال يكون مبرأ من العيوب فان قطعت اخوانك بذنب لم يبق لك أخ



فان أك مظلوماً (١) فعبد ظلمته وان تك ذا عتي (٢) فملك يعتب (٣)

ومن آياته السائرة :

وانت كالدهر مَبثوثًا حباله والدهر لا ملجأ منه ولا هرب

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد (٤)

نبئت أن أبا قابوس (٥) أوعدني ولا قرار على زار من الأسد

فلو كني اليمين بغنك خوئًا لأفردت اليمين عن الشمال

### (٣) زهير بن أبي سلمى

هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني ثالث فحول الطبقة الأولى من الجاهلية ، وأعفهم قولاً ، وأوجزهم لفظاً ، وأغزرهم حكمة ، وأكثرهم تهديباً لشعره نشأ في غطفان ، وان كان نسبه في مزينة ، من بيت جُلُّ أهله شعراء : رجالاً ونساءً وأكثر ما استفاد حكمته وشعره وأدبه من خال أبيه بشامة بن الغدير أحد أشرف غطفان ، وكان بشامة هذا متعدياً حازماً شاعراً مجيداً يرجعون اليه في مفضل أمورهم ويقسمون له من غنائمهم كأفضلهم ، فشب زهير متخليقاً ببعض صفاته وارتباً عنه شعره ، ولزم أيضاً أوس بن حجر زوج امه ، وكان شاعراً مضر في زمانه فروى عنه الشعر ثم ظهر عليه وأخمله . واختص زهير بمدح هرَم بن سنان الديباني

(١) جعل غضبه ظلماً لانه من غير موجب (٢) رضا (٣) يرضى

(٤) اسم لآخر ما هلك من نسور لقمان السيمة التي وهب الله له عمرراً يطول بطول أعمارها فظال عمر هذا النسر حتى قيل طال الامد على لبد ، واخني عليه أهلكه ، ويريد بالذي أخنى عليها ، الزمان وحوادثه

(٥) أصل القابوس الرجل الجميل الوجه الحسن اللون وأبو قابوس كنية النعمان بن المنذر

أحد ملوك العرب



المري ، فمدحه بمدائح خلدت اسمه أبد الدهر<sup>(١)</sup> حتى ضرب بمدحه فيه المثل كما يقول البوصيري في بردة :

ولم أُرِدْ زهرة الدنيا التي اقتطفت يدًا زهيرٍ بما أثنى على هرمٍ  
وأول ما أعجبه من أمره وحبب إليه مدحه حسن سعيه هو والحارث بن عوف  
في الصلح بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء ، بتحملهما ديات القنلى التي  
بلغت ثلاثة آلاف بعير ، وقال في ذلك قصيدته إحدى المعلقات السبع التي أولها  
أمن أم أوفى<sup>(٢)</sup> دمنة<sup>(٣)</sup> لم تكأتم بحومانة الدرّاج فالتئمتم<sup>(٤)</sup>  
ثم تابع مدحه كما تابع هرم عطاءه حتى حلف لا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا  
يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه : عبدًا أو وليدة أو فرسًا . فاستخيا زهير  
منه فكان إذا رآه في ملاء قال : أنعموا صباحًا غير هرم وخير كم استنيت  
وكان زهير سيدًا كثير المال حليمًا معروفًا بالورع متدينًا مؤمنًا بالبعث والحساب  
كما يظهر من قوله :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم  
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينتقم  
وعمر زهير ومات قبل البعثة بسنة

وكان زهير صاحب روية وتعمل وتهذيب لما يقول ، ولا سيما مطولاته ، حتى  
قيل إنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر ، ويهدبها في أربعة أشهر ويعرضها على  
خواصه في أربعة أشهر ، فلا يظهرها إلا بعد حوّل ، ولذلك يسمون بعض مطولاته  
الحوليات

روية زهير

- (١) قال عمر بن الخطاب لبعض ولد هرم أنشدني بعض مدح زهير أباك فأشده فقال عمر ان كان ليحسن فيكم القول ، قال ونحن والله ان كنا لنحسن له العطاء ، قال : قد ذهب ما اعطيتموه وبقي ما اعطاكم . وقال رضى الله عنه لابن زهير ما فعلت الخلال التي كساها هرم أباك قال ابلاها الدهر ، قال لكن الخلال التي كساها أبوك هرما لم يبلاها الدهر
- (٢) امرأة زهير (٣) ما اسود من آثار الدار بالبر والرماد وغيرهما
- (٤) حومانة الدرّاج ماء بنجد على الطريق التي بين البصرة ومكة ، والمتنم موضع قريب منه





- ولا خلاف بين أئمة الشعر ونقدته في أن زهيراً أحد ثلاثة الفحول  
المنقذمين في الجاهلية على من سواهم ، وان كثيراً منهم ليفضلونه على صاحبيه :  
امرئ القيس ، والنابغة وحجتهم في ذلك أنه يمتاز بالمزاي الآتية :  
أولاً - حُسْن الإيجاز وحذف فضول الكلام<sup>(١)</sup> وحشوه بحيث يودع اللفظ اليسير  
المعنى الكثير . كقوله :

فما يك من خير أتوه فأنما توارثه آباء آبائهم قبل  
ثانياً - إجادة المدح وتجنب الكذب فيه ، فلا يمدح الرجل إلا بما عرف من أخلاقه  
وصفاته<sup>(٢)</sup> كقوله :

على مكثريهم رزق من يعترتهم وعند المقلين الساحة والبذل  
ثالثاً - تجنب التعقيد اللفظي والمعنوي ، والبعد من حوشي الكلام وغريبه<sup>(٣)</sup>  
كقوله :

ولو أن حمداً يُخلد الناس أخلدوا ولكن حمد الناس ليس بمخلد  
رابعاً - قلة السخف والهذر<sup>(٤)</sup> في كلامه ولذلك كان شعره عفيفاً يقل فيه  
الهجاء ، ولقد هجا قوماً فأوجع ، ثم ندم على ما صنع

- 
- (١) سأل معاوية الاحنف بن قيس من أشعر الشعراء قال زهير ، قال وكيف ، قال ألقى من  
المادحين فضول الكلام ، قال مثل ماذا ، قال مثل قوله « فإيك من خير . . البيت »  
(٢) قال عبد الملك بن مروان حين سمع هذا البيت ما يضر من مدح بما مدح به زهير آل أبي  
حارثة من قوله « على مكثريهم . . البيت » ان لا يملك أمور الناس ( يعني الخلافة ) ثم قال  
ما ترك منهم زهير غنياً ولا فقيراً إلا وصفه ومدحه  
(٣) قال ابن عباس قال لى عمر بن الخطاب هل تروى لشاعر الشعراء قلت ومن هو ؟ قال  
الذي يقول « ولو أن حمدا . . البيت » قلت ذلك زهير قال فذاك شاعر الشعراء ، قلت وهم كان  
شاعر الشعراء قال : لانه كان لا يعاظم في الكلام وكان يتجنب وحشيه ولم يمدح أحداً إلا بما  
فيه . يعاظم بين الكلام يداخل فيه ويعمده . وحوشى الكلام وحشيه وغريبه  
(٤) السخف في الكلام رداءته . الهذر الكثير الرديء أو سقط الكلام



خامساً - الإكثار من الأمثال والحكم بما لم يفقه فيه شاعر جاهليّ و بما فتح به باب الحكم والأمثال في الشعر العربي ، فكان كلامه الدرب الذي سلكه الشعراء لبلوغ الحكمة : أمثال صالح بن عبد القدوس <sup>(١)</sup> وأبي العتاهية وأبي تمام والمتنبي والمعري <sup>(٢)</sup> من المولدين . ومن حكمه في معلقة قوله :

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله      ولكنني عن علم ما في غد عم  
رأيت المنيا خبط عشواء <sup>(٣)</sup> من نصب      ثمته ومن تخطى يعمر فيهرم  
ومن يجعل المعروف من دون عرضه      يفره <sup>(٤)</sup> ومن لا يتق الشتم يشتم  
ومن يك ذا فضل فيخل بفضله      على قومه يستغن عنه ويذمم  
ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه      الى مطمئن البر لا يتجمجم <sup>(٥)</sup>  
ومن هاب أسباب المنيا ينلنه      وإن يرق أسباب السماء بسلم  
ومن يجعل المعروف في غير أهله      يكن حمه ذماً عليه ويندم  
ومن لم يزد <sup>(٦)</sup> عن حوضه بسلاحه      يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم <sup>(٧)</sup>  
ومهما تكن عند امرئ من خليقة <sup>(٨)</sup>      وإن خالها تخفي على الناس تعام  
ومما سبق فيه غيره قوله يمدح هرمًا :

قد جعل المبتغون الخير في هرم  
من يلق يوماً على علاته هرمًا  
لونال حتى من الدنيا بمكرمة

(١) من نابغ شعراء الدولة العباسية قتل لانهامه بالزندقة  
(٢) ستأتي تراجمهم ، وهم من شعراء الدولة العباسية  
(٣) الحبط الضرب باليد ، والعشواء الناقة التي لا تبصر ليلاً ، يريد أن النمية كالناقة العشواء  
تسير على غير هدى فتصيب الناس على غير نسق معروف أو ترتيب محدود  
(٤) يصنه ويحفظه (٥) يتزلزل ويضطرب (٦) يدفع ويكف  
(٧) من انقبض عن الناس وكف يده عن الامتداد لهم رأوه مهيناً ضعيفاً فاستطالوا عليه  
وظاموه (٨) طبيعة

(٩) المبتغون الطالبون ، في هرم عند هرم أو منه ، جعل طلاب المعروف عند هرم طرفاً الى أبوابه لكثرة ترددهم عليه وقصدهم اليه (١٠) على علاته أي أن تلقه على فلة مال وعدم تجده سمحاً كريماً فكيف به وهو على غير تلك الحال



وقوله : وأبيض (١) فياض (٢) يداه غمامةٌ  
على معتفيه (٣) ما تُعَبُّ (٤) فواضلةٌ  
أخي ثقةٌ لا يهلك الخمرُ ماله  
ولكنه قد يهلك المالَ نائله  
تراه إذا ما جئته مُتَهَلِّلاً  
كأنك تُعطيهِ الذي أنت سائله

(٤) عنترۃ العبسى

هو عنترۃ بن عمرو بن شداد العبسى أحد فرسان العرب وأغرَبَتِها (٥) وأجوادها  
وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة

منشؤه ونسبه

وكانت أمه أمة حبشية تسمى زبيبة ، وأبوه من سادات بني عبس  
وكان من عادات العرب ألا تُسَلِّحَ ابن الأمة بنسبها ، بل تجعله في عداد العبيد ،  
ولذلك كان عنترۃ عند أبيه منبوذاً بين عبدانه ، يرعى له إبله وخيله . فرأى بنفسه  
عن خصال العبيد ، ومارس الفروسية ومهر فيها ، فشب فارساً شجاعاً هماماً . وكان  
يكره من أبيه استعباده له وعدم إلحاقه به ، حتى أغار بعض العرب على عبس  
واستاقوا إبلهم ، ولحقهم بنو عبس وفيهم عنترۃ لاستنقاذ الإبل ، قال له أبوه : كُرِّ  
يا عنترۃ . قال : العبد لا يُحسِّن الكُرِّ ، إنما يُحسِّن الحلاب والصَّرِّ (٦) قال كُرِّ وأنت  
حُرٌّ ، فقاتل قتالاً شديداً حتى هزَمَ القومَ واستنقذ الإبل ، فاستلحقه أبوه . ومن  
ذلك الوقت ظهر اسمه بين فرسان العرب وساداتها وخاض مع عبس أكثر  
وقائعها : وخاصة حرب داحس والغبراء ، حتى أصبح فارس حوتها ، وحامى بيضتها  
وحتى ضرب به المثل في الشجاعة والاقدام . قيل له يوماً أنت أشجع العرب وأشدُّها ،  
قال : لا . قيل : فماذا اشاع لك هذا في الناس ، قال كنت أقدم إذا رأيت الإقدام  
عزماً ، وأحجم إذا رأيت الأتجام حزمًا ولا أدخل موضعاً لا أرى منه مخرجاً ،

(١) نقي من العيوب (٢) كثير العطاء (٣) الطالب لمعروفه  
(٤) أى لا تأتى فى الغب ( والغب ان تأتى يوماً وتقطع آخر ) بل هى دائماً لا تنقطع  
(٥) أغربة العرب سودانهم والاغربة فى الجاهلية عنترۃ ، وخفاف بن ندبة ، وأبو عمير بن  
الحباب ، وسليك بن السلكة (٦) الحلاب الحلب ، والصر شذرع الناقة  
الوسيط م (١٠)



وكنت أعتد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله . وطال عمر عنتره حتى ضعف جسمه وعجز عن شن الغارات ومات قبيل البعثة

\* \*

شعره - لم يشتهر عنتره أوّل أمره بشعر غير البيتين والثلاثة ، وإنما غلبت عليه الفروسية مكتفياً بها حتى عيّره يوماً بعض قومه سواده وأنه لا يقول الشعر ، فاحتج لسواده بخلقه وشجاعته ، واحتج لفصاحته بنظم معلقته المشهورة التي كانت تسمى المذهبة أيضاً وأوّلها :

هل غادر الشعراء من مُتردّمٍ أم هل عرفت الدار بعد توهم<sup>(١)</sup>  
وقد ضمنها خصاله ومكارم قومه . وحسن دفاعه عنهم ووفرة جوده ، معرجاً فيها على أوصاف أمور شتى ، وهي من أجمل المعلقات وأسهلها لفظاً ، وأكثرها انسجاماً ، وأبدعها وصفاً ، وأشدّها حماسة وفخراً ، وكذلك كل ما عرف من شعره وأكثر ما في سيرته الموضوع في زمن الفاطميين ، وما في الديوان المنسوب إليه المستخرج من هذه السيرة منحول له لا يعتد به

ومن قوله في معلقته :

لما رأيتُ القوم أقبل جمعهم يتدامرون<sup>(٢)</sup> كررت غير مذمّم  
يدعون عنتر والراح كأنها أشطان<sup>(٣)</sup> بئر في لبان<sup>(٤)</sup> الأدهم<sup>(٥)</sup>  
ما زلت أرميهم بثغرة<sup>(٦)</sup> نحره ولبانه حتى تسربل بالدم  
فازور<sup>(٧)</sup> من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتحمّم<sup>(٨)</sup>

(١) تردم الرجل ثوبه رقبه و« أم » بمعنى بل والتوهم التفرس ، والمعنى لم يترك الشعراء لي شيئاً أصلحه ثم خاطب نفسه قائلاً هل عرفت دار محبوبتك بعد شدة بحبك عنها  
(٢) يحض بعضهم بعضاً على القتال (٣) الحبال التي يستقي بها (٤) اللبان الصدر  
(٥) الحصان الأسود (٦) أعلى نحره (٧) مال (٨) العبارة تردد البكاء في الصدر ، والتحمّم من صهيل الفرس ما كان فيه شبه الحنين ليرق صاحبه له



لو كان يَدْرِي ما المَحاورَةُ اشْتَكِي  
ولقد شَفِي نَفْسِي وأَبْرَأ سَقَمَهَا  
والخَيْلُ نَفْتَحُمُ الخَبَارُ (٢) عَوَابِسًا  
ولكان لو علم الكلام مُكَلِّمِي  
قِيلُ الفوارسِ وَيَكُ (١) عَنَتْرُ أَقْدِمِ  
من بَيْنِ شَيْطَمَةٍ (٣) وَأَجْرَدِ (٤) شَيْطَمِ

ومنها :

أثْنِي عَلَيَّ بما عَلِمْتِ فاني  
فاذا ظَلَمْتُ فانَّ ظُلْمِي باسِلِ  
سَمَحٌ مَخالطِي اذا لم أَظَلِمِ  
مُرٌّ مَذاقَتُهُ كطعمِ العَلَقَمِ

ومن جيد قوله :

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الختوفُ (٥) كأَنِّي  
فأَجِبْتِها : ان المنيّة منهلٌ (٦)  
فأَقْنِي (٧) حياءَكَ (لا أَبالك) (٨) واعلمي  
ان المنيّة لو تَمَثَّلَ مَثَلْتُ  
اني امرؤٌ من خيرِ عِيسٍ مَنْصِبًا  
واذا الكَتِيبَةُ (١٢) أَجْمَعَتْ (١٣) وتَلاحَظَتْ (١٤)  
والخَيْلُ تَعَلَّمُ والفوارسُ أَنَّنِي  
والخَيْلُ ساهِمةٌ (١٦) الوجوهُ كأَنما  
ولقد أَبَيْتِ عَلَي الطَّوِي (١٧) وَأَظَلَّهُ

ومن افراطه قوله :

وأنا المنيّة في المواطنِ كُلِّها  
والطعنِ مِنِّي سابقِ الأجالِ

(١) وى كلمة يقصد منها التعجب والكاف للخطاب (٢) الارض اللينة

(٣) الفرس الطويل (٤) الاجرد القصير الشعر الرقيقة

(٥) الختف الموت (٦) مشرب (٧) الزمى (٨) كلمة يراد بها هنا التنبيه والاعلام  
لا الجفاء والشدة (٩) ضيق (١٠) نصفى (١١) السيف (١٢) الطائفة من الجيش

(١٣) تأخرت عن الاقدام (١٤) نظر بعضهم بمضا بمؤخر عينه من شدة الهول

(١٥) كريم الاعمام والاخوان (١٦) متغيرة عابسة (١٧) الجوع



(٥) عمرو بن كلثوم

هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي سيد تغلب وفارسها وأحد فتاك العرب وشعرائها المشهورين بقصيدة واحدة، والمجيد للفخر. وأمّه ليلي بنت مهليل أخي كليب. نشأ عمرو في قبيلة تغلب بالجزيرة الفراتية شجاعاً هماماً خطيباً جامعاً لحُصَال الشرف، وساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة، وقاد الجيوش مظفرًا في كثير من أيامهم؛ وأكثر ما كانت فتن تغلب وحر بها مع أختها بكر بن وائل بسبب الحرب المشؤمة المشهورة بحرب البسوس، وكان آخر صلح لهم فيها على يد عمرو بن هند آخر ملوك الحيرة من آل المنذر. ولم تمض مدة يسيرة بعد الصلح حتى حدث بين وجه القبيلتين ملاحاة ومشاحة في مجلس عمرو بن هند قام أثناءها شاعر بكر الحارث بن حلزة اليشكري وأنشد قصيدته المشهورة. وما فرغ منها حتى ظهر لعمرو بن كلثوم أن هوى الملك مع بكر، فانصرف ابن كلثوم وفي نفسه ما فيها: ثم خطر في نفس ابن هند أن يكسِر من أنفة تغلب بإذلال سيدها وهو عمرو بن كلثوم، فدعاه وأمّه ليلي بنت مهليل، وأغرى هنداً أمّه أن تستخدمها في قضاء أمر من أمورها، فصاحت ليلي: واذلاه! فتاربه الغضب وقتل ابن هند في مجلسه، ثم رحل تواءً إلى بلاده بالجزيرة وأنشد معلقته التي أوّلها

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ (١) فَاصْبَحِينَا (٢) وَلَا تَبْقَى خُمُورُ الْأَنْدَرِينَا (٣)

يصف فيها حديثه مع ابن هند، ويفتخر بأيام قومه وغاراتهم المشهورة، ثم كان يخطب بها في عكاظ وغيرها، وحفظها بنو تغلب وأكثروا من روايتها. ومات عمرو بن كلثوم قبل الاسلام بنحو نصف قرن

\*  
\*\*

شعره - كان عمرو بن كلثوم من عطاء الجاهلية وأشرفهم وفرسانهم الذين

شعره

(١) الصحن القدح العظيم (٢) اسقينا الصبوح وهو ما أصبح عندهم من الشراب  
(٣) قرية بالشام



شغلتهم الرياسة وخوض الحروب عن أن يُفيضوا في الشعر ويطرقوا أكثر أبوابه كدأب من يتخذون الشعر مهنةً وتجارةً ، ولذلك لم يشتهر إلا بمعلقته الواحدة التي قامت له مقام الشعر الوفير : لحسن لفظها ، وانسجام عبارتها ، ووضوح معناها ورشاقة أسلوبها ، وعلو فخرها ، ونبالة مقصدها ، ولولا أنه افتخر فيها وعدد ما أثر قومه ما قالها ؛ ورويت له مقطعات لم يخرج بها عن أغراض معلقته ؛ ولعل شهرته بالخطابة لا تقل عن شهرته بالشعر

ومن سأمى فخره في معلقته :

وقد علم القبائل من معدّ  
إذا قُيبَ بأبطحها<sup>(١)</sup> بُنيينا  
بأننا المطعمون إذا قدرنا  
وأنا المهلكون إذا ابتليينا  
وأنا المانعون لما أردنا  
وأنا النازلون بحيث شينا  
وأنا التاركون إذا سخطنا  
وأنا الآخذون إذا رَضينا<sup>(٢)</sup>  
ونشرب إن وردنا الماء صفواً  
ويشرب غيرنا كدرا وطينا  
إذا ما الملك سام الناس خسفاً<sup>(٣)</sup>  
أبيننا أن نُقرّ الذلّ فينا  
لنا الدنيا ومن أمسى عليها  
بغاةً ظالمين وما ظلمنا  
ونبتش حين نبتش قادرينا  
ملانا البرّ حتى ضاق عنا  
وإكنا سنبداً ظالمينا  
إذا بلغ الرضيع لنا فطاما  
ونحن البحر نملوه سفينا  
وقال يتوعد عمرو بن أبي حجر العسائي :

ألا فاعلم (أبيت اللعن) أنا  
على عهد سنائي ما نريد  
تعلم أن محملنا ثقيل  
وأن زياد<sup>(٤)</sup> كبتنا<sup>(٥)</sup> شديد  
وأنا ليس حتى من معدّ  
يوازننا إذا لبس الحديد

(١) الابطح والبطحاء مسيل واسع فيه دفاق الحصى

(٢) لا تقبل عطايا من غضبنا عليه وتقبل هدايا من رضينا عنه (٣) أولاهم ذلا

(٤) دفاع (٥) جماعتنا



(٦) طرفة بن العبد

منشؤه

هو عمرو بن العبد البكري أقصر فحول الجاهلية عمراً ، وأجودهم طويلاً ، وأوصفهم للناقة . مات أبوه وهو صغير ، وولى أمره أعمامه ومال الى البطالة والاهو والأخذ بأسباب الصبوة والفتوة وقول الشعر والوقوع به في أعراض الناس ، حتى هجا قومه وأهله ، وحتى هجا عمرو بن هند ملك العرب على الحيرة ، مع أنه كان يتطلب معرفته وجوده . فبلغ عمرو بن هند هجاء طرفة له ، فاضطغنها عليه ، حتى اذا ما جاءه هو وخاله المتلمس يتعرضان لفضله - وكان قد بلغه عن المتلمس مثل ما بلغه عن طرفة - اظهر لها البشاشة والوداد ليؤمّنها ، وأمر لكل منهما بجائزة ، وكتب لها كتابين وأحالهما على عامله بالبحرين ليستوفياها منه . وبيناهما في الطريق ارتاب المتلمس في صحيفته ، ففرّج على غلامٍ يقرؤها له . (ومضى طرفة) . فاذا في الصحيفة الأمر بقتله ، فألقى الصحيفة وأراد أن يلحق طرفة فلم يدركه ، وفرّ الى ملوك غسان ، وذهب طرفة الى عامل البحرين وقتل هناك وعمره بضع وعشرون سنة

\* \* \*

شعره

شعره - قال طرفة الشعر وهو صبي " فنبغ فيه حتى عدّ من الفحول ولم ينيف على العشرين ، وزاد عليهم بقصيدته الطويلة التي وصف فيها الناقة بخمسة وثلاثين بيتاً وصفاً لم يسبقه اليه أحد ؛ وتعد معلقته من أجود المعلقات وأكثرها غريباً وأغزرها معنى ، وأدقها وضعاً . ورؤى له غيرها من الشعر ولكنه قليل بالنسبة الى شهرته ، وربما دل هذا على أن الرواة قد جهلوا أكثره

ويجيد طرفة الوصف في شعره مقتصراً فيه على بيان الحقيقة مع قصد في الغلو ومعاظلة في بعض التراكيب واسترسال في حوشى اللفظ وخفي المعنى<sup>(١)</sup> ، وكذلك كان

(١) قال يصف ناقته : لها فخذان اكل النحض فيهما  
كانت باها مئيف ممرد  
وأجرة لزت بدأى منضد  
وطى محال كالحنى خلوفه  
وأطر قسى تحت صلب مؤيد  
كان كناسى ضالة يكتفانها



هجاؤه على شدة وقعه ؛ ومطلع معلقته:

لِحَوْلَةِ (١) أَطْلَالُ بَيْرُقَةٍ (٢) شَهْمِدِ (٣)  
تُلُوحِ (٤) كَبَاقِي الوَشْمِ (٥) فِي ظَاهِرِ اليَدِ  
وَمِنْ أَجُودِهَا قَوْلُهُ :

أَرَى المَوْتَ يَعْتَاقُ (٦) الكِرَامَ وَيَصْطَفِي  
أَرَى العَيْشَ كَنَزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ  
لِعَمْرُكَ إِنْ المَوْتَ ( مَا أَخْطَأَ الفَتَى )  
مَتَى مَا يَشَاءُ يَوْمًا يَقْدَهُ لِحَتْفِهِ  
وَمِنْ أَيْبَاتِهِ السَّائِرَةِ :

وِظْلُمِ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً  
أَرَى المَوْتَ أَعْدَادَ (٩) النُّفُوسِ وَلَا أَرَى  
سَتْبِدِي لِكَ الأَيَّامِ مَا كُنْتُ جَاهِلاً  
قَدْ يَبِيعُ الأَمْرُ الصَّغِيرُ كَبِيرَهُ  
عَلَى المَرءِ مِنْ وَقَعِ الحُسَامِ المِهْنَدِ  
بَعِيداً غَدًا ! مَا أَقْرَبَ اليَوْمِ مِنْ غَدِ !  
وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودْ  
حَتَّى تَظَلَّ لَهُ الدَّمَاءُ تَصَبَّبُ

وَمِنْ قَوْلِهِ يَفْتَخِرُ :

نَحْنُ فِي المَشْتَاةِ (١٠) تَدْعُو الجَفَلَى (١١)  
حِينَ قَالِ النَّاسُ فِي مَجْلِسِهِمْ  
لَا نَرَى الأَدَبَ (١٢) فِينَا يَنْتَقِرُ (١٣)  
أَقْتَارُ (١٤) ذَاكَ أَمْ رِيحُ قَطْرُ (١٥)

(١) اسم محبوبته (٢) البرقة مكان اختلط ترابه بحجارة أو حصى

(٣) موضع في ديار بني عامر (٤) تلوح تلمع

(٥) النقش على اليد وغيرها بالنيلج وهو المسمى الآن ( بالدق )

(٦) يختار (٧) كرام المال

(٨) الطول الجبل الذي يطول للدابة فترعى فيه والثني الطرف والجمع أثناء ، والمعنى أقسم

بحياتك أن الموت مدة مجاوزته للفتى بمنزلة جبل طول الدابة ترعى فيه وطره يده صاحبه ، فكما

أن الدابة لا تفلت ما دام صاحبها أخذاً بطرفي طولها فكذلك الانسان لا يهرب من الموت

(٩) جمع عدد ، أى لكل انسان ميمته فاذا ذهبت النفوس ذهبت ميمتهم كلها ، أو جمع عدد

بالكسر وهو الماء الذي لا تنقطع مادته وكل أحد يرده

(١٠) أى زمن الشتاء والبرد وهو أشد الزمان عندهم لما فيه من المحل والجذب

(١١) الدعوة العامة الى الطعام (١٢) الذى يدعو الى المأدبة

(١٣) يدعو المقرى وهى الدعوة الخاصة (١٤) ريح شواء (١٥) العود الذى يتبخر به



بِحِفَانٍ تَعْتَرِي (١) نَادِيَنَا مِنْ سَدَيْفٍ (٢) حِينَ هَاجَ الصَّنْبِيرُ (٣)  
 كَالْجَوَابِي (٤) لَا تَنِي (٥) مُنْرَعَةً (٦) لِقَرِي (٧) الْأَضْيَافِ أَوْ لِلْمُحْتَضِرِ (٨)  
 ثُمَّ لَا يُحْزَنُ فِينَا لِحَمِّهَا إِنَّمَا يُحْزَنُ لِحَمِّ الْمَدْخِرِ  
 وَلَقَدْ تَعَلَّمَ بَكْرٌ أَنَا آفَةَ الْجُزْرِ مَسَامِيحَ يُسْرِ (٩)  
 وَلَقَدْ تَعَلَّمَ بَكْرٌ أَنَا فَاضِلُوا الرَّأْسَ وَفِي الرَّوْعِ وَقُرُ (١٠)  
 يَكْشِفُونَ الضَّرَّ عَنْ ذِي ضُرِّهِمْ وَيُبْهِرُونَ عَلَى الْآبِي الْمُبْرِ (١١)  
 فَضْلٌ أَحْلَامُهُمْ عَنْ جَارِهِمْ رُحْبُ الْأَذْرَعِ بِالْخَيْرِ أَمْرٌ (١٢)  
 ذُلُقٌ فِي غَارَةٍ مَسْفُوحَةٍ وَلَدَى الْبَاسِ حِمَاةٌ مَا نَفَرُ (١٣)  
 نُمْسِكُ الْخَيْلَ عَلَى مَكْرُوهِهَا حِينَ لَا يُمْسِكُهَا إِلَّا الصُّبْرُ (١٤)

### (٧) أَعْشَى قَيْسٍ

هو أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس بن جندل القيسي ، رابع فحول  
 الجاهلية ، وأمدحهم للملوك ، وأوصفهم للخمر ، وأغزهم شعراً ، وأكثرهم عروضا  
 واقتنائاً ، وطوالاً جيداً . وينتهي نسبه إلى بكر بن وائل ، وكان من أهل اليمامة ،  
 يسكن قرية منها تُسمى مَنْفُوحَة . ونشأ في بدء أمره راويةً لحاله المُسَيَّب بن  
 عَاسٍ أحد الشعراء المُقلِّدين المُجيدين . وكان الأعشى يُطْرِى شعره ويأخذ منه ،

(١) تلم وتأتى نادينا (٢) شحم السنام (٣) أشد ما يكون من البرد (٤) جمع  
 جاية وهي الحوض العظيم (٥) لا تفتر بل هي لا تزال (٦) مملوءة  
 (٧) لاكرام الاضياف (٨) النازلين معنا على الماء

(٩) الجزر جمع جزور والمساميح الامخياء واليسر الداخلون في الميسر والمفرد يسور  
 (١٠) جمع وقور أى لا تززع (١١) أبر عليه غلبه ، والآبى الممتنع ، والمبر العالب  
 أى يغلبون الغالبين للناس (١٢) جمع أمور وهو الكثير الامر  
 (١٣) أى مسرعون الى الغارة ، متقدمون فيها وأصله من زلق السيف اذا كان يخرج من  
 نغمه ، ومسفوحه مصبوبة

(١٤) أى تمسك الخيل على ما تلقاه من شدة الحرب وجهدها ولا تنهزم ، وإنما ذكر مكروه  
 الخيل لانها اذا أصابها مكروه في الحرب فهم أجدر أن يصيدهم



حتى إذا جاد شعره ونبه شأنه ، قصد الملوكَ والاجواد ، وطوّف اليهم الآفاق ، وأقاصى البلدان مادحاً لهم مُستجدياً عطاياهم . وهو أوّل من صرح في شعره بالسؤال وطلب الحاجة ، فوضع ذلك من شأنه ؛ وكان الشعراء قبله يمدحون ولا يسألون ، وكان ينتاب بالمديح بنى عبد المدان ملوك نجران وأساقفتها ، يُقيم عندهم ما يشاء ، يشرب الخمرَ ويسمع الغناء ويأخذ عندهم بعض آرائهم في العقائد ، فجاد لذلك وصفه للخمر ، وظهر بعض معتقدهم في كلامه ، كما كان ينتاب ملوك الحيرة وخاصة الأسود أخا النعمان بن المنذر . وما زال هذا شأنه ، حتى طمِع في جوائز كسرى ، فرحل إليه يمدحه بالشعر العربيّ فأجزل عطاءه ، وان لم يرقّ عنده شعره ، لسوء ترجمته له

وعميّ الأعشى ، وطال عمره ، حتى كان الاسلامُ وعظُم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بين العرب ، فأعدّ له قصيدة يمدحه بها وقصده بالحجاز ، فلقية كفار قريش وصدّوه عن وجهه على أن يأخذ منهم مائة ناقة حمراء ويرجع إلى بلده : لتخوّفهم أثر شعره ، ففعل . ولما قرُب من اليمامة سقط عن ناقته فدقت عنقه ومات . ودفن ببلدته منفوحة باليمامة

\*  
\*  
\*

شعره - يُعدُّ الأعشى عند الكثيرين رابعاً لثلاثة الفحول : امرئ القيس ، والنابغة ، وزهير ، وإن كان يمتاز منهم بغزارة شعره ، وكثرة ما روى له من الطوال الجياد ، ونظمه من أكثر أعاريض الشعر وضروبه ، وتفنّنه في كل فنّ من أغراضه ، واشتهر من بينهم بالمبالغة في وصف الخمر ، حتى قيل ، أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب . ولشعره طلاوة وروعة ليست لكثير من شعر غيره من القدماء . ولقوة طبعه وجلبّة شعره سُمّي صنّاجة<sup>(١)</sup> العرب حتى ليُحِيلَ إليك إذا أنشدت شعره أن آخرَ ينشد معك . ولجلالة شعر الأعشى في صدور العرب ، وسرعة طيرانه بين قبائلهم كان يرفع الوضع الخامل ،

أثر شعره

(١) وقيل سُمي صنّاجة لذكره الصنج في شعره وهي آلة موسيقية ( العمدة )



ويخفض الشريف النابه . ومن الذين رفعهم شعر الأعشى المحلق<sup>(١)</sup> ، وقد كان أبا  
ثماني بنات عوانس رغبت عن خطبتهن الرجال لفقهرهن ؛ فأضافه على فقره ، فمدحه  
الأعشى ونوّه بذكره في عكاظ ، فلم يمض عام حتى لم تبقى جارية منهن إلا وهي زوج  
لسيد كريم . وكان الأعشى ينظر في شعره ، ويتملح بذكر بعض أسماء الادوات  
والازهار باللغة الفارسية<sup>(٢)</sup> اعلاناً منه أنه دخل بلاد القوم ، وجالسهم ، وصدر  
عن ملوكهم . وعدّه بعضهم من أصحاب المعلقات ؛ وذكر قصيدته التي يمدح بها  
الاسود الكندي ، ومطلعها :

ما بكاء الكبير بالأطلال . وسؤالي وما تردّ سؤالي

ومن جيد شعره قصيدته التي أعدّها ليُنشدّها بين يدي رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يمدحه فيها فلم يفزْ بذلك وأوّلها :

ألم تَعْتَمِضْ عيناك لَيْلَةَ أَرْمَدًا<sup>(٣)</sup> وبتّ كما بات السليم<sup>(٤)</sup> مسهّداً<sup>(٥)</sup>  
ومنها يتحدّث عن ناقته ويمدح النبي صلى الله عليه وسلم :

فأليت لا أرثي لها من كلاله<sup>(٦)</sup> ولا من حَفَى<sup>(٧)</sup> حتى تُلَاقِي مُحَمَّدًا  
متى ما تُناخِي عند باب ابن هاشم تراحي<sup>(٨)</sup> وتلقني من فواضله ندى  
نبيّ يرى ما لا يرون وذكره أغار لعمرى في البلاد وأنجدا<sup>(٩)</sup>  
له صدقات ما تُغَبُّ<sup>(١٠)</sup> ونائل وقصيدته في مدح المحلق وأوّلها :

أرقت<sup>(١١)</sup> وما هذا الشهاد المؤرّق وما بي من سُقم وما بي تعشّق

(١) سمي كذلك لان فرساً عضه فصار موضع عضته كالحلقة

(٢) وشاهدنا الجل والياسمين والمسمعات بأقصابها

وبربطنا دائم معمل فأى الثلاثة أزرى بها

(٣) رجل أرمد به رمد في عينيه (٤) الملدوغ ، وسمى بذلك تفاؤلاً

(٥) لا ينام (٦) تب (٧) رقة القدم (٨) تستريحى (٩) اغار دخل النور وهو كل

ما انحدر مغرباً عن تهامة ، وانجد دخل النجد وهو ضد النور (١٠) تنقطع (١١) سهرت



ومنها :

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في اليفاع<sup>(١)</sup> تحرق  
تُسبُّ لمقرورين<sup>(٢)</sup> يصطليانها<sup>(٣)</sup> وبات على النار الندى<sup>(٤)</sup> والمحلق  
رضيحي لبان ثدى أم تقاسما بأسحهم داج : عوض لا تفرق<sup>(٥)</sup>  
ترى الجود يجرى ظاهراً فوق وجهه كما زان متن الهندواني رونق  
يداه يدا صدق فكف مبيدة<sup>(٦)</sup> وكف اذا ما ضن بالمال تنفق  
ومن آياته السائرة :

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً غيرى وعلق أخرى ذلك الرجل  
كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

### (٨) الحارث بن حازة

هو الحارث بن حازة الشكري البكري أحد أصحاب المعلقة ، والمشهورين بالواحدات ، والمجيدين على البديهة والارتجال ، والمضروب بهم المثل في الحماسة والافتخار ؛ ويتصل نسبه الى بكر بن وائل وكان فيها بمنزلة عمرو بن كلثوم في تغلب . ولم يؤثر عنه غير قطع يسيرة وقصيدته المعلقة التي مطلعها :

آذنتنا<sup>(٧)</sup> بينها<sup>(٨)</sup> أسماء رُبَّ ثاوٍ<sup>(٩)</sup> يمل منه التواء

سبب ارتجال  
المعلقة

وكان من أمر هذه المعلقة أن عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة أصلح بين بكر وتغلب بعد حربهما المشهورة بحرب البسوس . وأخذ من كلا الفريقين رهائن من أبناءهم ليكف بعضهم عن بعض ، وليقيد منها للمعتدى عليه من المعتدى ، فحدث أن سرح الملك ركباً من تغلب في بعض حاجته ، فرزعت تغلب أن الركب نزلوا على ماء لبكر فأجلوهم عنه وحملوهم على المفازة فماتوا عطشاً ، وتزعم بكر أنهم سقوهم

(١) التل (٢) أصابهما البرد (٣) يستدوثان بها (٤) الكرم (٥) بأسحهم داج يريد  
ليلا شديد السواد ، والمعنى ان الكرم والمحلق رضعا من ثدى واحد وتعاهدا على انهما لا يفترقان  
أبدأ (٦) متلفة (٧) أعلمتنا (٨) فراقها (٩) مقيم



وأرشدوهم الطريق فتأهوا وضلوا وهلكوا . وذهب الفريقان يتدافعان عند عمرو ابن هند ، وكانت ضلعه مع تغلب ، فهاج ذلك الحارث بن حلزة وكان في المجلس مستوراً عن الملك بستارة لما فيه من البرص ، فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً يفتخر فيها بقومه وفعالهم وحسن بلائهم عند الملك وعظم أيامهم معه ، فما أتم قصيدته حتى انقلب الملك الى جانب البكرين واستدني الحارث ورفع الستر بينه وبينه حتى صار معه في مجلسه . وعمر الحارث طويلاً حتى قيل : انه أنشد هذه القصيدة وعمره خمس وثلاثون ومائة سنة

\* \*

شعره — أكثر الرواة ونقده الشعر معجبون بارتجال الحارث بن حلزة قصيدته على طولها وإحكام نظمها ، وكثرة غريبها ، وتعدد فنونها ، واشتمالها على كثير من أيام العرب ووقائعها ومن قوله فيها وهو أوجز ما قيل في وصف التأهب للارتجال وأصدقه وأوضحه تصويراً للحقيقة :

أجمعوا أمرهم عشاءً فلماً أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء<sup>(١)</sup>  
من منادٍ ومن مجيبٍ ومن تَصَّهال خيل ، خلال ذاك رُغَاء<sup>(٢)</sup>  
ومن قوله فيها :

لا يُقيمُ العزيزُ بالبلدِ السَّهْلِ ولا يَنْفَعُ الدَّلِيلَ النَّجَاء<sup>(٣)</sup>  
ليس يُنْجِي مَوَائِلًا<sup>(٤)</sup> من حِذَارٍ رأس طوودٍ وحرَّة رجلاء<sup>(٥)</sup>  
ومن قوله في غير المعلّقة :

مَنْ حَاكَمَ بَيْنِي وَيَسْنُ الدَّهْرَ مَالٍ عَلَيَّ عَمْدًا

(١) الضوضاء اختلاط الاصوات (٢) الرغاء صوت البعير (٣) الاسراع في السير (٤) وأل هرب ونزع كواء (٥) الحرة الارض ذات الحجارة السوداء النخرة ، والرجلاء الغليظة الشديدة التي يترجل فيها ، يريد ان الشركان شاملا لم يسلم منه العزيز ولا الذليل ، وان الهارب منهم لم ينجهم بالجيل ولا بالحرّة الغليظة الشديدة



أودى بسادتنا وقد تركوا الناحقاً<sup>(١)</sup> وجُرُدا<sup>(٢)</sup>  
خيلي وفارسها وربِّ م أبيك كان أعزَّ فقدا  
فلو أن ما يأوى إلى م أصاب من مهْلان<sup>(٣)</sup> هُدا  
فضعى قناعك<sup>(٤)</sup> ان ريب الدهر قد أفنى معداً  
فلكم رأيتُ معاشراً قد جمَّعوا مالاً وولدا  
وهم رباب حائر<sup>(٥)</sup> لا يُسمع الآذان رعدا  
فغش بجِدِّ لا يضِرُّ لك النوكُ أما لا قيت جدًّا<sup>٧</sup>  
والعيش خير في ظلا ل النوكُ ممن عاش كدًّا

ومن قوله :

ان السعيد له في غيره عظة وفي التجارب تحكيم ومعتبر

### (٩) لبيد بن ربيعة

هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامريّ أحد أشراف الشعراء المجيدين ، والقوَّاد  
الفرسان المعمرين ، والأجواد العريقين والحكماء المحنِّكين . وهو من بني عامر  
ابن صعصعة احدى بطون هوازان من مضر ، وأمه عبسية . نشأ لبيد جواداً شجاعاً  
فاتكاً : أما الجود فورثه عن أبيه الملقب بربيعة المعترين ، وأما الشجاعة والفتك  
فهما خصلتا قبيلته ؛ اذ كان عمه ملاعب الاسنة أحد فرسان مضر فى الجاهلية .  
وكان بين قبيلته وبين بنى عبس أخواله عداوة شديدة ، فاجتمع وفداهما عند النعمان  
ابن المنذر ، وعلى العبسين الربيع بن زياد ، وعلى العامريين ملاعب الاسنة ، وكان  
الربيع مقرَّباً عند النعمان يواكله وينادمه ، فأوغر صدره على العامريين ، وعدَّد  
معايهم ومخازيهم . فلما دخل وفد هم على النعمان غض منه وأعرض عنه ، فسقَّ

(١) سلاحا (٢) خيلا (٣) جبل لبني نمر (٤) القناع ما تستر به المرأة رأسها  
(٥) سحاب أبيض لم يتجه جهة (٦) الحق (٧) حظا



ذلك عليهم وخرجوا غضابا يتذاكرون في أمرهم مع الملك ، وليد يومئذ صغير يسرح إبلهم ويرعاها ، فسألهم عن خطبهم فاحتقروه لصغره ، فألح حتى أشركوه معهم ، فوعدهم أنه سيتقم لهم منه غداً عند النعمان أسوأ انتقام : بهجاء لا يجالس به بعده ولا يؤاكله ؛ فكان ذلك ، ومقت النعمان الربيع ولم يقبل له عذراً ولم يجتمع به بعد ، وأكرم العامريين وقضى حوائجهم . فكان هذا أول ما اشتهر به لبيد . ثم قال بعد ذلك المقطعات المطولات ، وشهد النابغة له وهو غلام بأنه أشعر هوازن حين سمع معلّته التي أوّها :

عفت الديار محلها فمقامها      بنى تأبّد غولها فرجامها (١)

ومن حوادث فتكه أن الحارث الاعرج الغسانی أرسل مائة من الفتيان القتاك على رأسهم لبيد ، ليعتالوا المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ، فذهبوا إليه وأظهروا أنهم أتوه داخلين في طاعته ، فأدناهم إليه ، ولما صادفوا منه غرّةً قتلوه وهربوا ، فتبعهم جنود المنذر وقتلوا كثيراً منهم وفرّ البقية وفيهم لبيد - ولما ظهر الاسلام وأقبلت وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم جاء لبيد في وفد قومه بني جعفر ابن كلاب بن عامر وأسلم وعاد إلى بلاده وحسن اسلامه ، وتنسك وحفظ القرآن كله وهجر الشعر حتى قيل لم يرو له في الاسلام غير بيت واحد وهو (٢) :

ما عاتب الحرّ الكريم كنفسه      والمرء يصلحه المجلس الصالح

وبعد أن فتحت الامصار ذهب إلى الكوفة زمن عمر واختارها دار إقامة .

ومن أحاديث جوده أنه نذر في الجاهلية (الآتهب الصبا الأأطعم) وألزم ذلك نفسه في الاسلام ، وكانت له جفنتان يغدو بهما ويروح على مسجد قومه بالكوفة فهبت الصبا والوليد بن عتبة والى الكوفة على المنبر ، وليد يومئذ قليل

(١) الديار في الاصل ما حلّ فيها لا يام معدودة ، والمقام ما طالت الإقامة به ، ومنى موضع بنجد غير منى مكة ، تأبّد توحش ، الغول ما انهبط من الارض ، والرجام واحده رجمة وهي الهضاب وقيل الغول والرجام موضعان

(٢) وقيل هو : الحمد لله اذ لم يأتني أجلى حتى اكتسيت من الاسلام سربالا



المال ، فخرّض في خطبته الناس أن يعينوه على مروءته ففعلوا ، وبعث هو اليه مائة بكرة ، فشكرته ابنة لبيد عن أبيها على ذلك بشعر جميل . وما زال بالكوفة حتى مات في أوائل خلافة معاوية سنة احدى وأربعين من لهجرة ؛ ومن ذلك تعلم أنه من كبار المعمرين ، وقد قيل انه عاش ثلاثين ومائة سنة

شعره - انما جعلنا لبيداً في فحول الجاهلية وان عمّر في الاسلام أكثر من أربعين سنة : لأنه كما قدمنا لم يكن شاعراً في الاسلام ، بل لم يصح عنه فيه الا بيت واحد . وقال لبيد الشعر ونبع فيه وهو غلام ، وجرى فيه على سنن الأشراف والفرسان : كعترة وعمرو بن كلثوم ، فلم يجعله مورد كسب ، ولذلك ترى في شعره ولا سيما معلقته نبالة الفخر والتحدث بالفتوة والنجدة والكرم واىء الجار وعزة القبيل . ويشابه علوّ همته جزالة لفظه ، وغمامة عبارته ، ودقة معانيه ، وشرف مقاصده ، وقلة اللغو في قوله ، وكثرة اشتماله على عقائد الايمان والحكمة الصادقة والموعظة الحسنة . وقد ثبت في الصحيحين شهادة النبي صلى الله عليه وسلم له بقوله أصدق كلمة قالها شاعرٌ كلمة لبيد (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) . وهو ممن يجيد الرثاء من الجاهليين ، ويأتى فيه بأبدع الحكم والأمثال التي تذهب الاحزان ، وتسلى الهموم ، وتهوّن على النفس ألم المصيبة وعبارته فيه سهلة تخلص الى النفس بلا عائق من غرابة في لفظ أو تعقيد في معنى

ومن جيد شعره قوله في معلقته مفتخراً بفعاله وقوله وقومه :

انّا اذا التقت الجماع لم يزل منا لزازٌ عظيمة جشّامها (١)

ومقسّم يعطى العشيّة حقها ومغذّمٌ لحقوقها هضامها (٢)

(١) رجل لزاز الخصوم يصلح لان يلز بهم أى يقرن ليغلبهم ويقهرهم ، جشم الامر كسمع تكلفه على مشقة وجشام مبالغة منه أى لا تخلو الجماع من رجل منا يتحلى بقمع الخصوم ويتكلف الخصام (٢) الغذمة الغضب ، والهضم الظلم . يريد منا الذى يقسم الفنائم فيوفر على المشائر حقوقها ويتغضب عند اضاعه شيء منها ويهضم حقوق عشيرته اذا ظلمت وجارت



فضلاً، وذوكرم يعين على الندى  
 من معشر سنت لهم آباؤهم  
 لا يطبعون ولا يبور فعالمهم  
 فافقع بما قسم المليك فانما  
 واذا الامانة قسّمت في معشر  
 فبني لنا بيتاً ربيعاً سمكه  
 وهم السعاة إذا العشيرة أفضعت  
 وهم ربيع للمجاور فيهم  
 وهم العشيرة أن يبطن حاسد  
 ومن قوله في النعمان يرثيه :

ألا تسألان المرء ما ذا يحاول  
 أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم  
 ألا كل شيء ما خلا الله باطل  
 وكل أناس سوف تدخل بينهم

(١) الرغائب جمع رغبة وهي العطاء الكثير ، والامر المرغوب فيه ، وفضلاً أى يفعل ذلك تفضلاً (٢) الطبع تدنس العرض وتلطّخه ، والبوار الفساد ، والاحلام العقول (٣) افضعت اصيبت بأمر فظيع (٤) ارمل القوم فقد زادهم أى هم لمن جاورهم وللنساء اللاتي نفدت ازواجهن بمنزلة الربع لعموم نفعهم واحياهم ايامهم بمجودهم (٥) هم متماضون كراهية ان يبطن الحساد بعضهم عن نصر بعض أو ان يميل لثامهم الى الاعداء

(٦) السؤال بمعنى الاستفهام ، والمحاولة استعمال الحيلة ، والنخب النذر - اسألوا هذا الحرص على الدنيا عما هو فيه أهو نذر نذراً على نفسه فلا بد من فعله أم هو ضلال وباطل من أمره (٧) الواسل الطالب والراغب الى الله - أرى الناس لا يعرفون ما هم فيه من خطر الدنيا وسرعة زوالها فالعاقل من يتوسل الى الله بالطاعة والعمل الصالح (٨) كل شيء غير الله تعالى زائل وفائت ومضمحل ليس له دوام (٩) التصغير للتعظيم والمراد الموت ، والمقصود من الانامل الاطفار لان صفتها لا تكون الا بالموت



وكل امرئٍ يوماً سيعلم غيبه إذا كشفت عند الإله الحصائل (١)  
 إذا المرء أسرى ليلته خال أنه قضى عاملاً والمرء ما دام عامل (٢)  
 فقولا له إن كان يقسم أمره: ألماً يعظك الدهر، أمك هابل (٣)  
 فتعلم أن لا أنت مدرك ما مضى ولا أنت مما تحذر النفس وائل (٤)  
 فان أنت لم ينفعك علمك فانتبسب لملك تهديك القرون الأوائل (٥)  
 فان لم تجد من دون عدنان والداً ودون معدٍ فلنترعك العواذل (٦)

### (١٠) أمية بن أبي الصلت

هو أبو عثمان أمية بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي شاعر  
 ثقيف وأحد الملتهمسين للدين في الجاهلية

منشؤه - نشأ بالطائف ، وكان أبوه شاعراً مشهوراً ، فأرثى أمية عليه ،  
 واستزاد النظر في الأديان ، وطلبها من أهل الكتاب ؛ وروى الكثير من أخبار  
 اليهود والنصارى ، وما بقى في رؤوس شيوخ الجاهلية من ملة إبراهيم واسماعيل ،  
 وحدث عن خلق السموات والأرض والملائكة والجن وشرائع الأنبياء والرسول ،  
 وخاض في التوحيد وأمر الآخرة ، وتعبد ولبس المسوح وحرّم الخمر على نفسه ،  
 وشك في الأوثان . ورأى في هذه الكتب ما يبشر ببعثة نبي من العرب فطمع أن  
 يكونه . فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كسف باله ، وحمله الحسد والكمد

(١) جمع حصيلة والمراد الحسنات والسيئات

(٢) إذا سهر المرء في عمل ظن انه فرغ منه ، وهو ما عاش يعرض له مثل ذلك

(٣) يقسم يدبر ، هبلته أمه تكلمته (٤) فتعلم بالصب جواب النفي ، وائل من وألت

بمعنى نجت والموئل المنحى

(٥) ان لم تنتفع بملكك فانتبسب وقل اين فلان بن فلان فانك لا ترى أحداً بقى ، لملك

تهديك وترشدك هذه القرون الحالية

(٦) تزعتك تكفك ، العواذل هنا الحوادث ، وعدنان جده الاعلى — يقول لم يبق لك

أب حى الى عدنان فكف عن الطمع في الحياة



أن يباذره ويكفر بدينه على علمه بصحته ، ويحرض عليه قريشاً ، ويرثى قتلاهم في وقعة بدر . فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن رواية شعره في ذلك . وروى أنه هو الذي نزلت فيه آية « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين » وكان عليه الصلاة والسلام اذا سمع شعره في التوحيد والإيمان والثناء على الله يقول : آمن لسانه وكفر قلبه . واختص بأكثر مدائح في الجاهلية عبد الله بن جُدعان ( أحد سرة قريش وأجوادها ) حتى كان منه بمنزلة زهير مع هرم . وأقام بقية حياته بالطائف الى أن مات بها كافراً سنة تسع للهجرة

شعره - يعد أمية من أكبر شعراء القرى على قلة الشعر فيهم ، غير أن الذي أزرى بشعره في نظر بعض علماء العربية حتى أسقطوا الاحتجاج به كثرة استعماله للدخيل من العبرية والسريانية في شعره ، كأنهم أنكروا عليه حق التعريب لشدة مخالطته للأعاجم وان كان عربياً صريحاً كما أنكروه على عدى بن زيد لادخاله الكثير من ألفاظ الفرس في شعره وطول معاشرته لهم

وكان أمية يسمي السماء صاقورة ، وحاقورة ، ويزعم أن للتمر غلافاً يدخل فيه إذا خسف ويسميه ( الساهور ) ويسمى الله في شعره السُّلْطَيْط ، والتَّغْرور ونحو ذلك ويمتاز شعره ببعض السهولة في لفظه وبذكره بعض العجائب من القصص الخيالية والأساطير الخرافية ، وخلق العالم وفنائه ، وأحوال الآخرة وصفات الخالق والخشوع له ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء قبله ، ويتخلل ذلك شئ من الحكم والأمثال

ومن شعره :

الحمد لله مُمَسَّاناً ومُصَبَّحِنا	بالخير صَبَّحنا ربي ومَسَّاناً
ربَّ الحنيفة <sup>(١)</sup> لم تَنفَدْ خَزَائِنُه	مملوءة طَبَّقِ الآفاقِ سلطاناً
ألا نبيَّ لنا منَّا فيخبرنا	ما بعد غايتنا من رأسِ محيانا

(١) يريد بها ملة ابراهيم

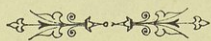


وقد علمنا لو أن العلم ينفعنا  
وعتب على ابن له فأنشأ يقول :

عذوتك مولوداً وميتك يافعاً  
إذا ليلةً نابتك بالشجولم أبت  
كأني أنا المطروق دونك بالذي  
تخاف الردى نفسى عليك وإني  
فلما بلغت السن والغاية التى  
جعلت جزأى غلظة وفضاظة  
ومن قوله فى المدح :

عطاؤك زين لامرئٍ قد حبوته  
وليس بشين لامرئٍ بذل وجهه  
ومن قوله وقد حضرته الوفاة :

إن تغفر اللهم تغفر جمياً  
وأى عبدٍ لك لا أعمأ





## الرواية والرواة

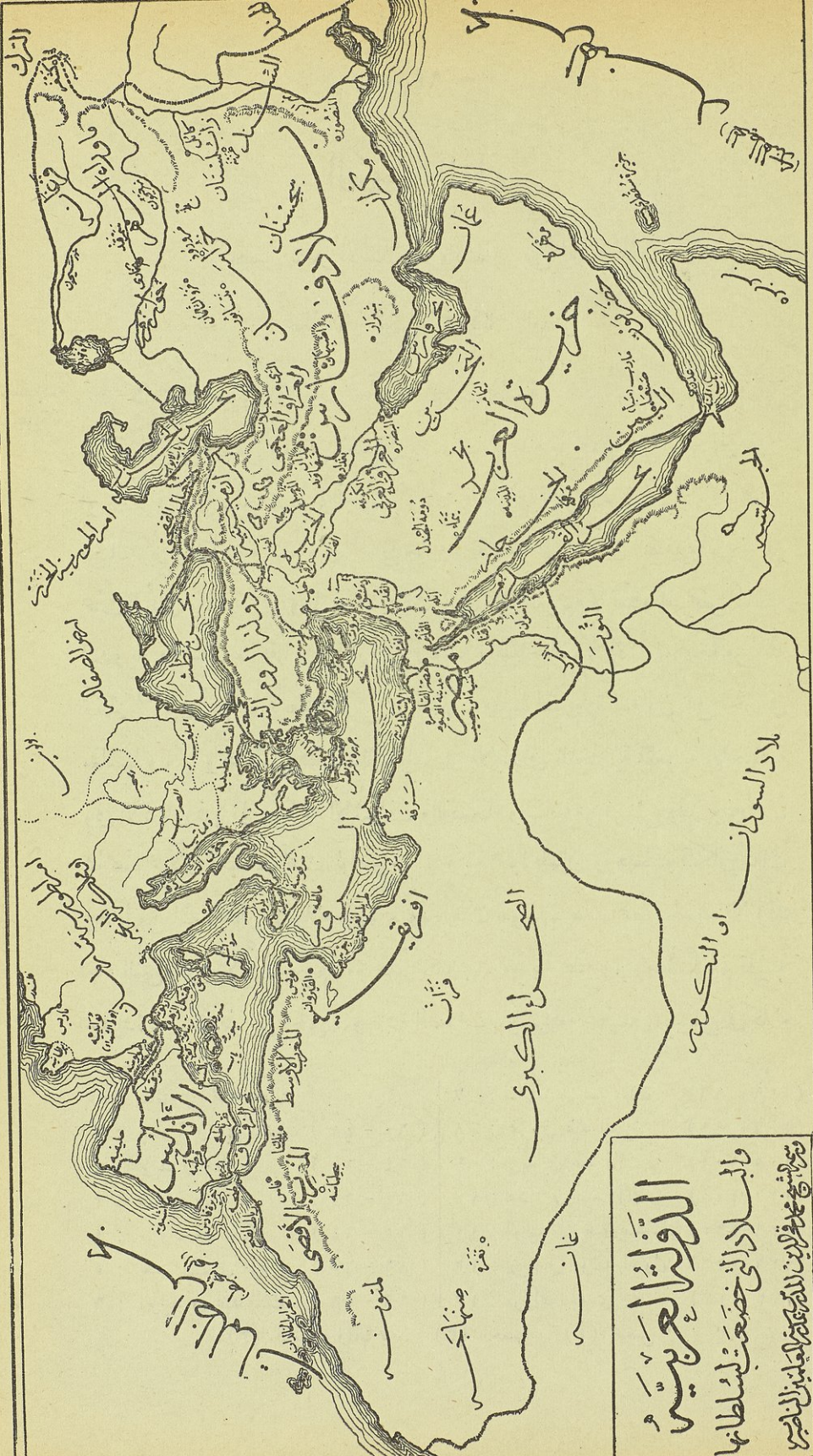
قد علمنا مما تقدم أن عامة المروى من كلام العرب : شعرها ونثرها وأخبارها معزوة إلى أهل البدو الأيمنين ، ولذلك لم يصل إلينا كتابٌ يجمع بين دفتيه الكثير منها ، إلا ما روى عن هشام بن الكلبي : من أنه استخرج أخبار ملوك الحيرة من بعض صحفهم ، والأما قيل من حديث الطنوج<sup>(١)</sup> التي عثر عليها المختار النقي تحت قصر النعمان بالحيرة ؛ وما روى لنا من كلام فصحاء العرب ليس إلا النزر اليسير بوجوه مختلفة : من نقص وزيادة ، وتقديم وتأخير ، ووضع لفظ موضع آخر ، إذ لا يعقل أن الناس كيفما قويت ملكة الحفظ فيهم ( كما هو شأنها في الأمة العربية ) يضبطون كل ما يسمعونهُ طبق أصله بلا تغيير ولا تبديل ، ولو كان هذا الأمر ممكنًا لغنيت أمة به عن الكتابة ولن تغنى . وبالطبع لا يحفظ هذه الوديعة إلا أهل الحفاظ عليها والاعتداد بها ، وهم الشعراء والمتأدبون وأرباب الاحساب والمفاخر ، فقد كان امرؤ القيس راوية أبي دواد الايادي ، وزهير راوية أوس بن حجر والاعشى راوية المسيب بن علس

واشتهر من قريش أربعة بأنهم رواة للناس للأشعار وعلماؤهم بالانساب وهم : مخزومة بن نوفل ، وأبو الجهم بن خديفة ، وحويطب بن عبد العزى وعقيل بن أبي طالب



(١) الكراريس ولا واحد لها





الدولة العثمانية  
 والبلاد التي خضعت لسلطانها  
 في سنة ١٠٤٠ هـ الموافق ١٦٢٩ م

بلاد السعديين  
 أو الكركي

الصحراء الكبرى

غانم

صنهاج

ملق

الديار الاقصى

الديار الاقصى

١٠٤٠

قزاق

افقي

قزاق

قزاق

قزاق

قزاق

قزاق

قزاق

قزاق

١٠٤٠

١٠٤٠

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار

الديار



## العصر الثاني

عصر صدر الاسلام، ويشمل بنى أمية<sup>(١)</sup>

حالة اللغة وآدابها في ذلك العصر

خص حالة اللغة  
في الجاهلية

كانت العرب في أخريات جاهليتها بحسب طبيعة أرضها أمماً بدويّةً، وقبائل رحالة، ليس لها من وسائل العمران وأسباب الرخاء ما يحملها على تبخّر في علم، أو تبصّر في دين، أو تفنّن في تجارة، أو تأنّق في زراعة، أو تدبّر في سياسة؛ وكانت من التدابّر والنقاطع والتساؤل<sup>(٢)</sup> على حال لم تقتصر على سكّان القفر والوَبَر، بل عمّت المُدُنَ والمدَرَ<sup>(٣)</sup>، وعلى وَفْق ذلك كانت اللغة العربية لا تعدّو أغراض المعيشة البدوية ووصف مرافقها، وإثارة المنازعات والمشاحنات، إلا أن روحاً من الله تنسّم<sup>(٤)</sup> بين أرجائها فأيقظها من رقدتها، ونبّها لضرورة التعاون على الخير في معاشها ولغتها وجماعتها؛ فظهر ذلك بيّناً في الأسواق التجارية اللغوية الاجتماعية وفي الإذعان فيها الى حكومة الأشرف والفصحاء والنبلاء من قريش وقيم وغيرهما؛ مما هيّأهم لأن يجتمعوا تحت لواء واحد، ويتفاهوا بلسان واحدة، فكان ذلك إيذاناً من الله باظهار الاسلام فيهم. وما ألفت نفوسهم هذا النمط الجديد إلا وقد جاء النبي الكريم لا مألّاً لشعثهم، موحّداً لكلمتهم، مهديّاً لطباعهم، منشئاً لهم تنشئةً جديدة، مبيّناً طريق الحق، وجادّة الصواب، بشريعة عظيمة، تتمثّل في كلام

( ٩٦ - ٩٩ )	٧ : سليمان بن عبد الملك	( ١ ) خلفاء بنى أمية هم :
( ٩٩ - ١٠١ )	٨ : عمر بن عبد العزيز	١ : معاوية بن ابى سفيان ( ٤١ - ٦٠ )
( ١٠١ - ١٠٥ )	٩ : يزيد بن عبد الملك	٢ : يزيد بن معاوية ( ٦٠ - ٦٤ )
( ١٠٥ - ١٢٥ )	١٠ : هشام بن عبد الملك	٣ : معاوية بن يزيد ( ٦٤ - ٦٤ )
( ١٢٥ - ١٢٦ )	١١ : الوليد بن يزيد بن عبد الملك	٤ : مروان بن الحكم ( ٦٤ - ٦٥ )
( ١٢٦ - ١٢٦ )	١٢ : يزيد بن الوليد الاول	٥ : عبد الملك بن مروان ( ٦٥ - ٨٦ )
( ١٢٦ - ١٣٢ )	١٣ : مروان الحمدي	٦ : الوليد بن عبد الملك ( ٨٦ - ٩٦ )
	( ٣ ) الحضرة ( ٤ ) تنفس	( ٢ ) التواثب والمهاجمة



الله وكلام رسوله ؛ فكان من نتيجة ذلك ان أُسِّسَتْ لهم جامعة قومية مليية وملك كبير وبالتفاف العرب حول صاحب هذه الدعوة وأنصاره ، وتفهمهم شريعته وكلامه ثم خضوعهم بعد لزامة<sup>(١)</sup> قومه وخلفائه ، وولاتهم وأعوانهم وأنصارهم ، وفتحهم تحت أويتهم ممالك الاكاسرة والقياصرة وغيرها : من جبال البرانس<sup>(٢)</sup> الى الهند والصين ومخالطتهم أهلها بالجوار والمصاهرة ، حدث في حياتهم الفكرية واللسانية ما يمكن اجماله في الأمور الآتية :

الأوّل - شيوع اللغة القرشبية ، ثم توخُّد لغات العرب وتمثلها جميعها في لغة قريش ، واندماج سائر اللهجات العربية فيها . وبعض أسباب هذا يرجع الى ما قبل الاسلام بتأثير الأسواق والحج واختيار قريش ، وأكثرها يرجع الى نزول القرآن بلغتهم ، وظهور ذلك الداعي العظيم منهم ، واتشار دينه وسلطانه على أيديهم ، اذ كانوا هم القائمين بأمر الاسلام بعد فتح مكة ، ومنهم كان الخلفاء والأمراء وقادة الجيوش ورجالات الدولة وأصحاب الحل والعقد الذين تألفت منهم عصبية<sup>(٣)</sup> العرب في الاسلام ، وكان لهم الغلب على كل قبائله وأمه ؛ وبحكم الضرورة تكون لغتهم هي اللغة الرسمية بين كل القبائل . واذا علمنا أن أكثر رجال الدولة العربية من السلالات المضرية ، وهم أولاد عم قريش ، سهل علينا أن نعرف وجه انتحال أكثر العرب لغة قريش في زمن قليل . أما ما كان باقياً من لغة حمير فلم يكن متميزاً من لغة قريش بأمر جوهرى في إعراب أو أسلوب أو تصريف ، بل كان باختلاف بعض الألفاظ في دلالتها على المعاني المتحدة ؛ فمثلاً الشناتر ، بلغة حمير : الأصابع بلغة قريش ؛ والكُتَع عند حمير : الذئب عند قريش ؛ وأنطى في كلام حمير : أعطى في كلام قريش . الى غير ذلك مما له نظائر بين لغات بعض قبائل مضر أنفسها ولغات بعضها الآخر ؛ فمثلاً السُدفة : الظلمة عند تميم ، والضوء عند قيس وهكذا . ولذلك لم تتخلف

(١) رآسة (٢) جنوبي فرنسا

(٣) العصبية تناصر العشيرة والقبيلة بعضها لبعض والمراد هنا القوة



لغة حمير عن اللحاق بأخواتها من لغات العرب واندماجها في لغة قریش

الثانى - انتشار اللغة العربية في ممالك الفرس والروم وغيرها بالفتوح والمغازى (١)

وهجرة قبائل البدو اليها ، واستيطانهم لها ، واختلاطهم بأهلها ، وتقرب هؤلاء

الأعاجم اليهم بتعلم لغتهم والدخول في دينهم المستمد من القرآن العربي المبين

الثالث - ظهور اللحن في الكلام بين المستعربين : من الموالى ، وأبناء العرب

من الفتيات ، وبعض العرب المكثرين من معاشر الأعاجم

الرابع - اتساع أغراض اللغة بسلوكلها منهجاً (٢) دينياً ، واتباعها خطة نظامية

تقتضيها حال الملك وسكنى الحضرة وتتضح فيما يأتى :

اتساع أغراض  
اللغة

( ١ ) تبين العقائد الدينية التي جاء بها الاسلام : من اثبات وجود الخالق ،

وتوحيد ذاته ، وتقديس صفاته ؛ ومن الايمان بالبعث والنشور والثواب والعقاب

وغير ذلك مما لم يكن يفقهه بعضه الا بعض خاصة الجاهلية ، وأصبح بعد الاسلام

الشغل الشاغل لجمعهم بل للأمة الاسلامية جمعاء

( ٢ ) تبين الشريعة واستنباط الأحكام الملازمة لأحوال الزمان والمكان ،

والكافلة لحسن معيشة المرء في منزله ، ومعاملته للناس والسلطان

( ٣ ) استعمالها في ضبط أمور الملك ونظام العمران ، ونشر الامان والعدل ،

وفما تستدعيه مرافق أهل الحضرة والأمصار

( ٤ ) وضع مبادئ بعض العلوم ، وترجمة اليسير من العلوم الطبيعية والرياضية

والطبية

الخامس - ارتقاء المعانى ، ويظهر ذلك في الامور الآتية :

معانى اللغة

( ١ ) اتساع مادّة المعانى باتساع مادّة المشاهدات والمعقولات

( ٢ ) حسن نظامها ومراعاة الوفاق بينها . لارتقاء الفكر وتثقيفه بالنظر الصحيح

في أمور الدين والملك والاقبباس من حضارة الفرس والروم ، وتنوّع صور الخيال

وروعة جماله ، تبعاً لتنوع المرئيات الجميلة التي انتزع منها



السادس - تغيير الألفاظ والأساليب بما يأتي :

- ( ١ ) تهذيب ألفاظ اللغة : بمحاكاة ألفاظ القرآن الكريم والسنة في مجانبه  
عجاجة اللغة حوشي الألفاظ الذي ينبوعه السمع ، ويمججه الذوق السليم
- ( ٢ ) التوسع في دلالة الألفاظ : باخراجها من معنى إلى معنى بينه وبين الأوّل  
مناسبة ، ومن ذلك الالفاظ التي استعمالها الشارع في غير معناها الأصلي : كالصلاة  
والصيام والزكاة ، والمؤمن والكافر والفاسق والمنافق وغير ذلك ، والألفاظ التي  
استعملت في نظام الملك ، ومصطلحات العلوم والصناعات التي عرفت في ذلك العصر
- ( ٣ ) موت ألفاظ حظر الشارع استعمال مدلولاتها أو أعضائها غيرها كالرباع<sup>(١)</sup>  
والنشيط<sup>(٢)</sup> والفضول<sup>(٣)</sup> وكرم صباحاً ، وعم ظلاماً
- ( ٤ ) دخول طائفة من الألفاظ الاعجمية في الكلام وتسمى الكلمة حينئذ  
معربة<sup>(٤)</sup>

( ١ ) الرباع ربع الغنمة ، وكان يختص به قائد الغارة وفارسها

( ٢ ) ما كانوا يفتنونه سفوا في طريقهم الى غارة مقصودة

( ٣ ) الفضول ما فضل من القسمة مما لا يمكن قسمه على الغزاة كفرس ونحوه ويمطى لفارس  
الغارة أيضاً قال الشاعر العربي :

لك الرباع فنا والصفايا وحكمك والنشيط والفضول

( ٤ ) التعريب أن تدخل العرب كلمة من كلام العجم في لغتها ، وتجريها غالباً على منهاج أبنية  
كلمتها وتنطق بها من مخارج حروفها ، ويسمى اللفظ الاعجمي بعد استعماله « معرباً أو دخيلاً »  
والصحيح منه في غير الاعلام ( على ما قاله أئمة اللغة ) ما وقع في القرآن الكريم ، أو الحديث  
الصحيح ، أو الشعر القديم ، أو كلام من يوثق بعربيته ، وهم عرب الجاهلية ؛ وعرب الاسلام  
الفصحاء ؛ الى أواسط القرن الثاني . وما عربه المتأخرون من المترجمين والاطباء وغيرهم يسمى  
مولداً ، سواء أكان أعجمي الاصل أم محرفاً عن العربي . وقد أخذ العلماء على صاحب القاموس  
ذكر بعض الكلمات المولدة في معجمه من غير أن ينبه عليها ، فأوقع بمض الناس في لبس .  
والاشتقاق من الالفاظ الاعجمية سماعي كالتعريب نفسه : مثل ألجم وامجم من اللجام ؛ ومدرم  
ومدثر من الدرهم والدينار

هذا وإذا احتجنا الى وضع أسماء لمسميات لم تعرفها العرب ، ولم تضع لها ألفاظاً ، وجب أن  
نأخذها من الالفاظ العربية المهجورة القابلة للتصريف والخفيفة على السمع ، بشرط أن يكون بين  
المعنيين مناسبة ما ، ويسمى هذا بالوضع العرفي أو الاصطلاحى ، وهو قياسى عند علماء اللغة :  
لانه مبنى على المجاز القياسى



(٥) التأنق في صوغ الأساليب والتفنن في أنواعها وإحكام نظمها، ووصولها في البلاغة الى غايتها : لانبعث روح القرآن الكريم في قلوب المتكلمين بها ، وسلوكهم سبيله في البيان وحسن الأداء مؤثرين الایجاز علی الاسهاب في أكثر المواضع الى أن تقاصرت دونه أفهام الناشئين في الحضرة من العرب والمستعربين من العجم آخر هذا العصر ، فأصبح للاسهاب نصيب من عنايتهم لا يقل عن الایجاز ، ولما كان معظم هذه التغيرات يرجع إلى القرآن الكريم والحديث النبوي ، ناسب أن نذكر قِلاً من كُثْر مما ينبغي أن يقال فيها

## القرآن الكريم وأثره في اللغة

القرآن ( كتابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ) فيه آيات بينات ، ودلائلٌ واضحات ، وأخبارٌ صادقة ، ومواعظٌ راقية ، وشرائعٌ راقية ، وآدابٌ عالية ، بعبارات تأخذ بالألباب ، وأساليب ليس لأحد من البشر بالغاً ما بلغ من الفصاحة والبلاغة أن يأتي بمثلها أو يفكر في محاكاتها ؛ فهو آية الله الدائمة ، وحجته الخالدة ، ( لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ) . أنزله الله على رسوله ليبلغه قومه وهم خول البلاغة ، وأمرء الكلام ، وأبأه الضيم ، وأرباب الأنفة والحمية ، فبهرهم بيانه ، وأذهلهم افتتانه ، فاهتدى به من صح نظره واستخصف<sup>(١)</sup> عقله ، ولطف ذوقه . وصد عنه<sup>(٢)</sup> أهل العناد والمكابرة والأجاج<sup>(٣)</sup> فتحدهم<sup>(٤)</sup> أن يأتوا بمثله فنكصوا<sup>(٥)</sup> ، ثم بعشر سور مثله فعجزوا ، ثم بسورة من مثله فانقطعوا<sup>(٦)</sup> ؛ فحق عليهم إعجازه<sup>(٧)</sup> ، قال تعالى

(١) استحكّم (٢) أعرض عنه (٣) الخصومة (٤) تحدى الرجل خصمه باراه ونازعه الغلبة في الشيء (٥) اجموا (٦) انقطع في المحاجة غاب وسكت بهراً وانقطعت حجته (٧) أجمع المسلمون على أن القرآن معجز ، وسلكوا الى بيان اعجازه طرقاً شتى ، ونشير هنا الى نقطة من بحر مما قالوه ، فهو معجز :



(قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) (١)

وقد علمت مما تقدم في حالة اللغة ما كان له من الأثر البين في توحيد اللغة ونشرها وترقيتها من حيث أغراضها ، ومعانيها ، وألفاظها ، وأساليبها ؛ ونزيد هنا أنه قد أترفينا ما لم يُؤثره أيُّ كتاب سماوياً كان أو غير سماويٍّ في اللغة التي كان بها ؛ إذ ضمن لها حياة طيبة وعمراً طويلاً ، وصانها من كل ما يشوه خلقها ، ويذوي (٢) غَضارتها (٣) ؛ فأصبحت وهي اللغة الحية الخالدة من بين اللغات القديمة التي انطمست آثارها ، وصارت في عداد اللغات التاريخية الأثرية - وأنه قد أحدث فيها علوماً جمةً وفنوناً شتى لولاه لم تخطُر على قلب ، ولم يُخطَّ قلم : منها اللغة ، والنحو ، والصرف ، والاشتقاق ، والمعاني ، والبديع ، والبيان ، والأدب ، والرسم ،

أولاً - من جهة أغراضه ومقاصده - فتجده في كل غرض وموضوع غاية في الإبانة والجلالة ، ونهاية في الإصابة واطراد الاحكام : فمن تشريع خالد ، وتهذيب بارع ، وتعليم جامع ، وأدب بالغ ، وارشاد شامل ، وقصص واعظ ، ومثل سائر ، الى حكمة بالغة ، ووعد ووعيد ، واخبار بمغيب ، وغير ذلك من الاغراض والمقاصد

وقد كان فنون البلاغة لا يبرز أحدهم الآ في فن واحد من أنواع القول : فمن يبرع في الخطابة لا ينبغي في الشعر ؛ ومن يحسن الرجز لا يجيد القصيد ، ومن يستعظم منه الفخر لا يستعذب منه النسيب ، ولأمر ما ضربوا المثل بامرئ القيس اذا ركب ، وزهير اذا رغب والاعشى اذا طرب ، والناطقة اذا رهب

ثانياً - من جهة الفاظه وأساليبه - فلا تجد منه الا عدوية في اللفظ ، ودماثة في الاساليب ، وتجاذبا في التراكيب ، وليس فيها وحشى متنافر ، ولا سوق مبتذل ، ولا تعبير عويص . ولا فواصل متعملة ، على شيوع ذلك في كلام المفلقين ، وأهل الحيلة المترفين ، حتى انك لترى الجملة المقتبسة منه في كلام أفصح الفصحاء منهم تفرعه جمالاً ، وتشمله نوراً ، وتكسوه روعة وجلالة ، الى اجمال في خطاب الخاصة ، وتفصيل في تفهيم العامة ، وتكنية للعربي ، وتصريح للاعجمي ، وغير هذا مما يقصر عن احصائه الامام ، ولو أن ما في الارض من شجرة اقلام

ثالثاً - من جهة معانيه - فانك تجدها من غير معين العرب الذي منه يستقون : لاطراد صدقتها وقرب تناولها ؛ واطمئنان النفوس اليها ، وابتكارها البديع على غير مثال مهود : من حجج باهرة ، وبرهانات قاطعة ؛ وأحكام مسلمة ، وتشبيهات رائجة ، على تمازج وتواصل ، وبراءة من التقاطع والتدابر . وهو في جلته نزهة النفوس وشفاء الصدور . وهو الكتاب الخالد الذي لا تبديل لكلماته ، ولا ناسخ لاحكامه ولا ناقض ، انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (١) مساعداً ومعينا (٢) يذبل (٣) غضارة النبات والعيش نضارته



والقرآيات ، والتفسير ، والأصول ، والتوحيد ، والفقه

ونظم القرآن من نوع النثر وان لم يجر على مألوف العرب في نثرها المرسل وسجعها الملتزم ، بل هو آيات وفواصل يشهد الذوق السليم باتهاء الكلام عندها ، فتارة تكون سجعاً ، وطوراً تكون موازنةً وازدواجاً ، وأحياناً لا تكون هذا ولا ذلك وفي القرآن الكريم من الحكم والأمثال وجوامع الكلم ما كان به هداية الحكيم وارشاد الأديب - فمنها :

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ - وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ - وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِنَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ - كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ - قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى - لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا - لَنْ تَنَالُوا الْبَيْرَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ - وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ - إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ - وَلَيَحْشَنَّ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا - مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا - مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ - قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ - لِكُلِّ نَبَأٍ مَسْتَقَرٌّ - مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ - إِنْ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ - لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ - وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَوْتًا مَحْسُورًا - قُلْ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ بِأَمْرٍ مِنْ قَبْلٍ وَمَنْ بَعْدُ - مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ - وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ - وَلَا يَحْقِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ - قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ - هَلْ جِزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ - فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ - تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى

نظم القرآن

طائفة من  
آيات الكريمة



## جمع القرآن وكتابه

نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم منجماً على حسب الوقائع ومقتضيات الأحوال في بضع وعشرين سنة؛ وكان عليه الصلاة والسلام يأمر كتّاب وحيه بكتابة ما ينزل، فكانوا يكتبونه بين يديه في عُسْب<sup>(١)</sup> أو لِحَافٍ<sup>(٢)</sup> أو اِكتافٍ<sup>(٣)</sup>، وهو يرشدهم الى وضع كل آية من السورة التي ينبغي أن تكون فيها. وفي صحيح البخاري أن جبريل كان يعارض<sup>(٤)</sup> النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن كل عام مرة، وأنه عارضه به مرتين في العام الذي توفي فيه. وفي الاتقان<sup>(٥)</sup> للسيوطي أن زيد بن ثابت اكبر كتّاب الوحي شهد العرصة الأخيرة التي بُيّن فيها ما نسخ وما بقي، وكتبها للرسول صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمع القرآن، وولاه عثمان كتابة المصاحف

وتوفي رسول الله والقرآن كله مكتوب، وفي صدور الصحابة محفوظ، وان لم يتفقوا في حفظه وترتيبه لأسباب شتى. ولما رأى عمر رضي الله عنه ان القتل قد استحر<sup>(٦)</sup> بالحفاظ في وقعة اليمامة<sup>(٧)</sup> حتى قُتل منهم سبعائة أشفق من ضياع القرآن، فذهب الى أبي بكر وأخبره الخبر، وبعد أخذ وردّ اتفقا على جمع القرآن وكتابه، وعهدا بذلك إلى زيد بن ثابت، فجمعه من العسب واللحاف والاكشاف والصدور وكتبه صحفًا، فكانت تلك الصحف عند أبي بكر حياته، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر

وفي مدة عثمان كثرت الفتوح وانتشر القراء في الأمصار وقرأوا القرآن بلغاتهم على تعددّها، وأدّى ذلك إلى تخطئة بعضهم بعضًا، فخشى عثمان تقاوم<sup>(٨)</sup> الأمر،

(١) اصل العسف الذي لا يابث عليه الخوص من الجريد (٢) حجارة بيض رقاق

(٣) مفردها كتف وهو عظم اللوح من الحيوان (٤) يقابله وبصنع معه مثل ما يصنع

في القراءة

(٥) كتاب للسيوطي خاص بعلم القرآن (٦) اشتد (٧) وهي الواقعة التي قتل

فيها خالد بن الوليد مسيئمة المتنبئ الكذاب (٨) تعاضم



فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوا تلك الصحف في مصحف واحد مرتب السور ، واقتصر فيه من جميع اللغات على لغة قريش لنزوله بلغتهم

### الحديث النبوى

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح الناس وأبينهم وأحكمهم ، وكانت حياته كلها هداية ونوراً ، وأفعاله وأقواله جميعها مدداً يستمد منه الخلق سدادهم ورشادهم في معاشهم ومعادهم ؛ ولهذا حرص المسلمون على حفظ ذلك الأثر العظيم حرصاً لم يوفق إلى مثله أمة في حفظ آثار رسولها ؛ فجمعوا من كلامه ووصف أفعاله وأحواله الأسفار الضخام ووعوا منها في صدورهم ما لا يدخل تحت حصر . وكلامه صلى الله عليه وسلم منزّه عن اللغو والباطل ، وإنما كان في توضيح قرآن أو تقرير حكم ، أو ارشاد إلى خير ، أو تنفير من شر ، أو في حكمة ينتفع الناس بها في دينهم ودينامهم - بعبارة هي في الفصاحة والبلاغة والايجاز والبيان بالدرجة الثانية بعد القرآن ، ولذلك كان تأثيرها في اللغة والأدب بالمنزلة التالية لكلام الله تعالى ، ولا سيما حكمه وجوامع كلمه التي هي القدوة الحسنة للأديب ، والحلمية التي يزدان بها كلام الكاتب والخطيب

فمن جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم :

إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى - المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً - اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول (١) - يد الله مع الجماعة - كلُّ ميسر لما خُلق له - دَع ما يرييبك (٢) إلى ما لا يرييبك - الناس كلهم سواسيةٌ كأسنان المشط - وقوله يخاطب الأنصار : انكم لتتقئون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع - إن أحببكم إلىّ وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم

طائفة من  
الاحاديث  
الشريفة

(١) تكفل (٢) يجعلك شاكاً فيه لست على بينة من أمره



أخلاقاً الموطَّون<sup>(١)</sup> اكنافا الذين يأمنون ويؤلفون ؛ وان أبغضكم إلىَّ وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون<sup>(٢)</sup> المتشدِّقون<sup>(٣)</sup> المتفهيقون<sup>(٤)</sup> . ومن عجائب تمثيله وروائع كله قوله صلى الله عليه وسلم : إن قومًا ركبوا في سفينة فاقسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس ، فقالوا له ما تصنع ؟ قال هو مكاني أصنع فيه ماشئت ، فان أخذوا على يده نجا ونجوا ، وان تركوه هلك وهلكوا

## النثر

لغة التخاطب — الخطابة — الكتابة

### لغة التخاطب

كانت لغة التخاطب في مبدأ الاسلام بين العرب الخُلص والموالي النابتين فيهم هي العربية الفصيحة المعربة ، وكانت لغة الموالي الطارئین عليهم تقرُّب من الفصيحة أو تباعد عنها على حسب طول لبثهم فيهم أو قصر مقامهم عندهم ؛ ولذلك أُثر عن دخل في الاسلام حينئذٍ من غير العرب ( وكانت إقامته بينهم غير كافية لنسخ عجمته جملةً ) أنهم كانوا يميلون في كلامهم العربي الى أسلوب لغتهم الأولى ومخارج حرُوفها وان لم يقع منهم اللحن ، أو وقع قليلاً ؛ فقد روى أن بلالاً<sup>(٥)</sup> كان يرتضخ<sup>(٦)</sup> لُكنة حبشية ، وسامان<sup>(٧)</sup> لُكنة فارسية ، وصُهيباً<sup>(٨)</sup> لُكنة رومية ؛ وأن رجلاً لحن أمام النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أرشدوا أخاكم فقد ضلَّ

ولما فتح المسلمون الأمصار ، وكثر عندهم سبي الأعاجم وأسرى الحروب ، ودخل

(١) المهدة جوانبهم أى السهلة أخلاقهم

(٢) الثرثار المهذار والصياح (٣) المتشدق الذى يلوى شذقه للتفصح (٤) المنتظم فى كلامه المتوسع فيه كأنه يملأ به فيه (٥) هو بلال بن رباح الحبشى مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) ينزع الى العجم فى الفاظ من الفاظهم (٧) هو سلمان ابن الاسلام فارسى أسلم وصحب رسول الله ومحبس المسلمين النصيح (٨) صهيب بن سنان عربى الاصل سباه الروم وهو صغير ثم عاد الى العرب وأسلم وصحب رسول الله وبقيت فى لسانه لُكنة رومية



في الاسلام منهم ألوف الألوف ، وأصبحوا لهم اخواناً وشركاء في الدين ، وتم بينهم التزاوج والتناسل ، نشأ للعرب ذرية من فتياتهم الأعجميات اختلطت عليهم ملكة العربية ، لتلقيهم عن آبائهم عربية فصيحة وعن أمهاتهم خليطاً منها ومن الأعجمية . وكذلك كان الشأن في المتعربين من الأعاجم ؛ اذ أصبحت لهم لغة تخاطب عربية مشوبة بشيء من اللحن والكلمات الدخيلة وغير ذلك من أنواع التغيير والتبديل والتصحيف والتحريف . أما العرب أنفسهم بعد الفتوح فكانت لغتهم في جزيرتهم مثل ما كانت عليه في جاهليتهم ، وأما سُكَّان الأمصار منهم وأولادهم من الحرائر ، فالعامة منهم المخالطون للأعاجم كثيراً بالمعاملة والتسوق<sup>(١)</sup> لم تخلُ لغتهم من لحن أو هُجْنَة ، والخاصة منهم تشدّدوا في المحافظة على سلاتهم وتحاموا التزوج بالأعجميات وبالغوا في تربية أبنائهم على إلف الملكة العربية ، فكانوا يرسلونهم الى البادية ليرضوهم على الفصاحة ، وينشئوا نشأة الأعراب الفصحاء ، أو يُحضرون لهم المؤدّبين والمعلمين من أفصح الناس وأعلمهم : ليخرّجُوهم في الإعراب واللّسن ؛ كذلك كان يفعل خلفاء بني أمية وأمرائهم اقتداءً بكبيرهم معاوية بن أبي سفيان في تربية ابنه يزيد . ومن لحن من خلفاء بني أمية وأمرائهم وأشرف العرب في زمانهم ولومرة عدّوا ذلك عليه عاراً لايمحى ، وسبّةً لا تزول ؛ ومن هؤلاء اللّحّانين عبيد الله<sup>(٢)</sup> بن زياد ، والواليد<sup>(٣)</sup> بن عبد الملك وخالد القسري<sup>(٤)</sup> مع أن بعضهم كان من أبغ الناس وأبينهم

ومن هنا تعلم السر في تسرع القوم إلى وضع النحو وتدوينه والشكل والاعجام

(١) تسوق القوم اذا باعوا واشتروا في السوق

(٢) كان والياً على العراق في مدة معاوية ويزيد ابنه وكانت أمه فارسية

(٣) هو الخليفة الاموي أشفق عليه أبوه أن يرسله الى البادية فترى في المصر وتعلم العربية

بالصناعة فعرض لسكلامه بعض اللحن (٤) هو خالد بن عبد الله القسري والى العراق من قبل

الخليفة هشام ، وكانت أمه نصرانية وكان من أبغ الناس وأخطبهم وعدّ عليه بعض اللحن



## الخطابة في هذا العصر

لما كان مبدأ كل انقلاب عظيم في أمة : إما دعوةً دينية وإما دعوة سياسية ، وكانت تلك الدعوة تستدعي السنة قوالةً من أهلها لتأييدها ونشرها ، وألسنة من أعدائها وخصوصها لإدحاضها والصدِّ عنها ، وذلك لا يكون الا بمخاطبة الجماعات وأصحاب النجيدات في الحفَلِ والمنتديات ، والحج والمواسم والأسواق ، ومواطن الزحف ومقدّم الوفود ونحو ذلك - كان ظهور الاسلام بالامر الجَلَل والشأن الخطير والدعوة العظمى التي لم يعهد لها من قبلُ في العالم مثيل من أهم الحوادث التي أنشطت الاسن من عقُلبا وأثارت الخطابة من مكمّنها ، وأغرّت العقول باحكامها والافتنان فيها ، واختلاب النفوس بسحر بيانها ، فوق ما كانت عليه في جاهليتها . فكان العملُ الاكبر لصاحب الدعوة العظمى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بادئ أمره - غير تبليغ القرآن - وارداً من طريق الخطابة . ولأمر ما جعلها الشارع شعرا كل إمام في حفَلٍ دينيٍّ أو سياسي كالجمعة والعيدن وموسم الحج الاكبر ، ويوم الصف وكل أمر جامع لنشر فضيلة ، أو نهى عن رذيلة أو اعلان نصر ، أو تأكيد وصية ، إلى غير ذلك من الأمور ذوات البال ، ولذلك كان دُعاة النبي صلى الله عليه وسلم ورسله الى الملوك وأمراء جيوشه وسراياه ، ثم خلفاؤه من بعدُ وعمّاهم كلُّهم خطباء مصاقع<sup>(١)</sup> ، وألسنا<sup>(٢)</sup> مَقاول<sup>(٣)</sup> أعانهم على ذلك أنهم كانوا يخطبون عرباً مثلهم ، للفصاحة عندهم هزّة<sup>(٤)</sup> في النفس وروعة في الفؤاد ؛ وأن الشرع صرفهم عن اللهو بالشعر الذي لا ينهض باعباء الخطابة ، ولا سيما الدينية لشرحها الحقائق وقرعها الأسماع بالحجج العقلية والوجدانية ، وترغيبها في الثواب وترهيبها من العقاب ؛ ولخلوها عن

(١) جمع مصقع كمنبر البليغ أو العالى الصوت أو من لا يرتج عليه في كلامه ولا يتمتع

(٢) جمع لسان البليغ المتكلم عن القوم (٣) جمع مقول كمنبر مثل سابقه

(٤) الهزة النشاط والارتياح



قيود الوزن والقافية ؛ ولأنها تقال بعبارات تفهمها الخاصة والعامة : من الجندى الصغير إلى القائد الكبير ، وكان لهم من القرآن وأدلته وحججه والاعتباس منه مددٌ أيماً مدد . ولما حدثت الفتنة بين المسلمين ( أو الحرب الأهلية كما يقولون ) بعد مقتل عثمان ، وافترقوا إلى عراقيين بزعامة عليّ وشاميين بزعامة معاوية ، ولكل منهم دعوة يؤيدها ، ورغبةٌ يناضل عنها في تلك الحرب الشَّعواء التي لم يُنكب الإسلام بمثلها ، ظهر من كلتا الطائفتين خطباء لا يحصى عددهم ، ولا يُشَقُّ غبارهم ؛ وعلى رأس العراقيين شيخ الخطباء وفحلُ البلغاء عليّ بن أبي طالب ، وعلى رأس الشاميين معاوية بن أبي سفيان . وما انتهت هذه الحرب حتى تشعبت الفتن والآراء والمذاهب والنحل ، وتفرق المسلمون إلى شِيعَة <sup>(١)</sup> وخوارج <sup>(٢)</sup> وجماعية <sup>(٣)</sup> وتفرع من هؤلاء الطوائف فروع شتى ، كل يبذلُ وسعه في نشر مذهبه ، ويدفع عنه بقائم سيفه ، ولم يعدم كل طائفة منها خطباء يؤيدون دعوتها بما أتوا من البلاغة في الخطابة والفصاحة والبيان

وتماز الخطابة في صدر الإسلام منها في الجاهلية بأشياء :

الأوّل - سلوكها طريقاً دينياً في مثل خطب الجُمع والعيدين والحج والارشاد والتعليم ونحو ذلك مما يستدعيه نشر الدعوة الدينية

الثاني - اتباعها خطة سياسية في مثل تأليف الجماعات والأحزاب وتأثيل المُلْك والسلطان ؛ وما وقع للعرب في الجاهلية من هذا القبيل في بعض منازعاتهم فليس بذى شأن كبير ، إذا قيس بنظيره في الإسلام <sup>(٤)</sup>

الثالث - قوة تأثيرها ووصولها الى قرارة النفوس وامتلاكها للوجدان

(١) الشيعة هم شيعة علي رضي الله عنه وأنصاره وأنصار أهل بيته ، وتعالى بعضهم في حبه وتفضيله الى حد ممقوت دينا (٢) هم قوم خرجوا في أول أمرهم على أمير المؤمنين علي واستحلوا قتاله لرضاه بأمر التحكيم في الخلافة بينه وبين معاوية ثم خرجوا بعده على بني أمية وبني العباس

(٣) هم الجمهور الاعظم المستجيبون لدعوة بني أمية والخلفاء المعقودة لهم البيعة العامة من أكثر المسلمين

(٤) انظر خطبة أبي بكر يوم السقيفة



والشعور بوعظها الزاجر ، ونصحها البالغ ، مما رقق القلوب القاسية ، وأسأل الأعين  
الجامدة (١)

الرابع - صفاء ألفاظها ، وسهولة عباراتها ، ومثانة أساليبها ، وتجنبها سجع الكهان  
وقلة القصد فيها الى سرد الحكيم القصيرة الدقيقة بمناسبة وغير مناسبة ، كما كانت  
تفعل خطباء الجاهلية

الخامس - بداءتها بحمد الله والثناء عليه

السادس - محالكتها أسلوب القراء في الاقناع ، واستمدادها من آياته ، حتى  
اشتراط بعض أئمة المسلمين وجوب اشتمال خطبة الجمعة على شيء منه

السابع - تنوعها بين الإيجاز والاسهاب حتى حُكي أن منها ما استغرق نصف  
نهار (٢) ، ومنها ما لم يزيد على فقرات معدودات (٣) . وقصارى الكلام أن الخطابة  
وصلت في هذا العصر الى أرقى ما وصلت اليه في اللسان العربي حتى ممن يُعدُّ عليهم  
اللحن . ولم تسعد العربية بكثرة خطباء ووفرة خُطب مثل ما سعدت به في هذا  
الصدر الأول ، إذ كان القوم ورؤسائهم عرباً خلصاً ، يسمعون القول فيتبعون أحسنه  
ولم يخرج الخطباء عن مألفهم : من اعتجار (٤) العِمامة والاشتمال (٥) بالرداء  
واختصار المِخْصَرة (٦) والخطبة من قيام ، إلا ما روى عن الوليد بن عبد الملك :  
من أنه كان يخطب جالساً ، وربما كان له عذر من طبيعته ، أو أنه كان يرى أن  
الغرض من الوقوف هو الاشراف على السامعين ، وذلك قد حصل بتعليق بني أمية  
درجات المنابر ؛ وتبعه في ذلك بعض خلفاء بني أمية وعماهم

(١) انظر خطبة رسول الله وخطبة سحبان

(٢) كخطبة سحبان وائل التي خطبها بمحضرة معاوية يوم أن حضر وفد خراسان

(٣) مثل خطبة خطيب الازد حين بث الحجاج خطباء من الاحماس الى عبد الملك وهي : قد  
علمت العرب أنا حتى فعال ، ولسنا بحى مقال وانا نجزى بفعالنا عند أحسن قولهم ، ان السيف  
لتعرف أكفنا ، وان الموت ليستعذب أرواحنا ، وقد علمت الحرب الزبون انا تفرع جماعها ،  
وتحلب صراها (٤) لف العمامة دون التلحي (٥) اشتمل بالثوب اداره على جسده كله  
(٦) كهكنسة ما يتوكأ عليها وما يأخذه الملك يشير به اذا خاطب ، والخطيب اذا خطب ،  
واختصر المِخْصَرة أخذها



## نماذج من الخطب والوصايا

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فحمد الله بما هو أهله ثم أقبل على الناس فقال (١) : أيها الناس ان لكم معالم<sup>(٢)</sup> فانتبهوا الى معالمكم ، وان لكم نهايةً فانتبهوا الى نهايتكم ، فان العبد بين مخافتين : أجلٍ قد مضى لا يدرى ما الله فاعل فيه ، وأجلٍ باقٍ لا يدرى ما الله قاضٍ فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ومن الشيبية قبل الكبر ، ومن الحياة قبل المات ، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مُستَعْتَب<sup>(٣)</sup> ، ولا بعد الدنيا من دار الآ الجنة والنار وخطب معاوية رضى الله عنه ( وهى آخر خطبة خطبها ) فبعد أن صعد المنبر حمد الله وأثنى عليه ، ثم قبض على لحيته وقال :

أيها الناس انى من زرعٍ قد استحصد ، وقد طالت عليكم إمرتى حتى مللتكم وملتمونى ، وتنتيت فراقكم وتمنتيم فراقى ، وإنه لا يأتىكم بعدى إلا من هو شر منى ، كما لم يأتكم قبلى إلا من كان خيراً منى ، وإنه من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، اللهم انى أحببت لقاءك فأحبب لقاءى . ثم نزل فما صعد المنبر حتى مات

وخطب عمرو بن سعيد<sup>(٤)</sup> عند عقد البيعة ليزيد

لماً عقد البيعة معاوية رحمه الله لانه يزيد قام الناس يخطبون ، فقال معاوية لعمرو ابن سعيد : قم يا أبا أمية ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فان يزيد بن معاوية أملٌ تأملونه ، وأجلٌ تأمنونه . إن استصفتتم الى حبله وسبعكم . وإن احتجتم الى رايه أرسدكم ، وان افنقرتم الى ذات يده أغناكم . جذع<sup>(٥)</sup> قارح<sup>(٦)</sup> سوبق فسبق ، وموجد فمجد . وقورع ففاز سهمه ، فهو خلف أمير المؤمنين ولا خلف منه . فقال معاوية أو سعت يا أبا أمية فاجلس

(١) رواية الكامل للمبرد (٢) معلم الشيء كقعد ما يستدل به عليه (٣) استرضاء

(٤) هو عمرو بن سعيد بن العاص المشهور بالاشدق الاموى جعله مروان ولى عهدته فى

الخلافة ثم جعله ولى عهد ابنه عبد الملك فخرج على عبد الملك فاحتال عليه فقتله سنة ٧٠ هـ

(٥) الشاب الحدث (٦) أى شديد مجرب



وخطب عمر بن عبد العزيز وهي أول خطبة له :  
أيها الناس أصلحوا سرائركم ، تصلح لكم علائبتكم ؛ وأصلحوا آخرتكم ،  
تصلح دنياكم ، وإن امرأ ليس بينه وبين آدم أب حي لمعرق في الموت  
وأوصى قيس بن عاصم المنقري<sup>(١)</sup> بنيه عند احتضاره فقال :  
يا بني احفظوا عني ثلاثاً فلا أحد أنصح لكم مني ، إذا أنا مت فسودوا كباركم  
ولا تسودوا صغاركم ، فيحقر الناس كباركم ، وتهونوا عليهم ؛ وعليكم بحفظ المال ،  
فانه منبهة للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم ؛ وإياكم والمسألة فانها آخر<sup>(٢)</sup> كسب الرجل  
وأوصى عمر بن الخطاب الناس فقال : علموا أولادكم العوم ، والرماية ، ومروهم  
فليثبوا على الخيل وثباً ورؤوهم ما يجمل من الشعر

وروى المبرد في الكامل : ان عبد الله بن عباس قال : قال لي أبي : يا بني إني  
أرى أمير المؤمنين قد اختصك دون من ترى من المهاجرين والأنصار فاحفظ عني  
ثلاثاً : لا يُجرَّبَنَّ عليك كذباً ، ولا تَغْتَبُ عنده مسلماً ؛ ولا تُفَشِّنْ له سرّاً - قال  
فقلت له يا أبت كل واحدة منها خير من ألف ، فقال كل واحدة منها خير من  
عشرة آلاف

### الخطباء

ليس في عصور أدب اللغة عصرٌ أحفل بالخطباء المعروفين نسباً وقولاً وعملاً  
من هذا العصر ؛ إذ كانت الخطابة فيه سلسلة القيادة على خلفائه وزعمائه : لفطرتهم  
العربية ومحلمهم من الفصاحة والبيان ، وانطباعهم على أساليب القرآن ، واتساع  
مداركهم . ولهذا نكتفي بذكر الخطباء من الخلفاء الراشدين ، وبعض ولاة المسلمين  
وفصحاء الناس : لأن الخطابة إذ ذاك كانت من أعظم أعمال الأمانة والولاية

(١) منقر بطن من سعد من تميم . وفد على رسول الله سنة تسع فأسلم وقال فيه النبي  
صلى الله عليه وسلم « هذا سيد أهل البور » وكان من أحلم الناس  
(٢) بقصر الهمة أدنى وأرزل - من الكامل للمبرد



١ - أبو بكر الصديق - رضى الله عنه

هو أبو بكر عبد الله عتيق<sup>(١)</sup> بن أبي قحافة عثمان صاحب رسول الله ، وأوّل خليفة له في الاسلام ، وخطيب يوم السقيفة  
ويجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مُرّة بن كعب . ولد بعد مولد رسول الله بسنتين وبضعة أشهر ، ونشأ من اكرم قریش خلقاً ، وأرجحهم حملاً ، وأسماهم يداً وأشدّهم عفة . وكان أعلمهم بالانساب وأيام العرب ومفاخرها . صحب رسول الله قبل النبوة . وكان أوّل من آمن به من الرجال وصدّقه في كل ما جاء به : ولذلك سمي الصديق ، وأنفق أمواله في تأييد دعوته ، وهاجر معه الى المدينة مؤثراً صحبته على كل أهله وولده ، وشهد معه اكثر الغزوات ؛ وما زال ينفق ماله وقوّته في معاضدة رسول الله حتى انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، واختلفت العرب وارتدت عن الاسلام ومنعت الزكاة إلاّ أهل المدينة ومكة وثقيف بالطائف ، فجرد عليهم الجيوش حتى قمعهم ، وجمع العرب على الاسلام وساقهم تواءاً الى فتح ممالك كسرى وقيصر ، وما مات إلاّ وجيوشه تهزم جيوش الفرس والروم ، وتستولى على مدائنهم وحصونهم . وكانت وفاته سنة ١٣ هـ  
وكان رحمه الله فصيحاً بليغاً ، خطيباً موفّوهاً حاضر البديهة ، قوى الحجّة ، شديد التأثير ؛ يشهد بذلك خطبته يوم السقيفة . وذلك انه لما مات رسول الله اختلفت الصحابة فيمن يبايعونه خليفة له عليهم : فأبّت الأنصار إلاّ أن يكون الخليفة منهم ، وأبى المهاجرون من قریش إلاّ أن يكون منهم ، واشتد النزاع حتى كادت تقع الفتنة ، فخطبهم خطبة<sup>(٢)</sup> لم يلبث الجميع بعدها أن بايعوه خليفة

(١) هو لقب لابن بكر لقب به لجماله ، أو لان النبي صلى الله عليه وسلم قال له : أنت عتيق من النار

(٢) ويظن أنها خطبة طويلة لم يبق في حفظ الرواة منها الا اليسير ، ومن وصفها ما قاله عمر رضى الله عنه : وقد كنت زوّرت في نفسى مقالة أقدمها بين يدي أبى بكر ، وقد كنت ادارى منه بعض الحد وكان هو أوقر منى وأحلم ، فلما أردت ان أتكم قال على رسلك فكرهت ان أعصيه فقام فحمد الله واثنى عليه فما ترك شيئاً كنت زورت في نفسى أن أتكم به لو تكلمت إلاّ وقد جاء به أو بأحسن منه



## خطبته يوم السقيفة

حمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس نحن المهاجرون وأوّل الناس إسلاماً ،  
واكرمهم أحساباً ، وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثر الناس ولادةً في  
العرب وأمشهم رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلمنا قبلكم ، وقدمنا في  
القرآن عليكم فقال تبارك وتعالى ( وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ  
وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ) فنحن المهاجرون وأتم الأنصار ، اخواننا في الدين ،  
وشركاؤنا في الفئء<sup>(١)</sup> ، وأنصارنا على العدو ، أويتم وواسيتم فجزاكم الله خيراً ،  
فنحن الأمراء وأتم الوزراء ، لا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش فلا تنفسوا  
على اخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله

## ٢ - عمر بن الخطاب - رضى الله عنه

هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب القرشى ، ثانى خليفة رسول الله  
وأوّل من تسمى من الخلفاء بأمر المؤمنين ، وأوّل من أرخ بالتاريخ الهجرى ،  
ومصر الأمصار ودون الدواوين

وُلد رضى الله عنه بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث عشرة سنة ،  
وكان فى الجاهلية من كبار قريش وزعمائها ، فكان يُسفر بينها وبين قبائل العرب  
فى الحروب والمفاخرات ونحوها ، وكان شجاعاً صنيدياً ، وحازماً أيّداً ، وكان فى  
مبدأ الدعوة الى الاسلام من أكبر أعداء الرسول ، ثم هداه الله فأسلم ، وأعز الله  
به دينه وحضر مع رسول الله الغزوات كلها ، ثم لما قبض أعان أبابكر على توليه  
الخلافة . ولما أحسّ أبو بكر بالموت عهد بها اليه ، فقام باعبائها خير قيام ، وأتمّ

(١) الفئمة والحراج (٢) نفس عليه خيراً حسده عليه ، ولم يره له أهلاً (أساس)



بجزمه وعزمه وسياسته وكياسته وزهده وعفته وحرصه على مصلحة المسلمين جميع ما شرع فيه أبو بكر : من فتح ممالك كسرى وقيصر

وقتل غيلةً غلامٌ مجوسى هو الشقى أبو لؤلؤة عبدُ المغيرة بن شعبه : لأنه لم ينصفه على زعمه فى تخفيض ما يدفعه لسيده من أجره عمله . وكان قتله سنة ٢٣ هـ

وكان رحمه الله من أبين الناس منطقاً ، وأبلغهم عبارة ، وأكثرهم صواباً وحكمة وأرواهم للشعر وأنقدهم له

ومن خطبه خطبته إذ ولى الخلافة (١)

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس ؟ انى داع فأمنوا ، اللهم انى غليظ فلينى لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقنى الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة (٢) والنفاق من غير ظلم منى لهم ولا اعتداء عليهم ، اللهم انى شحيح فسخنى فى نوائب المعروف قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سُمعة ، واجعلنى أبتغى بذلك وجهك والدار الآخرة ، اللهم ارزقنى خفضَ الجناح ولينَ الجانب للمؤمنين ، اللهم انى كثير الغفلة والنسيان فألهمنى ذكرك على كل حال وذكرك الموت فى كل حين ، اللهم انى ضعيف عن العمل بطاعتك فارزقنى النشاط فيها والقوة عليها: بالنية الحسنة التى لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك ، اللهم ثبتنى باليقين والبر والتقوى وذكرك المقام بين يديك ، والحياء منك ، وارزقنى الخشوعَ فيما يُرضيك عنى والمحاسبةَ لِنَفْسِي ، واصلاح الساعات ، والحذر من الشُّبُهَات ، اللهم ارزقنى التفكير والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر فى عجائبه والعملَ بذلك ما بقيتُ ، انك على كل شىء قدير

(١) من العقد الفريد (٢) الحبث والفجور



۳ - عثمان بن عفان - رضی اللہ عنہ

هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان القرشي الأموي، ثالث الخلفاء الراشدين،  
وموجد نسخ القرآن المبين. ولد في السنة السادسة من مولد النبي صلى الله عليه وسلم،  
وآمن في السابقين الأولين، وبذل ماله الكثير في تأييد الإسلام ومعونة المجاهدين،  
وشهد مغازي رسول الله كلها إلا بدرًا. وقد كان عمر قبل وفاته عهد بالخلافة إلى ستة  
هو منهم تنتخب الأمة أحدهم خليفة، فانتخبوا عثمان، فأكمل مغازي عمر. ومضت  
على خلافته ست سنين لم يحدث عليه فيها شغب، ثم ثار عليه بعض الأعراب النازلين  
بمصر والعراق، بحجة أنه يوتر أقر بآءه بولاية الأقاليم، غير ناظرين إلى كفايتهم،  
ولا إلى وثوق الخليفة بهم، ونصحهم له. فحاصروه في داره بالمدينة وتسوروها عليه  
وقتلوه وهو يتلو القرآن في المصحف سنة ۳۵ هـ فكان قتله سبب الفرقة بين المسلمين  
واجترأهم على مقام الخلافة وقتل الخلفاء والخروج عليهم  
وكان رحمه الله من بلغاء الخلفاء وأوجزهم لفظًا وأجزهم معنى وأسهبهم عبارة،  
ومن خطبه خطبته بعد أن بويع، وهي بعد الحمد والثناء:

أما بعد فاني قد حُمت وقد قيلت، ألا واني متبع ولست بمبتدع، ألا وان  
لكم على بعد كتاب الله عز وجل سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثاً: اتباع من  
كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسنتهم، وسنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملأ،  
والكف الآ فيما استوجبتم. ألا وان الدنيا خيرة قد شهيت الى الناس ومال اليها  
كثير منهم، فلا تركنوا الى الدنيا، ولا تثقوا بها؛ فانها ليست بثقة. وأعلموا أنها  
غير تاركة إلا من تركها



٤ - علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه

هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب . وابن عم رسول الله ، وزوج ابنته ورابع الخلفاء الراشدين ، وإمام الخطباء من المسلمين

ولد رحمه الله بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باثنتين وثلاثين سنة ، وهو أول من آمن من الصبيان . وكان شجاعاً لا يشق له غبار ، أيداً جليداً ، شهيد الغزوات كلها مع النبي إلا غزوة تبوك ، وأبلى في نصرة رسول الله ما لم يبله أحد . ولما قتل عثمان بايعه الناس بالحجاز وامتنع عن بيعته معاوية وأهل الشام شيعة بني أمية غضباً منهم لقتل عثمان وقلة عنايته بالبحث عن معرفة القنلة على حسب اعتقادهم . فحدث من جرأء ذلك الفتنة العظمى بين المسلمين وافتراقهم الى طائفتين . فتحاربوا مدة من غير أن يستتب الأمر لعلي أو معاوية حتى قتل أحد الخوارج علياً غيلةً بمسجد الكوفة سنة ٤٠ هـ

وكان رحمه الله أفصح الناس بعد رسول الله ، وأكثرهم علماً وزهداً وشدة في الحق ، وهو امام الخطباء من العرب على الاطلاق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبه كثيرة - منها خطبته كرم الله وجهه بعد التحكيم وهي :

الحمد لله وان أتى الدهر بالخطب الفادح (١) ، والحدّث الجلل (٢) ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله . أما بعد فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب ثورث الخيرة وتُعقب الندامة ، وقد كنت أمرتك في هذه الحكومة (٣) أمرى ، ونخلت لكم مخزون رأيي ، لو كان يطاع لقصير (٤) أمر ، فأبيتم علياً إباء المخالعين الجفأة ،

(١) من فدحه الدين أثقله (٢) العظيم

(٣) أى حكومة الحكامين عمرو بن العاص وأبي موسى الاشعري (٤) هو مولى جذيمة الابرش ، وكان حاذقاً ، وكان قد أشار على سيده جذيمة أن لا يأمن للزباء ملكة الجزيرة فخالفه وقصدها اجابة لدعوتها الى زواجه فقتلته فقال قصير ( لا يطاع لتقصير أمر ) فذهبت مثلاً



والمنازدين العصاة حتى ارتاب الناصحُ بنصحه ، وضمن الزَّند بقَدْحِه ، فكنت  
وإياكم كما قال أخوه هوزان (١) :

أمرتهم أمرى مُنْعَرَجِ اللوى فلم يستبينوا النصحَ إلا ضحَى الغد

## ٥ - سَحْبَانُ وَائِلُ

هو سَحْبَانُ بن زُفَر بن إِيَاد الوائلي ، الخطيب المِصْطَع ، المضروب به المثل  
في البلاغة والبيان . نشأ في الجاهلية بين قبيلة وائل إحدى قبائل ربيعة . ولما ظهر  
الإسلام أسلم وتقلبت به الأحوال حتى التحق بمعاوية رضى الله عنه ، فكان يُعِدُّه  
للمهمات ، ويتوكأ عليه عند المفاخرة : لقوة عارضته وسُرعة خاطره

قدم على معاوية وفدٌ من خُرَاسان وفيهم سعيد بن عثمان بن عفان ، فطلب  
سَحْبَانُ فلم يجد في منزله ، فاقْتَضَب من ناحية اقتضاباً وادخل عليه . فقال له معاوية  
تكلم فقال : أحضر والى عصاً - قالوا وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ -  
قال : ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه - فضحك معاوية وأمر له باحضارها ؛  
فلما وصلت إليه رَكَلَهَا (٢) فلم تَرُقْ في نظره فطلب عصاه فأخذها ، ثم خطب من  
صلاة الظهر الى أن حانت صلاةُ العصر ، ما تنحنح ، ولا سَعَلَ ، ولا توقف ، ولا  
تَلَكَّأ ، ولا ابتداء في معنى وخرج منه وقد بقي منه شيء ، فما زالت تلك حاله حتى  
دَهَسَ منه الحاضرون ، فأشار اليه معاوية بيده ، فأشار اليه سَحْبَانُ لا تقطع على كلامي -  
فقال معاوية : الصلاة ، قال هي أملك ، نحن في صلاة وتحميد ، ووعد ووعد  
فقال معاوية : أنت أخطبُ العرب - قال سَحْبَانُ : والعجم والجن والانس  
وكان سَحْبَانُ إذا خطب يسيل عرقاً ، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ  
ومما يؤثر من خطبه قوله (٣) :

(١) هو دريد بن الصمة (٢) ركل الشيء برجله رفسه والمراد هنا خبرها ليعرف صلاحيتها  
(٣) ونسبها القائل في الامالى لبعض الاعراب في صدر بني العباس . ولعل السر في عدم  
تدوين خطبه أنه كان يميل الى الاطالة التي يميز الرواة معها عن الحفظ ، على انها لم تكن سياسية  
والقوم في هذا العصر مغرمون بالسياسة



إن الدنيا دار بَلاغ ، والاخرة دار قرار ، أيها الناس فخذوا من دار ممرِّكم  
لدار مقرِّكم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من  
الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حَيِّيمٌ ولغيرها خُلِّيمٌ . إن الرجل  
إذا هلك ، قال الناس : ماترك ؟ وقال الملائكة : ما قدَّم ؟ قدِّموا بعضاً يكون  
لكم ولا تُخَلِّفوا كُلاًَّ يكون عليكم

٦ - زياد ابن أبيه

هو أحد دهاة العرب وساستها ، وخطبائها وقادتها  
منشؤه - كان للحارث بن كَلْدَةَ التَّقْفِيّ طيب العرب ، أمة تسمى سُمِيَّة  
قد قرنها بعبد له روميّ يدعى عبيداً ، فولدت له زياداً هذا في السنة الأولى من  
الهجرة فنشأ غلاماً فصيحاً ، شجاعاً ذاهياً ، قارئاً كاتباً ، فما افتتحت العرب الممالك  
والأمصار حتى عرف منه ذلك ، فاستكتبه أبو موسى الأشعري والى البصرة من قبل  
عمر (رضى الله عنه) ، فأظهر من الحِذْق وحِدَّة الذكاء ، وبعُد الغور ما جعل أمير  
المؤمنين يقول عند ما عزله عن عمله « إنه لم يعزله لعجز ولا لخيانة ، وإنما كره أن  
يحمل على الناس فضل عقله » غير أن ذلك لم يكن ليصدّه عن استكفائه بعض  
مهامّ أموره ، فكان في جميعها مرضى المقام : محمود الأثر ، حتى قال فيه عمرو  
ابن العاص « لله هذا الغلام لو كان أبوه من قريش لساق الناس بعصاه ! »  
ولما رأى أبو سفيان بن حرب بعد اسلامه حصافة عقل زياد ، وحسن بلائه  
وفصاحة لسانه ، أسرَّ الى بعض قريش ومنهم عليّ (كرم الله وجهه) بأن زياداً  
ابنه ، اشتملت عليه سميّة منه وهو مشرك ، ولكنه لم يستلحه علانية أنفةً من  
العار ، وخشية من عمر

ولما ولي أمير المؤمنين عليّ الخلافة اضطربت عليه فارس ، فاستشار الناس فيمن  
يكفيه أمرها ، فأشار بعضهم بزياد ، فسار الى فارس بجمع كثير ، فتمكن بخداعه



ودهائه من ايقاع النفور والشقاق بين رؤساء المشاغبين ، وما زال يضرب بعضهم ببعض حتى سكنت تأثرتهم ، ولم يلق منهم حرباً ولا كيداً . وبقى يتولى لعلى الاعمال حتى قتل على ، فخافه معاوية واهتم له كثيراً ، فأرسل اليه المغيرة بن شعبه يتلطف له ويستقدمه ، فقدم عليه فادّعاه أخاً له ، واستلحقه بنسب أبيه أبي سفيان بشهادة شهود في محضر من الناس ، وصار يسمى زياد بن أبي سفيان بدل زياد بن عبيد ، والمتورعون يسمونه ( ابن سمية أو ابن أبيه )

وولاه معاوية البصرة وخراسان وسجستان ، ثم جمع له السند والبحرين وعمان ، ثم ضم اليه الكوفة ، فأصبح بذلك والياً على العراقيين ، وهو أول من جمع له بينهما ، فسار في الناس سيرة لم بها الشعث ، وأقام المعوج ، وكبح الفتنه ، واشتط في العقوبة ، وأخذ بالظنة . وعاقب على الشبهة ، حتى أكد الملك لمعاوية ، وحتى شمل خوفه جميع الناس ، فأمن بعضهم بعضاً

وكان الشيء يسقط من يد الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد ، حتى يأتي صاحبه فيأخذه ، بل كان لا يُغلق أحد بابه . وكان زياد يقول : « لوضع جبل بيني وبين خراسان لعرفت أخذه » وكان مكتوباً في مجلته عنوان سياسته وهي الشدة في غير عنف ، واللين في غير ضعف ، المحسن يجازى باحسانه والمسيء يعاقب باساءته

أما فصاحته فيكفيك في وصفها ما رواه الجاحظ عن الشعبي قال : « ما سمعت متكلماً على منبر قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفاً من أن يسيء إلا زياداً ، فانه كلما أكثر كان أجود كلاماً » وتوفي بالكوفة في رمضان سنة ٥٣ هـ ومن خطبه البليغة خطبته حين قدم الى البصرة وهي (١) :

أما بعد فإن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء ، والغنى المورفي بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماءكم : من الأمور التي ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ؛ كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب

(١) كما في صحيح الاعشى وتروى في البيان والتبيين والطبري والعقد الفريد بروايات مختلفة



الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، في الزمن السرمدي الذي لا يزول . انه ليس منكم إلا من طرقت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه : من ترككم الضعيف يُقهر ، والضعيفة المسلوقة في النهار لا تنصر ، والعدد غير قليل ، والجمع غير مفترق . ألم يكن منكم مُهاتمة يمنعون العواة عن دلج الليل وغارة النهار ! قرّبتم القرابة ! وباعدتم الدين ! تعتذرون بغير العذر ، وتعضون على النكر . كل امرئ منكم يرد عن سفيبه ، صنع من لا يخاف عقاباً ، ولا يرجو معاداً . فلم ينزل بهم ما ترون من قيامكم ذونهم حتى اتهكوا حرم الإسلام ثم أطرقتوا وراءكم كنوساً<sup>(١)</sup> في مكائس الرّيب . حرام على الطعام والشراب حتى أضع هذه المواخير بالأرض هدماً واحراقاً ! اني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح الا بما صلح به أوله : لين في غير ضعف وشدة في غير عنف ؛ واني لأقسم بالله لا أخذن الولي بالمولى والمقيم بالظاعن ، والمطيع بالعاصي ، حتى يلقي الرجل أخاه فيقول « أنج سعد فقد هلك سعيد »<sup>(٢)</sup> أو تستقيم لي قناتكم . ان كذبة الأمير بقاء<sup>(٣)</sup> مشهورة ، فاذا تعلقت على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي . وقد كان بيني وبين قوم إحن<sup>(٤)</sup> فجعلت ذلك دبر<sup>(٥)</sup> أذني وتحت قدحي . اني لوعامت أن أحدكم قد قتله السل من بغض لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتك له سترأ ، حتى يبدي لي صفحته ، فاذا فعل ذلك لم أنظره . فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم ؛ فرب مبتئس بقدمنا سيسر ، ومسرور بقدمنا سيبتئس ! أيها الناس انا قد أصبحنا لكم ساسة ؛ وعنكم ذادة<sup>(٦)</sup> ؛ نسوسكم بسطان الله الذي أعطانا ؛ ونذود عنكم بفيء الله الذي خوّلنا ؛ فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا وفينا بما صححتكم لنا

(١) جمع كانس أي مستر - ومكائس الرب مكانها المسترة

(٢) مثل يضرب في اتباع الشر (٣) أي كالدابة البلقاء لأن شيتها تشهرها

(٤) أحقاد (٥) خلف (٦) مدافعين



## ٧ - الحجاج

هو أبو محمد الحجاج بن يوسف التَّقْفِي ، رجلٌ ثَقِيفٌ ، وأحد جبابرة العرب وساستها وقادتها وحُكَّامِها ، ومُوَطِّدُ ملكِ بنى أمية ، وأحد البلاغاء والخُطبَاء المصاقع ولد سنة ٤١ هـ وكان هو وأبوه يعلمان الصبيان بالطائف موطن ثقيف ، ثم لحق بِرَوْحِ بنِ زِنْبَاعِ الجُدَّامِي أحدِ أعوان عبد الملك بن مروان فكان في شُرْطته ثم صار رئيسها<sup>(١)</sup>

وأوَّلُ ما اشتهر من أمره قيادته الجيشَ الذي وُجِّهَ لقتال عبد الله بن الزبير . فسار اليه وحاصره بمكة ثم قتله وأزال ملكه ، فولاه عبد الملك العراق وكان كُله ناراً ملتهبة بفتنة الشيعة والخوارج ، فاستعمل من الشدَّة والقسوة وسفك الدماء وارهاب الأمة ما لم يُسمَع بمثله ، وجدَّدَ الملكَ لبني أمية ، وكان عاقبة أمره أمرين عظيمين : أولهما يُمدِّح عليه : وهو جمع أشتات المسلمين تحت راية واحدة هي راية الخليفة العربي الأموي ، ثانيهما يُذمُّ به : وهو اذلال الأمة العربيَّة اذلالاً لم تَعَهِّده منذ خلقت : بما قتل من نَحوتها ، وسلب من حريتها ، وأخرس من

(١) وأول ما عرف من كفايته أن عبد الملك بن مروان شك ما رأى من انحلال العسكر وأن الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله حين توجه الى الجزيرة لقتال زفر بن الحارث عند ما عصى عليه — فقال له روح بن زنباع يا أمير المؤمنين ان في شرطتي رجلا لو قلده أمير المؤمنين أمر عسكره لارحلهم برحيله وأنزلهم بنزوله — يقال له الحجاج بن يوسف — قال فانا قد قلدناه ذلك فكان لا يقدر أحد أن يتخلف عن الرحيل والنزول إلا أعوان روح بن زنباع فوقف عليهم يوما وقد رحل الناس وهم على طعام يأكلون — فقال لهم ما منكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين — فقالوا له انزل يا بن . . . فكل معنا — فقال هيئات ذهب ما هنالك ، ثم أمر بهم فجلدوا بالسياط وطوفهم في العسكر وأمر بفساطيط روح بن زنباع فأحرق بالنار فدخل روح بن زنباع على عبد الملك بن مروان باكياً فقال له مالك فقال يا أمير المؤمنين الحجاج بن يوسف الذي كان في عديد شرطتي ضرب عبيدي وأحرق فساطيطي — قال عليّ به ! فلما دخل عليه قال ما حملك على ما فعلت قال ما أنا فعلته يا أمير المؤمنين — قال ومن فعله قال أنت والله فعلت ، انما يدي يدك وسوطي سوطك وما على أمير المؤمنين ان يخلف على روح بن زنباع للفساطيط والفساطيطين وللغلام غلامين ولا يكسرنى فيما قدمنى له . فأخلف لروح ابن زنباع ما ذهب له وتقدم الحجاج في منزله وكان ذلك أول ما اعجب عبد الملك منه



ألسنتها ، فدخلت بعده في طور خُضوع وامتهال للحكام المستبدين أكل بقيته  
نصرأ الدولة العباسية من الأعاجم

وخدم الحجاج بولايته عبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، حتى كان ملكه  
ما بين الشام والصين . ومات سنة ٩٥ هـ في مدينة واسط<sup>(١)</sup> التي بناها بالعراق

وكان الحجاج آية في البلاغة وفصاحة اللسان وقوة الحججة . قال الأصمعي : -  
أربعة لم يَلْحَنُوا في جِدِّ ولا هزل : الشَّعْبِي ، وعبد الملك بن مروان ، والحجاج

ابن يوسف<sup>(٢)</sup> ، وابن القُرَيْبَةِ<sup>(٣)</sup> ، والحجاج أفصحهم . وقال مالك بن دينار: ما رأيت  
أحداً أبين من الحجاج ؛ إنه كان ليرقى المنبر فيذكر إحسانه الى أهل العراق

وصفحه عنهم وإساءتهم اليه ، حتى انى لأحسبه صادقاً وأظنهم كاذبين

ومن مآثره ما يأتي لك من اهتمامه بوضع النقط والشكل للمصحف وغيره ، ونسخه

عدة مصاحف من مصاحف عثمان : وارسالها إلى بقية الأمصار

ومن خطبه المشهورة خطبته لما قدم أميراً على العراق ؛ فإنه دخل المسجد معتمراً

بعامة قد غطى بها أكثر وجهه مُتَقَلِّداً سيفاً ، متسكباً<sup>(٤)</sup> قوساً يوم المنبر ، فقام الناس

نحوه حتى صعد المنبر فكث ساعة لا يتكلم ، فقال الناس بعضهم لبعض قبح الله

بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق : حتى قال عمير بن ضابئ البرجمي :

ألا أحصيه لكم - فقالوا أمهل حتى ننظر ، فلما رأى عيون الناس اليه حَسَرَ اللثام

عن فيه ونهض ثم قال :

(١) بلد بالعراق (٢) زعم بعضهم أن الحجاج قد اخطأ ونسب له ما يأتي : قال الحجاج

لشعبي كم عطاءك في السنة قال الفين - قال ويحك كم عطاؤك قال الفان - قال وكيف لحنت

أولاً - قال لحن الأمير فلحنت فلما أعرب أعربت ، ولم أكن ليلحن الأمير فأعرب انا عليه

فأكون كالمقرع له والمستطيل عليه بفضل القول . وروى أيضا أن الحجاج قال ليحيى بن يعمر

أتسمعي ألحن قال في حرف واحد قال في أي قال في القرآن قال ذلك اشنع . ثم قال له ما هو

قال : تقول « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها

وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله » فتقرأ أحب بالرفع قال

الحجاج لا جرم أنك لا تسمع لي لحننا بمد هذا ثم الحقه بخراسان (٣) هو أيوب بن يزيد  
والقرية امه (٤) تنكب القوس القيتها على منكبي



أنا ابنُ جِلا وطلاغُ الثنايا متى أضع العِمامة تعرفوني  
ثم قال : يَهل الكوفة إنى لأرى رءوسا قد أينعت وحنِ قِطافها ، وانى  
لصاحبها ، وكأنى أنظر إلى الدماء بين العمام واللِّحى ، ثم قال :

هذا أو أن الشَّدِّ فاشتدَّى زِيمٌ (١) قد لَفَّها (٢) الليل بسواقِ حُطَمٍ (٣)  
ليس براعى إبل ولا غنمٌ ولا بجزارٍ على ظَهْرٍ وضم (٤)

قد لَفَّها الليل بَعْصَبِي (٥) أرُوغ (٦) خَرَّاجٍ من الدَّوَى (٧)  
مهاجر ليس بأعرابي

قد شمَّرت عن ساقها فشدوا وجدَّت الحربُ بكم فجدوا  
والقوسُ فيها وترُّ عُرْدٌ (٨) مثلُ ذِراعِ البِكر (٩) أو أشدُّ  
لا بدُّ مما ليس منه بدُّ

إنى والله يَهل العراق ما يُقَعِّع لي بالشَّنان (١٠) ولا يُعْمز جانبي كسغماز التين  
ولقد فُرت (١١) عن ذكاء ، وفُتَّشت عن تجربة ، وان أمير المؤمنين أطال الله  
بِقاءه نثرَ كنانته (١٢) بين يديه فَعَجَم (١٣) عيدانها فوجدنى أمرها (١٤) عوداً وأصلبها  
مكسراً فرما كم بى : لانكم ظالما أو ضَعَمْتُمْ (١٥) فى الفِتنَةِ واضطجعتُم فى مراقد  
الضلال ، والله لأخرمنكم حَزَمَ السَّلْمَةَ (١٦) ولاضربنكم ضرب غرائب (١٧) الإبل

- (١) اسم فرس أو ناقة (٢) جمعها  
(٣) لا يبقى من السير شيئاً (٤) كل ما قطع عليه اللحم (٥) شديد (٦) ذكى  
(٧) الدو الصحراء أى خراج من كل غمء شديدة ، والدوية الصحراء المتسعة التى تسمع  
لها دويًا بالليل (٨) شديد (٩) الفقى من الأبل (١٠) الشنان جمع شن وهو الجلد  
اليابس فإذا قمعق به أى ضرب ففرت الأبل منه ، يضرب ذلك مثلاً لنفسه  
(١١) فر الدابة ككشف عن أسنانها لينظر ما سنها ، وعن الأمر بحث عنه  
(١٢) الكنانة جعبة السهام من جلد (١٣) عضها لينظر أيها أصلب (١٤) اقواها  
(١٥) الأيضاع حمل الدابة على الإسراع . والمراد : أسرعتم فى الشر  
(١٦) نوع من الشجر ، وذلك لان الأشجار تمصب اغصانها ثم تختببط بالعصى لسقوط الورق  
وهشيم العيدان (١٧) وهى تضرب عند الهرب وعند الخلاط وعند الحوض أشد الضرب  
الوسيط م (١٦)



فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . واني والله ما أقول إلا وفيت ، ولا أهتم إلا أمضيت ، ولا أخلق<sup>(١)</sup> إلا فريت<sup>(٢)</sup> وإن أمير المؤمنين أمرني باعطائكم اعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب<sup>(٣)</sup> بن أبي صفرة . واني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه

## الكتابة

للكتابة كما أسلفنا معنيان : خطية وانشائية

### الكتابة الخطية

كان الخط الذي يكتب به العرب في مبدأ ظهور الاسلام هو الخط الأنباري الحيري المسمى بعد انتقاله الى الحجاز بالحجازي ؛ وهو أصل النسخ . وكان يكتب به النزر اليسير من العرب عامة وبضعة عشر من قريش خاصة ، وبعض أفراد من أهل المدينة ومجاوريهم من اليهود . فلما انتصر النبي صلى الله عليه وسلم على قريش في يوم بدر وأسر منهم جماعة كان فيهم بعض الكتاب ، فقبل الفداء من أميهم وفادى الكتاب منهم بتعليم عشرة من صبيان المدينة ، فانتشرت الكتابة بين المسلمين ، وحض النبي على تعلمها ، وتمكن أمرها بعد فتح مكة واجتماع شمل المهاجرين منها والأنصار . فقام نزول القرآن حتى كان لرسول الله أكثر من أربعين كاتباً

(١) اقتدر (٢) قطعت (٣) هو ابو سعيد المهلب بن ابي صفرة الازدي البصري قائد قواد الامويين ومبيد الخوارج ومبتدع الركب الحديدية . ولد بالبصرة ونشأ بها وظهر أمره في مقاتلة الخوارج مدة الحجاج وقد ابلى في مقاتلتهم هو وأولاده اعظم بلاء حتى أخلى البصرة منهم فسببت اليه فقبل بصرة المهلب . وولاه الحجاج خراسان فأقلم بها حتى مات سنة ٨٢ هـ على ما رواه الطبري . وله كلمات مأثورة منها : الحياة خير من الموت ، والثناء الحسن خير من الحياة — لو اعطيت ما لم يعطه احد لأحببت أن تكون لي أذن اسمع بها ما يقال في غدا اذا مات — يا بني احسن ثيابكم ما كان على غيركم



ومن أشهر كتّاب الصحابة نفر الأربعة الذين كتبوا المصاحف لعثمان : وهم زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام . ولما فتح المسلمون الممالك ومصروا الامصار ونزلت جمهرة الكُتاب منهم الكوفة ، عنوا بتجويد الخط العربي وهندسة أشكاله وتمطيط عرّاقاته ( كاساته ) ، حتى صار خط أهل الكوفة ممتازاً بشكله من الخط الحجازي ، واستحق أن يسمى باسم خاص وهو ( الكوفي ) وبه كانت تُكتبُ المصاحفُ المَجُودَةُ الخط ، وحلى القصور والمساجد ، وسكك النقود . وبقى الحجازي مستعملاً في المكاتبات العادية . ثم حدث في الكوفي أنواع بعد هذا العصر نذكرها بعد

وكان الصحابة وتابعوهم من بني أمية يكتبون بلا إعجام<sup>(١)</sup> ولاشكل إلا قليلاً ، اعتماداً منهم على معرفة المكتوب إليهم باللغة واكتفائهم بالرمز القليل في قراءة اللفظ . فلما فسد اللسان باختلاط العرب بالعجم ، وظهر اللحن والتحريف في الألسنة وفي قراءة القرآن ، اشفقَ المسلمون على تحريف كليم الكتاب الكريم ، فوضع أبو الأسود الدؤلي<sup>(٢)</sup> علامات في المصاحف بصيغ مخالف ، فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة نقطة أسفله ، والضممة نقطة من الجهة اليسرى ، وجعل التنوين نقطتين . وكان ذلك في خلافة معاوية

ووضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر الحجاج نقط الإعجام بنفس المداد الذي كان يكتب به الكلام حتى لا يختلط بنقط استاذها ابى الاسود . وكان ذلك في خلافة عبد الملك بن مروان . ثم شاع في الناس بعدُ ، كما ترى ذلك واضحاً في النماذج الآتية :

(١) لعل الاعجام بالنقط لتمييز الحروف سابق هذا العهد الا أنه لم يكن ملتزماً وربما لم يكن شاملاً لجميع ما أعجمه نصر ويحيى

(٢) هو ظالم بن عمرو الدؤلي من سادات التابعين وأعيانهم كان من أكمل الرجال رأياً وأسداهم عقلاً ، وهو أول من وضع النحو واخترع الشكل بالنقط توفي بالبصرة سنة ٦٩ هـ عن خمسة وثمانين عاماً



<p>بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله          سوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على          من اتبع الهدى اما بعد فانني          ادعوك بدعوة الاسلام استلم          تسلم يؤتاك الله اجره ثم قرئين          فان توليت فعليك انتم كل القبط          يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة          سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله          ولا شئ كيشيا ولا يخفى بعضنا          بعضا اربابا من دون الله لان          تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون          الله رسول محمد</p>	<p>بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله          سوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على          من اتبع الهدى اما بعد فانني          ادعوك بدعوة الاسلام استلم          تسلم يؤتاك الله اجره ثم قرئين          فان توليت فعليك انتم كل القبط          يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة          سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله          ولا شئ كيشيا ولا يخفى بعضنا          بعضا اربابا من دون الله لان          تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون          الله رسول محمد</p>
-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

صورة كتاب النبي عليه الصلاة والسلام الى المقوقس عظيم القبط

والصورة الآتية كتاب توضيح ما يقرأ منه هكذا :

<p>فادفع اليه ما كان          له بأرضك من جاليتيه          ولا أعرفن ما رددت          رسله أو كتب الى          يشتكيك والسلام          على من اتبع الهدى وكتب          يزيد في جمادى الآخرة          سنة احدى وتسعين</p>	<p>.....          أما بعد فان هشام بن عمر          كتب الى يذكرك          جالية له بأرضك          وقد تقدمت الى          العمال وكتبت اليهم          ألا يؤوا جالياً فاذا          جاءك كتابي هذا</p>
------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

والمودج الآتى منحرف عن الهيئة الكوفية إلى الهيئة التي نكتب عليها نحن الآن وخال من النقط الأ قليلاً



اما بعد فان ههنا هم  
 كذا  
 ما له ما  
 وقد  
 الهم  
 الا هو و  
 كرم  
 ما د  
 له ما  
 ولا  
 رسالة  
 ستنتهي  
 على  
 و  
 سنده



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 أَوْ نُذِرًا إِمَّا تُوعَدُونَ  
 لَوْ قَعْنَا إِذَا النَّجُومُ طُمِسَتْ  
 وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ وَإِذَا  
 ذَا الْجِبَالِ نُسِفَتْ وَإِذَا

( نموذج مضبوط بالنقط على طريقة ابى الاسود )

عَدَابًا أَيْمًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَوْ نُذِرًا إِمَّا تُوعَدُونَ  
 لَوْ قَعْنَا إِذَا النَّجُومُ طُمِسَتْ  
 وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ وَإِذَا  
 ذَا الْجِبَالِ نُسِفَتْ وَإِذَا

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَا  
 لْعَصْفِ عَصْفًا وَالنَّشْرِ  
 نَشْرًا فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا  
 فَالْمُلْتَمِتِ ذِكْرًا عُدْرًا



## الكتابة الإنشائية

وهي قسمان : كتابة رسائل ودواوين<sup>(١)</sup> ، وكتابة تدوين وتصنيف

### كتابة الرسائل والدواوين

كان زعماء العرب وفصحائهم كلهم كُتَّابًا يَنْشِئُونَ بملكتهم ولو لم يَخْطُوا بيمينهم ؛ فكان النبي وأصحابه وخلفاؤه يُملُون كُتَيْبَهُمْ على كُتَّابِهِمْ بعبارتهم ، وبعضهم يكتبها بيده ، وكان من ذلك أيام ظهور الاسلام وأزمان الفتوح والمغازي مئات الرسائل والعهود ولما اتسعت موارد الخلافة ووفرت الغنائم وأعطيات الجنود منها ، أصبحت الخلافة الاسلامية في حاجة الى انشاء الدواوين لضبط ذلك ، فكان عمرُ أوَّل من دَوَّن الدواوين في الاسلام وكانت مقصورة على الضرورى منها لمكان البداوة من الامة وكان كُتَّاب الرسائل للخلفاء وعماهم إما عرباً وإما مَوَالِي يُجِيدُونَ العربية أما كُتَّاب الخراج ونحوه فكانوا في كل اقليم من أهله يكتبون بلغتهم فيكتبون في فارس والعراق بالفارسية ، وفي الشام بالرومية ، وفي مصر بالقبطية . ولما نبغ من العرب من يحسن عملهم حُوِّلَتْ هذه الدواوين الى العربية زمنَ عبد الملك بن مروان والوليد ابنه ، وجرى خلفاء بني أمية في كتابة الرسائل على ما كان عليه الامر زمن الخلفاء الراشدين

ثم لما اتسعت رُفْعَةُ المملكة وقررت أمور الدولة وازدادت الأعمال وشغل الخلفاء عن أن يَلُؤُوا الكتابة بأنفسهم أو بخاصة عشيرتهم ، عهدوا بها الى كبار كُتَّابِهِمْ فتوفروا عليها حتى أوشكت في أواخر دولتهم أن تصير صناعة عتيده<sup>(٢)</sup> متحيدة الأصول متشعبة الفروع بما أدخله فيها الناشئون من أبناء الكُتَّاب والموالي بعد نقل الدواوين الى العربية

(١) الديوان الكتاب يكتب فيه أهل العطية ، وأول من وضعه عمر رضى الله عنه ، ثم صار يطابق على المكان الذى يجتمع فيه الكتاب (٢) مهياة محكمة



وكان كثير منهم يعرف اللغة الرومية أو الفارسية أو اليونانية أو السريانية وهي لغات أم ذات حضارة وعلوم ، ونظام ورسوم ، ومن هؤلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك أحد الواضعين لنظام الرسائل ، وأستاذ عبد الحميد الكاتب الذي آلت إليه زعامة الكتابة آخر الدولة الأموية . ومع كل ذلك لم تصل درجة الكاتب العظيم في هذا العصر الى ما وصلت اليه بعد من ارتقاء مرتبة الوزارة

### مميزات الكتابة الانشائية

وتمتاز الكتابة في هذا العصر بالمميزات الآتية :

( ١ ) الاقتصار في أغراضها على القدر الضروري لدولة عربية : لقلة تجرئة الأعمال وضبط الأمور الصغائر : ولشمول العدالة والثقة أكثر عمال الأمة وانصاف الناس بعضهم بعضاً

( ٢ ) الاقتصار في معناها على الإلمام بالحقائق وتوضيحها بلا مبالغة ولا تهويل

( ٣ ) استعمال الألفاظ الفحلة ، والعبارات الجزلة . والأساليب البليغة ؛ اذ كان الكاتب والمكتوب اليه عربا فصحاء ، وكان البيان غاية النبيل منهم ؛ فقد كانوا يتوخون ملاءمتها لحال المكتوب اليه : فتارة تكون موجزة سهله وذلك اذا كانت لغير العرب ليسهل على من له الإلمام باللغة ترجمتها كما ترى ذلك في كتبه صلى الله عليه وسلم الى كسرى أبرويز ملك فارس<sup>(١)</sup> أو هرقل قيصر الروم ، وتارة تكون عالية العبارة متينة الأسلوب اذا كان المخاطب عربياً فصيحاً كما كان ذلك

---

(١) وهو : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله وأدعوك بدعاية الله عز وجل ، فاني انا رسول الله الى الناس كافة ، لا نذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، وأسلم تسلم ، فان توليت فان اثم المجوس عليك



في كتبه صلى الله عليه وسلم الى بنى نَهْدٍ<sup>(٤)</sup>، والى وائل بن حُجْرٍ وأهل حَضْرَمَوْتِ  
(٤) مراعاة الایجاز غالباً الا حيث يستدعى الحال الإسهاب . وبقي الأمر على  
ذلك حتى جاء عبد الحميد الكاتب آخر الدولة الأموية ، فأسهب في الرسائل ،  
وأطال التحميدات في أوّلها ، وسلك طريقه من أتى بعده

(٥) قلةُ التفنن في أنواع البدء والختم ، فقد كانت الجاهلية تكتب في أول  
كتبتها باسمك اللهم ، وبعدها تكتب من فلان الى فلان ويمضون في الغرض .  
وكان صلى الله عليه يفتتح كتبه بالبسملة ، وبعدها : من محمد رسول الله الى فلان ،  
ويبتدئ غالباً صدرها بالسلام عليكم أو السلام على من اتبع الهدى ، ويثني  
بالتحميد بعد السلام فيقول : انى أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو ؛ ويتخلص من  
صدر الكتاب الى المقصود تارة بأما بعد ؛ وأخرى بغيرها ؛ وكان يختصمها في الاكثر  
بالسلام عليكم ورحمة الله ، أو السلام على من اتبع الهدى

(٦) التعبير غالباً عن النفس بلفظ الأفراد مثل ( أنا ، ولى ، وجاءنى ، ووفد على ) ،  
ومخاطبة المكتوب إليه بكاف الخطاب وتائه ، وعند الثانية بلفظها مثل ( أنتما ولكما )  
وعند الجمع بلفظه أيضاً مثل ( أنتم ولكم ) . وبقي الأمر متبعاً في خلفائه الراشدين  
وخلفاء بنى أمية الى أن ولى الوليد بن عبد الملك فجوّد القرايطيس ، وجلال الخطوط ،  
وفخّم المكاتبات ، وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك الا ما كان من عمر بن

(\*) قبيلة باليمن ونص الخطاب كما في صبح الاعشى : من محمد رسول الله الى بنى نهد . السلام  
على من آمن بالله ورسوله ، لكم يا بنى نهد في الوظيفة القريضة ، ولكم الفارض والفريش  
وذو العنان الرّكوب ، والفلو الضبيس ، لا يمتنع سرّحكم ، ولا يعصد طلّحكم  
ولا يئجس درّكم ، ما لم تضمروا الإماق ، وتأكلوا الرّباق . من أقرّفه الوفاء بالهد  
والذمة ، ومن أبى فعليه الرّبوّة

الوظيفة النصاب في الزكاة . الفريضة الهرمة . الفريش الفرس اذا حمل عليه بعد النتاج . ذو  
العنان الركوب الفرس الذلول . الفلو المهر الصغير . الضبيس ، الذى لم يذلل . السرح - المواشى .  
الدر اللبن والمراد ذوات الدر . الاماق - الحنق والمراد الغدر ، الرباق عروة في الحبل تكون في  
عق الهيمة والمراد نقض العهد . الربوة - الزيادة في الفريضة الواجبة عليه كالعقوبة له



عبد العزيز ويزيد بن الوليد فانهما جريا في ذلك على طريقة السلف . ثم رجع الأمر الى مروان بن محمد آخر خلفائهم وكتب له عبد الحميد بن يحيى ، وكان من اللسن والبلاغة على ما اشتهر ذكره ، فأطال الكتب وأطنب فيها حيث اقتضى الحال تطويلها والإطناب فيها كما تقدم

### نماذج من الرسائل والأمثال والحكم

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خالد بن الوليد :

من محمد رسول الله الى خالد بن الوليد

سلامٌ عليك ، فاني أحمدُ اليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإن كتابك جاءني مع رسولك ، يخبرني أن بني الحارث قد أسلموا قبل أن تُقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم اليه من الاسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن قدها هم الله بهداه ، فبشّرهم وأنذّرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدهم . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته !

وكتب أبو بكر الى المساميين يعهد إلى عمر بالخلافة :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة ، في الحال التي يؤمن فيها الكافر ، ويتقى فيها الفاجر . اتى استعملت عليكم عمر بن الخطاب ؛ فان برّ وعدل فذلك علمى به ورأى فيه ، وان جار وبدل فلا علم لى بالغيب ، والخير أردت ، ولكل امرئ ما اكتسب . ( وسيعلم الذين ظلموا أى مقلب ينقلبون )

وكتب سيدنا عثمان لسيدنا عليّ يستنجده :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فقد بلغ السيل الزبى <sup>(١)</sup> ، وجاوز الحزام الطيبين <sup>(٢)</sup> ، وطمع في من لا يدفع عن نفسه ، ولم يغلبك مثل معلب <sup>(٣)</sup> فأقبل الى صديقاً كنت أوعدوا

(١) جمع زبية وهى حفيرة تحفر في أعلى الجبل للاسد اذا أرادوا صيده

(٢) الطي حلة الضرع لنوات الاربع ( أى اشتد الامر ) (٣) المغلوب مراراً



فان كنتُ ما كولاً فكن خيراً كلِّ وإلا فأدركني ولما أمرتُ  
وكتب بشر الى أخيه عبد العزيز بن مروان يعتذر عن كتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم  
لولا الهفوة لم أحتج الى العذر، ولم يكن لك في قبوله مني الفضل ، ولو احتمل  
الكتاب أ أكثر مما ضمنتَه لزدت فيه  
وبقيا الأ كابر على الأصغر ، من شيم الأ كارم . ولقد أحسن مسكين الدارمي  
حين يقول :

أخاك أخاك ان من لا أخاله كساع إلى الهيجا بغير سلاح  
وان ابن عم المرء (فاعلم) جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح  
وقال كعبُ العبسيُّ لعروة بن الزبير : قد أذنبتُ ذنباً الى الوليد بن عبد الملك  
وليس يزيل غضبه شيءٌ فاكتب لي اليه فكتب اليه :

لوم يكن لكعب من قديم حرمة ما يغفر له عظيم جريرته لوجب الأ تحرمه  
التفويضُ بظل عفوك الذي تأمله القلوبُ ، ولا تعلقُ به الذنوب . وقد استشفع بي  
اليك ، فوثقتُ له منك بعفو لا يخالطه سُخطُ . فحقتُ أمكه وصدقُ ثقتي بك ،  
تجد الشكر وافيةً بالنعمة  
فكتب اليه الوليد :

قد شكرت رغبته اليك ، وعفوتُ عنه لمعولِّه عليك ، وله عندي ما يجب ،  
فلا تقطع كتبك عني في أمثاله وفي سائر أمورك  
وهاك طرفاً من الأمثال :

إن من البيان لسحراً (١) - إن المنبتَّ (٢) لا أرضاً قطع ولا ظهراً (٣) أبقي (٤) -  
إن مما يُنبتُ الربيع ما يقتلُ حبطاً (٥) أو يلبم (٦) - ان لله جنوداً منها العسل (٧) -

(١) مثل قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب في استحسان المنطق وإيراد الحجّة البالغة  
(٢) المنقطع عن أصحابه في السفر (٣) دابة (٤) قائله رسول الله ويضرب لمن يباليغ  
في طلب الشيء ويفرط حتى ربما يفوته على نفسه (٥) انتفاخ يعتري الابل من كثرة الاكل  
(٦) يقارب : قائله رسول الله ، يضرب في النهي عن الافراط (٧) قائله معاوية رضي الله  
عنه : ويضرب عند الشماتة بما يصيب العدو



ان البلاء موكل بالمنطق (١) - انما أُكِلْتُ يوم اكل الثور الأبيض (٢) - أنا جَذِيلُهَا (٣) الْمُحَكِّكُ (٤) ، وَعَدِيْقُهَا (٥) الْمَرْجَبُ (٦) - إِيَاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدِّمَنِ (٧) - حَزَّكَ لَهَا حَوَارِهَا تَحَنُّ (٨) - عند الصباح يحمد القوم السرى (٩) - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق في خبايا الأرض - رُبَّ مَبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ - وقال أبو بكر رضى الله عنه : ليست مع العزاء مصيبة - الموت أهون مما بعده ، وأشدُّ مما قبله . أصلح نفسك يَصْلُحُ لَكَ النَّاسُ ، اذا فاتك خيرٌ فأدرِكهُ ، وان أدركك شرٌّ فأسْبِقْهُ - وقال عمر رضى الله عنه : من كتم سره كان الخيارُ في يده . أَعْقَلُ النَّاسِ أَعْدَرُهُمُ لِلنَّاسِ . لا تُؤَخَّرْ عَمَلُ يَوْمِكَ لَعَدِكَ . لا يَنْفَعُ تَكَلُّمُ بِحَقِّ لَافِئَاتِهِ - وقال عثمان رضى الله عنه : ما يَزَعُ اللهُ بِالسُّلْطَانِ أَكْثَرَ مِمَّا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ . الهدية من العامل اذا عُرِّلَ مثلها منه اذا عمل . يكفيك من الحاسد أن يَغْتَمَّ وقت سرورك - وقال عليُّ رضى الله عنه من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه . من صارع الحقَّ صرعه . العَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى . الْخُرْقُ الْمَعَالِجَةُ قَبْلَ الْإِمْكَانِ ، وَالْأَنَاةُ بَعْدَ الْفُرْصَةِ . الْأَمَانِيُّ تَعْمَى أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ . قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يَحْسِنُهُ . الْوَالِيَّاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ - ومن كلام ابن عباس رضى الله عنه : الْحَرَمَانُ خَيْرٌ مِنَ الْإِمْتِنَانِ . صاحب المعروف لا يقع فان وقع وجد متكأ - وقال عمر بن عبد العزيز : من يزرع خيراً يُوشِكُ أَنْ يَحْصُدَ غِبْطَةً ، ومن يزرع شراً يُوشِكُ أَنْ يَحْصُدَ نَدَامَةً

(١) قائله أبو بكر رضى الله عنه : يضرب في الاحتراس من عثرات اللسان  
 (٢) قائله علي رضى الله عنه : يضرب للرجل يرزأ بأخيه (٣) تصغير الجذل وهو أصل الشجرة  
 (٤) الذى تتحكك به الابل الجربى من عود ينصب في مبارك الابل أو أصل شجرة  
 (٥) تصغير العنق وهو النخلة (٦) الذى جعل له رجية وهى دعامه تبنى حول النخلة الكريمة  
 من الحجارة لثلاث تقع : قائله الحباب بن المنذر الانصارى يوم السقيفة ويضرب للرجل يستشفى برأيه وعقله

(٧) خضراء الدمن البقلة الحسنة تنبت في الدمن وهى منبت خبيث ، ويضرب في الحسن  
 الظاهر الخبيث الاصل وقائله الرسول الكريم (٨) الحوار ولد الناقة الرضيع قائله عمرو بن  
 العاص ، ويضرب في تذكر المرء بما يهيجه (٩) السرى السير ليلاً ، قائله خالد بن الوليد .  
 ويضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة



## الكتاب

كتاب هذا العصر كثيرون ، فقد كان الخلفاء والأمراء والقوادُّ كلهم كتاباً بلغاء . وانك لترى كثيراً من رسائلهم وعهودهم في تاريخ الطبري وغيره من كتب المغازي والفتوح . ولما صارت الكتابة صناعة تداولها كثير من الأعاجم وغيرهم ، واشتهر من بين هؤلاء عبد الحميد الكاتب ، وهاك ترجمته :

### عبد الحميد بن يحيى الكاتب

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامريّ ولأبى الشامى دارا ، شيخُ الكتاب الأوائل ، وأوّل من أطال الرسائل

كان عبد الحميد من أهل الشام من موالى بنى عامر ، وتخرّج في البلاغة والكتابة على ختّنة<sup>(١)</sup> أبى العلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك وكاتب دولته وأحد بلغاء عصره والنقلة من اليونانية . وكان عبد الحميد في أوّل أمره معلّم صبيان يتنقّل في البلدان حتى فطن له مروان بن محمد أيام تولّيه أرمينية وانتدابه لتسكين فتنتها ، فكتب له مدة ولايته حتى إذا بلغه مبايعة أهل الشام له بالخلافة ، سجد مروان لله شكراً وسجد أصحابه لإعبد الحميد . فقال له مروان لم لا تسجد ؟ فقال ولم أسجد ؟ أعلى أن كنت معنا فطرت عنا ؟ قال إذا تطير معي - قال الآن طاب لى السجود وسجد ، فاتخذ مروان كاتب دولته . فصدر عنه من الرسائل ما صار نموذجاً يحاكيه من بعده

ولمّا دهمت مروان جيوش خراسان أنصار الدعوة العباسية وتوالت عليه الهزائم كان عبد الحميد يلزمه في كل هذه الشدة - فقال له مروان : قد احتجت أن تصير مع عدوّي وتظهر الغدريّ ؛ فان إعجابهم بأدبك ، وحاجتهم الى كتابتك

(١) الختّن هنا كل من كان من قبل المرأة كلاب والآخر



تحوّجهم الى حسن الظن بك ، فان استطعت أن تفنعني في حياتي ، والآلم تعجز عن حفظ حُرْمِي بعد وفاتي - فقال له : ان الذي أشرت به عليّ أنفع الأمرين لك وأقبحهما بي ، وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك . وأنشد :

أَسِرَّ وِفَاءً ثُمَّ أَظْهَرُ عَذْرَةَ ! فَمَنْ لِي بِعَذْرِ يُوسِعُ النَّاسَ ظَاهِرَهُ ؟

وبقي معه حتى قتل مروان سنة ١٣٢ هـ ، ففرّ واختبأ عند صديقه ابن المقفع ففجأه الطلب وهو في بيته - فقال الذين دخلوا عليهما : أيكما عبد الحميد ؟ - فقال كل منهما : أنا ، خوفاً على صاحبه . وخاف عبد الحميد أن يسرعوا الى ابن المقفع فقال : ترفّقوا بنا فان كلاً منا له علامات ، فوكّلوا بنا بعضهم ويمضى بعض آخر ويذكر تلك العلامات لمن وجهكم ففعلوا ، وأخذ عبد الحميد الى السّفاح فقتله سنة ١٣٢ هـ

آثاره  
في الكتابة

منزلته في الكتابة - اتفقت كلمة البلغاء وأهل الأدب على أن عبد الحميد هو الاستاذ الأوّل لأهل صناعة كتابة الرسائل ، وذلك أنه أوّل من مهدّ سُبُلها ، وميّز فصولها ، وأطالها في بعض الشئون ، وقصرها في بعضها الآخر ، وأطال التحميدات في صدرها ، وجعل لها صوراً خاصّةً بيدها وختمها ، على حسب الأغراض التي تكتب فيها ، بل هو الذي رقى هذه الصناعة التي كانت من مهن الموالى ، حتى صارت بعده سُدّماً يعرّج فيه الكاتب الى مرتبة ليس فوقها إلاّ الخلافة : وهي مرتبة الوزارة

وكان لبلاغة عبد الحميد عمل يعجز عنه السحر في خلب الأفتدة وجذب النفوس ؛ فيقال إنّهُ لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب اليه عن مروان كتاباً يستجلبه به وضمّنه ما لو قرئ لأدّى الى وقوع الخلاف والفشل - وقال لمروان : قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تديره فإن يك ذلك وإلاّ فاهلاك .

بلاغة  
عبد الحميد



وكان الكتاب لكبر حَجْمه يحمل على جمل . فلما وصل الكتاب الى داهية خراسان  
أبي مسلم ، أمر باحراقه قبل أن يقرؤه وكتب على جُذادة<sup>(١)</sup> منه الى مروان  
محا السيفُ أسطارَ البلاغةِ واتمتحى عليك ليوث الغاب من كل جانب  
نموذج من كتابته .

ومما كتبه عبد الحميد موصياً بشخص :

حقُّ موصل كتابي عليك ، كحقةِ عليٍّ ؛ إذ جعلك موضعاً لأمله ، ورآني أهلاً  
لحاجته ، وقد أنجزت حاجته . فصدِّقْ أمله  
وكتب الى أهله وهو منهزم مع مروان :

أما بعد فان الله جعل الدنيا محفوفةً بالمكاره والشرور ، فمن ساعده الحظ فيها .  
سكن اليها ، ومن عضته بنابها ، ذمها ساخطاً عليها ، وشكها مستزيداً لها ، وقد  
كانت أذقتنا أفويق<sup>(٢)</sup> استحليناها ، ثم جمحت<sup>(٣)</sup> بنا نافرة ، ورمحتنا<sup>(٤)</sup> مؤلّية ،  
فملح عذبها ، وخشنَ لِينها فأبعدتنا عن الاوطان ، وفرقتنا عن الاخوان ، فالدار  
نازحة<sup>(٥)</sup> والطير بارحة<sup>(٦)</sup> ، وقد كتبت والايام تزيدنا منكم بعداً ، واليكم وجداً ، فان  
تمّ البلية الى اقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وينا ، وان يلحقنا ظفرُ جارحٍ من  
أظفار من يليكم نرجع اليكم بذل الإِسار ؛ والذل شرُّ جار . نسأل الله تعالى الذي  
يُعز من يشاء ويذل من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفةً جامعةً ؛ في دار آمنة ، تجمع  
سلامة الابدان والاديان ، فانه رب العالمين ؛ وأرحم الراحمين

(١) قطعة (٢) الفيقة بالكسر اسم الذين يجتمع في الضرع بين الحلبتين والجمع فيق وفيق  
وفيقات وافواق وجمع الجمع أفويق (٣) جمحت الفرس غلبت راکبها  
(٤) رمحت الفرس كنع رفته (٥) بعيدة (٦) البارح من الطير مامر من ميامنك  
الى مياسرك وهو يتشام منه



## موازنة بين النثر الجاهلي ونثر صدر الاسلام

أسبقنا الكلام في نثر الجاهلية أنهم كانوا لا يحفلون بانقاء الالفاظ والتعمق في المعاني وترتيبها ، ولا يُولعون بالتأنق في صوغ العبارات وسجع الكلام ، ولا يبعدون الشقة بين طرفي الجملة وبخاصة الحكمة والمثل ، على قصد منهم إلى الايجاز في الالفاظ ، وتعمد الى استيفاء المعنى من غير إخلال ، اعتماداً على سليفة المتفهم لكلامهم ودقيق كنياتهم

ويرى القارئ بعد تلاوة ما كتب في أحوال النثر في صدر الاسلام :

أن أهل هذا العصر إما طراً عليهم من الحوادث الاجتماعية والسياسية والدينية قد خالفو طريقة سابقهم بما يمكن اجماله فيما يأتي :-

- ١ - اتساع وجوه الكلام ومقاصده لاتساع الملك ودواعي السياسة وشعائر الدين
- ٢ - عناية أهل هذا العصر بعض العناية تهذيب ألفاظهم ، فهجروا بعضاً وحرصوا على آخر ، وسعد من بين هذه الالفاظ بالاستعمال والرواج ما دار في عبارات القرآن والسنة ، مع حفلهم بتوليد الحديث من القديم
- ٣ - تأنقهم في صوغ عباراتهم ومحاكلتهم فيها لأساليب الكتاب والسنة ، واقتباسهم منها واستشهادهم بهما ، وقلة اقتصارهم على الجمل القصيرة والمسجوعة ، وبقائهم على اتباع خطة الايجاز أول هذا العصر ، وميلهم الى الاطناب أو اخره ، وغلبة استعمالهم في مبادئ الرسائل والخطب التحميدات والصلاة على الرسول الكريم والثناء على الله ونحو ذلك
- ٤ - ترتيبهم للمعاني والأفكار بدون تغلغل فيها ، ويظهر ذلك جلياً في الخطب التي كانوا يُعدونها قبل القول ؛ وفي الرسائل التي كانت تدور بين الخلفاء والأمراء أخريات هذا العصر



وقصارى القول أن هذه الحوادث الطارئة في هذه المدة قد صبغت اللغة بصبغة دينية سياسية اجتماعية ، وشملت من الأغراض ما لم تكن تتسع له من قبل ، وان لم تصل هذه الدرجة الى حد الكمال إلا في صدر العصر العباسي

### التدوين والتصنيف

انقضى زمن الخلفاء الراشدين ولم يدون فيه كتاب إلا ما كان من أمر كتابة المصحف . وكان مرجع الناس في أمر دينهم وديناهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ، فاذا اشتبه عليهم أمر من أمور الدين رجعوا الى الخلفاء وفقهاء الصحابة أو استخاروا الله فيه واستظهروا باجتهدهم رأياً عملوا به . وقد كانوا لا يكتبون أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وفتاوى الصحابة خشية أن يجرهم ذلك إلى الاعتماد على الكتب وإهمال حفظ القرآن الكريم والسنة ، ولأن الكتاب عرضة للضياع والتصحيف والتحريف ، ولو عرض للكتاب عارض فات معه علم الدين

ثم لما انتشر الاسلام زمن بنى أمية في مشارق الأرض ومغاربها واختلطت العرب بالأمم المختلفة من الأعاجم ، ففسدت فيهم ملكة اللسان العربي . وفشا اللحن وأشفقوا على القرآن من التحريف وعلى اللغة من الفساد ، دونوا النحو بعد إجماع وإقدام وأخذ ورد ، وكان أوّل من كتب فيه أبو الأسود الدؤلى ، وقد تلقى مبادئه عن الامام على ، وأخذ عنه فتيان البصرة وخصوصاً الموالى ، اذ كانوا أحوج الناس إلى النحو . واشتغل أهل الكوفة به بعد أن فشا بالبصرة ، ولم ينقض هذا العصر حتى اشتغل به طبقتان من البصريين وطبقة من الكوفيين

ثم لما حدثت الفتن وتعددت المذاهب والنحل وكثرت الأقوال والفتاوى والرجوع فيها الى الرجال والرؤساء ومات أكثر الصحابة ، خافوا أن يعتمد الناس على رؤسائهم ويتركوا سنة رسول الله ، فأذن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز



لأبي بكر محمد<sup>(١)</sup> بن عمر بن حزم في تدوين الحديث بعد أن استخار الله أربعين يوماً ، فدوّن ما يحفظ من حديث رسول الله في كتاب بعث به عمر الى الأمصار ولم يعرف له بعد ذلك خبر

وبقي كثير من التابعين مُجتمعاً عن التدوين والتصنيف تورعاً منهم ، وبعضهم كتب أو سمح لمن يكتب عنه في الحديث ورواية أقوال الصحابة في التفسير ، واتقضى هذا العصر ولم يدون فيه من علوم اللغة والدين غير النحو وبعض الحديث

وبعض التفسير . أما العلوم الأخرى فيُروى أنّ خالد بن يزيد بن معاوية حُبّب إليه مُطالعةُ كتب الأوائل من اليونان فترجمت له ونبغ فيها ووضع كتباً في الطب والكيمياء . وأن معاوية اسنقدم عبيد بن شَرِيَةَ<sup>(٢)</sup> من صَنعَاء ، فكتب له كتاب

( الملوك وأخبار الماضين ) . وأن وهب بن مُنَبِّه الزُّهْرِي<sup>(٣)</sup> وموسى بن عقبة كتباً في ذلك أيضاً كتباً ، وأن زياد بن أبيه وضع لابنه كتاباً في مثالب قبائل العرب . وأن ما سَرَجَوِيَه<sup>(٤)</sup> متطبّب البصرة تولى في الدولة المرّوانية ترجمة كتاب أهرُون<sup>(٥)</sup>

ابن أعين من السريانية الى العربية وأن يونس<sup>(٦)</sup> الكاتب ابن سليمان ألف كتاباً في الأغاني ونسبتها الى من غنّى فيها

ولكن ذلك لم يُقنّع الباحثين في تاريخ العلوم وتصنيفها أن يُعتبروا هذا العصر عصر تصنيف وتدوين إذ لم تتم فيه كتب جامعة حافلة ، وإنما كان كل ذلك مجموعات تدون على حسب ورودها واتفاق روايتها

تدوين الطب  
والكيمياء

تدوين التاريخ

الترجمة  
الى العربية  
تدوين الاغاني

(١) هو نائب عمر بن عبد العزيز في القضاء والولاية على المدينة وتوفى سنة ١٢٠ هـ  
(٢) أدرك النبي ولم يسمع منه وكان يروى عن الكيس النمرى وعاش الى أيام عبد الملك بن مروان (٣) هو أبو عبد الله صاحب القصص والخبار وسير الملوك وأحوال الانبياء وتوفى بصنعاء سنة ١١٦ هـ (٤) يهودى عاش الى صدر بن العباس وزاد على كتاب اهرورن مقاليتين عند ترجمته (٥) هو قس متطبّب تبلغ كناشته في الطب ٣٠ مقالة عاش في مبدأ الاسلام (٦) نشأ بالمدينة وكان من الكتاب وأخذ الغناء عن معبد وابن سريج وابن محرز والغريص واستقدمه الوليد بن يزيد فلامه حتى قتل



## الشعر والشعراء

### \* الشعر

جاء النبي الكريم ، والشعر ديوان العرب ، وجمع مكارمهم ومنبع مفاخرهم ،  
ومعرض فصاحتهم ، ومظهر نبالتهم ، وموضع الرغبة من نفوسهم فأثامهم بالأمر العظيم  
والحادث الخطير ، حاملاً باحدى يديه القرآن يدعو الناس إلى توحيد الله والتمسك  
بالفضيلة وشاهراً بالأخرى سيف الحق لحماية هذه الدعوة ، وما كان أشدّ ذهولهم  
لخطبهما ! وانزعاجهم من وقعها ! فهبوا يتحسسون الأول ويتمرسون بألفاظه  
ومعانيه ، ويتمرسون في أساليبه ومغازيه : من بين معاندي يتمس مطعناً فيه ،  
ومؤمن يستبينه ويستهديه ، وتأهبوا للثاني : من بين ضالّ يناوئه ، ومهتدي يعاضده ،  
فصار ذلك صارفاً لهم عن التشاغل بالشعر والتأهي به والتنافس فيه ، محوّلاً مجرى  
أفكار المؤمنين منهم عن أكثر فنونه وأغراضه المنحرفة عن سنن الشرف والحق :  
كالتشبيب ، والمغازلة ، والمدح الباطل ، والاستجداء والهجاء . وبغض اليهم تلك  
الفنون المرذولة إزرء القرآن على الشعر الذي يقال فيها ويقصر عليها بقوله ( والشعراء  
يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كلّ وادٍ يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون إلا  
الذين آمنوا وعمِلوا الصّالحاتِ وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا )  
ولهذا لم يكف شعراء المسلمين عن قوله فيما يطابق روح القرآن : كالتحذير على العمل  
الصالح ، والموعظة الحسنة ، ومدح الرسول وأنصاره ، والانتصاف للإسلام ممن  
ظلمه واعتدى عليه بهجاء أهله وذم نبيهم ، فقابلوا هجوهم بهجو كان أشدّ عليهم من  
وقع السهام في غبش الظلام

ولبت الحال على ذلك مدة حياة النبي الكريم حتى اذا ما ثاروا لإسكان فتن

(\* ) وتشمل هذه المقالة الموازنة بين شعر الجاهلية وشعر هذا العصر



أهل الردّة وفتح الممالك والأمصار ، أضافوا الى ما ألفوه من أغراض الشعر ،  
الاكثار من التباهى بالنصر ، ووصف المعارك وأحوال الحصار وآلات القتال ،  
وما استعمل فيها من الأدوات العجيبة ، وما شاهدوه من الدواب الغريبة ،  
وعُثمُ الغنائم ، ومقاساة أحوال الحر والبرد ، مما امتلأت به كتب الفتوح والمغازي<sup>(١)</sup>  
وأخبار على ومعاوية

ولما آل الأمر الى بنى أمية وشغّب عليهم<sup>(٢)</sup> كثير من فرق المسلمين : كالشيعة  
والخوارج وأتباع عبد الله بن الزبير<sup>(٣)</sup> ، والختار<sup>(٤)</sup> وغيرهم . أصبح الشعر لسائناً يعبر  
عن مقاصد كل حزب ، والقوم عرب : الشعر أسير الأقوال عندهم ؛ وأيسر الوسائل  
لإعلاء شأنهم ، وإعلان أمرهم

وكان خلفاء بنى أمية في اجتذاب الشعراء اليهم وتحميلهم فيهم همّة لا تبي ،  
وعزيمة لا تُفلّ ، فأغدقوا عليهم جزيل العطايا ، وفرضوا لهم الأرزاق في بيوت  
الأموال وأكرموا وفادتهم وقبلوا شفاعتهم ، وبنوا فيهم روح التسابق الى أبوابهم  
والتنافس في جلب مرضاتهم ، وقصر أشعارهم عليهم دون غيرهم ، بل دون ولائهم  
ورؤساء شيعتهم ، وتبعهم في ذلك عمالهم وولاتهم<sup>(٥)</sup>

ولم يقف خلفاء بنى أمية عند هذا الحد ، بل بالغوا في إكرام بعض الشعراء دون  
بعض : ليقع الشقاق بينهم ، ويتبعهم في ذلك قبائلهم ، فيلهوهم بذلك عن مناوأتهم  
ومراقبة أعمالهم ، ويستتبع ذلك اشتغال طبقة المتعلمين والمتأدبين بالأخذ عنهم ،  
والبحث في أقوالهم ، والتعصب لشاعر دون شاعر ، ونحو ذلك مما يُبعدهم عن الخوض  
في السياسة وأمور الملك . وبذلك عاد الشعر الى ما كان عليه ، ونبغ فيه الشعراء من

(١) راجع تاريخ ابن جرير الطبري

(٢) شغّبهم وبهم وعليهم كمنع وفرح هيج الشر عليهم (٣) أول من ولد من المهاجرين بعد  
الهجرة ، وبويج له بالخلافة بمكة سنة ٦٤ بعد وفاة يزيد بن معاوية واستمر تسع سنين واجتمعت  
له العراق واليمن والحجاز ومصر وكاد يتم له الامر ثم قتله الحجاج في مكة سنة ٧٣ هـ

(٤) أحد الخوارج الذين خرجوا بالكوفة مطالبين بدم الحسين وتبعه خلق كثير فقتل كثيراً  
من قتلته ثم قتله مصعب بن الزبير بالكوفة سنة ٦٧ هـ (٥) راجع العمدة



كل القبائل حتى قریش التي لم يكن لها شأن فيه من قبل

الشعراء والخمر  
والعصبية

واستعمل في كل أغراضه السابقة اللهم إلا ما كان من وصف الخمر والترغيب فيها فإن جمهور شعراء المسلمين نزهوا شعرهم عنها<sup>(١)</sup> وإنما أول من وصفها منهم وجعلها كدّه وقصده هو أبو الهندي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية كما صرح بذلك صاحب الأغاني؛ والآ ما كان من العصبية الذميمة، فإن الشيعة ودعاة بني العباس أثاروا عجاجها<sup>(٢)</sup> وأشعلوا نيرانها أواخر الدولة الأموية على يد الكميّ ومتابعيه

وقصاري القول أن الشعر أصبح حرفة عتيّدة، وصناعة جديدة، ومورد ثروة لكثير من البيوت والعشائر، وأصبحت دراسته ونقده وروايته دأب العلماء والأدباء حتى الخلفاء وأولياء عهدهم، إذ لم يكونوا أقلّ من هؤلاء عناية وحرصاً على تعلمه ويمكن وصف ما كان عليه الشعر في هذا العصر من حيث أغراضه وفنونه، ومعانيه وأخيلته، وألفاظه وأساليبه، وأوزانه وقوافيه، بما يأتي :

### أغراضه وفنونه

(١) نشر عقائد الدين وحكمه ووصاياه والحث على اتباعه وخاصة زمن النبي وخلفائه الراشدين

(٢) التحريض على القتال والترغيب في نيل الشهادة اعلاءً لكلمة الله وذلك في أزمان غزوات النبي وفتوح الأمصار

(٣) الهجاء - وكان أولاً في سبيل الدفاع عن الإسلام بهجوم مشركي العرب بما لا يخرج عن حدّ المروءة، وبما رضيّه النبي من حسنّ شاعره في هجاء قریش وعشيرة النبي من بني عبد مناف. وكان يتخرج عنه المسلمون ولو بالتعريض زمن النبي

(١) أكثر شعراء النصارى كانوا يصفون الخمر في هذا العصر وجاراهم قليل من الخلفاء والمغنين على خشية ورقبة وندرة قول (٢) غبارها



وخلفائه : ولذلك عاقب عمرُ أمير المؤمنين الحُطَيْيئةَ وهَدَّدهَ بقطع لسانه لنيله من بعض المسلمين . ثم صار يُتساهل في خطبه حتى أصبح الشعراء يهجون أنفسهم (١) ويسبب بعضهم قبائل بعض أمم خلفاء بني أمية بل برضاهم وباغرائهم للأسباب السياسية التي ذكرناها قبل ؛ حتى كان الهجاء غاية براعة الشاعر (٢) وان لم يصل في الإقذاع (٣) والفُحش الى الحد الذي وصل اليه في العصر الاتي - ومن ذلك التهاجي المشهور بين جرير والفرزدق والأخطل

( ٤ ) وصف القتال وحصار المدن وفتحها وغير ذلك مما سبق ذكره آنفاً  
( ٥ ) المدح - وقلمًا كان مبدأ الإسلام في غير النبي من حيث الاهتداء بهديه ونشر الحق على يديه . وكان خلفاؤه يأنفون مدحهم بما تزُهي به نفوسهم تورُّعاً وتواضعاً ، ثم استرسل الشعراء فيه وقيل ذلك منهم الخلفاء الى أن كان المدح من أهم الدعائم لتوطيد أركان الدولة ، وتفخيم مقام الخلفاء والولاية والإشادة (٤) بعظمتهم فكان إذ ذاك بمثابة الصحف العظمى المشايعة لأهل الدولة أو لأحد زعماء الاحزاب في زماننا

( ٦ ) استعماله في النسيب والغزل العفيف بما يخالف مسلك أهل الجاهلية فيه ، وأكثر ما كان ذلك في أهل البدو وبين العشاق منهم

### معانيه وأخيلته

لم يخرج شعراء هذا العصر في جملة تصوّورهم وتخييلهم عما ألفوه زمن الجاهلية ، وان فاقوهم كثيراً في ترتيب الفكر وتقريب المعنى الى الاذهان والوجدان ، بما هذَّب نفوسهم ، ورقق طباعهم من دراسة كتاب الله وحديث رسوله ، وهما من المعاني

(١) ممن هجا نفسه الحطية بقوله :

( أرى لي وجهاً شوّه الله خلقه فقيح من وجهه وقيح حامله )

(٢) قال الاصمعي انما وضع من ذى الرمة انه لا يحسن أن يهجو ولا أن يمدح

(٣) قذعه كمنه رماه بالفحش وسوء القول كاقذعه (٤) أشاد بذكره شهره ومدحه



والحكمة ماها ، وبما نوّع خيالهم وأنمى معارفهم : من مشاهد الحضارة وبدائع الصناعات ؛ غير أننا لا نجد في شعرهم من المبالغة والتهوّل والتعمق في المعاني العقلية العسرة الإدراك ما نجد لأهل العصر التالي : لاشتغال القوم بالفتوح والمغازي وتأسيس الحضارة والعمران

### الفاظه وأساليبه

وكذلك لم يخرّجوا جملةً في هيئة تأليف اللفظ ونسجه ومتانة أسلوبه عن نظائرهم في الجاهلية وإنما آثروا جزالة اللفظ وفخامته وحسن جرسه ونغمته . ومؤالفته لسابقه ولاحقه دون غرابته وحوشيته وتنافره مع قرينه ، كما آثروا جودة الأسلوب ومتانته وروعة تأثيره ، ولا سيما أهل النسيب<sup>(١)</sup>

وربما انطبق كل هذا الوصف على القصيد دون الرجز إذ كانت الغرابة كأنها من أزم طبائعه ، ولا شك أن جل التأثير في ترقيق حاشية عبارة الشعر العربي يرجع الى حفظ القرآن والحديث ودراستهما كما قدمنا

### أوزانه وقوافيه

لم يطرأ على أوزان الشعر العربي حدّث غير ما عُرِف عنه في الجاهلية ، وإنما شاع في هذا العصر نظم الأراجيز والتطويل فيها واستعمالها في جميع أغراض القصيد حتى في افتتاحها بالنسيب والتخلص منه الى المدح والذم ونحو ذلك

### نماذج من الشعر في الأغراض الآتية

١ - الحماسة - قال قطري بن الفجاءة

أقوال لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك إن تُراعى<sup>(٢)</sup>  
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لم تُطاعى

(١) مثل عمر بن أبي ربيعة وجبل بشينة وكثير عزة  
(٢) الشعاع المتفرق - وتراعى من الروع وهو الفزع



فصبراً في مجال الموت صبراً  
ولا ثوبُ البقاء بثوب عزِّ  
فيطوى عن أخى الخنق البراع<sup>٢</sup>  
سبيلُ الموت غاية كلِّ حتى  
فداعيه لأهل الأرض داعٍ  
ومن لا يعتبط<sup>(٣)</sup> يسأم ويهرم  
وتسلمه المنون إلى انقطاع  
وما للمرء خير في حياة  
إذا ما عدَّ من سقط<sup>(٤)</sup> المتاع

وقال ربيعة بن مقروم الضبي :

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها<sup>(٥)</sup>  
فدعوا نزال فكننت أول نازل  
بسليم أو ظفة<sup>(٦)</sup> القوائم هيكل<sup>(٧)</sup>  
وألد<sup>(٨)</sup> ذى حنق<sup>(٩)</sup> على كأنما  
وعلام أركبُه إذا لم أنزل  
أوجبته<sup>(١١)</sup> عنى فأبصر قصده  
تعلى عداوة صدره في مرجل<sup>(١٠)</sup>  
وكويته فوق النواظر من عل

٢ - المدح - قال أبو ذهبل الجعفي يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :  
ان البيوت معادن فنجاره<sup>(١٢)</sup> ذهب  
عقم النساء فما يكذن شبيهه<sup>(١٣)</sup> وكل بيوته صخم  
متهلل<sup>(١٤)</sup> بنعم بلا متباعد  
نزر الكلام من الحياء تخاله  
ان النساء بمنه  
سيان منه الوفر والعدم  
ضمناً<sup>(١٥)</sup> وليس بحسمه سقم

وقال الخطيئة يمدح بغيض بن لآي

تزور<sup>(١٦)</sup> امرأ يوتي على الحمد ماله  
يرى البخل لا يبتغي على المرء ماله  
ومن يوت أثمان المحامد يحمده  
ويعلم أن البخل غير مؤخذ

(١) الذل (٢) الجبان (٣) يمت من غير علة (٤) سقط المتاع رديته  
(٥) طراد الفرسان حمل بعضهم على بعض (٦) جمع وظيف وهو ما فوق الخافر من  
الفرس (٧) صخم (٨) شديد الخصومة (٩) غيظ شديد (١٠) قدر من  
حجارة أو نحاس (١١) قهرته وأذلته (١٢) أصله  
(١٣) ممنوع عن أن يأتين بمثله (١٤) أى يجيب وهو مستبشر بلفظ (نعم) عند  
ما يسأل ويتعمد عن لفظ (لا) كناية عن كرمه (١٥) سقيا (١٦) الضمير يعود على الناقة



كسُوبٍ ومُتلافٍ إذا ما سألته تهلَّلَ فاهتز اهتزازَ المهنِّدِ  
مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشُّوْ (١) إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدِ

ومن جيد مدح الأخطل في بني أمية :

حُسْدٌ (٢) عَلَى الْحَقِّ عِيَافُ الْخِنَافِ (٣) إِذَا أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهُةٌ صَبَرُوا  
شُمْسُ (٤) الْعِدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ (٥) لَهُمْ وَأَعْظَمَ النَّاسَ احْتِلَامًا إِذَا قَدَرُوا

٣ - الرثاء - قال عبدة بن الطيب يري قيس بن عاصم المنقري :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا  
تَحِيَّةٍ مِنْ غَادِرَتِهِ غَرَضُ (٦) الرَّدِيِّ إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطِ (٧) بِلَادِكَ سَامَا  
فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلَكَ هُلَاكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا

وقال حارثة بن بدر الغداني يري زيادا ابن أبيه :

صَلَّى الْأَلَةَ عَلَى قَبْرِ وَطَهَّرَهُ عِنْدَ التَّوْبَةِ يُسْفِي فَوْقَهُ الْمَوْرَ (٨)  
زَفَّتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ نَعَشَ سَيِّدَهَا قَتَمَ كُلَّ التَّقَى وَالْبِرِّ مَقْبُورُ  
أَبَا الْمَغِيرَةَ ( وَالدُّنْيَا مَفْجَعَةٌ ) وَإِنَّ مَنْ غَرَّتِ الدُّنْيَا لَمَغْرُورُ  
قَدْ كَانَ عِنْدَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرِفَةٌ وَكَانَ عِنْدَكَ لِلنَّكِرَاءِ تَنْكِيرُ  
وَكُنْتَ تَعْشَى وَتُعْطَى الْمَالَ مِنْ سَعَةٍ إِنْ كَانَ بَيْتِكَ أَضْحَى وَهُوَ مَهْجُورُ  
وَلَا تَلِينُ إِذَا عَوَسِرَتْ مَعْسِرَةٌ وَكُلُّ أَمْرِكَ مَا يُوَسِّرَتْ مَيْسُورُ  
فَالْحَمْدُ زَادُكَ لَمْ تَلْحَقْكَ بَائِرَةٌ وَأَنْتِ فِي صَالِحِ الْأَقْوَامِ مَذْكَورُ  
لَوْ خَلَدَ الْخَيْرُ وَالْإِسْلَامُ ذَا قَدِيمٍ إِذَا لَخَلَدَكَ الْإِسْلَامُ وَالْخَيْرُ

(١) تقصد (٢) اذا دعوا أجاوا مسرعين (٣) جمع أنوف مبالغة من أنف  
بمعنى استنكف (٤) جمع شمس وهو الرجل الصعب الخلق وشمس الفرس منع ظهره  
(٥) استقدت الامير من الغائن فاقداني منه أى قتله (٦) تركته هدفا لهلاك وبرى  
عرض بالعين المهملة (٧) أى بعد ونأى (٨) الثوية مكان بالكوفة والمور التراب  
الوسيط م (١٩)



لم يعرفِ الناسُ مَدْ كُفِنَتْ سَيِّدَهُمْ      ولم يُحَلِّ ظلاماً عندهم نورُ  
الناسُ بعدَكَ قد خَفَّتْ حُلومُهُمْ      كأنما نَفَخَتْ فِيهَا الْأَعاصِيرُ

٤ - الهجاء - قال قَعْنَبُ بنُ ضَمْرَةَ :

إن يسمِعوا ربيَّةً طاروا بها فرحاً      منى وما سمعوا من صالحٍ دفنوا  
صمٌّ إذا سمِعوا خيراً ذكرتُ به      وان ذكرتُ بشرٌ عندهم أذِنوا  
جهلاً علينا وجبناً عن عدوِّهم      لبئستِ الخَلَّتَانِ الجهلُ والجُبْنُ

وقال عبد الرحمن بن الحكم :

لما الله قيساً قيسَ عَيْلانِ إنها      أضاعت ثغورَ المسلمين وولتِ  
فشاول<sup>(١)</sup> بقيس في الطعان ولا تكن      أخاها إذا ما المشرفية<sup>(٢)</sup> سلَّت

وقال جَوَّاسُ بن القَعَطِلِ الكَلْبِيِّ :

صبغت أُميَّةً بالدماءِ رماحنا      وطوت أُميَّةً دوننا دنياها  
أُأُمِّيَّ رَبِّ كَتِيبَةٍ مجهولة      صيِدِ<sup>(٣)</sup> الكِأَةِ عليكم دعاها  
كنا ولاةَ طعانها وِضرابها      حتَّى تجلَّتْ عنكم غمَّها  
فالله يجزى لا أُميَّةً سعينا      وعلاً شددنا بالرماحِ عراها  
جتمَّ من الحُجْزِ البعيد نياطه      والشام تنكَّرَ كهلها وفتاها  
إذْ أقبِلتِ قيسُ كأن عيونها      حدق الكلابِ وأظهرت سِيهاها

٥ - الاعتذار :

وقال الخطيئة يعتذر الى عمر بن الخطاب من ذمه الزبرقان بن بدر :  
أنتنى لسانٌ فكذبتها      وما كنت أُرهبها أن تقالا

(١) شال به وشاول رفعه أى ارفعها من عداد الطاعنين لحبيها  
(٢) المشرفية السيوف تنسب الى مشارف الشام أى القرى التى تشرف عليه من بلاد العرب  
(٣) أى أن كاتها صيد جمع أصيد وهو الاسد أو الرافع رأسه كبراً



بأنَّ الوُشاةَ بلا حُرْمَةٍ أَتَوْكَ فَرَامُوا لَدَيْكَ الْمُحَالَا  
فَجَسْتُكَ مَعْتَدِرًا رَاجِيًا لَعْفُوكَ أَرْهَبُ مِنْكَ النَّكَالَا  
فَلَا تَسْمَعَنَّ بِي مَقَالَ الْعِدَا وَلَا تُؤَكِّدَنَّيَ (هُدَيْتَ) الرَّجَالَا  
فَإِنَّكَ خَيْرٌ مِنَ الزَّبْرَقَانِ أَشَدُّ نَكَالَا وَخَيْرٌ نَوَالَا

وقال النكيتُ يعتذر الى هشام بن عبد الملك :

كَمْ قَالَ قَائِلِكُمْ لَعَاً (١) لَكَ عِنْدَ عَثْرَتِهِ لَعَاثِرُ  
وَغَفَرْتُمْ لِدَوَى الذَّنْوِ بَ مِنْ الْأَكْبَرِ وَالْأَصَاغِرُ  
أَبْنِي أَمِيَّةَ إِنْكُمْ أَهْلُ الْوَسَائِلِ وَالْأَوَامِرُ  
ثِقْتِي لِكُلِّ مُسَلِّمَةٍ وَعَشِيرَتِي دُونَ الْعِشَائِرُ  
أَنْتُمْ مَعَادِنُ لِلْخِلَا فَا كَابِرًا مِنْ بَعْدِ كَابِرُ  
بِالْتَسَعَةِ الْمُتَبَاعِيهِ—نِ خِلَافًا وَبِخَيْرِ عَاشِرُ  
وَالِي الْقِيَامَةِ لَا تَزَالُ ل (٢) لِشَافِعِ مِنْكُمْ وَوَاتِرُ

٦ - الوصف - قال أبو عثمان الهذلي يصف المسلمين وبلأهم في فتح مكة  
وقد لامته امرأته على الهزيمة التي كانت منهم عند ما دخلها عليهم خالد بن الوليد  
من جبل الخندمة :

إِنْكَ لَوْ شَهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ (٣) إِذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْرِمَةُ  
وَلِحِثْمِنَا بِالسِّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ يَفْلِقُنْ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمُجِمَةِ  
ضَرْبًا وَلَا تَسْمَعِ إِلَّا غَمْغَمَةَ (٤) لِهْمِ نَهَيْتُ (٥) حَوْلَنَا وَجَمَجَمَةَ (٦)  
لَمْ تَنْطِقِي فِي الْأَوْامِ أَدْنَى كَلِمَةٍ

(١) لما لك كلمة دعاء تقال للعائر بمعنى أقال الله عثرتك

(٢) أي لا تزال الخلافة فيكم

(٣) الخندمة جبل بمكة (٤) النغممة أصوات الابطال عند القتال

(٥) النهيت الزئير والزحير (٦) الجمجمة خفاء السلام وعدم بيانه



وقال النابغة الجعدي يصف ذئباً افترس جُوذراً :  
فبات يُدْكِيهِ (١) بغير حديدية أخوقنص يُمسي و يُصبح مفطرا  
إذا ما رأى منه كُراعاً تحرّكت أصاب مكان القلب منه وفرّ قرأ (٢)

وقال أبو زيد الطائي يصف حال الحيوان عند اشتداد الهجير :  
ليت شعري وأين متى ليتَّ انَّ ليتاً وانَّ لوّاً عناء  
أىُّ ساعٍ سعى ليقطع شُرْبِي حين لاحت للصباح الجوزاء (٣)  
واستظل العصفور كرها مع الضب م وأذكت نيرانها المعزاء (٤)  
ونفى الجُنْدَب الحصى بكراعيه وأوفى في عوده الحرباء (٥)

وقال حصين بن معاوية الراعي يصف بيضة نعام حضنها ظليم بالليل وتركها  
عند طلوع الشمس ينتفض :

وما بيضة بات الظليم يُحْفُهُ بوعساء أعلى تُربها قد تلبدا (٦)  
فلما علت الشمس في يومٍ طلقةً وأشرف مُكِّاء الضحى فتغردا (٧)  
أراد قياماً فازبأرَّ عفاؤه وحرَّك أعلى جيده فتأودا (٨)  
وهز جناحيه فساقط جيده فرأشا وهى عن متنه فتبددا  
فغادر في الأدحى صفراء تركة رهجانا اذا ما الشرق فيها توقدا (٩)  
بألين مساً من سعاد للامس وأحسن منها حين تبدى مجرّدا

٧ - الحكم والامثال - قال سيدنا كعب بن زهير :  
لو كنت أعجبُ من شيءٍ لأعجبني سعىُ الفتى وهو مخبوءٌ له القدر

(١) يذبحه (٢) قطع ومزق (٣) تطلع الجوزاء في الصيف  
— (٤) المعزاء الارض ذات الحصى والحجارة من الصوان ونحوه (٥) الجندب نوع من  
الجراد والحرباء دويبة من الهوام لا تزال تستقبل الشمس برأسها (٦) الوعساء الارض ذات  
الرمال اللين (٧) الليلة الطلقة التي لا حرَّ فيها ولا برد — أى يوم ليلة طلقة — والمكِّاء  
طائر فوق العصفور كثير الصفير (٨) العفاء ماكثر من ريش النعام — وازبأر تنفث  
(٩) الادحى الاخوص الذى يبيض فيه النعام — والتركة بيضة النعام — والهجان البيضاء



يسعى الفتى لأمر ليس يُدرِكها والنفس واجدة والهَمُّ منتشر  
فالمرء ما عاش ممدوداً له أملٌ لا ينتهي العمر<sup>(١)</sup> حتى ينتهي الأثر<sup>(٢)</sup>

وقال أبو الأسود الدؤالي :

لا تُهني بعد اكرامك لي فشيدهُ عادة مُنزعَة  
لا يكن برقاً خُباباً ان خير البرق ما الغيثُ معه

وقال مسكين الدارمي :

اصحب الأخيار وارغب فيهمُ رُبَّ من صاحبتَه مثل الجربِ  
واصدق الناس اذا حدثهم ودع الكذب لمن شاء كذب  
رب مهزول سمين عرضه وسمين الجسم مهزولُ الحسب

٨ - الاجتماع والسياسة - قال مسكين الدارمي وقد أوعز اليه معاوية  
حينما عزم على البيعة ليزيد ولكنه تهيّب ذلك لكثرة المرشّحين ، وكان قد بلغ  
معاوية ما كرهه من سعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر فلما  
اجتمعوا عنده قال مسكين قصيدة طويلة منها :

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامرٍ ومروان أم ماذا يقول سعيد  
بني خلفاء الله مهلاً فانما يبوّئها الرحمن حيث يريد  
إذا المنبر الغربي خلّاه ربه فان أمير المؤمنين يزيد  
على الطائر الميمون والجدُّ صاعد لكل أناس طائر وجدود  
فلا زلت أعلى الناس كهباً ولا تزل وفود تساهيها اليك وفود  
ولا زال بيت الملك فوقك عاليًا تُشيدُ أطناب له وعمود  
قدور ابن حرب كالجوابي وتحتها أثنافٍ كأمثال الرئال ركود

(١) الحياة (٢) الأثر الاجل وسمى به لانه يأثر العمر ويتبعه



فلما انتهى منها قال معاوية ننظر فيما قلت يامسكين ونستخير الله . فلم يتكلم  
أحد بغير الموافقة

وقال كعب بن جعيل شاعر أهل الشام وتمثل به معاوية في رده على كتاب لعل  
أرى الشام تكره مَلِكَ العراق وأهل العراق له كارهينا  
وكلاً لصاحبه مبغضاً يرى كل ما كان من ذاك دينا  
إذا ما رُمينا رميناهمُ وديناهمُ مثل ما يُقرضونا  
فقالوا علىَّ امام لنا فقلنا رضينا ابنَ هند رضينا  
وقالوا نرى أن تدينوا له فقلنا ألا نرى أن نديننا  
ومن دون ذلك خرط القَتَادَ وضرب وطعن يُفُضُ الشُّونَا

وفي رد عليّ عليه ذكر شعراً للنجاشي أحد بني الحارث بن كعب من شعراء  
أهل العراق ، منه :

دعاً يا معاوي ما لن يكونا فقد حقق الله ما تحذرونا  
أتاكم عليّ بأهل العراق وأهل الحجاز فما تصنعونا

### الشعراء

شعراء هذا العصر ممن خلصت عربيتهم واستقامت ألسنتهم ، ولم يمتد اليهم  
اللحن . ولقد زادتهم مدارس القرآن الكريم فصاحة وبلاغة ، وإحكاماً واثقناً ،  
حتى فضلهم بعض الرواة على سابقهم من الجاهليين ، ولذلك لم ير العلماء بدءاً من  
الاحتجاج بشعرهم ، بل بشعر بعض المخضرمين ممن أدرك الدولتين الأموية  
والعباسية كابن هريرة<sup>(١)</sup> وبشار

ومن أشهر شعراء هذا العصر كعب بن زهير ، والخنساء ، والحطيئة ،

(١) هو أبو أسحق إبراهيم آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم وكان مولعاً بالشراب منقطعا  
لطالبين ، توفي في خلافة الرشيد



وحسان بن ثابت ، والنابغة الجعدي ، وعمرو بن معديكرب من المخضرمين (١) وعمربن أبي ربيعة ، والأخطل ، والفرزدق ، وجريز ، والكميت ، وجميل ، وكثير ونصيب ، والراعي ، وذو الرمة من الاسلاميين

### تكسب الشعراء بالشعر

كانت غاية المادحين من قدماء الشعراء في الجاهلية إما شكر المدوح على حسن صنيعه ، وإما التباهي بمناقبه والافتخار بالانتماء اليه ، وإما التذرع الى الاستنجاد به ونحو ذلك لاطمئناً في قنص ماله واستجداء لمعروفه ، حتى نشأ فيهم من قبل الثواب على المدح بلا مسألة له : كزُهَيْر ، ثم من قبله من الملوك خاصة بعد التعرض لهم أو التعريض بعد مؤالهم كالنابغة وأميرة ثم من قبله من الملوك والسوقة والعرب والعجم بعد مسألتهم : كالأعشى ؛ ثم من الحف في السؤال وضرع ، وتوعد بالهجاء من منع ، كالخطيئة ؛ فأصبح الشعر مهنة كسب يمتقها الأشراف ويؤثرون عليها الخطابة في بيان مقاصدهم

وجاء الاسلام وقد ألف الناس المدح والاثابة عليه فأثاب النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير وغيره . ولم يعدل الخلفاء الراشدون عن سنته فيهما ، وإنما كان ذلك منهم بمثابة اهداء أو تكريم أو أداء حق لابن سبيل ، لا اغراء منهم بكسل أو اذلال نفس ، أو اسقاط مروءة ؛ قال عمر بن الخطاب « نعم ما تعلمته العرب : الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته »

فلما قامت الدولة الأموية بسياسة القهر والحيلة لم تجد بداً من اشتراء السنة الشعراء بالمال تتقي به هجاءهم وتستاثر بمدحهم ، وتتخذ منهم ابواقاً تستنفر بها الناس للزود عنها ، وتحشدهم على دعوتها ، وتحرض بعضهم ببعض ليلابوا عن التعرض لسياساتها والنعي على استبدادها وأثرتها ، كما تفعله أرباب الدولة والأحزاب من شراء الصحف الكبرى في زماننا ؛ فكان من شعر جريز والفرزدق والأخطل

(١) من معاني المخضرم الاسود الذي أبوه أبيض ولعل تسمية الشاعر الذي أدرك الجاهلية والاسلام أخذ من هذا



والكيت وغيرهم معرضٌ لتَهَارُشِ الشعراء ، ومظهرٌ لدَهَاءِ الخلفاء مع ما يستتبعه ذلك من نشر اللغة ، وترفيه الأدب وهما من أقوى عُدَدِ العرب والسياسية . ولذلك صار الشعر في هذا العصر مَتَجَرَّأً رَاجِحًا ، وزاحم الشعراء العلماء والقواد في مجالس الخلفاء وأصبحوا بَعْطَايَاهُمْ في عداد الأغنياء ، وسارت صناعة الشعر على هذا الدرب هذا العَصْرَ وَعَصَرَ الدولة العباسية

على أن الشعر لم يَعدَمْ في كلِّ زمان ومكان من يَرَبُّهُ به عن السؤال ويقوله في تأييد مذهب ، أو ترويح خاطر ، أو شكوى غرام ، كجميل بن عبد الله بن معمر وعمر بن أبي ربيعة من شعراء هذا العصر

### ١ - كعب بن زهير

هو كعب بن زهير بن أبي سُمَيٍّ أحد فحول المخضرمين وصاحب «بانة سعاد» في مدح النبي الأمين

وهو ابن زهير صاحب المعلقة . قال الشعر في حادثته فكان والده ينهاه عنه مخافة أن يقول ما لا خير فيه فيروى عنه فيلزمه عاره الدهر فلم ينته ، فأذاه فلم يرتدع ، فامتحنه امتحانًا شديدًا فكان يقول على البديهة ما يحبُّ زهير فأجازه له فمضى ونبغ فيه حتى كان من فحول عصره

ولما ظهر الإسلام ذهب أخوه بجير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم ، فغضب كعب لإسلامه ، ونهاه عن الإسلام وهجاه وهجا رسول الله وأصحابه ، فتوعده النبي صلى الله عليه وسلم وأهدر دمه ، فحذره أخوه العاقبة إلا أن يجيء إلى النبي مسلمًا تائبًا ، فهام كعب يتراحم على القبائل أن تُجِيرَهُ فلم يُجِرْهُ أحد ، وأرجف الناس أنه مقتول لا محالة . فلما ضاقت الأرض في وجهه جاء أبا بكر رضى الله عنه بالمدينة وتوسل به إلى الرسول فأقبل به عليه فعاد به وآمن ، وأنشد قصيدته المشهورة يمدحه بها وهي من جيد شعره ، ومطلعها :

بانة (١) سعادُ فقلبي اليوم متبول (٢) متيمِّمٌ (٣) إثرها لم يفد مكبول (٤)

(١) فارقت (٢) تبهل الحب أسقمه وأضناه (٣) معبد ومذلل (٤) مقيد



فخلع عليه النبي بردته فبقيت في أهل بيته حتى باعوها لمعاوية بعشرين ألف درهم ، ثم بيعت للمنصور العباسي بأربعين ألفاً

شعره : كان كعب من الشعراء المجيدين المشهورين بالسبق وعُور الكعب في الشعر ، وكان خلف الأحر أحد علماء الشعر يقول لولا قصائدُ زهير ما فضلته على ابنه كعب ، وكفاه فضلاً أن الخطيئة مع ذائع شهرته رجاه أن ينوّه به في شعره فقال :

فمن للقوافي شأنها من يحو كُفها (١) إذا ما مضى كعب وفوزَ جرول (٢)

وكان يكثر من غريب الألفاظ على جَوْدَة في الوصف وسهولة في العبارة في بعض المواضع وصعوبة في بعضها الآخر  
ومن شعره قوله في قصيدته بانت سعاد :

وقال كل خليل كنت آملُهُ لا أُهَيِّنِكَ اني عنك مشغول  
فقلت خَلُّوا سبيلي « لا أبا لكم » فكل ما قدر الرَّحْمَنُ مفعول  
كل ابن أنتي وان طالت سلامته يوماً على آلةٍ حَدْبَاء (٣) محمول  
أُنْبِتُ أن رسول الله أوعدني والعمو عند رسول الله مأمول  
مهلاًهداك الذي أعطاك نافلة (٤) الا قراءان فيها مواعِظٌ وتفصيل  
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب وقد كثرت في الأقاويل  
ومن قوله أيضاً :

ان كنت لا ترهب ذمّي لما تعرف من صفحي عن الجاهل  
فاخش سكوتي إذ أنا منصت فيك لمسموع خنا (٥) القائل  
فالسامع الذمّ شريك له ومُطْعِمُ المأكول كالأكل

(١) شان ضد زان ، وحاك الثوب نسجه والتصيدة نظماً (٢) فوز مات ، وجرول اسم الخطيئة الشاعر (٣) يريد الشمس ، وقيل الآلة الحالة ، والحدباء العصبة الشديدة (٤) كل عطية تبرع بها معطيها (٥) فحش



مقالة السوء الى أهلها أسرع من منحلر سائل  
ومن دعا الناس الى ذمّه ذمّوه بالحق وبالباطل

## ٢ — عمرو بن معديكرب الزبيدي

هو أبو ثور عمرو بن معديكرب الزبيديّ المدحجبيّ ، فارس اليمانيّن ، وأحد الشعراء المعمرين . والخطباء الموفدين

منشؤه وصفاته - نشأ عمرو بين قومه محمّماً كولا لا يؤمّل منه خير ، ولا تلحظ فيه سيادة ، على ضخامة في جسّته ، وجهارة في صوت ، حتى بلغ زيدياً أن خثعم ستشن الغارة عليهم ، فتأهبوا ، ودخل عمرو على أخته ، فقال أشبعيني ، ان غداً الكتيبة ، فأخبرت أباه ، فقال : سلى هذا المائق ما يشبعه ، فأكل عنزاً بثلاثة أصع ذرة ، وأتهم خثعم فتباد حتى رأى لواء أبيه مال وانهمزت زبيد ، فثار وكر على خثعم . وتراجع اليه قومه فهزموا الأعداء ، فأصبح يسمى فارس زبيد ، بعد أن كان يسمى مائق زبيد . واشتهر بالشجاعة حتى هابته أبطال العرب ، وضرب به المثل في الشجاعة ، وفي ذلك يقول أبو تمام :

إقدام عمرو ، في سماحة حاتم ، في حلم أخف ، في ذكاء إياس  
ومع ذلك قد يصدق عن نفسه بأنها ربما حدثته بالخوف والفرار ، فيأخذها بصدق العزيمة والأناة من العار ، فيثبت فيكون له الفوز والغلب ، وهذا معنى قولهم ( الشجاعة ، صبر ساعة ) وفي شجاعته يقول عن نفسه : لو سرت بظعينة وحدي على مياه معدّ كلها ما خفت أن أغلبَ عليها ما لم يلقني حرّها أو عبداها ، فأما الحزان : فعامر بن الطفيل ، وعيينة بن الحارث بن شهاب ، وأما العبدان : فأسود بنى عبس ( يعني عنتره ) والشليك بن الشلكة ، وكلهم قد لقيت . على أنه مع طول تعميره في الجاهلية والاسلام وحضوره الوقائع الكثيرة أخلفه الظفر في عدة مواطن فقهره ربيعة بن مكدّم في الجاهلية وخالد بن سعيد بن العاص في الاسلام ولما فشا الاسلام في قبائل العرب وفد مع بعض قومه على رسول الله مُنصرفه



من وقعة تبوك سنة تسع من الهجرة ، فأسلم ثم رجع الى قومه . فلما ارتدت العرب كان ممن ارتد فسار اليه خالد بن سعيد بن العاص فقاتله فانهمزم وأخذ خالد مصماتمه . ولما رأى أمداد أبي بكر ثوالى على المسلمين دخل على المهاجر ( أحد قواد جيش المسلمين ) بغير أمان فأوثقه وبعث به الى أبي بكر ، فقال له أبو بكر : أما تستحي تجيء كل يوم مهزوماً أو مأسوراً . لو عززت هذا الدين لرفعك الله . قال لا جرم لأقبلنّ ولا أعود فأطلقه وعاد الى قومه ثم عاد الى المدينة فبعثه أبو بكر الى الشام ، فشهد يوم اليرموك وأبلى فيه بلاءً حسناً وذهبت فيه إحدى عينيه ، ثم بعث به عمر رضى الله عنه الى العراق فشهد القادسية وهو الذى ضرب خرطوم الفيل بالسيف وكان ذلك من أسباب الفتح . ثم لما مُصِّرَت الكوفة أقام بها حتى كانت وقعة نهاوند فحضرها تحت لواء النعمان بن مقرن . ومات بها سنة إحدى وعشرين على خلاف فى ذلك

ويُعدّ عمرو من الشعراء المخضرمين ، ويأتى شعره فى الطبقة الثانية من الجودة ويغلب عليه وصف الوقائع والتحدث عن نفسه بالشجاعة ، وله ديوان شعر شرحه بعض أئمة اللغة ، وهو أحد الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى ومن شعره قوله فى صدقه عن نفسه فى الحرب :

ولما رأيت الخيل زوراً كأنها جداول زرع أرسلت فاسبَطَرَتِ  
فجاشت إلى النفس أول مرة فردت على مكروها فاستقرت  
علامَ تقولُ الرُمحُ يُثقلُ عاتقى إذا أنا لم أظعن إذا الخيلُ كرت  
ومن قوله أيضاً :

أمن ريحانة الداعي السميع يُورقنى وأصحابي هُجُوعُ  
أشاب الرأس أيام طوالٍ وهم ما تضمَّنه الضلوع  
وسوق كتيبة دلفت لأخرى كأنَّ نهارها رأس صايغ  
إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع  
وصلّه بالزَّمَاع (١) فكل أمر سَمَا لك أو سموت له ولوع

(١) المضاء فى الأمر والعزوم عليه



وقوله :

كَمَ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأَتْهُ يَدَيَّ لِحَدَا  
مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلَعْتُ وَلَا يَرُدُّ بَكَاءِي رُشْدَا  
ذَهَبَ الَّذِينَ أَحَبَّهُمْ وَبَقِيَتْ مِثْلَ السِّيفِ فَرْدَا

ومن خطبه خطبته التي قالها أمام كسرى وهي على ما في العقد الفريد :  
انما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، فبلاغ المنطق السداد ، وملاك النجعة  
الارتداد ، وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف  
الخيرة . فاجتنب طاعتنا بلفظك ، واكتظم بادرتنا بحلمك ، وألن لنا كنفك يلى لك  
قيادنا ، فانا أناس لم يُوقس<sup>(١)</sup> صفاتنا قراع مناقير من أراد لنا قضمًا ؛ ولكن منعنا  
حمانا من كل من رام لنا هضمًا

### ٣ - الخنساء

هي السيدة ثَمَاضِرُ الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية ، أرثى شواعر العرب  
وأحزن من بكى وندب

كان أبوها عمرو وأخواها : معاوية وصخر سادات بني سليم من مضر ، وكانت  
هي من أجل نساء زمانها ، فخطبها دُرَيْدُ بن الصِّمَّةِ فارس جُشم ، فرغبت عنه ،  
وآثرت التزوج في قومها فتزوجت منهم

وكانت تقول المقطعات من الشعر . فلما قتل شقيقها معاوية ثم أخوها لأبيها  
صخر ، جزعت عليهما جزعًا شديدًا وبكتهما بكاءً مرًّا ، وكان أشدُّ وجدها على  
صخر : لأنه شاطرَها هي وزوجها أمواله مرارًا ، فهاج حزنها الشعر في نفسها ، فقالت  
المراثي المطوَّلَات ، وفاقت النساء والرجال فيها ، وأطالت عليهما البكاء والعويل  
حتى تقرَّحت ماقيها ، وحتى ضرب بها المثل في الحزن والبكاء وكثرة الرثاء . وجاء  
الاسلام فوفدت مع قومها على النبي صلى الله عليه وسلم وأسامت ، وكان يُعجِبُه  
شعرها ويستنشدُها ، ويقول هيه يا خُنَاس ، ويومئ بيده

(١) من أوقست الابل : أصيبت بالجرب . والصفة الصخرة المساء أى لم يضرنا أعداؤنا



وما فتئت تبكى صخرًا قبل الاسلام وبعده حتى عميت . وبقيت الى أن شهدت حرب القادسية<sup>(١)</sup> مع أولادها الأربعة ، فأوصتهم وصيتها المشهورة ، وحضتهم على الصبر عند الزحف فقتلوا جميعاً . فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، ولم تحزن عليهم حزنها على أخويها ، وتوفيت بالبادية في خلافة معاوية

شعرها - أغلب علماء الشعر على انه لم تكن امرأة قبل الخنساء ولا بعدها أشعر منها ، ومن فضل ليلى الأخيلية عليها لم ينكر أنها أرثى النساء . وكان بشار يقول لم تقل امرأة شعراً الا ظهر الضعف فيه ، فقيل له وكذلك الخنساء ، فقال تلك غلبت الفحول

ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية أقل منه عند شعراء الاسلام فذلك النابتة الديباني يقول لها وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التي مطلعها :

قدى بعينيك أم بالعين عوار<sup>(٢)</sup> أم ذرّفت<sup>(٣)</sup> أدخلت من أهلها الدار

لولا أن أبا بصير (يعنى الأعشى) أنشدني قبلك لقلت إنك أشعر من بالسوق ولشعر الخنساء رنين في السمع ، وهزة في القلب ووقع في النفس : لأنه صادر عن فؤاد محزون ، وما خرج من القلب حل في القلب ، وكان فوق ذلك ليين اللفظ سهل الأسلوب حسن الديباجة

وسئل جرير من أشعر الناس قال أنا لولا الخنساء ، قيل فبم فضلتك قال بقولها :

ان الزمان (وما يفنى له عجب) أتقى لنا ذنباً واستوئيل الرأس  
ان الجديدين<sup>(٤)</sup> في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

(١) واقعة عظيمة كانت بين العرب والفرس في السنة الخامسة عشرة من الهجرة انتصر فيها المسلمون بقيادة سعد بن أبي وقاص انتصاراً باهراً

(٢) مرض (٣) فطرت دمعاً (٤) الليل والنهار



ومن جيد شعرها ترثى أخاها صخرًا :

يذكّرني طلوع الشمس صخرًا  
فلولا كثرة الباكين حولى  
ولكن لا أزال أرى عجولا (٢)  
هما كلتاهما تبكى أخاها  
وما يبكيين مثل أخى ولكن  
فقد ودّعت يوم فراق صخر  
فيالهنى عليه وهلف أوى

ومن قصيدتها التى تقدم مطلعها :

وان صخرًا اذا نشئو لنحّار  
كأنه عامم (٧) فى رأسه نار  
شهاد أندية ، للجيش جرّار  
حمال ألوية ، هباط أودية ،

ومن قولها ترثية أيضاً :

ألا يا صخر ان أبكيت عيني  
دفمت بك الخطوب وانت حى  
إذا قبح البكاء على قتيل  
فقد أضحكتنى زمناً طويلا  
فمن ذا يدفع الخطب (٨) الجليلا  
رأيت بكاءك الحسن الجميلا

### ٤ - حسان بن ثابت

هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى شاعر رسول الله وأشعر أهل المدّر،  
وفحل شعراء المخضرمين ، وهو من بنى النجار من أهل المدينة  
نشأ فى الجاهلية ونبه شأنه فيها اذ أدرك فحولها فلم يقصر عن اللّحاق بهم .

(١) يعنى أنها تذكره أول النهار للغارة وآخره للاضياف (٢) المعجول المرأة الثكلى  
(٣) الاقتداء (٤) كنية صخر (٥) مشهور (٦) واضح (٧) جبل  
(٨) الأمر الشديد ينزل



بل بَدْ (١) الكثير منهم . وكان يمدح الملوك والمناذرة والغساسنة في الجاهلية ، ويرحل اليهم فينال منهم جزيل العطايا . وأكثَر من كان يمدحهم ويكثر انتجاعهم آل جَفنة من ملوك غسان لما بين أهل يثرب (٢) والغساسنة من صلة النسب وقرب الجوار فكان له من جوائزهم مدد لا ينقطع ، حتى ناله منهم شيء بعد أن أسلم وتصرفوا ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأسلم الأنصار ، أسلم معهم ودافع عنه بلسانه كما دافع عنه قومه الأنصار بسيوفهم ، فكان لقوله من التَّكَايَةِ في قریش وأعداء النبي أحسن بلاء وأحمد أثر

وعاش حسان بعد رسول الله مُحببًا الى خلفائه مرضياً عنه ، يُفرض له العطاء الكافي من بيت المال . وعُمِّرَ قريبا من ١٢٠ سنة وبقى أكثر حياته ممتعاً بجواسه وعقله ، ووهن في أواخر عمره وكفَّ بصره . ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ

\*\*\*

شعره - كان حسان شاعر أهل المدر في الجاهلية ، وشاعر اليمانية في الاسلام ، ولم يكن في أصحاب رسول الله ولا في أعدائه عند دعوته الى الله أشعر منه ، ولذلك رمى مشركي قریش من لسانه بالدهاية التي لم يكن لهم قبيلٌ بها ، فأوجعهم وأخرسهم من غير فُحش ولا هُجر . ولما أُذِن له النبي في هجائهم ، قال له : كيف تهجوهم وأنا منهم قال : أسلَّك منهم كما تُسلُّ الشعرة من العجين . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصب له منبراً بالمسجد ويسمعُ هجاءه في أعدائه ويقول ( أجب عنى اللهم أيده بروح القدس ) وكان في شعر حسان زمن الجاهلية شدةً وغبابةً لفظ ووعورةً مسلَّك ، فلما أسلم وسمع القرآن ووعاه وكثر ارتجاله الشعر لكثرة الحوادث التي تستدعى ذلك لأن شعره وسهل أسلوبه ، ودمت معانيه حتى ظن بعض أئمة الشعر أن شعره في الاسلام أضعفُ منه في الجاهلية ، محتجاً بأن الشعر لا يقوى إلا في باب الشر الذي يحظره الاسلام ، وربما كان لتعليقه هذا وكبر سن حسان وكثرة ارتجاله أثرٌ في بعض شعره



ويغلب على شعره بعد المدح والهجاء<sup>(١)</sup> الفخر بنفسه وبقومه  
ومن شعره في الجاهلية :

ولقد تَقَلَّدْنَا العشيَّرة أمرها  
ويسودُّ سيِّدُنَا جاجح<sup>٢</sup> سادة  
ونحاول الأمر المهمَّ خطابةً  
وتزور أبواب الملوك ركائبنا  
ونسود يوم النَّابِاتِ ونعتلي  
ويصيب قائلنا سواء المَفْصِلِ<sup>٣</sup>  
فيهم ونفصل كل أمرٍ مُعْضِلِ  
ومتى نُحَكِّمُ في البرية نَعْدِلِ

ومن شعره في الاسلام يفاخر وفد تميم بقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
إن الذوائب<sup>(٤)</sup> من فِهْرٍ<sup>(٥)</sup> واخوتهم  
يرضى بها كلُّ من كانت سريرته  
قومٌ إذا حاربوا ضرّوا عدوهم  
سجيةٌ تلك فيهم غيرُ مُحدثةٍ  
لا يَرْفَعُ الناسُ ما أوَّهت أكفهم<sup>(٦)</sup>  
ان كان في الناس سبّاقون بعدهم  
وقال يهجو :

أبوك أب حرٍّ وأمك حرّة  
فلا يعجبنَّ الناسُ منك ومنهما  
وقد يلد الحُرَّان غيرَ نجيب  
فما خبث من فضة بعجيب

(١) طلب الحارث بن عوف من النبي أن يبعث معه من يدعوهم للدين على أن يكون جاراً  
له فكان ذلك ، ثم غدر بالحارث عشيرته فقدم الى الرسول فقال عليه السلام ابن حسان فما رأى  
الحارث قال :

يا حار من يفدر بدمه جاره  
وأمانة المرى حيث لقيته  
ان تغدروا فالغدر منكم شيمه  
والغدر يثبت في أصول السخبر  
منكم فان محمداً لم يفدر  
مثل الزجاجة صدعها لم يجبر

فقال الحارث انا عائد بك يا محمد من شره ، اكفغه عنى على أن أودى لك دية الحفارة ، فأداها  
وكانت سبعين ناقة عشراء

(٢) سيد ججاجح مسارع في المكارم (٣) سواء وسط ، والمفضل كسجد كل ملتقى  
عظمين من الجسد ، أى يصيب شاكلة الصواب (٤) السادة (٥) قبيلة من قریش  
(٦) اتباعهم وأنصارهم (٧) جمع خليقة وهى الطبيعة (٨) المستحدث من الاخلاق  
لا ما هو متأصل في النفوس (٩) يرفع يصلح . أوهت : افسدت وأضعفت



ومن آياته السائرة قوله :

وإنَّ امرأً يُمسي ويُصبح سالماً من الناس إلا ما جنى لسعيد (١)  
 رَبِّ حِلْمٍ أَضاعه عدم الما ل وجهل غطى عليه النعيم  
 فلو كان مجد يُخلد الدهرَ واحداً من الناس أبقى مجده الدهرَ مطعماً (٢)

### ٥ - الحُطَيْيَّة

هو أبو مُليكة جَرَوَلُ الحُطَيْيَّة العبسيُّ الشاعر المشهور ، أحد كبار الهجائين والمداحين المجيدين . وكانت أمه في بيت رجل من عبس فجاءت منه بالحُطَيْيَّة ، ولكن نسبه لم يثبت صريحاً منه . ولذلك نشأ معلول النسب ، وضع الشرف ، حاقداً على أمه وأبيه ، متبرماً بالناس (٣) فلم يشف علته من الجميع إلا بتعلمه الشعر وهجائهم جميعاً ؛ فهجا أمه (٤) وأباه وذوى قرابته وقومه (٥) وزوجه (٦) ، بل هجا نفسه (٧) ؛ ونشأ كما قال الأصمعي جَشِعاً ، سئولاً ، مُلِحِقاً ، دنى النفس ، كثير الشر ، قليل الخير ، بخيلاً ، قبيح المنظر ، رثَّ الهيئة ، مغموز النسب ، فاسد الدين . وعاش الحُطَيْيَّة مدة في الجاهلية وجاء الإسلام فأسلم . ولم يكن له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم عاش متنقلاً في القبائل يمدح هذه تارة ويذم تلك أخرى ، وينتسب الى عبس طوراً وطوراً الى ذُهل ، ويهجو اليوم من يمدحه بالأمس ، وكل قبيلة تخطب وُدّه وتنتق شر لسانه

وقد هجا الزبرقان بن بدر صاحب رسول الله وعامل عمر بن الخطاب على الصدقات وكان قد أنزل الحُطَيْيَّة بجواره وأحسن اليه ؛ فاستماله بغيض أحد بني أنف

- (١) أى أن السعيد من الناس من سلم من ألسنتهم وتقولاتهم ولم يذكره إلا بما فيه  
 (٢) مطعم بن عدى أحد من قام في نقض الصحيفة ، مات ولم يسلم وكان قد أجاز النبي حين قدم من الطائف الى مكة بعد أن دعا ثقيفا الى الاسلام (٣) أى لتحديدتهم الشرف بمحدود وضعوها  
 (٤) كقوله : جزاك الله شراً من عجوز ولتاك العقوق من البنينا  
 (٥) كقوله : لحاك الله ثم لحاك حقاً أباً ولحاك من عم وخال  
 (٦) كقوله : أطوف ما أطوف ثم آوى الى بيت قعيدته لكاع  
 (٧) كقوله : أرى لى وجها شوه الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله



الناقة وأنزله عنده ، فمدحه وقومه بالشعر الكثير ، ورفع عنهم عار اسمهم بيئته المشهور وهو :  
 قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا

وحمله بغيض على ذم الزبرقان فذمه . فاستعدى عليه الزبرقان أمير المؤمنين  
 عمر بن الخطاب فحبس الخطيئة . فما زال يستشفع اليه بالناس وقول الشعر حتى  
 أطلقه وهدده بقطع لسانه ان هجا أحداً ، واشترى منه أعراض المسامين بثلاثة آلاف  
 درهم ولكنه نكث وأوغل في الهجاء بعد موت عمر . وبقي كذلك حتى مات سنة ٥٩

\*  
\*  
\*

شعره - لولا ما وسم به الخطيئة من خسة النفس ودناءة الخلق وجهالة النسب  
 ورقة الدين والغدر والبخل الشديد والاساءة الى من أحسن اليه وسؤاله الرعاع  
 والشؤقة طمعاً في جمع المال من أي سبيل ، لكان باجاده في كل ضرب من ضروب  
 الشعر شاعر المحضمين على الاطلاق ، إلا أنه لم يقف ببراعته وفصاحته موقفاً لله  
 ولا للشرف ، ولا للفتوة والمروءة - ومن الغريب أنه تخرج على زهير في الفصاحة  
 والإجادة في المدح وتعلم الشعر والمبالغة في تجويده وإحكامه بملازمته إياه وروايته  
 عنه ؛ ولم يقتبس عنه حكمته وعفته وحسن خلقه ، وقلما يوجد في كلام الخطيئة مظنة  
 ضعف أو مغمز لغامز : من ركاكة لفظ ، أو غصاضة معنى ، أو اضطراب قافية  
 ومن مدحه الذي لا يلحق له فيه غبار قوله :

شعره

طائفة من شعره

يسوسون أحلاماً<sup>(١)</sup> بعيداً أناتها<sup>(٢)</sup> وإن غضبوا جاء الحفيظة<sup>(٣)</sup> والجذ  
 أقلوا عليهم ( لا أبا لأبيكم ) من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا  
 أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وان عاهدوا أو فؤوا وان عقدوا شدوا  
 وان كانت النعماء فيهم جزوا بها وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا<sup>(٥)</sup>  
 مطاعين في الهيجا مكاشيف للدجى بنى لهم آباؤهم وبنى الجد  
 ويعذلني أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذي علمت سعد

(١) عقولا (٢) حلمها أي بعيدة عن الغضب (٣) الغضب (٤) وثقوا  
 (٥) اتعبوا من اعطوهم بلن والاذى



ومن آياته التي استعطف بها أمير المؤمنين عمر ، وهو في سجنه قوله :  
ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ (١) زغب (٢) الحواصل لاماءه ولاشجر  
ألقيت كاسيهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر  
أنت الأمين الذي من بعد صاحبه ألقى اليك مقاليد النهى البشر  
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الخير  
ومن آياته التي يعرض فيها بهجو الزبرقان قوله :

أزمت يأساً مئيناً من نوالكم ولا يرى طارداً للحر كالياس  
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي  
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه (٣) لا يذهب العرف بين الله الناس

### ٦ - النابغة الجعدى

هو أبو ليلى حسان بن قيس بن عبد الله الجعدى العامرى ، أحد القدماء  
المعمرين ، والشعراء المخضرمين ووصاف الخيل المشهورين

هو أحد بنى جعدة بن كعب بن ربيعة . عاش زمناً في الجاهلية وحضر كثيراً  
من أيامها ووقائعها . وقال الشعر في الجاهلية ثم أجبل (٤) دهوراً ، ثم نبغ في الشعر  
عند ظهور الاسلام وبعده : ولذلك سمي النابغة . وهو ممن فكر في الجاهلية ،  
وأنكر الخمر لما تفعل بالعقل ، وهجر الأزلام والأوثان ، وذكّر دين ابراهيم ،  
وصام واستغفر . ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشده قصيدته المشهورة  
التي يمدحها ويقول في أولها :

خيلى عوجا ساعة وتهجراً ونوحا على ما أحدث الدهر أودرا

(١) واد بالحجاز (٢) الزغب أول ما يبدو من الشعر والريش (٣) جمع جازية  
أو جزاء (٤) أجبل الشاعر صعب عليه القول



فأعجب بها رسول الله ودعا له . وعاش طويلاً في الاسلام ، فأقام زمنًا مهاجرًا حتى أيام عثمان رضى الله عنه فأحس بضعف في نفسه ، فاستأذن عثمان في الرجوع الى البادية فأذن له . ثم لما كانت خلافة عليّ ( رضى الله عنه ) شهد معه وقائع صفين ، وظاهره بيده ولسانه ، ونال من معاوية وبنى أمية

وعند ما آلت الخلافة الى معاوية كتب الى مروان أن يأخذ أهل النابغة وماله ، فدخل النابغة على معاوية وعنده مروان فأنشدها أحيانًا منها :

فإن تأخذوا أهلى ومالى بظنة فاني لحراب الرجال محرّب  
صبور على ما يكره المرء كله سوى الظلم إني ان ظلمت سأعضب

فالتفت معاوية الى مروان ، فقال ما ترى ؟ - قال أرى ألا تردّ عليه شيئًا - قال ما أهون والله عليك أن ينجر هذا في غار ثم يقطع عرضي عليّ ثم تأخذه العرب فترويه ، أما والله ان كنت لممن يرويه . اردد عليه كل شيء أخذته . ثم كان في شيعة عبد الله بن الزبير حين خروجه على يزيد ومروان وعبد الملك ، وجاء ابن الزبير ومدحه فأجزل له العطاء على بخل فيه . وبعد سكون الفتن خرج مهاجرًا الى الأمصار المفتحة فمات بأصبهان بعد أن عمر على ما قيل مائة وثمانين سنة

\* \*

شعره - كان النابغة الجعدي شاعرًا مطبوعًا في الجاهلية والاسلام . وهو أوّل من سبق الى الكناية في الشعر عن اسم من يعنى الى غيرها ، وتبعه الناس بعد ، قال  
أكنى بغير اسمها وقد علم الله خفيات كلّ مكتمّم

وكان ممن يصفون الخيل فلا يلحق لهم في ذلك غبار ، حتى ضرب به المثل ، قال الأصمعي : ثلاثة يصفون الخيل فلا يقار بهم أحد : طفيل الغنوي وأبو ذؤاد الإيادي ، والنابغة الجعدي . وما كان ينتحى طريقة زهير والحطيئة وأشباههما ممن يبالغون في تهذيب الألفاظ وتنقيح المعاني ، بل كان يلتقي القول على عواهنه وكما تهديه اليه بديهته ؛ فتارة يأتي جيدًا متينًا ، وتارة يجي ضعيفًا رديئًا ، وأحيانًا يسلك



بين ذلك سبيلاً، حتى قال عنه الاصمعي: عنده مطرف<sup>(١)</sup> بألاف، وخمار<sup>(٢)</sup> بواف<sup>(٣)</sup> ومع ذلك كله كان مغلباً، ما هاجي أحداً إلا غلبه: هاجي أوس بن مغراء ولم يكن أوس مثله ولا قريباً منه في الشعر فغلبه، وهاجى كعب بن جعيل فغلبه أيضاً، وهاجى ليلي الأخيلية فغلبته. وله في الفخر والهجاء والمدح والثناء شعر كثير؛ ومن أشرفه قصيدته التي مدح بها الرسول الكريم وهي:

خليلى عوجا<sup>(٤)</sup> ساعةً وتهجراً<sup>(٥)</sup> ونوحاً على ما أحدث الدهر أوذرا  
ولا تجزعا، إن الحياة ذميمة فخفاً لروعات الحوادث أو قرأ<sup>(٦)</sup>  
وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا  
ألم تريا أن الملامة نفعها قليل، إذا ما الشيء ولّى وأدبرا  
تهيج البكاء والندامة ثم لا تغير شيئاً غير ما كان قدرا  
أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً كالمجرّة<sup>(٧)</sup> نيرا  
أقيم على التقوى وأرضى بفعالها وكنت من النار المخوفة أهدرا  
ومنها في الفخر:

وانا لقوم ما تعود خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا  
ونكر يوم الروع<sup>(٨)</sup> ألوان خيلنا من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا<sup>(٩)</sup>  
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لندرجو فوق ذلك مظها

ولما سمع رسول الله (بلغنا السماء البيت) قال له فأين المظهر يا أبا ليلي؟ قال الجنة! قال له إن شاء الله! ولما أتم قصيدته، قال له الرسول أجدت لا يفضض الله فاك فأنت عليه مائة سنة أو نحوها ومن انفضت من فيه سن

(١) رداء من خز مربع ذو أعلام (٢) ثوب تغطى به المرأة رأسها  
(٣) الوافي درهم وأربعة دوانق (٤) قفا (٥) سيرا في الهاجرة (شدة الشمس)  
(٦) وفر كوعد رزن أو جلس بوقار (٧) نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه جدة بيضاء (٨) الفزع والمراد الحرب (٩) الجون من الخيل الادمهم، والاشقر منها الاحمر



ومن قوله يرثي ابنه محارباً وأخاه وحوحا :

بَدَتْ فَعَلَ ذِي وَدٍّ فَلَمَّا تَبِعْتَهَا      تَوَلَّتْ وَأَبْقَتْ حَاجَتِي فِي فُؤَادِيَا  
وَحَلَّتْ سَوَادَ الْقَلْبِ لَا أَنَا بَاغِيَا      سَوَاهَا وَلَا عَنِ حَبْهَا مِتْقَالِيَا  
أَتَيْتَ لَهٗ وَالْهَمُّ يَخْتَضِرُ<sup>(١)</sup> الْفَتَى      وَمِنْ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ مَا لَيْسَ لَاقِيَا  
ومنها :

ألم تعلمي أني رزئت محارباً      فما لك منه اليوم شيء ولا ليا  
ومن قبله ما قد رزئت بوحوح      وكان ابن أمي والحليل المصافيا  
فتي كان فيه ما يسرُّ صديقه      على أن فيه ما يسوء الأعاديا  
فتي كملت خيراته غير أنه      جواد فما يُبقي من المال باقيا

### ٦ - عمر بن أبي ربيعة

هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي الخزومي ، أشعر قريش وأرق أصحاب الغزل ، وأوصف الشعراء لأحوال النساء

ولد بالمدينة ليلة مات عمر بن الخطاب رضوان الله عليه . وكانت أمه نصرانية ، وكان أبوه تاجراً موسراً وعاملاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء الثلاثة من بعده ؛ فشب في نعيم وترف . وقال الشعر صغيراً ، وسلك فيه طريق الغزل ، ووصف أحوال النساء وتزاورهن ومداعبة بعضهن لبعض ، وما يعتدّن قوله من الكلام ، مما يتوقّر الشعراء الفحول عن الخوض فيه ، ولذلك لم يحفلوا بشعره وعدّوه من هذيان خلعاء المدينة ، فما زال يعالج الشعر والشعر ينقاد له ، حتى ملك ناصيته وقبض على زمامه وبز الشعراء ، وقال رأيته المشهورة على طريقته المبتكرة ، وهي التي أولها :

أمن آل نعيم أنت غداً فمبكرُ      غداً غداً أم رائح فمهجّرُ

والتي قال فيها جرير حين سمعها : ما زال يهنئ هذا القرشي حتى قال الشعر . ثم استطار شره في التشبيب بالنساء من يعرفها ومن لا يعرفها ، وتعرض للمحصنات

(١) اختضر النبات أخذ طرياً غصاً ، والشاب مات فتيا



المتعففات من نساء قومه ومن غيرهن . فوقعن منه في بلاء عظيم ، وصرن يَحْفَنُ الخروج الى الحج لأنه كان يتلقاهن بمكة ، ويتربح خروجهن للطواف والسعي ويصفهن وهن محرمات . وحَلَمَت عليه رجالات قريش لمكانة نسبه منهم ولتربح توبته وإقلاعه . فلما تمادى في أمره وشبَّ بينات السادات والخلفاء ، غضب عمر ابن عبد العزيز ونفاه الى دَهْلَك<sup>(١)</sup> . ثم رأى ابن أبي ربيعة أن يكفر عن سيئاته بالتوبة والجهاد ففزا في البحر فاحترقت السفينة التي كان فيها واحترق هو أيضاً سنة ٩٣ هـ

\* \* \*

شعره - كانت العرب تُقَرُّ لقريش بالتقدم عليها في كل شيء إلا في الشعر حتى كان عمر بن أبي ربيعة فأقرت لها الشعراء به أيضاً ، وكان أكثر الشعراء الاسلاميين يُجَمِّون عن التشبيب بالنساء امثالاً لأمر الدين ومحافضة على الآداب العربية الاسلامية ، وكان أكثر تشبيهم في بكاء الأطلال ومنازل الأحياب ، فلما ظهر عمر سلك في الغزل طريقاً لم يسلكوه : فوصف أحوال النساء في منازلهن وتزاورهن ومحادثتهن ومداعبة بعضهن لبعض وتلاومهن وما يعتدُن قوله من الكلام وال عبارات في أسلوب يغلب عليه القصص ، وحاكية ما شاهده في شعر رقيق ، ولفظ رشيق ، ومعنى أنيق ؛ وبهر الشعراء بهذه الطريقة حتى قال فيه جرير وهو من شعراء الغزل : هذا والله الذي أرادته الشعراء فأخطأته وتعلت بوصف الديار ، وكذلك قال الفرزدق . ولسهولة شعر عمر وقرب فهمه من جميع التفتي بشعره الطبقات وشدة تأثيره في قلوب الخلق وأهل اللهو أولع به المغنون والمغنيات من القيان والموالى انشاداً وتلحيناً ، ولذلك قال فيه بعض متورعي الأنصار : ما عَصِي الله بشيء كما عَصِي بشعر ابن أبي ربيعة<sup>(٢)</sup> ومن قوله :

(١) جزيرة أمام مدينة مصوع (٢) قالت ظبية لمولاتها فاطمة بنت عمر بن مصعب : مررت بمجدك عبد الله وأنا داخلة منزله وهو بفنائمه ومعي دفتر فقال ما هذا معك ، ودعاني فجئتته وقلت شعر عمر بن أبي ربيعة فقال ويحك تدخين على النساء بشعر عمر ، ان لشعره لوقفا من القلوب ، ومدخلاً لطيفاً ، لو كان شعر يسحر لكان هو ، فارجمي به ، ففعلت



ليت هنداً أنجزتنا ما تعد      وشفقت أنفسنا مما نجد  
واستبدت مرة واحدة      انما العاجز من لا يستبد  
ولقد قالت لجارات لها      ذات يوم وتعترت بتبرد  
أكما ينعتني تبصرني      (عمر كرن الله) أم لا يقتصد  
فتضاحكن وقد قلن لها :      حسن في كل عين من تود  
حسداً حملنه من أجلها      وقد يما كان في الناس الحسد  
ومن قوله وقد كتب به إلى الثريا :

كتبت اليك من بلدى      كتاب موله كمد  
كثيب واكف العينين بالحسرات منفرد  
يؤرقه (١) لهيب الشوق      ق بين السحر والكبد  
فيمسك قلبه بيد      ويمسح عينه بيد

وقال يصف أثر السفر في شخصه :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت      فيضحى (٢) وأما بالعشى فينصر (٣)  
أخا سفر جواب أرض تقاذفت      به فلوات فهو أشعث أغبر  
قليلاً على ظهر المطية ظله      سوى ما نفي عنه الرداء المحبر

## ٨ - الأخطل

هو أبو مالك غياث الأخطل بن غوث التغلبي النصراني ، شاعر الأمويين وأمدح ثلاثة شعرائهم المتقدمين والمتفرد بالتعمق في وصف الحمر دون الاسلاميين نشأ بين قومه بني تغلب النازلين بسقي الفرات من أرض الجزيرة ، وقال الشعر وهو صبي ، وما لبث أن زاحم شاعر تغلب وقتئذ كعب بن جعيل ، وهاجاه وظهر عليه وأخمله . ولما طلب يزيد بن معاوية قبل أن يلبى الخلافة من كعب هجاء

(١) أرقه أسهره والسحر الرثة (٢) تصيبه الشمس (٣) يبرد



الأَنْصار لتعرّض عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري لأخته في شعره ، أبي عليه ذلك كعب ، وقال أرادى أنت في الشرك ؟ أهجو قوماً نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآووه ؟ ولكنى أدُّلك على غلام منا نصراني كأنَّ لسانه لسانُ ثور ، لا يبالي أن يهجوهم ، فدله على الأخطل . وكأنه كان يريد به الشر لتوقُّعه أن يفتك به الأنصار ، فكان ذلك سببَ جدِّه ، وظهور شأنه ، فإن يزيد بعث إليه وأمره بهجائهم ، فهجأهم بقصيدة منها : -

ذهبت قریش بالسَّماحة والندى واللؤم تحت عمائم الأنصارِ  
فدعوا المكارم لستم من أهلها وخذوا مساحيكم<sup>(١)</sup> بنى النجار

وبلغ الشعرُ كبارَ الأنصار فغضبوا وشكَّوه الى معاوية فوعدهم بقطع لسانه ، فاستجار يزيد ، فما زال يزيد بأبيه حتى عفا عنه . ولما ولي يزيدُ الخلافة قرَّبه اليه ، وتابعه في ذلك خلفاء بني أمية ، وبخاصة عبد الملك إذ كان يستعين به على مضر وشعرائها لأحيازهم الى أعدائه في السياسة من آل الزبير وغيرهم ، فمدحه بمدائح جليلة قلَّما قال نظيرها فيه شاعرٌ من شعراء زمانه ، فقرَّبه اليه وأدناه ، وسمح له بالدخول عليه بلا إذن وأجزل له العطايا ، وسماه شاعرَ الخليفة

ولما حدثت المهاجاة بين جرير والفرزدق ، وحُكِّمَ فيهما أيُّهما أشعر عرض بتفضيل الفرزدق ، فهجأ جرير ، فردَّ عليه الأخطل وكانت الشيخوخة قد بلغت منه فلم يلحق جريراً . وكان الأخطل يقيم أزماناً بدمشق ، وأحياناً ببلاد من أرض الجزيرة . ومات في أول خلافة الوليد وقد نيف على السبعين

\* \*

شعره - كان الأخطل أحد الشعراء الثلاثة السابقين سواهم من فحول الاسلاميين وكان مطبوعاً على الشعر ، بعيداً عن التكلف والتعمق فيه ، وامتاز

(١) سحا الطين فشره والمساحة أداة السحى



باجادة المديح والابداع في معانيه والتنويع في ضروبه والتريث فيه ، حتى ربما لبث في بعض مدحاته سنة كاملة ، وربما نظمها تسعين ثم يكثر عليها بالتمحيص والاختيار حتى يحذف منها ستين ويُبقي الثلاثين ؛ كما امتاز لنصرانيتها بوصف الحمر والترغيب فيها ، ولم يقصر في الهجاء عن صاحبيه كثيراً . وفضلهما بقلة التعرض للفحش والبدأة ولكنه كان دونهما في بقية فنون الشعر ؛ فكان بكيئاً في الرثاء (١) : مات يزيد وهو سبب نعمته ، فلم يستطع رثاءه بأكثر من أربعة أبيات

وليس للأخطل سوى سبع مطوولاتٍ فاقهما بها . ولذلك لم ير قدماء أهل العلم والرواة تسويته بهما لتقصيره عنهما في التصرف في سائر أبواب الشعر

قال يمدح بني أمية ويخص بشر بن مروان :

إن يحملوا عنك فالأحلام (٢) شيمتهم  
والموت ساعة يحمي منهم الغضب  
كانهم عند ذاكم ليس بينهم  
وبين من حاربوا قربي ولا نسب  
كانوا موالى حق يطلبون به  
فأدر كوه وما ملوا ولا لغبوا (٣)  
ان يك للحق أسباب (٤) يمدُّ بها  
ففي أكفهم الأرسان (٥) والسبب  
هم سعوا ببن عفاً الامام وهم  
بعد الشماس مروها ثممت احتملبوا (٦)  
ومنها :

إذا أتيت أبا مروان تسأله  
وجدته حاضراً الجود والحسب  
ترى اليه رفاق (٧) الناس سائلةً  
من كل أونب (٨) على أبوابه عصب  
يحتضرون سجالاتاً (٩) من فواضله  
والخير محتضراً الأبواب منتهب (١٠)

(١) ناقة بكي وبكيئة قليلة اللبن والمراد قليل الرثاء (٢) جمع حلم وهو الاناة (٣) اللقب أشد الاعياء (٤) حبال (٥) جمع رسن وهو الجبل وما كان من زمام على أنف (٦) الشماس الحران -- مرى الناقة مسح على ضردها لتدر أى هم سعوا للخلافة بسبب الاخذ بثأر عثمان وبعد أن امتنعت عليهم انقادت لهم وذلك (٧) جمع رققة (٨) فيج (٩) السجل الدلو العظيمة المملوءة والجمع سجالات (١٠) يتهافت الناس على أبواب الكرام ليصيبوا من كرمهم وعطاياهم



والمطعم الكوم<sup>(١)</sup> لا ينفك يعقرها  
إذا تلاقى رواق البيت والهب<sup>(٢)</sup>  
كان حيرانها في كل منزلة  
قتلى مجردة الأوصال تستلب<sup>(٣)</sup>  
وقال يرثي يزيد بن معاوية :

لعمري لقد دلني الى اللحد خالد<sup>(٤)</sup>  
مقيم بحوارين<sup>(٥)</sup> ليس يرثيها  
تصيح الموالي أن رأيت أم خالد  
إذا جاء سرب من نساء يعدنها  
وقال يهجو :

وكنت إذا لقيت عبيد تيم  
لئيم العالمين يسود تيم  
وتيا قلت أيهم العبيد  
وسيدهم - وان كرهوا - حسود  
وقال يصف سكران :

صريع مدام يرفع الشرب رأسه  
تهاديه أحياناً ، وحيناً تجره ،  
إذا رفعوا عظماً تحامل صدره  
ومن أمثاله السائرة قوله :

وان امرأ لا ينثني عن غواية<sup>(٧)</sup>  
إذا ما اشتتها نفسه لجهول

٩ - الفرزدق

هو أبو فراس همام بن غالب التميمي الدارمي أفر<sup>(١)</sup> ثلاثة الشعراء الأمويين ،  
وأجزل المقدمين في الفخر والمدح والهجاء

(١) جمع كوما وهي الناقة الضخمة السنام (٢) أي علت نيران القرى حتى اتصلت بالرواق وهو ما بين يدي البيت وذلك كناية عن كرمهم في وقت الشتاء وقت اشتداد المحل والازل  
(٣) الحيران جمع حوار والأوصال المفاصل والمعنى أن مفاصلها وعظامها خالية من اللحم كأنها  
قتلى قد سلب ما عليها (٤) هو ابن يزيد وكان يكنى به (٥) مات يزيد ودفن بحوارين  
من بلاد حمص (٦) لابسة ثياب الحداد (٧) الغواية الضلالة والافساد



ولد سنة ١٩ هـ ونشأ بالبصرة بين فصحاء آبائه وقومه منذ أوّل تصيرها ، وهي يومئذ حاضرة العرب فلم تشب لهجته عجمة ولا لحن ، فأخذه أبوه برواية الشعر ونظمه فرواه ونظمه ونبغ فيه . وأتى به أبوه يوماً الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فسأله عنه - فقال هذا ابني يُوشِك أن يكون شاعراً مُجيداً - فقال أقرئه القرآن فهو خير له ، فما زالت كلمته في نفس الفرزدق حتى قيد نفسه بقيد وآلى أن لا يفكّه حتى يحفظ القرآن ، فما فكّه حتى حفظه بالرغم من كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب . ولنشأة الفرزدق بالمصر والبوادي القريبة منه كان قريب التعرّف بولاية البصرة والكوفة وعمالهم ، يمدحهم تارة ويهجوهم أخرى ، ويحبسه هذا حيناً ، ويفر من وجه ذلك طوراً ، وفي أثناء ذلك يرحل الى خلفاء بني أمية بالشام يمدحهم وينال جوائزهم ، وأخص من كان يمدحه منهم عبد الملك بن مروان ثم أولاده من بعده . وامتحن بمنافسة جرير له في الشعر ومهاجاته

والتهاجي بين جرير والفرزدق  
والتهاجي بين جرير والفرزدق

والتسبب في تهاجيهما أن جريراً كان يهاجى شاعراً اسمه البعيث لأنه ظاهر عليه شاعراً آخر يسمى غسان فنصر الفرزدق البعيث على جرير لمنافسته له في الصناعة تلك المنافسة التي أفضت بهما الى التهاجى والتساب طول عمرهما وسهل على الفرزدق هجاء جرير الترفع عليه في شرف حسبه وكرم محمّده ، وسيادة آبائه في الجاهلية والاسلام ، وضعة آباء جرير وخمول ذكركم مما جعل الفرزدق يغرى بجرير أكثر من ثمانين شاعراً يهجونه

وكان الفرزدق فوق إقذاعه في الهجو وفحشه في السباب وقذف المحصنات يرمى بالفجور وقلة التمسك بشعائر الدين ثم تاب في أواخر شيخوخته على يد الحسن البصرى ، ورجع عن قذف المحصنات ونهش الاعراض ، ونسك وحسنت خاتمه . وكان فيه تشيع يستره أيام اختلافه الى بني أمية ، ثم كاشف به آخر حياته حتى أمام هشام ولى عهد الخلافة عندما رأى الناس تفسح طريق الطواف بالكعبة مهابة واجلالاً لعلي بن الحسين ، فسأل عنه كالمجاهل لأمره ، فشق ذلك على الفرزدق وأنشد



قصيدته الميمية الآتية يُعَرِّفُ بعليّ ويُنكر على هشام تجاهله . فحبسه هشام ثم أطلقه . وعاش الفرزدق قريباً من مائة سنة ومات بالبصرة سنة ١١٠ هـ

\* \*

شعره - يمتاز شعر الفرزدق بفخامة عبارته ، وجزالة لفظه ، وكثرة غريبه ، ومُدَاخلة بعض ألفاظه في بعض (١) : من حيث التقديم والتأخير ، والفصل والوصل ، وكثرة تنوع التراكيب والأساليب ، والاشتمال على المعاني الدقيقة ؛ وكان يجري فيه على أسلوب الجاهلية في شعرهم ، ولذلك يُعجَب به أهل اللغة والنحو ، ويُفسخ لهم مجال القول فيه وقياس مسأله عليه ؛ فكان يقال لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة

ويعتبر الفرزدق من أخص شعراء العرب وأشدّهم وكوعاً بتعداد ماثر آباءه وأجداده وتحدّى منافسيه بمكارمهم حتى في مدحه للخلفاء ، وحتى كان ذلك سبباً في حرمان بعضهم له العطاء واحالته على آباءه (٢) ، فكان بذلك شعره مشتملاً على كثير من أيام العرب ومفاخرها ومثالبها وفروع أنسابها مما استخرج منه العلم الجمم من أنساب العرب وأحوالها

ومن كلامه قوله يصف ذنباً صادفه أثناء سفره فأطعمه من زاده : نموذج من شعره

وأطلس (٣) عَسَّال (٤) وما كان صاحباً دعوتُ لنارى مؤهناً (٥) فأتانى  
فلما أتى قلت : ادن ، دونك ، انى وإياك فى زادي لمُشتركان  
فبِتُّ أقدُّ (٦) الزادَ بينى وبينه على ضوءِ نارِ مرّةٍ ودخان  
وقلت له لما تكشّرَ ضاحكاً وقائمٌ سيفي من يدي بمكان

(١) كقوله : وما مثله فى الناس الا مملكا أبو أمه حى أبوه يقاربه

وكقوله : وكل رفيق كل رحل ، وازهما تماطى القنا قوما هما ، اخوان

(٢) استنشد سليمان بن عبد الملك الفرزدق فانشد مقتضراً عليه قطعة منها :

إذا استوضحو ناراً يقولون ليها وقد خصرت أبديهم نار غالب

يريد أباه فغضب . ثم انشده نصيب فقال سليمان يا غلام أعط نصيباً خمسمائة دينار وألحق الفرزدق بنار أبيه (٣) أغبر اللون (٤) مضطرب فى مشيه (٥) نحواً من نصف الليل (٦) أقطع



تَعْشَّ ، فان عاهدتني لا تخونني  
وأنت أمروءٌ (يأذنب) والغدرُ كنما  
ولو غيرنا نبهت تلتمسُ القرى  
وكل رفيقٍ كلِّ رحل ، وإن هما  
ومن أبياته السائرة :

فيا عجبا حتى كليبٌ تَسُبُّني  
وكنا اذا الجبار صَعَرَ خَدَّهُ (٣)  
قوارِصُ (٥) تَأْتِينِي وتَحْتَقِرُونَهَا  
وقد يملاً القطرُ الإِنَاءَ فَيُفْعِمُ (٦)  
اذا ما وُزِنًا بالجبال رأيتنا  
أحلامنا تَرِنُ الجبالَ رزانة  
تري الناس ماسرنا يسيرون حولنا  
وان نحن أو مانا الى الناس وَقَفُوا

وقال يهجو :

ولو تُرْمَى بلوؤمِ بنى كُليب  
ولو يرمى بلوؤمهم نهارُ  
وما يغدو عزيزُ بنى كليب  
ومن جيد شعره قوله يمدح علي بن الحسين ( وتروى أبيات منها لغيره ) :  
هذا الذي تعرفُ البطحاء (٧) وطأته  
هذا ابن خير عباد الله كلهم  
وليس قولك : من هذا ؟ بضائره  
اذا رأته قریشٌ قال قائلها  
والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرمُ  
هذا التقىُّ النقيُّ الطاهر العلم  
العُرب تعرف من أنكرت والعجم  
الى مكارم هذا ينتهى الكرم

(١) طرف (٢) ابنا دارم التميمي ، من أجداده  
(٣) أماله عن الناس اعراضا وتكبرا (٤) جمع أخذع وهو شعبة من الوريد  
(٥) القارصة السكامة المؤلمة (٦) فعم الاناء ملاء كأفعمه (٧) مسيل واسع فيه دفاق الحمى



يُغْضَى حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ (١)  
بِكِفِّهِ خَيْرَانٌ رِيحُهَا عَبَقٌ  
يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانٌ رَاحَتَهُ  
يَنْشَقُّ ثُوبَ الدُّجَى عَنْ نَوْرِ غُرَّتِهِ  
مِنْ مَعَشَرِ حَبِيبِهِمْ دِينٌ وَبِفَضْلِهِمْ  
إِنْ عَدَّ أَهْلَ التَّقَى كَانُوا أُمَّتَهُمْ  
فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يُبْتَسِمُ  
مِنْ كَفِّ أَرْوَعٍ (٢) فِي عَرِينِهِ شِمِّ (٣)  
رَكْنُ الحَطِيمِ (٤) إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ  
كَالشَّمْسِ تَنْجَابَ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلْمِ  
كَفَرُّهُ وَقَرِيبُهُمْ مَنْجَبِيٌّ وَمَعْتَصِمٌ  
أَوْ قِيلَ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الأَرْضِ؟ قِيلَ هُمْ

١٠ - جرير

هو أبو حَزْرَةَ جرير بن عطية بن الخطفي التميمي اليربوعي ، أحد فحول الشعراء الاسلاميين ، وبلغاء المداحين الهجائيين ، وأنسب ثلاثتهم المقلقين . وهو من بني يربوع أحد أحياء تميم . وُلِدَ باليمامة من بيت اشتهر بالشعر ، ونشأ بالبادية وفيها قال الشعر ونبغ فيه . وكان يَحْتَلِفُ الى البصرة في طلب الميرة ومدح الكبراء ، وينزل على من يسكن البصرة من قومه ، فرأى الفرزدق وما كسبه الشعر من المنزلة عند الأمراء والولاة وهو تميمي مثله ، وودَّ لو يسبقه الى ما ناله ، وأغراه قومه به للتتويه بشأنهم وتفخيم أمرهم ؛ إذا كان الشعر في ذلك العصر هو وسيلة الاعلان عن الشرف وكريم الخصال ، ف وقعت بينهما المهاجاة والملاحاة عشر سنين ، كان أكثر اقامة جرير أثناءها في البادية ، وكان الفرزدق مقبياً بالبصرة ، مصر العرب يملاً عليه الدنيا هجاء وسباً ، فما زال به بنو يربوع حتى أقدموه البصرة فكان يُقيم بها كثيراً . واتصل بالحجاج ومدحه فأكرمه ورفع منزلته عنده ، فعظم أمره وشرق شعره وغرب ، حتى بلغ الخليفة عبد الملك ، فحسد الحجاج عليه ، فأوفده الحجاج مع ابنه محمد الى الخليفة بدمشق ليصل بذلك الى مدحه . فلما دخل عليه مع الوفد استأذنه

(١) لاجل مهابته (٢) الاروع من يعجبك لحسنه وجهارة منظره أو لشجاعته كالرائع

(٣) الرنين الانف والشمم الارتفاع أى سيد شريف (٤) الحطيم حجر الكعبة

أو جدارها ، أو ما بين الركن وزمزم والمقام



في إنشاده فأبى ، وقال لهُ انما أنت للحجاج . فما برح يتوسل اليه حتى قبل مدحه وأجازه عليه جائزة سنوية . ومن ذلك الحين عدُّ من مداح خلفاء بني أمية ، ودخل في غمار المتزاحمين على أبوابهم والمتنافسين في نيل جوائزهم ، وجره ذلك الى مُعاداة منافسيه ومهاجاتهم ، وحرَّش الفرزدق بينه وبينهم وأغراه عليه بالمال ، ونصب له منهم نحو ثمانين شاعراً فغلبهم كلهم وأخرسهم ، وثبت له من دونهم الفرزدق والأخطل فبقيت حرب المهاجاة بينهم سجلاً ، حتى مات الأخطل ، وغبر الفرزدق وجريير يتسابان بقية حياتهما الآمدَّة قليلة تنسك فيها الفرزدق وتاب . ثم مات ولم يطل عمر جريير بعده إلا نحو ستة أشهر ومات باليمامة سنة ١١٠ هـ

مهاجاة جريير  
للشعراء  
وللفرزدق

\* \*

وكان في جريير على هجائه للناس وخوضه في أعراضهم عفةً ودين وحُسن خلق ورقةً طبع ظهر أثرها في شعره

موازنة بين  
جريير والفرزدق  
والاخطل

شعره - اتفق علماء الأدب وأئمة نقد الشعر على انه لم يوجد في الشعراء الذين نشئوا في ملك الاسلام أبلغ من جريير والفرزدق والأخطل ، وانما اختلفوا في أيهم أشعر ولكل هوى وميل في تقديم صاحبه : فمن كان هواه في رقة النسيب ، وجودة الغزل والتشبيب ، وجمال اللفظ ولين الاسلوب ، والتصرف في أغراض شتى ، فضل جرييراً ؛ ومن مال إلى إجادة الفخر . وخنامة اللفظ ، ودقة المسلك ، وصلابة الشعر وقوة أسره ، فضل الفرزدق ؛ ومن نظر بعد بلاغة اللفظ ، وحسن الصوغ ، الى اجادة المدح والامعان في الهجاء ، واستهواه وصف الخمر واجتماع الندمان عليها ، حكم للأخطل ؛ وهناك فريق يُدخِل في الموازنة بينهم ما ليس من موضوع الأدب ، فأهل الحسب والنسب يقدمون الفرزدق ، وأهل الدين والعفة يقدمون جرييراً ، وأدباء المسيحيين يقدمون الأخطل ، ولا عبرة بذلك في باب صناعة الشعر ؛ على أن طائفة من أهل النقد المعتمد بهم يرون جرييراً أشعر الثلاثة : لأنه طرق جميع أبواب الشعر ولم يقصر في باب ، وان الفرزدق امتاز بالفخر ، والأخطل بالمدح والهجاء



ووصف الخمر، ويحتججون بأنه لما ماتت امرأة الفرزدق لم تندبها النوادب إلا بشعر  
جرير في رثاء امرأته، وأن الفرزدق كان يحسده على رقة شعره ويقول: ما أحوج  
جريراً مع عفافه الى صلابة شعري! وأحوجني مع شهواتي الى رقة شعره، وأن له  
في كل باب من الشعر ألياً سائرة هي الغاية التي يضرب بها المثل؛ فيقال ان أغزل  
شعر قالته العرب هو قوله:

ان العيون التي في طرفها حور<sup>(١)</sup> قتلنا ثم لم يُحيين قتلانا  
يصرعن ذاللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله انسانا  
وان أمدح بيت قوله:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح  
وان أجز بيت قوله:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا  
وان أهجى بيت مع التصون عن الفحش قوله:  
فغص<sup>(٢)</sup> الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً  
وان أصدق بيت قوله:

إني لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفس مولة بحب العاجل  
وان أشد بيت تهكماً قوله:

زعم الفرزدق أن سيققل مربعاً<sup>(٣)</sup> أبشر بطول سلامة يا مربع

ونحو ذلك كثير في شعره. قيل وقد لعب جرير وجد في قصيدة يهجو بها  
الأخطل التغلبي بما لو أراد غير لامتنع عليه، ففي لعه يقول:

ان الذين غدوا بلبك غادروا وسلاً<sup>(٤)</sup> بعينك لايزال معيناً<sup>(٥)</sup>

(١) الحور شدة سواد العين مع شدة بياضها (٢) اخفض (٣) هو راوية جرير

(٤) الوشل الماء القليل (٥) جارياً



غَيْضُنْ (١) من عَبْرَاتِهِن (٢) وقلن لى  
ماذا لقيت من الهوى ولقينا  
وفى جِدِّه يقول :

ان الذى حَرَمَ المكارمَ تغلبًا  
جعل الخِلافةَ والنبوَّةَ فينا  
مضرُّ أبى وأبوالموك فهل لكم  
ياخزر (٣) تغلب من أب كأيينا  
هذا ابن عمى فى دِمَشقَ خليفةً  
لوشئتُ ساقمُ الى قطينا (٤)

فلما بلغ عبد الملك هذا الشعر قال ما زاد ابن المراغة (٥) أن جعلنى شُرطيًّا (٦)  
أما لو أنه قال : لو شاء ساقم الى قطينا لسقتم اليه كما قال  
ومن جيد شعره قوله من قصيدة يرثى بها امرأته وهى التى نُدبت بها نوار  
امرأة الفرزدق :

لولا الحياء لها جنى استعمار (٧)  
ولَهتِ قلبى اذ علتنى كَبرة (٨)  
لا يُلْبِثُ القراءُ أن يتفرَّقوا  
صلَّى الملائكة الذين تُخبروا  
فلقد أراك كسيت أحسن منظرٍ  
وقال يهجو تغلب قبيلة الأخطل :

فلو أن تغلب جمعت أحلامها  
تلقاهم حلما عن أعدائهم  
لا تطلبنَّ خوولةً فى تغلبٍ  
فالنَّج أكرم منهم أحوالا  
يوم التفاضل لم تزن مثقالا  
وعلى الصديق تراهم جهالا

## ١١ - الكميّة

هو الشاعر الخطيب الرواية النسابة أبو المستهل الكميّة بن زيد الأسدى الكوفى ، أشعر شعراء الشيعة الهاشمية ، ومؤير عصبية العدنانية على القحطانية

(١) غاض الماء ذهب وغيضن أذهين (٢) جمع عبرة وهى الدمة قبل أن تفيض  
(٣) الخزر ضيق العيون وصغرهما (٤) خدما (٥) كلمة لقب بها الفرزدق أم جرير والمراغة  
الانان (٦) كتركى وجهنى أعوان الملك (٧) استعبرت عبرته جرت دموعه (٨) الكبر والضعف



ولد سنة ٦٠ هـ ونشأ بالكوفة بين قومه بني أسد احدي قبائل العرب الفصحاء من مضر، فلقن العربية، وعرف الأدب والرواية، وعلم أنساب العرب وأيامها ومثالبها بمدارسة العلم والاختذ عن الأعراب. وكان له جدتان أدركتا الجاهلية تقصان عليه أخبارها وأشعار أهلها، فخرج أعلم أهل زمانه في ذلك، وأقر له حماد الراوية بالسبق عليه. وقال الكميت الشعري وهو صغير، وكان لا يُدعيه ولا يتكسب به، ويكتفي بحرفته تعليم صبيان الكوفة بالمسجد. ولما حَصَفَ شعره وقوى أسرُه، ولا سيما قصائده التي أعلن فيها تشيُّعه لبني هاشم وآل عليّ أنشد الفرزدق مستنصحا له في أمر إذاعته اذا أعجبه، فأمره بإذاعته<sup>(١)</sup>، فأذاع قصائده البليغة المطوّلة المسماة بالهاشميات، ثم تكسب بالشعر ومدح الامراء والولاة وسادات أهل البيت من أبناء علي رضي الله عنه، واحتجّ لهم بشعره ودافع عنهم، وعرض نفسه من أجلهم

(١) كان اول ما قال الكميت من الشعر الهاشميات فسترها ثم أتى الفرزدق فقال له يا أبا فراس انك شيخ مضر وشاعرها وانا ابن اخيك الكميت بن زيد الاسدي قال له صدقت أنت ابن اخي فما حاجتك قال نفث على لساني فقلت شعراً فأحبيت ان اعرضه عليك فان كان حسنا امرتني بإذاعته وان كان قبيحا امرتني بستره وكنت اولى من ستره علي قال الفرزدق اما عقلك فحسن واني لارجو ان يكون شعرك على قدر عقلك فانشدني ما قلت قال : طربت وما شوقا الى البيض اطرب . قال الفرزدق فيم تطرب يا بن اخي فقال : ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب . قال اللعب يا بن اخي فانك في اوان اللعب . فقال :

ولم يلهمي دار ولا رسم منزل ولم يتطربني بنان مخضب  
قال ما يطربك يا بن اخي فقال :

ولا السانحات البارحات عشية وأمر سليم القرن أم مر أعضب  
قال اجل لا تتطير فقال :

ولكن الى اهل الفضائل والتقى وخير بني حواء والخير يطلب  
قال ومن هؤلاء ويحك قال :

الى الفجر البيض الذين يجهمهم الى الله فيما نابي اتقرب  
قال ارحني ويحك من هؤلاء قال :

بني هاشم رهط النبي فاني بهم ولهم ارضى مراراً واغضب  
خفضت لهم مني الجناح مودة الى كنف عطفاه اهل ومرحب  
وكننت لهم من هؤلاء وهؤلاء محبا علي اني أذم وأقصب  
وارمي وارمي بالمداوة اهلبا واني لأوذى فيهم وأؤوب  
فقال له الفرزدق يا بن اخي اذع ثم اذع فانت والله اشعر من مضى واشعر من بقى



إلى الموت مراراً، وبقيَ هذا شأنه حتى هجا حكيم الكلبى من اليمانية وأهل الشام  
آل عليّ وشيعته وسائر مضر، فردّ عليه شعراء المضرية فلم يفلحوا فأغروا به  
الكيت فاعتذرا، فأسمعوه هجاءه فى بنات عمّه وخاله، فحى الكيت لعشيرته  
وهجا الكلبى واليمانية جمعاء. وكان خالد بن عبد الله القسرى والى العراق بالكوفة  
يمانياً فغضب وسعى به الى هشام بن عبد الملك، واحتال حتى أبلغه شعره فى ذم  
بنى أمية ومدح بنى هاشم، فأمره بقتله، فقبض عليه وسجنه، فاحتال الكيت  
وفرّ من سجنه؛ ورحل الى الشام، واستجار بقبر معاوية بن هشام فأمنه،  
وخطب بحضرته خطبة بليغة، وارتجل قصيدته التى يعتذر فيها ويتوب من تشيعه؛  
ويمدح بنى أمية ويقول :

اليوم صرت الى أمية —ة— والأموه لها مصاير

فمعا عنه وأجازه، وكتب لخالد الألاً يتعرض له . وبقي الكيت على شأنه  
فى هجاء اليمانية، حتى كان شعره من أشدّ الامور التى أثارت العداوة بين الأمتين  
وبقيت نارها تتأجج حتى أواسط الدولة العباسية . واذ ذاك استولى الأعاجم على  
الملك وأخفتوا صوت العرب جمعاء عدنانياً وقحطانها، ومات الكيت سنة ١٢٦ هـ  
شعره - كان الكيت من فحول شعراء الامصار، كثير الشعر والارتجال،  
على إجادة واحسان، وكان لكثرة حفظه لاشعار العرب يأتي فى شعره ببعض جمل  
أو أبيات من كلامهم، فيتذرع بذلك متعصبو اليمانية الى اتّهامه بسرقة الشعر؛  
ومن هؤلاء خلف الأحمر أحد رواة الشعر<sup>(١)</sup>. وكان لشعره من التأثير السياسى  
والمذهبى أثر سيئ بين تلك الآثار التى شتت شمل الوحدة العربية وعادت عليها  
بالنكال بما أحياه من العصبية الذميمة وأغرى الشيعة بمنظرة خصومهم اذ يقول  
الجاحظ : ما فتح للشيعة الحجاج بالشعر إلا الكيت بقوله :

فان هى<sup>(٢)</sup> لم تصلح لى سواهم فان ذوى القربى أحق وأوجب

(١) هو الراوية المشهور توفى سنة ١٨٠ هـ (٢) يريد الخلافة



يقولون لم يُورث<sup>(١)</sup> ولولا ثرائه لقد شَرِكْت فيه بَكَيْلٌ وأَرْحَب<sup>(٢)</sup>  
ومن هاشمياته \*

ألا هل عِم في رأيه متأملٌ وهل مدبرٌ بعد الاساءة مقبل<sup>(٣)</sup>  
وهل أمةٌ مستيقظون لرشدهم فيكشف عنه النَّعْسَةَ المتزمل<sup>(٤)</sup>  
فقد طال هذا النومُ واستخرج الكرى مساويهم لو كان ذا الميل يُعدل  
وعطّأت الأيام حتى كأننا على ملّةٍ غير التي نتخلل  
كلامُ النبيين الهداة كلامنا وأفعال أهل الجاهلية نفعل  
رضينا بدنينا لا نُريد فراقها على أننا فيها نموت ونُقتل  
ونحن بها مُستمسكون كأنها لنا جنة<sup>(٥)</sup> مما نخاف ومَعْقِل<sup>(٦)</sup>  
ارانا على حبّ الحياة وطولها يُجدّ بنا في كل يوم ونهزل

وقال الكميّ يمدح خالد بن عبد الله القسري<sup>(٧)</sup>:

لو قيل للجود من حليفك<sup>(٨)</sup> ما إن كان إلاّ اليك ينتسب  
أنت أخوه وأنت صورته والرأس منه وغيرك الذنب  
أحرزت فضل النضال<sup>(٩)</sup> في مهل فكلّ يوم بكفك القصب<sup>(١٠)</sup>  
لو أن كعباً<sup>(١١)</sup> وحاتماً<sup>(١٢)</sup> نُشرا كانا جميعاً من بعض ما تهب  
لا تُخلف الوعدان وعدت ولا أنت عن المعتفين<sup>(١٣)</sup> تحتجب  
ما دونك اليوم من نوالٍ ولا خلفك للراغبين منقلب

(١) نائب الفاعل الرسول (٢) حيان من همدان (٣) اما آن للعاقل ان يتبّه وللنائم ان يستيقظ (٤) الملتف (٥) وقاية (٦) ملجأ (٧) هو امير العراق المقتول سنة ١٢٦ هـ (٨) حليفك هو الذي يماهدك على ان يكون امركا واحداً في النصره والحمايه (٩) المباراه في الرمي (١٠) القصب كل نبات ذى انايب الواحده قصبة واحرز القصب أو قصب السبق غالب (١٠) هو كعب ابن مامه من اباد احد اجواد العرب المضروب بهم المثل في الكرم (١٢) هو حاتم بن عبد الله الطائي الجواد الطائر الصيت والشاعر المجيد ، مات قبيل الاسلام (١٣) طلاب المعروف والرزق



وقال يهجو :

فقل لبني أمية حيث حلوا - وان خفت المنهد والقطيعا -  
أجاع الله من أشبعتموه وأشبع من مجوركمُ أجيعا  
بمرضٍ السياسة هاشميّ يكون حياً لامته ربيعا

### الرواية والرواة

ظهر الإسلام وعمدة العرب في ضبط علومهم وآدابهم الحفظ والرواية ، فجاءهم من كتاب الله وسنة رسوله بالأمر الخطير ، والعلم الكثير ، فكانت عنايتهم بحفظهما في الصدور أكثر من كتابتهما في السطور . ولما اتسع علم المسلمين بما أضيف اليهما من تفسير الصحابة والتابعين ومن أقوالهم في الدين ، تعددت طوائف الرواة للقرآن والحديث وفنون الأدب

واذ كان الانسان عرضة للنسيان ، وأحوال الناس تختلف في الصدق والكذب تشدد الصحابة والمتألهون<sup>(١)</sup> من التابعين وتابعيهم في تصحيح الرواية وشدة التوثق من صدق الرواة تخرجاً منهم أن يدخل في الدين ما ليس منه

ولما خاف عمر بن عبد العزيز أن تموت السنة الصحيحة بموت روايتها وبما وضعه الزنادقة والشيعية والخوارج ودسوه فيها ، أمر العلماء بتدوين الحديث

وبقي الأمر في الشعر والأدب كما كان في الجاهلية : لكل شاعر راو أو عدة رواة . ومن أشهر هؤلاء هذبة<sup>(٢)</sup> بن خشرم راوية الخطيئة ، وجميل<sup>(٣)</sup> راوية هذبة ، وكثير<sup>(٤)</sup> راوية جميل ، وأبو شقفل وعبيد أخوربيعة بن حنظلة راوية الفرزدق ، ومربع راوية جرير والفرزدق معاً ، ومحمد بن سهل راوية الكميت ، وصالح بن سليمان راوية ذى الرمة<sup>(٥)</sup> وذو الرمة راوية الراعي<sup>(٦)</sup>

(١) المتنسكون المتعدون (٢) قتل قوداً بالمدينة وعليها سعيد بن العاص من قبل معاوية

(٣) هو ابن عبد الله بن معمر العذري الشاعر الغزل المتوفى سنة ٨٢ هـ (٤) هو

تلميذ جميل وراويته وأحد شعراء النسيب المشهورين المتوفى سنة ١٠٥ هـ (٥) هو غيلان

ابن عقبة صاحب مية المتوفى سنة ١١٧ هـ

(٦) هو حصين بن معاوية وسمى بالراعي لانه كان يكثر وصف الرعاء في شعره



وبقى الأمر كذلك حتى أواخر هذا العصر فاشتغل العلماء بالرواية ، وصار  
الراوى منهم يروى لمئات من الشعراء والشواعر وان لم يكن هو شاعراً ، وأكثروا  
هؤلاء العلماء من الرواة أدرك عصر بنى العباس فيذ كر فيه  
ومع تشدد الناس فى تصحيح الرواية سنةً وأدباً حدث فى الشعر والخطب كثير  
من التصحيف والتحريف والنقص والزيادة ونحو ذلك

## العصر الثالث

عصر الدولة العباسية<sup>(١)</sup> من ١٣٢ - ٦٥٦ هـ

أثر الحضارة العباسية فى أحوال اللغة وآدابها

نقصد بأحوال اللغة العربية فى ذلك العصر أحوالها بين أهل البلاد الإسلامية  
فى آسيا وأفريقية والأندلس وجزائر بحر الروم من أوروبة ، ولو لم يكونوا تابعين للدولة  
العباسية فى الملك والسياسة

كان بنو أمية شديدي التعصب للعرب والعربية ، فكان كل شىء فى دولتهم  
عربى الصبغة . وكان جبهة العرب<sup>(٢)</sup> منتشرة فى كل مكان امتد إليه سلطانها  
فلما قامت الدولة العباسية بدعوته لم تجد لها من العرب أنصاراً وأعواناً مثل من  
وجدت من الفرس وأمم الأعاجم ، فاكتمسحت بهم دولة بنى أمية ، وأسست دولةً

(١) خلفاء بنى العباس الى سنة ٣٣٣ :

أبو العباس عبد الله السفاح (١٣٢ - ١٣٦)	محمد المنتصر (٢٤٧ - ٢٤٨)
أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨)	أبو العباس أحمد المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢)
محمد المهدي (١٥٨ - ١٦٩)	أبو عبد الله المعتز (٢٥٢ - ٢٥٥)
موسى الهادي (١٦٩ - ١٧٠)	محمد المهدي بالله (٢٥٥ - ٢٥٦)
هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣)	أحمد المعتضد على الله (٢٥٦ - ٢٧٩)
محمد الأمين (١٩٣ - ١٩٨)	أحمد المعتضد بالله (٢٧٩ - ٢٨٩)
عبد الله المأمون (١٩٨ - ٢١٨)	علي المقتدي بالله (٢٨٩ - ٢٩٥)
أبو اسحاق محمد المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧)	جعفر المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠)
أبو جعفر هارون الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢)	أبو منصور محمد القاهر (٣٢٠ - ٣٢٢)
جعفر المتوكل على الله (٢٣٢ - ٢٤٧)	أبو العباس أحمد الراضى (٣٢٢ - ٣٢٩)
	إبراهيم المتقي لله (٣٢٩ - ٣٣٣)

(٢) جبهة الناس والاشياء كلها ومعظمها كالجهور . والجبهة اصلها مصدر استعمل اسم ذات

تأثير الحوادث  
السياسية  
والاجتماعية  
فى اللغة والادب



قوية كان أكثر النفوذ فيها الموالي؛ فاستخدمهم الخلفاء والأمراء في كل شئ من سقاية الماء الى قيادة الجيوش والوزارة. وأخذ شأن العرب السياسي يتضاءل<sup>(١)</sup> من ذلك الحين شيئاً فشيئاً حتى ضعفت النعرة العربية<sup>(٢)</sup> فيهم، وخذت جذوة<sup>(٣)</sup> التباهي بكرم الأصل والنجار<sup>(٤)</sup> بينهم؛ بحيث لم يمض قريب من قرن على تكوين الدولة العباسية حتى لم يكن لعرب المشرق في السياسة شأن يذكر، وقطعت أرزاقهم من ديوان الجند<sup>(٥)</sup>، واندمجوا في غمار العامة، واشتغلوا بالصناعة والفلاحة والحرف المختلفة، واختلطوا بالأعاجم بالتصاهر والتجاور، وانغمروا في مدينة الفرس وحضارتها أيما انغمار؛ فكان من المجموع شعبٌ ممتزج لغةً وعادةً وخلقاً واعتقاداً وفكراً وخيالاً؛ فأثر ذلك كله تأثيراً بيناً في اللغة لفظاً ومعنى، وشعراً ونثراً، وكتابةً وتأليفاً. ولم يظهر ذلك بالطبع في جميع الممالك بنسبة واحدة؛ بل كان في أواسط آسيا أظهر منه في مصر والشام. أما حال ممالك الغرب والأندلس صدر هذا العصر فلم تبعد كثيراً عما كانت عليه في العصر الماضي؛ ثم سرت اليها عدوى تقليدها للمشاركة في أكثر الأمور. ويمكن تقريب ذلك بأن كل تغيير في لغة أو اختراع لفظ أو علم في المشرق كان أثره يظهر في الأندلس بعد نصف قرن أو يزيد قليلاً، إلا أن الصبغة العربية كانت مرعيةً بالأندلس في الجملة. وكذلك كانت في إفريقية<sup>(٦)</sup> من ممالك البربر معظم هذا العصر

ويمكن ارجاع جميع هذه التغيرات إلى ثلاثة أمور: الأول - ما يتعلق بالأغراض التي تؤدها اللغة. الثاني - ما يتعلق بالمعاني والأفكار. الثالث - ما يتعلق بالألفاظ والأساليب

### أغراض اللغة

كانت أحوال الدولة العربية في العصر السابق تقرب من الغضاضة والبدواة

(١) تضائل الشئ خفي وتضاغر شخصه (٢) النعرة الحياء والكبر (٣) الجذوة  
مثلة الحجر من النار (٤) الاصل (٥) فعل ذلك المعتصم بن الرشيد ومن بعده  
(٦) افريقية هنا هي السهارة الآن بلاد تونس



لاستقلالها بالأدب العربية الإسلامية ؛ فلم تكن اللغة تتناول من المقاصد والأغراض غير ما يتعلق بالدين ومعيشة الجِدِّ القليلة الترف. فلما قامت الدولة العباسية بما علمت ، وتشبه الخلفاء والأمراء والولاة والرؤساء بملوك الفرس ودهاقينهم<sup>(١)</sup> في أكثر أمور السياسة والمعيشة ، وحاكتهم العامة في ذلك بتقليد أمثالهم من طبقات الأعاجم ، تناولت اللغة في المشرق أغراضاً لم تُعهد فيها من قبل يُنقل علوم تلك الأمم وآدابها وعاداتها وطرق معيشتها. ثم تناولت هذه الأغراض في المغرب بعدئذ بفرق يسير؛ على أن المسلمين من العرب وغيرهم كانوا قد ارتاحت عقولهم ونضج استعدادهم لوضع الأنظمة والقوانين ، واستنباط أحكام الشريعة من أصولها ، وتدوين العربية لحفظ اللسان والدين ، فكان من تلك الأغراض ما يأتي :

( ١ ) تدوين العلوم الشرعية واللسانية والعقلية ولم يكن دُونَ من ذلك في صدر الإسلام إلا نزرٌ يسيرٌ لا يذكر بجانب ما دُونَ في هذا العصر

( ٢ ) الترجمة من اللغات الأجنبية الى العربية ولم يُترجم في العصر الماضي الى العربية بعد حساب الدفاتر الديوانية إلا بعض من الرسائل العلمية قلما يُعرف له خبرٌ . واختص المشاركة بالترجمة دون المغاربة لعراقة دولهم في الملك وعتاده ، ولأنهم ورثوا ممالك ذات علوم وحضارة عظيمة

( ٣ ) تأدية مقاصد الصناعات المختلفة ، وخاصة بعد دخول العرب في غمار<sup>(٢)</sup> الصناعات وبعد تعرُّب الأعاجم

( ٤ ) تأدية مقاصد أنواع الخلاعة والسخرية والمجانة<sup>(٣)</sup> مما قلَّ نظيره في صدر الإسلام

( ٥ ) المحاضرة والمناظرة والبحث والجدل وتدريس العلوم

( ٦ ) تأدية المقاصد التي استداها الانغماس في الترف والتنعم بلذات الحضارة التي

(١) جمع دهقان ( بكسر الدال ) وهو من العجم تاجرهم أو زعيم فلاحهم أو رئيس اقليمهم

(٢) غمار الناس جماعتهم ولقيفهم (٣) مجن ( من باب قعد ) مجونا ومجانة لم يبال قولاً وفعلًا



جرت فيها الأمم الإسلامية عصرَ الدولة العباسية إلى أمد<sup>(١)</sup> بعيد ، أو اقتضتها أساليبُ نظام الملك والدفاع عنه : كالإمعان في وصف الأشياء النفيسة من القصور وما فيها من الفراش والرياش والآنية والحلي والجواري والقيان<sup>(٢)</sup> ، والبساتين وما فيها من أنواع الرياحين والأزهار والثمار والخضّر ، وما يتبع ذلك من مجالس الشرب والمنادمة ومصايد الطير والسمك وأشكال الملاعب ، مما لم يُعرف للعرب في صدر الإسلام أو عُرف وكان قليلاً ممقوتاً ؛ وكوصف البحر والأساطيل الحربية والمعارك البحرية ، وامتاز بأكثر ذلك المغرب والأندلس ، كما امتازت الأندلسُ بالاجادة في وصف مناظر الطبيعة ومحاسن الوجود للملأمة بيئتها لذلك ، وكادت تلحق بها في الوصف صقليةً وأفريقيةً إبانَ ازدهائهما

### المعاني والأفكار

إنَّ ما حدثَ في مشارق الممالك الإسلامية ومغاربها أثناءَ العصر العباسي من الانقلابات السياسية والاجتماعية كان له نتيجةٌ ظاهرة في الحركة الفكرية للمتكلمين بالعربية . ظهر ذلك في نثرهم وشعرهم بصور مختلفة ؛ فمنها :

١ - شيوخُ المعاني الدقيقة ، والأفكار الجميلة ، والأخيلة البديعة فوق ما كان عليه الأمرُ في صدر الإسلام

٢ - التهويلُ والغلوُّ في التّفخيم المُقتبس في المشرق من اللغة الفارسية ، والسارى بعضه بالعدوى إلى أهل المغرب والأندلس في أخريات زمانهم

٣ - كثرةُ التعويل على القياس والتعليل في الأحكام الفكرية : بالإكثار من الحجج والبراهين العقلية ، وانتحاء<sup>(٣)</sup> مذاهب الفلاسفة في الشعر والكتابة والتدريس ولا سيما بعد عصر الترجمة ، وأكثرُ ما كان ذلك بالشرق . وقلماً عني به أهل المغرب

(١) الامد الغاية (٢) جمع قينة ( بالفتح ) وهي الامة المنغنية

(٣) مصدر انتحى بمعنى قصد



## الألفاظ والأساليب

غلب على عبارة اللغة العربية في هذه المدة أمران عظيمان : السهولة ، والمحسنات البديعية . ويشمل ذلك ما يأتي :

(١) انتقاء الألفاظ الرشيقة السهلة<sup>(١)</sup> والتأنق في صوغ العبارات وتوثق الربط بينها ، والاكتثار من استعمال ألفاظ القرآن الكريم وعبارته<sup>(٢)</sup> والاقْتباس منه والاستشهاد به : لاستعمال الروية ، وقلة الحاجة الى الارتجال ، وضيق نطاق المحفوظ على المتكلم بالعربية بالدرس والصناعة لا على المتكلم بالطبيعة والفطرة كما كان الأمر في العصرين الماضيين وزاد في ذلك المشاركة على المغاربة

(٢) تفاقُم الخُطْب في استعمال الكلمات الأعجمية في كثير من الاشياء ، ولا سيما ألوان الأطعمة وأنواع الآنية والفُرُش وأدوات الصناعات والعقاقير<sup>(٣)</sup> الطبية وأسماء الأمراض

(٣) التوسع والاكتثار من ألفاظ المجاز والتشبيه والتمثيل والكناية والمحسنات البديعية كالجناس والطباق والتورية ونحو ذلك ، وخاصة أواخر هذا العصر . وكانت عناية المغاربة بالمجاز والتشبيه أكثر من عنايتهم بالتورية والجناس

(٤) التوسع في ادخال ألقاب التعظيم على أسماء الخلفاء والامراء وأرباب المناصب العالية . وكان ذلك في الأندلس آخر حياتهم

(٥) الميل الى استعمال السجع ، وازداد أمره في النصف الثاني من هذا العصر

(٦) التطرف الى غاية حَدِّي الاطناب والإيجاز وكل منهما مقام . وكان

الأندلسيون إلى الأطناب أميل

(١) تقصد بالسهل هنا ما كان خفيفا في النطق وعلى السمع ، مألوف المعنى والاستعمال

عند أوساط البلغاء في عصره فقد يكون السهل في زمان صعبا في آخر

(٢) واطرد ذلك في كل شيء حتى شارات الدولة من البنود (الاعلام) والطرز (علم

الثوب أى ما يكون في حاشيته من النقش والكتابة) والسكة أى الاداة التي يضرب عليها

الدرهم والدينار (٣) جمع عقار ككتان : ما يتداوى به من النبات أو أصوله



(٧) وضع اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات وادارة الحكومة وأسماء آلات الحرب وغيرها؛ واحداث لغة تأليفية لتعليم العلوم تقاسُ بمقيار المنطق لا بمقيار البلاغة

واذ كانت اللغة إما نثراً وإما شعراً، والنثر محادثة، وخطابة وكتابة، ناسب أن نلّم بمجمل كلٍ منها فنقول :

## النثر

### المحادثة ( أو لغة التخاطب )

قدمنا لك أن لغة التخاطب بين الخاصة من العرب في أواخر العصر الماضي كانت العربية الفصيحة الخالية من اللحن إلا من آحاد استهجن منهم، وعبىوا به، وأن لغة العامة والشوكة من العرب المختلطين بالعجم هي العربية المشوبة بشيء من اللحن، ولغة المتعربين من العجم تقلّ عن هذه في الفصاحة، وتزيد عليها في اللحن بمراتب مختلفة

فلما تمّ امتزاج العرب بالعجم عصر الدولة العباسية، تكونت بين العامة في البلاد التي تكثرت فيها جمهرة العرب لغاتٍ تخاطبٍ عامية مؤلفة من العربية المحرّفة وشيء من الدخيل الأعجمي الأبين أهل جزيرة العرب، فلم يزل تخاطبهم باللسان العربي الفصيح الى أواسط القرن الرابع. وبقيت لغات التخاطب في البلاد التي نقل فيها جاليتهم هي اللغات الوطنية الاعجمية ممزوجة ببعض الألفاظ العربية التي أدخلها عليها الاسلام وخاف الخلفاء والخاصة من هؤل تغلب العامية على أبنائهم، وأشفقوا أن تستطيل على الفصيحة، فيستغلق على المسلمين فهم الكتاب والسنة وهما كلُّ الدين؛ فخرّضوا العلماء على تدوين اللغة والإكثار من العناية بضبط النحو وفنون البلاغة وعلوم الدين وكافتوهم بيدراً<sup>(١)</sup> الأموال، وحشدوا في قصورهم أئمة اللسان يؤدّبون أولادهم وخاصتهم، فكانوا أمراء الكلام وفحول البلاغة، كما كانوا أمراء الملك وسادة

(١) جمع بدرة ( بالفتح فالسكون ) كيس المال، قيل : الف ، وقيل عشرة آلاف من الدراهم . وقيل سبعة آلاف من الدينانير



الدولة . ولكن ذلك كله لم يوقف تيار العامية الزاخر ، واستمر في طغيانه الى أن غلب في النصف الأخير من عصر هذه الدولة على جميع لغات التخاطب ، حتى لغة الخلفاء وعلماء العربية أنفسهم ، وأصبح لكل بلاد عربية لغة تخاطب عامية خاصة بها ولم يدون أسلافنا اللغات العامية خشية أن تزاخم العربية الفصيحة وهي اللسان العام بين جميع ممالك الإسلام فتنسخها ، فيرتج باب الدين ، وتنقطع الأمم الاسلامية ؛ فتقتصر كل أمة على كتبها ولغتها ، وفي ذلك من انحلال الروابط السياسية والعلمية والدينية ما لا يخفى . ونعم إن الاندلسيين والمغاربة في أواسط هذا العصر وأواخره قد رفهوا العامية قليلاً بما نظموا بها كثيراً من الموشح ، وأنواع الزجل . والشعر العامي ، وعروض البلد<sup>(١)</sup> ، وما دونه منها إلا أن ذلك والحمد لله لم يكن طويل الأمد ، ولم تعم به البلوى ؛ فلم تصبح العامية به لغة علم وأدب

## الخطابة

لما كان قيام الدولة العباسية في المشرق والادريسية<sup>(٢)</sup> في المغرب الأقصى ، والأموية الثانية في الاندلس<sup>(٣)</sup> ، من الأمور التي ينشأ عنها كثير من الانقلابات السياسية والمذهبية والاجتماعية ، وكان ذلك يستدعي تأليف العصابات ودعوة الناس الى التشيع لزعماء الأحزاب ، وكان التفاهم بالعربية الفصيحة والانجذاب بالبلاغة لا يزال مستحكماً صدر هذا العصر - بقيت دواعي الخطابة متوافرة لتوافر أسبابها ؛ فكان بين قواد هذه الدول ودعاتها وخلفائها وولاتها ورؤساء وفودها خطباء مصارع ، وبلغاء فطاحل<sup>(٤)</sup> ثم لما فترت هذه الدواعي باستقرار الدول ، واشتد اختلاط العرب بالأعاجم ، وتولى كثير من الموالي قيادة الجيوش وعمالة الولايات والمواسم - ضعف شأن الخطابة لضعف قدرتهم عليها ، وقلة المستجيبين لها : لتناقص العناصر العربية في الجند وأهل

(١) ذكرنا أمثلة ذلك في العصر التالي لكثرة شيوعه فيه (٢) أسسها ادريس بن عبد الله حفيد الحسن بن علي بن أبي طالب بالمغرب الأقصى سنة ١٧٢ هـ وبقيت الى سنة ٣١٩ هـ  
(٣) أسسها عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك سنة ١٣٩ هـ - وبقيت الى سنة ٤٢٧ هـ (٤) جمع فطحل كهزبر وهو في الاصل الضخم من الابل



النجدة . فلم يمض قرن ونصف من قيام تلك الدول حتى بطل شأنُ الخطابة السياسية والمذهبية ، إلا قليلاً في المغرب أيام الحفَل وقدم الوفود ، وبقيت الخطابة مقصورة على خطب الجمعة والعيدن والمواسم وخطب الزَّواج ونحو ذلك ، وقلَّ فيها الارتجال أو عدمُ جُملةً ، وحل محلَّ الخطابة في الأمور السياسية نشرُ المنشورات ، وفي الأمور الدينية مجالس الوعظ والتزهد ، والتدريس في المساجد والمدارس

### نماذج من الخطب

حج المنصور بعد بناء بغداد فقام خطيباً بمكة فكان مما حفظ من كلامه ( و لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) أمر مبرم وقول عدل ، وقضاء فصل ، والحمد لله الذي أفلج حجته<sup>(١)</sup> ، وبعداً للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضاً ، والنبي إرثاً ، وجعلوا القرآن عِضِينَ<sup>(٢)</sup> لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، فكم ترى من بئر معطلة ، وقصر مشيد ، أمهلهم الله حتى بدَّلو السنة ، واضطهدوا العترة ، وعندوا واعتدوا واستكبروا ، وخاب كل جبار عنيد ، ثم أخذهم فهل تُحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً<sup>(٣)</sup>

وخطب المأمون بمر و<sup>(٤)</sup> وقد ورد عليه كتاب الأمين يُعزِّيه بالرشيد ويحثه على أخذ البيعة فقال : ان ثمرة الصبر الأجر ، وثمره الجزع الوزر ، والتسليم لأمر الله عز وجل فائدة جلية ، وتجارة مُربحة ، فالموت حوض مورود ، وكأس مشروب . وقد أتى على خليفتم ما أتى على نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإننا لله وإنا إليه راجعون . فما كان إلا عبداً دُعي فأجاب ، وأمر فأطاع . وقد سدَّ أمير المؤمنين ثلمه ، وقام مقامه ، وفي أعناقكم من العهد ما قد عرقتم . فأحسنوا العزاء على إمامكم الماضي ، واغتبطوا بالنعاء والوفاء في خليفتم الباقي . يأهل الدنيا الموت نازل . والأجل طالب . وأمس واعظ . واليوم معتم . وغداً منتظر . ثم نزل

(١) افلج حجته اظهرها (٢) العضة القطعة وجمعها عضون وجعلوا القرآن عِضِينَ أى فرقا يجعلونه كذبا وسعراً وكهانة وشعراً (٣) صوتاً خفياً (٤) بلدة بفارس وهي قاعدة بلاد خراسان



وخطب عبد الله بن طاهر الناس وقد تهياً لقتال الخوارج فقال - انكم فتنه الله  
المجاهدون عن حقه ، الذّابون عن دينه ، الذائدون<sup>(١)</sup> عن محارمه ، الداعون الى  
الى ما أمر به من الاعتصام بجبله ، والطاعة لولاية أمره ، الذين جعلهم رعاة الدين ،  
ونظام المسلمين ، فاستنجزوا موعودَ الله ونصره بمجاهدة عدوّه وأهل معصيته  
الذين أشروا<sup>(٢)</sup> ، وتمردوا ، وشقوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، ومرقوا من الدين ،  
وسعوا في الأرض فساداً ؛ فانه يقول تبارك وتعالى ، ان تنصروا الله ينصركم  
ويثبت أقدامكم ، فليكن الصبر معقلكم<sup>(٣)</sup> الذي اليه تلجئون ، وعدتكم التي بها  
تستظنون ؛ فانه الوزر<sup>(٤)</sup> المنيع الذي دلکم الله عليه ، والجنة<sup>(٥)</sup> الحصينة التي  
أمرکم الله بلباسها ، غضوا أبصاركم وأخفتوا أصواتكم في مصافكم ، وامضوا قدماً  
على بصائرکم ، فارغين الى ذكر الله والاستعانة به كما أمرکم الله ؛ فانه يقول ( اذا  
لقيم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلکم تفلحون ) أيدکم الله بعز الصبر ، وولیکم  
بالحيطة والنصر

### الخطباء

اشتهر في صدر الدولة العباسية جملة من الخطباء جلهم من بني هاشم عباسيين  
وعلوين ثم من الخوارج ، ومن بعض خطباء الأمصار من بني منقر وآل الرقاشي  
وآل خاقان بالبصرة وبعض زعماء بني أمية وفقهائهم بالاندلس<sup>(٦)</sup> ، وآل الأغلب  
في إفريقية . ومن أشهرهم داود بن علي ، وشبيب بن شيبه ، وهالك ترجمتهما

### داود بن علي

هو داود بن علي بن عبد الله بن عباس خطيب بني العباس ، وأحد مؤسسي  
دولتهم ، نشأ هو واخوته وكانوا اثنين وعشرين رجلاً في قرية الحميمة من أعمال

(١) الذود المنع والطرذ (٢) بطروا (٣) ملجأكم (٤) الوزر بفتح الحين الملجأ

(٥) الجنة بالضم كل ما وقى (٦) وأشهرهم المنذر بن سعيد البلوطي



عَمَّان<sup>(١)</sup> وكان الوليد بن عبد الملك أجلى على بن عبد الله بن عباس وأهل بيته إليها غضباً عليه

وأخذ هو واخوته علمهم وأدبهم عن أبيهم على حبر قریش وابن حبرها وبلغها ووارث علم أبيه عبد الله بن عباس وعابد أهل زمانه ، كما أخذوا الفصاحة من البدو النازلين فيهم من قبائل لَحْمٍ وَجُدَامٍ وَتَنُوحٍ وَغَسَّانٍ وَقَيْسٍ ، فانطبعت فيهم صفات البدو من الشجاعة والبصر بالقتال وإباء الضيم والاستقلال وفصاحة اللسان والبطش وحب الانتقام ، وجانبتهن صفات الحضرة من الانغماس في الترف والملاذات والعكوف على الملاهي

وكان داود أحد التابعين من اخوته في هذه الصفات ويزيد عليهم أنه كان بليغهم ولسانهم وأخطبهم في وقته . وعاجلته منيته قبل أن يستطير سلطانه في الدولة . وولاه أبو العباس - عقب بيعته بالكوفة - ولاية الكوفة وسوادها ، ثم وولاه إمارة الحاج في هذه السنة ، وولاه معها ولاية الحجاز واليمن واليمامة ، فقتل من ظفر بهم من بني أمية في مكة والمدينة في هذا العام أي سنة ١٣٢ هـ وهو أول موسم ملكه بنو العباس ، وخطبهم الخطبة الآتية بعد . ثم ذهب عقب الموسم الى المدينة فتوفي بها بعد شهرين من قدومه إليها في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣ هـ

ولداود خطبة عظيمة<sup>(٢)</sup> خطبها يوم بيعة أبي العباس على منبر الكوفة ، أما خطبته في موسم مكة فهي مختصرة من خطبة الكوفة وهي « شُكْرًا شُكْرًا إِنَّا وَاللَّهِ مَا خَرَجْنَا لِنَحْفِرَ فِيكُمْ نَهْرًا ، وَلَا لِنَبْنِي فِيكُمْ قَصْرًا ، أَظَنَّ عَدُوُّ اللَّهِ أَنْ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ أَنْ رُوخِي لَهُ مِنْ خِطَامِهِ حَتَّى عَثَرَ فِي فَضْلِ زَمَامِهِ ؟ فَالآن<sup>(٣)</sup> حَيْثُ أَخَذَ الْقَوْسَ بَارِيهَا ، وَعَادَتِ الْقَوْسُ إِلَى النَّزْعَةِ<sup>(٤)</sup> ، وَرَجَعَ الْمَلِكُ فِي نَصَابِهِ فِي أَهْلِ بَيْتِ النَّبِوَّةِ وَالرَّحْمَةِ ، ( وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا نَتَوَجَّعُ لَكُمْ وَنَحْنُ فِي فَرْشِنَا ) ، أَمِنْ الْأَسْوَدِ

(١) بلدة على خط سكة الحديد الحجازية هي الآن مقر إمارة شرق الاردن

(٢) راجع تاريخ أدب اللغة في العصر العباسي (٣) ظرف لامن الاسود

(٤) جمع نازع وهو الرامي يشد الوتر اليه ليضع فيه السهم



والأحمر ، لكم ذمة الله ، لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكم ذمة العباس ؛  
لا ورب هذه البنية - وأوماً بيده الى الكعبة - لا نهيج منكم أحداً »

### شبيب بن شيبه

هو شبيب بن شيبه بن عبد الله المنقري<sup>(١)</sup> التميمي خطيبُ البصرة في زمانه . نشأ  
في البصرة وامتاز بنبالة نفس ، وسخاء كفي ، وحسن تواضع ، ونزاهة لسان ، كما  
امتاز بخطبه القصيرة البليغة القريبة من حدِّ الإعجاز . وهو ابن عم خالد بن صفوان<sup>(٢)</sup>  
الخطيب المشهور . وسمعه خالد هذا يتكلم في رهطه ، فقال يا بُني لقد نعى الى نفسي  
إحسانك في كلامك ؛ فإننا أهل بيت ما نشأ فينا خطيبُ الأمّات من قبله . فقال له  
شبيب بل يبيحك الله ، ويجعلني فداءك

وقال الجاحظ : يقال إنهم لم يروا خطيباً بادياً<sup>(٣)</sup> إلا وهو في أوّل تكلفه بتلك  
المقامات كان مستثقلاً مستصفاً<sup>(٤)</sup> أيام رياضته كلها الى أن يتوقح<sup>(٥)</sup> وتستجيب له  
المعاني ويتمكن من الألفاظ الأشيب بن شيبه ؛ فإنه ابتداءً بجلاوة ورشاقة وسهولة  
وعذوبة ؛ فلم يزل يزداد منها حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام ما لا يبلغه  
الخطباء المصاقم بكثيره . وقد يطول حتى يقول فيه الراجز :

إذا غدت سعد على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها

من مطلع الشمس الى مغيبها عجبت من كثرتها وطيبها

وعرف شبيب أبا جعفر المنصور<sup>(٦)</sup> قبل خلافته ثم اتصل به بعدها . فجعله  
في حاشية وليّ عهده المهدي<sup>(٧)</sup> وبقى كذلك حتى ولىّ المهدي الخلافة فصار من

(١) بنو منقر بطن من تميم (٢) كان خطيب بني تميم في زمنه واشتهر في بني أمية وأدرك  
عصر بني العباس وسمّر للسفاح (٣) أى من أهل الامصار لا من البادية  
(٤) من الصلف وهو تجاوز الحد في اظهار الظرف مع العجب والكبر (٥) يقل  
حياؤه ويجرؤ

(٦) هو أمير المؤمنين أبو جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

(٧) هو أمير المؤمنين محمد المهدي بن المنصور



خَيْرَةُ سُمَّارِهِ وَجَلْسَاتِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي حُدُودِ سَنَةِ ١٧٠

وَمِنْ خُطْبِهِ الْقِصَارُ مَا عَزَى بِهِ الْمَهْدِيُّ يَوْمَ مَاتَتْ ابْنَتُهُ الْبَانُوقةُ وَجَزَعُ عَلَيْهَا جِزْعًا شَدِيدًا. وَيُقَالُ إِنَّهَا كَانَتْ أْبْلَغَ تَعْزِيَةٍ قِيلَتْ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَهِيَ :

أَعْطَاكَ اللهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا رَزَيْتَ<sup>(١)</sup> أَجْرًا. وَأَعْقَبَكَ صَبْرًا. وَلَا أَجْهَدَ اللهُ بِلَاءَكَ بِنِعْمَةٍ. وَلَا نَزَعَ مِنْكَ نِعْمَةً. ثَوَابَ اللهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهَا، وَرَحْمَةُ اللهِ خَيْرٌ لَهَا مِنْكَ. وَاحِقٌ مَا صَبَرَ عَلَيْهِ مَا لَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ !



## الكتابة

الكتابة خطية وإنشائية

### الكتابة الخطية

تَنَوَّعَ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْخَطُ الْكُوفِيُّ إِلَى أَنْوَاعٍ أُرْبَتَ عَلَى خَمْسِينَ نَوْعًا. مِنْ أَشْهَرِهَا الْمَحْرَّرُ وَالْمَشَجَّرُ وَالْمَرْبَعُ وَالْمَدْوَرُّ وَالْمَتَدَاخِلُ. وَبَقِيَ مُسْتَعْمَلًا فِي الْمَبَانِي وَالسُّكَّةِ إِلَى حُدُودِ الْأَلْفِ، ثُمَّ نَسِيَ جَمَلَةً. وَقَدْ جَدَّدَتْ مِنْهُ أَنْوَاعٌ فِي عَصْرِنَا

أَمَّا تَارِيخُ خَطِّنَا الْمُسْتَعْمَلِ الْآنَ فَحَدَّثَ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ أَنْ اسْتَنْبَطَ قِطْبَةُ الْمَحْرَّرِ مِنَ الْخَطِّ الْكُوفِيِّ وَالْحِجَازِيِّ خَطًّا هُوَ أَسَاسُ الْخَطِّ الَّذِي يَكْتُبُ بِهِ الْآنَ، وَاخْتَرَعَ الْقَلَمَ الْجَلِيلَ الَّذِي يَكْتُبُ بِهِ عَلَى الْمَبَانِي وَنَحْوِهَا، وَقَلَمَ الطُّومَارِ (الورقة الكبيرة) وَهُوَ أَصْغَرُ أَنْوَاعِ الْجَلِيلِ، وَعَرْضُ قِطْبَتِهِ ٢٤ شَعْرَةً مِنْ شَعْرِ ذَنْبِ الْبُرْذُونِ، وَحَسَنَ عَمَلَهُ غَيْرُهُ مِنْ كِتَابِ صَدْرِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، حَتَّى ظَهَرَ إِبْرَاهِيمُ الشَّحْرِيُّ وَأَخُوهُ يَوْسُفُ مِنْ كِتَابِ أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّانِي؛ فَوُلِّدَا إِبْرَاهِيمَ مِنَ الْجَلِيلِ قَلَمَ الثَّلَاثِينَ (أَي ثَلَاثِي الطُّومَارِ) وَعَرْضُ قِطْبَتِهِ ١٦ شَعْرَةً، وَقَلَمَ الثَّلَاثِ وَعَرْضُ قِطْبَتِهِ ٨ شَعْرَاتٍ. وَوُلِّدَ يَوْسُفُ مِنْ

(١) أَي أَصَبَتْ



الجليل القلم الرياسي<sup>(١)</sup> وهو قلم التوقيع

وعن اراهيم أخذ الأحوال المحرر (من صنائع البرامكة) ، واخترع قلم النصف وعرضه ١٢ شعرة ، وخفيف الثلث والمُسلسل (هو المشتبك الحروف) وغبار الحَبْبة<sup>(٢)</sup> والرقاع وغيرها. هذه هي أشهر الخطوط . وقد تولد منها نحو من ٢٠ خطأ يختص كل منها بغرض خاص . واتفقوا على ان طول الألف يُعتبر معياراً لارتفاع بقية الحروف ، وأن يكون طول الألف مربع مقدار قطة القلم

وعن الأحوال أخذ مهندس الخط الأعظم الوزير أبو علي محمد بن مقلة وأخوه أبو عبد الله الحسن المتوفى سنة ٣٣٨ هـ وهما اللذان تم على أيديهما هندسة خط النسخ والجليل وفروعه على الأشكال التي نعرفها الآن ، وأتما العمل الذي بدأ به قطبة ، فهندسا الحروف وقدراً مقاييسها وأبعادها ، وضبطاها ضبطاً محكماً ، واخترعا له القواعد . وعن الوزير ابن مقلة أخذ أبو عبد الله بن أسد القارئ المتوفى سنة ٤١٠ هـ وعنه أخذ أبو الحسن علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب المتوفى سنة ٤١٣ هـ وهو الذي أكمل قواعد الخط واخترع عدّة أقلام ، واليه انتهت الغاية . وكل من جاء بعده فهو تابع لطريقته : كأمين الدين ياقوت الملكي المتوفى سنة ٦١٨ هـ كاتب السلطان ملكشاه السلجوقي

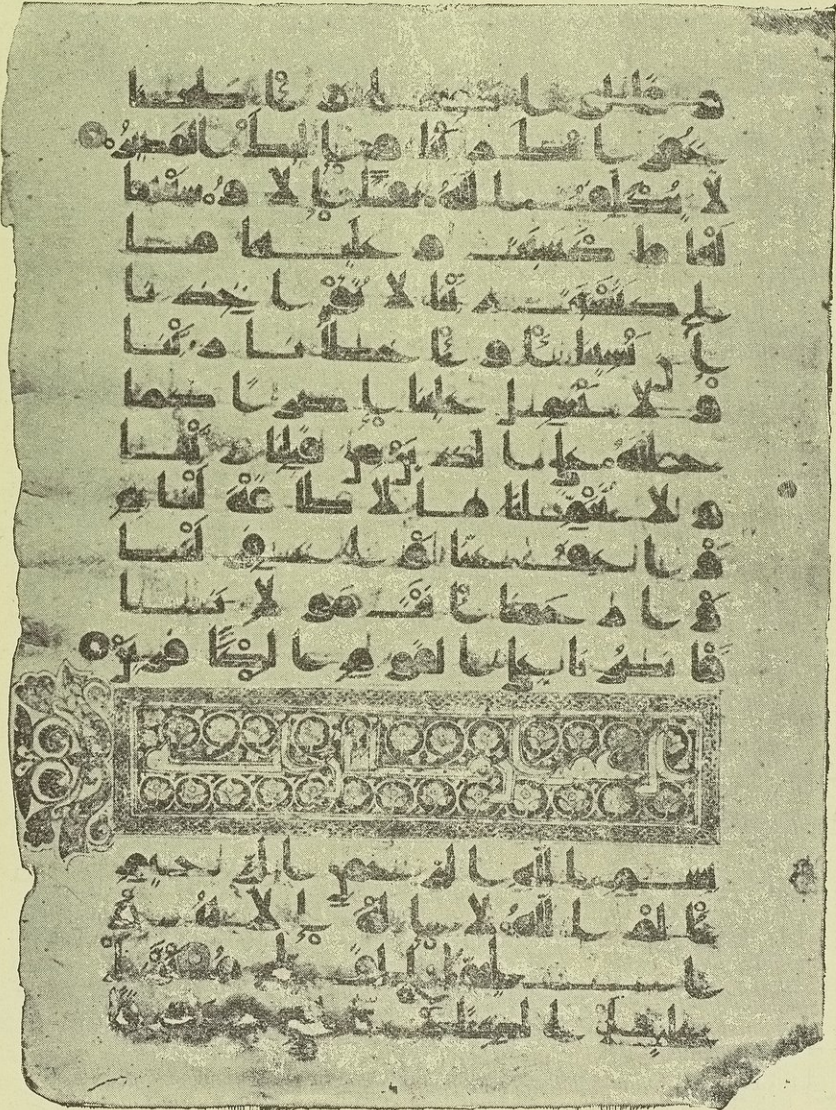
أما الأندلسيون والمغاربة فلم يعبثوا بهذا الاصلاح وبقوا يكتبون على طريقة الخط الحجازي الى الآن بنوع من التعديل

ضبط الحروف بالشكل - قد ذكرنا فيما تقدم طريقة أبي الأسود التي اتبعت في زمن بنى أمية وصدر بنى العباس ، وبقيت مستعملة في الأندلس الى أواسط القرن الرابع . ولما استكثر الناس من إعجام الحروف لتسهيل التعليم ، اشتبهت نقط الإعجام بنقط الشكل ، مع أن هذه كانت تُلَوَّنُ بمداد مخالف ، فكان من الصعب وضياح الزمن كتابتها بمدادين . فاخترع الخليل الشكل المستعمل

(١) نسبة الى الفضل ذى الرياستين وزير المأمون (٢) شبه لدقته بقبار حلبة الخيل ويكتب به في بطائق حمام الزاجل



الآن بأن كتب الضمة واوا صغيرة تكتب فوق الحرف والفتحة ألفاً، والكسرة ياء،  
والشدة رأس شين<sup>(١)</sup>، والسكون رأس خاء<sup>(٢)</sup>، وهمزة القطع رأس عين<sup>(٣)</sup>. ثم  
اختزل شكلها وزيد عليها حتى آلت إلى الشكل المعروف الآن. وهالك نموذجاً من  
الخط الكوفي المصحفي مضبوطاً بضبط الخليل وأبي الأسود معاً مرسوماً فيه نقطة  
الشكل دائرة مفرغة



(١) مختزلة من لفظ (تشديد) (٢) مختزلة من لفظ (تخفيف) (٣) مختزلة من لفظ (قطع)



وَلَا تُحْمَلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ  
 وَعَفُّ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا  
 وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا  
 فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ  
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 اَللّٰهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
 الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ  
 عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا

وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا  
 غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ  
 لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا  
 لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا  
 اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا  
 إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا  
 وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا  
 حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا

### ابن مقلة

هو الوزير أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن مقلة ، أَمَام الخَطَّاطِينَ ، وَأَحَد  
 كِبَار الكِتَابِ البَارِعِينَ . أَخَذَ الحِطَّ عَنِ الأَحْوَالِ المَحَرَّرِ صَنِيعَةَ البِرَامِكَةِ ، وَتَمَّ عَلَى  
 يَدَيْهِ وَيَدِي أَخِيهِ الحَسَنِ نَقْلُ الحِطِّ مِنَ الكُوفِيِّ إِلَى الشَّكْلِ المَعْرُوفِ فِي زَمَانِنَا  
 وَكَانَ ابْنُ مَقْلَةَ يَتَوَلَّى فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ بَعْضَ أَعْمَالِ فَارِسَ وَيَجْبِي خِرَاجَهَا ، وَتَنَقَّلَتْ  
 بِهِ الأَحْوَالُ إِلَى أَنْ اسْتَوَزَرَهُ الإِمَامُ المُقْتَدِرُ بِاللهِ سَنَةَ ٣١٦ . ثُمَّ كَادَ لَهُ أَعْدَاؤُهُ عِنْدَهُ  
 فِقْبَاضَ عَلَيْهِ سَنَةَ ٣١٨ هـ وَصَادَرَ أَمْوَالَهُ وَنَفَاهُ إِلَى فَارِسَ - ثُمَّ وَزَرَ لِلرَّاضِي فَوْشَى  
 بِهِ أَعْدَاؤُهُ عِنْدَهُ فِقْبَاضَ عَلَيْهِ وَعُزِّلَ وَبَقِيَ مُعْتَزِلًا لِوِزَارَةِ . ثُمَّ أَطْمَعَهُ نَحْسُهُ أَنْ يَكِيدَ  
 لِابْنِ رَائِقِ أَمِيرِ الأَمْرَاءِ بِبَغْدَادَ عِنْدَ هَذَا الخَلِيفَةِ المُسْتَضْعَفِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ الخَلِيفَةُ كِتْمَانَ  
 سِرِّهِ وَأَفْشَاهُ إِلَى ابْنِ رَائِقِ ، فِقْبَاضَ عَلَيْهِ وَقَطَعَ يَدَهُ اليمينية . ثُمَّ نَدِمَ الرَّاضِي عَلَى ذَلِكَ  
 وَأَمَرَ الأَطْبَاءَ بِمِلَازِمَتِهِ إِلَى أَنْ بَرَأَ . وَكَانَ يُشَدُّ القَلَمَ عَلَى سَاعِدِهِ وَيَكْتُمُ بِهِ . ثُمَّ كَادَ  
 لَهُ ابْنُ رَائِقِ لَمَّا أَحْسَسَ مِنْهُ مَطَالِبَتَهُ لِلوِزَارَةِ ، وَكَانَ عَاقِبَةُ ذَلِكَ أَنْ قَطَعَ لِسانَهُ أَيْضًا ،  
 وَأَقَامَ فِي الحَبْسِ مَدَّةً طَوِيلَةً قَاسَى فِيهَا عَنَاءً شَدِيدًا وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى مَاتَ سَنَةَ ٣٢٨ هـ



ومن قوله في تلك الحوادث :

إذا مات بعضك فابك بعضاً فان البعض من بعض قريب

وقوله :

ما سممت الحياة لكن توثقتُ بأيامهم فبانت يميني  
بعث ديني لهم بدنياى حتى حرموني دنياهمو بعد ديني  
ولقد حطت ما استطعت بجهدى حفظ أرواحهم فما حفظونى  
ليس بعد اليمين لذة عيش يا حياتى بانت يمينى فيبنى

### الكتابة الانشائية

#### كتابة الرسائل الديوانية والإخوانية<sup>(١)</sup>

كانت كتابة الرسائل في أوائل حكم بنى العباس جاريةً على نظام كتابتها في  
أواخر عهد بنى أمية سالكةً الطريق التى سلكها عبد الحميد وابن المقفع والقاسم  
ابن صبيح<sup>(٢)</sup> وعمارة بن حمزة<sup>(٣)</sup> ونظراؤهم : من العناية بجعل عباراتها جزلةً بليغةً  
متناسقةً الوضع والأسلوب ، لا يقصد بها الا إفهام المعنى الجيد بوضوح وبلاغة  
وقوة حجة ، غير منظور فيها الى زُخرف اللفظ ومحسناته . وبقيت كذلك بل  
زادت حسناً وجمالاً ومراعاةً لمقتضى الحال الى أوائل القرن الرابع . ثم أخذت  
الصناعات اللفظية تغلب عليها تدريجاً بتضاؤل مآكة البلاغة فى الكتاب وتقاصر  
همهم عن استيفاء أداتها : لتغلب الأعاجم من الديلّم البويهيين<sup>(٤)</sup> والترك

(١) نسبت الى الجمع من قديم وان كان القياس نسبتها الى المفرد وباب النسب واسع  
(٢) أصله من القبط أسلم أبوه صبيح زمن بنى أمية وكتب ابنه القاسم لاهرائم ثم كتب  
للمنصور ، وهو جد احمد بن يوسف وزير المأمون المشهور (٣) من موالى العباسيين ويضرب  
به المثل فى البلاغة والكبر . كتب وعمل للمنصور والمهدى  
(٤) الدولة الديلمية البويهية من ٣٢٢ — ٤٨٨

أصل أبيهم بويه صياد ورزق السعادة فى أبنائه الثلاثة الذين افترسوا ملك العراقين العجمى  
والعربى وفارس والجزيرة ، (واكبرهم) عماد الدولة أبو الحسن على (صاحب بلاد فارس) توفى  
سنة ٣٣٨ بغير عقب ، ونزل عن ملكة لمضد الدولة ابن أخيه ركن الدولة — (وأوسطهم)



السَّاجُوقِيَّينَ<sup>(١)</sup> على سلطان الخلفاء في الشرق وتغلب البربر على شمالي إفريقية والأندلس في الغرب ، فلم يُعدَّ في الملوك والأمراء من يعينهم أمر العربية وبلاتها . وما زالت كذلك حتى سقطت الدولة العباسية على أيدي الأعاجم من التتار<sup>(٢)</sup> ، فكان ذلك عصرَ ابتداء اضمحلال الكتابة وضمحلال اللغة في الجملة ويمكن التنويهُ ببعض التغيرات التي طرأت على كتابة الرسائل أو غلبت عليها في عصر الدولة العباسية بذكر الأمور الآتية :

( ١ ) تعدد أغراض الكتابة وموضوعاتها بتعدد أعمال الدواوين الكثيرة والرسوم الوفيرة التي استُحدثت في الدولة وتضاعفت مراراً عما كانت عليه في العصر الماضي ، وبما زاد على الرسائل الإخوانية : من استعمالها أواسط هذا العصر في بعض أغراض الشعر : من الهجاء والمفاخرة كما حدث بين البديع والخوارزمي وغيرهما ( ٢ ) دقة المعاني واستقصاء جميع جزئياتها وترتيب الأفكار ترتيباً منطقياً أو نسبيّاً<sup>(٣)</sup>

( ٣ ) الغلو في طرفي الإطناب والإيجاز بحسب مقتضيات الأحوال ؛ فقد كانت الكتب التي تُقرأ على العامة من بيعة أو منشور ، أو أخذ سياسة ، أو احتجاج

ركن الدولة أبو على الحسن ( صاحب عراق العجم ) توفي سنة ٣٦٦ وقسم أملاكه على أولاده الثلاثة عضد الدولة فناخسرو ، ومؤيد الدولة بويه ، وفخر الدولة على . فمات مؤيد الدولة قبل فخر الدولة فانضمت الى هذا مملكة أخيه ، ثم مات فخر الدولة وخلفه ابنه مجد الدولة - ( وأصغرهم ) معز الدولة أبو الحسين احمد ( صاحب العراق والاهواز المستولى على بغداد ) توفي سنة ٣٥٦ تولى بعده عز الدولة بختيار فاغتصب ملكة منه ابن عمه عضد الدولة وضم اليه اكثر أملاك آل بويه والجزيرة فأصبح اكبر ملك فيهم وتوفي سنة ٣٧٢ وملك بعده ابنه صمصام الدولة ثم شرف الدولة ، ثم ابن الأخير بهاء الدولة ، ثم ابن هذا سلطان الدولة ، ثم أخوه مشرف الدولة ، ثم جلال الدولة بن بهاء الدولة ، ثم اضطرب أمرهم وزالت دولتهم

( ١ ) ينسبون الى جددهم سلجوق وأصلهم من الترك خرجوا على العباسيين في أواخر دولتهم واستولوا على ممالكهم واستقلوا بها استقلالاً داخلياً

( ٢ ) هم الغزاة الجبارة الذين خرجوا من صحراء المغول وأغاروا على اكثر ممالك آسيا من الصين وما وراء النهر وخراسان وبلاد العراق وفارس والشام وأزالوا الدولة العباسية سنة ٦٥٦ بقيادة زعيمهم الاكبر هولاكوخان

( ٣ ) كالترتيب بين الالهة والمهم والسكل والجزء والمجمل والمفصل



لمذهب ؛ أو تفصيل انتصار جيش ، أو نحو ذلك تكتب بغاية الاسهاب والتبيين  
والايضاح تقريراً لها في أذهان العامة وتفخيماً لشأن السلطان وتعظيمًا لِنِعْمِ اللَّهِ  
عليه وعلى أهل بيته

وعلى عكس ذلك كانت الكتبُ التي تصدرُ عن الخليفة أو الوزير أو الرئيس  
الى الولاة والمرءوسين في أمر أو نهى أو سؤال عن حدث ؛ فقد كان غلوهم في  
الايجاز فيها يصل الى درجة الاشارة والرمز، بل قد يخل بشروط الفصاحة . ومن  
ذلك التوقيعات<sup>(١)</sup> التي كان يوقعها الخلفاء والوزراء والرؤساء على الكتب التي تُقدِّم  
بقصة حال . ومن أمثلة الايجاز كتاب عمرو بن مسعدة<sup>(٢)</sup> في توصية ( كتابي اليك  
كتابٌ معنيٌّ بمن كتبت له ، واثقٍ بمن كتبت اليه ، ولن يصيبَ حامله بين الثقة والعناية )  
( ٤ ) سهولة العبارة وانتقاء ألفاظها وجودةُ رصفها ، فوق ما اتبعه المتأخرون  
من كتاب العصر الماضي

( ٥ ) شيوع السجع القصير الفقرات غالباً . والولوع بالمحسنات البديعية كالجناس  
والطباق والتاميح وحل الأبيات السائرة وضرب المثل ، والتلميح اليه ، وتضمنين  
الأحاديث النبوية ، والحكم الماثورة أو الاشارة اليها ، والافتباس من كلام البلغاء  
وتضمنين الأفاذ من أبيات الشعر ، إلا أن كل ذلك لم يكن ملتزمًا في القرنين  
الأوليين من عمر الدولة ، وانما كاد يلتزم بقية أزمانها وخاصة وقت هَرَمِها ، فغلب  
السجع على كل الرسائل حتى كتب الفنون . ثم طالت فقراته ، وتنوعت أقسامه ،  
وأصبحت التورية محك البراعة بين الأدباء والكتاب . ولم يغفل أهل الأندلس  
وشمالى إفريقيا في ذلك غلو أهل المشرق

( ٦ ) زيادة أنواع البدء والختام في الرسائل ، فزاد العباسيون في الصورة  
العامة الماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صيغة الصلاة والسلام عليه بعد  
التحميد وتلقَّبَ خليفَتُهُم فيها بالإمام ، وتكنى بأبي فلان . واتبعوا أيضاً صورة  
ابتداء عبد الحميد . وهي بعد البسملة :

(١) جمع توقيع وهو أن يعلق ذو الامر أسفل كتاب رفع اليه بما يراد ، بعبارة موجزة توثر  
عنه (٢) هو أحد وزراء المأمون ومن أبلغ كتاب الايجاز



( أما بعد فالحمد لله ) ويكرر الحمد أو يفرد ، وقد يحذفون ( أما بعد ) ويبتدئون بصيغة ( الحمد لله الخ )

ومن الصنيع التي يُعزى اختراعها أو مبدأ شيوعها للعصر العباسي البداءة بالدعاء إما بتقديم ( أما بعد ) أو بغيرها ؛ وأكثر ما يكون ذلك في الرسائل الاخوانية

ومن أمثلة الدُعاء ( أدام الله نعمته عليك . وأيدك بروح من عنده . وأطال الله بقاء المولى أو الشيخ <sup>(١)</sup> أو الاستاذ الخ )

ومن الصور التي كانت تستعمل أيضاً :

( كتابي اليك ) ويرد فونه بما يناسب من دعاء أو ثناء أو وصف . ثم صاروا يخاطبون الخلفاء والسلاطين بالدعاء لهم أو لديوانهم <sup>(٢)</sup> أو لحضرتهم أو لمجلسهم أو لقرّهم وكانت صور الاختتام لا تقل عن صور الافتتاح ، فقد كان بلفظ ( والسلام ) أو ( والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ) ثم استعمل في الختام ( ان شاء الله ) بعد الدعاء أو غيره . وقد يكون بجملة وصلاة وسلام . وذلك في الكتب السلطانية ، وقد يزداد عليها الحسيلة

(٧) زيادة الرسوم في الألقاب والدعاء وتخصيص كل ذي مرتبة بقلب أو دعاء بما يشعر بتعظيم الملوك والأمراء وتفخيمهم والتهويل بشأنهم . وذاع ذلك أواخر هذا العصر

(٨) اختراع المقدمات في أوائل الرسائل المطولة والعهود والمنشورات

وجملة القول أن الكتابة في هذا العصر عامة ، وفي صدره خاصة ، كانت أرقى ما وصل اليه الانشاء العربي

---

(١) شاع استعمال لفظ « الشيخ » أو « الاستاذ » أو « الرئيس » في النصف الثاني من حياة الدولة لرؤساء الكتاب والوزراء في الدولتين السامانية والبويهية  
(٢) شاع الدعاء لديوان العزيز (أى ديوان الانشاء) وللحضرة والمقر والمجلس أواخر الدولة ( الوسيط م - ٢٦ )



## نماذج من الرسائل والتوقيعات والمقامات<sup>(١)</sup>

كتب أحمد بن يوسف وزير المأمون يهني ببولود :  
أما بعد فليس من أمر يجعلُ اللهُ لك فيه سروراً إلا كنتُ به بهيجاً ، أعتدُّ  
فيه بالنعمة من الله الذي أوجب عليّ من حثك ، وعرفني من جميل رأيك ، فزادك  
اللهُ خيراً ، وأدام إحسانه اليك . وقد بلغني أن الله وهب لك غلاماً سرياً ، أجملَ  
صورته ، وأتمَّ خلقه ، وأحسن فيه البلاء عندك ، فاشتدَّ سروري بذلك ، وأكثرتُ  
حمد الله عليه ؛ فبارك الله فيه ، وجعله باراً تقياً ، يشدُّ عضدك ، ويكثر عددك ،  
ويُقرِّ عيُنك

وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون في رجل يستشفع له بالزيادة في منزلته  
عنده وجعل كتابه تعريضاً لنفسه :

أما بعد فقد استشفع بي فلان ( يا أمير المؤمنين ) لتطوُّك عليّ في إلحاقه  
بنظرائه من الخاصة فيما يرتزقون ، وأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب  
المستشفعين ، وفي ابتدائه بذلك تعدى طاعته والسلام - فوق المأمون :

قد عرفنا تصريحك له وتعريضك لنفسك وأجبتك اليهما ، ووقفناك عليهما  
ووقع أيضاً الى رجل من أوليائه في أمر تظلم فيه : من علامات الشريف أن  
يظلم من فوقه ، ويظلمه من دونه ، فأى الرجلين أنت

ومن توقيعات جعفر بن يحيى البرمكي في قصة مُتَّصِح : بعض الصدق قبيح  
( أي في الوشاية ) . ووقع أيضاً في قصة مُسْتَمْنَح قد كان وصله مراراً دَعْر الضَّرْع  
يُدْرُ لغيرك كما درّ لك

ومن مقامات بديع الزمان الهمداني المقامة العامية وهي :

حدثنا عيسى بن هشام قال كنت في بعض مطارح الغربة مجتازاً ، فاذا أنا برجل  
يقول لآخر : بم أدركت العلم ؟ - وهو يجيبه - قال : طلبته فوجدته بعيد المرام ،

(١) جمع مقامة وهي قصة خيالية ذات مغزى أدبي تكتب بعبارة يكثر فيه الغريب والسجع  
والمحسنات البديعة لقصد حفظ اللغة وأساليبها



لا يُصطاد بالسهم، ولا يُقَسَّمُ بالأزلام<sup>(١)</sup>، ولا يرى في المنام، ولا يُضبط بالجمام، ولا يورث عن الاعمام، ولا يُستعار من الكرام، فتوسلت اليه باقتراش المدر<sup>(٢)</sup>، واستناد الحجر، ورد الضجر، وركوب الخطر، وإدمان السهر، واصطحاب السفر، وكثرة النظر، وإعمال الفكر، فوجدته شيئاً لا يصلح إلا للغرس، ولا يُغرس إلا في النفس، وصيداً لا يقع إلا في الدر<sup>(٣)</sup>، ولا ينشَبُ إلا في الصدر، وطائرٌ لا يأخذه إلا قَصُّ اللفظ، ولا يَعْلَقُهُ إلا شرك الحفظ، فحملته على الروح، وحبسته على العين وأنفتت من العيش، وخزنت في القلب، وحررت بالدرس واسترحت من النظر الى التحقيق، ومن التحقيق إلى التعليق، واستغنت في ذلك بالتوفيق. فسمعت من الكلام ما فتق السمع، ووصل الى القلب، وتغلغل في الصدر. فقلت يا فتى ومن أين مطلع هذه الشمس؟ فجعل يقول:

اسكندرية داري لو قرّ فيها قراري

لكن بالشام ليلى وبالعراق نهاري

وكتب أبو محمد القاسم بن علي الحريري فصلاً من المقامة البغدادية على لسان عجوز تستمنح:

اعلموا يا مال الآمل، ومثال<sup>(٤)</sup> الأرامل<sup>(٥)</sup>، أثنى من سرّوات<sup>(٦)</sup> القبائل، وسرّيات<sup>(٧)</sup> العقائل<sup>(٨)</sup>. لم ينزل أهلي وبعلي يحلّون الصّدر، ويسرون القلب، ويمطون الظهر، ويؤلّون اليد. فلما أرذى الدهر الأعضاد<sup>(٩)</sup> وفجّع بالجوارح<sup>(١٠)</sup> الأكباد، وانقلب ظهراً لبطن، نبا الناظر، وجفا الحاجب، وذَهبتِ العين، وفقدت الراحة، وصلد<sup>(١١)</sup> الزند وهنت اليمين، وضاع اليسار، وبانت المرافق، ولم يبق لنا ثنية<sup>(١٢)</sup> ولا ناب<sup>(١٣)</sup> فذاعبر العيش الأخضر، وازور<sup>(١٤)</sup> المحبوب الأصفر<sup>(١٥)</sup>

(١) جمع زلم كجبل : سهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية (٢) الطين اليابس  
(٣) النادر (٤) من يعول عليه (٥) المساكين من رجال ونساء (٦) سادات  
(٧) رفيفات القدر (٨) الكرائم (٩) يريد الاعوان (١٠) الاعضاء والمراد  
الاولاد والخدم (١١) لم يور ناراً (١٢) فنية من النوق (١٣) الجمل المسنن  
(١٤) مال وانقبض (١٥) أي الدينار



اسودّ يومى الأبيض ، واييض فوّدى<sup>(١)</sup> الأسود ، حتى رثى لى العدو الأزرق ،  
فخبذا الموت الأحمر

## الكتاب

كان أكثر كتاب المشرق فى هذا العصر من سلاسل فارسيّة أو سوادية<sup>(٢)</sup>  
وقد بلغوا بمذقهم سياسة الملك ونبوغهم فى البلاغة أن ارتقوا عند خلفاء العباسيين  
الى مرتبة الوزارة التى لم تكن معروفة قبلهم فى الاسلام ، وأوّل كاتب منهم ارتقى  
اليها هو أبو سلامة الخلال . وأشهر من بلغ نفوذُه وسلطانُه مبلغاً زاحم فيه الخليفة  
وأصبح المملكُ فى قبضته يحيى بن خالد بن برمك<sup>(٣)</sup> وابناه جعفرُ والفضلُ ، ثم محمد  
ابن الزيات فى زمن المعتصم والواثق . وكان كتابُ الاندلس والمغرب أكثرهم من  
سلاسل عربية . وكانت الحجابة فى الاندلس أرقى من رتبة الوزارة . والوزير عندهم  
يطلق على قرين الخليفة ومستشاره الخاص ؛ فاذا تولى مرتبة الكتابة والادارة للدولة  
سمّى ذا الوزارتين

ومن أشهر كتاب هذا العصر فى الشرق ابن المقفّع ، ويحيى بن خالد بن برمك  
وابناه : جعفر والفضل ، واسماعيل بن صبيح<sup>(٤)</sup> ، وعمرو بن مسعدة ، واحمد بن يوسف  
وابن الزيات<sup>(٥)</sup> ، والحسن بن وهب<sup>(٦)</sup> ، وعلى بن الفرات<sup>(٧)</sup> ، وابن مقلّة ، وابن العميد ،  
والصاحب بن عباد ، وأبو بكر الخوارزمى ، والبديع ، والصابي<sup>(٨)</sup> والعماد الكاتب<sup>(٩)</sup>  
والقاضى الفاضل

(١) الفود جانب الرأس (٢) أهل السواد عندهم سكان الفرات من سلاسل البابليين  
والاشوريين وربما سموهم نبطا

(٣) كان من اكبر بطانة المهدي ومرىيا لولده الرشيد ثم صار وزيراً ومدبراً لدولة الرشيد  
ثم وزر للرشيد أبناءه الفضل جعفر فأما جعفر فقتله الرشيد سنة ١٨٧ وأما يحيى وابنه الفضل فأتا  
فى سجن الرشيد (٤) كان وزيراً للرشيد بمد جعفر (٥) هو محمد بن عبد الملك الزيات

كان كاتباً شاعراً داهياً جباراً وزر للمعتصم والواثق والمتوكل وقتله المتوكل سنة ٢٣٣  
(٦) كان صاحب ديوان الرسائل للمتوكل (٧) كان وزيراً للمقتدر (٨) كان صاحب  
ديوان الرسائل ببغداد زمن عز الدولة بن بويه وهو من كتاب الاطناب (٩) كان كاتباً  
لنور الدين بن زكى صاحب الجزيرة وحلب ثم صار من رؤساء الكتاب عند صلاح الدين الايوبي



ومن أشهر كتابه في الأندلس ابنُ شُهَيْد (١) ، وأبو المطرف بن عميرة (٢) ،  
وابن زيدون ، ولسان الدين بن الخطيب

### ابن المقفع

هو أبو محمد بن عبد الله بن المقفّع أحد فحول البلاغة وثاني اثنين مهّدا للناس طريق  
الترسل ، ورفعاهم معالم صناعة الانشاء ، أولهما عبد الحميد  
منشؤه وعمله - كان ابن المقفّع من أبناء الفرس الناشئين بين أحياء العرب .  
فكان أبوه داؤدويه المقفّع يعمل في جباية الخراج لولاية العراق من قبل بني أمية ،  
وهو على دين المجوسية وولد له ابنه هذا حوالي سنة ١٠٦ هـ وسماه ( رَوْزَبَة )  
فنشأ بالبصرة ، وهي يومئذ حلبة العرب (٣) ومجمع الفقهاء والرواة والمحدثين وأصحاب  
اللغة ، وحاضرة البر والبحر ، وقرارة المربد (٤) مُتَنَدِي البلقاء والخطباء والشعراء ،  
فكان لكل ذلك فرق ذكائه المفرط وتأديب أبيه وأخذه له بتعليم الفارسية وصناعة  
الكتابة أعظم أثر في تربيته وتهيئته لأن يصير من أكبر كتاب العربية وعلمائها  
وأدبائها والمترجمين اليها

ولما ذاع فضله استكتبه في عصر بني أمية داود (٥) بن يوسف بن عمرو هبيرة .  
ثم كتب في عصر بني العباس لعيسى بن علي عمّ الخليفة أبي جعفر المنصور العباسي  
أيام ولايته على كرمان . وعلى يديه أسلم بمحضر من الناس وتسمّى ( عبد الله )  
وتكنى بأبي محمد بدل أبي عمرو . ثم ألزمه أخوه اسماعيل بن علي بعض بنيه ليؤدّبه ،  
ثم كان آخر أمره في خدمة أخيها سليمان بن علي أيام ولايته على البصرة . ويظهر  
أنه اتصل أثناء ذلك بأبي جعفر المنصور اتصال معرفة لا اتصال خدمة ، فترجم له  
كثيراً من الكتب الفارسية واليونانية المنقولة قديماً الى الفارسية . وبقي في خدمة

---

(١) كان وزيراً للخليفة الناصر الاموي الاندلسي (٢) كان من كتاب ملوك الطوائف  
والبربر بالاندلس (٣) الحلبة جماعة الخيل للسباق ، وتستعمل مجازاً في الظائفة من عظام الرجال  
(٤) مكان كان بطرف البصرة على طريق القادم من البادية يجتمع فيه فصحاء عرب البصرة  
ويخطبون ويتناشدون وهو الذي خلف عكاظ في الجاهلية (٥) أحد ولاية بني أمية على العراق



أعمام الخليفة بقية عمره حتى قُتل بالبصرة سنة ١٤٢ قتل سفیان بن معاوية والى  
البصرة بعد عزل سليمان لضغينة عليه ولاتهامه بالزندقة والكيد للإسلام بترجمة كتب  
الزندقة الى العربية . وكانت هذه التهمة مما جعل الخليفة يُهمل تحقيق مقتله عند  
ماشكا عمه عيسى وسليمان والى القاتل اليه ، لا كما يقال من أن الخليفة أمر الولى  
بقتله انتقاماً منه لكتابته صورة أمان يؤخذ على الخليفة لاحد أعمامه الخارجين (١)  
وإحراجه فيه بالايان المغلظة اذ أن ذلك مما يجلبُ عنه مقامُ أبى جعفر

اخلاقه وبلاغته - كان نادرة في الذكاء غاية في جمع علوم اللغة والحكمة وتاريخ  
الفرس ، متادباً متعففاً قليل الاختلاط الأبن على شاكلته ، كثير الوفاء لأصحابه  
وكان أمةً في البلاغة ورصانة القول وشرف المعاني الى بيان غرضه ، وسهولة  
لفظه ، ورشاقة أسلوبه . ولا توصفُ بلاغته بأحسن مما وصف هو البلاغة حيث يقول  
« البلاغة هي التي اذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسنُ مثلها » وكان يرى أن التبع  
لغريب الكلام طمعاً في نيل البلاغة هو العيُّ الأ كبر . وينصح للكتاب باتباع  
ما سهل من الألفاظ مع تجنب الألفاظ السفلة . وقد ذاعت طريقة ابن المقفع  
وعبد الحميد في توخي السهولة وسلامة التعبير مع العناية باجادة المعنى بين الكتاب  
من أهل زمانهما ومن بعدهما ؛ وانما صعبت عبارة ابن المقفع في الأدبين الصغير والكبير  
ونحوهما لأنه ساقها مساق الفلسفة ويغلب على أساليبه فيها القياس المنطقي وأفكار  
الفلاسفة الدقيقة التي قلما تظهر للقارئ إلا بعد الكد . ويمتاز عبد الحميد - وان لم  
يكن ابن المقفع دونه في البلاغة - بما تسنى له من وضع الأنظمة للرسائل الديوانية

(١) هو عبد الله بن علي خرج على المنصور بالشام والجزيرة فسير عليه أبا مسلم الخراساني  
فهزم جموعه وفر عبد الله الى البصرة محتفياً بأخويه اسماعيل وسليمان فطلبه المنصور منهما فلم  
يجيها الآ بأمان لعبد الله يميلان شروطه فقبل ذلك المنصور فأمر ابن المقفع كاتبهما أن يجرر  
أماناً يتصعب في شروطه فكان مما كتب ( ومضى غدر أمير المؤمنين بعنه عبد الله فنساؤه طواقق  
ودوابه حبس وعبيده أحرار والمسلمون في حل من بيته ) فاشتد ذلك عليه وخاصة أمر البيعة ،  
وحقدما على ابن المقفع فيقال أنه أوعز الى سفیان والى البصرة بقتله خفية . فزاره ابن المقفع  
يوماً لا امر بقتله وأحرقه وذرى رماده



وتنسيق صور لها ، لانه أتيح لعبد الحميد ما لم يُتَح لابن المقفع من رياسة الكتابة في دواوين الخلافة ويمتاز ابن المقفع بعلمه وترجمته لكثير من الكتب الفلسفية والأدبية

فقد ترجم ابن المقفع كتباً عدّة من الفارسية الى العربية من أشهرها كتاب كلية ودمنة<sup>(١)</sup> . وله في الأدب كتاب الأدب الصغير والأدب الكبير وكتاب الدرّة اليتيمة وهي لا تزال مكنونة في طيّ الخفاء ، وانما طبع الأدب الكبير معنوئاً باسمها خطأ ثم طبع في مصر مسمى باسمه الحقيقي . وهاك نموذجاً من قصار رسائله

قال في السلامة - (أما بعد) فقد أتاني كتابك فيما أخبرتنا عنه من صلاحك وصلاح من قبلك . وفي الذي ذكرت من ذلك نعمةٌ مجلّةٌ عظيمة ، يُحمد عليها وليها المنعم المتفضل المحمود . ونسأله أن يلهمنا وإياك من شكره وذكره ما به مزيدها وتأديّة حقها

وسألت أن أكتب اليك بخبرنا . ونحن من عافية الله وكفايته ودفاعه على حال لو أظنبتُ في ذكرها لم يكن في ذلك إحصاءٌ للنعمة ولا اعترافٌ بكنه الحق . فترغب للذي تزدادُ نعمةً علينا في كل يوم وليلة تظاهراً ألا يجعل شكرنا منقوصاً ولا مدخولاً<sup>(٢)</sup> ، وأن يرزقنا من كل نعمة كفاءها<sup>(٣)</sup> من المعرفة بفضله فيها والعمل في أداء حقها انه ولىّ قدير

---

(١) المشهور أن ابن المقفع ترجم هذا الكتاب من الترجمة الفارسية الفهلوية عن الهندية ويرى بعض أهل الادب من المتقدمين وكثير من أدباء الافرنج المستعربين أنه من وضعه وأنه نحله الهند القدماء لترغيب قراء زمانه في مطالعة كتب الحكمة والفلسفة التي لم يكونوا يأبهون لها الا اذا اسندت الى القدماء ونحن نتابع أصحاب هذا الرأي ولنا ولهم في ذلك أدلة كثيرة يضيّق المقام عن ذكرها

(٢) أي دخله شيء من الرياء ونحوه (٣) أي جزاءها



## ابراهيم الصولي

هو أبو إسحاق ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول<sup>(١)</sup> كاتب العراق وأشعر أصحاب المقطعات . نشأ ب بغداد في بيت كتابة و بلاغة ، فتلقى العلم والأدب عن أهله وأئمة زمانه ، واشتغل بالشعر في حدائته ، فبرع فيه ، وتكسب به . ورحل الى العمال والأمرء يدحهم ويستميح جدواهم . ثم قصد الفضل بن سهل وزير المأمون أيام مقامه معه بخراسان<sup>(٢)</sup> ومدحه ومدح علي بن موسى الرضا العلوي الذي جعله المأمون بمساعي الفضل وليّ عهده ، فوهب له على عشرة آلاف درهم . وجعله الفضل كاتباً لأحد قواده . وبعد أن قُتل الفضل وشي به الى المأمون ، فوجد عليه ثم عفا عنه وبقى يتنقل في أعمال النواحي والدواوين حتى كان زمن الواثق عاملاً على الاهواز<sup>(٣)</sup> فتحامل عليه وزيره ابن الزيات ( وكان قبل صديقاً له ) فعزله وسجنه بها فكتب اليه كتباً بليغة وقصائد كثيرة يستعطفه بها ، فلم يزد ذلك إلا جفاء وغلظة . ثم اطاع الواثق على ذلك فأطلقه . وتولى ديوان الضياع والنققات في خلافة المتوكل . وكانت بلاغته وظرفه يستبران ضعفه في عمله لقلّة بضاعته في الحساب . ولم يعقه عن تقلد الوزارة إلاّ اشتهاؤه بالخلاعة . ومات بسراً من رأى سنة ٢٤٣ هـ وعمره سبعون سنة

وكان ابراهيم أحد كتاب الدنيا في زمانه ويلقبُ بكاتب العراق وكانت معانيه التي يستخدمها في كتابته كلها مبتكرة . وباعتماده على نفسه واختراعه للمعاني صار كلامه قدوة لغيره ، حتى ضارع الأمثال في الشهرة نثراً ونظماً . وهو أحد الذين راعوا الازدواج في فقرات الكتابة ، فاقتدى بهم غيرهم ، وأحد الذين اشتهروا في التعازي

(١) كان صول هذا وأخوه فيروز ملكي جرجان وهما من الترك تمجسا وتشبها بالفرس ثم اسلما على يد يزيد بن المهلب أبي صفرة فاتح جرجان زمن بني أمية ، فلما قتل يزيد دخل ابنا صول محمد وسعيد في الدعوة العباسية وتعلم أولاد سعيد الكتابة (٢) أقام المأمون بخراسان مدة ولايته عليها زمن الامين كله ومدرة محاربه له ، ثم بعد قتله وأول الخلافة اليه بقي بها حتى خلمه أهل بغداد وولوا ابراهيم بن المهدي خليفة فرجع الى بغداد وفر ابراهيم (٣) أقليم شرقي البصرة



ومن رسائله تعزية على لسان المنتصر بالله الى طاهر بن عبد الله مولى أمير المؤمنين (أما بعد) تولى الله توفيقك وحياطتك . وما يرتضيه منك ويرضاه عنك . إن أفضل النعم نعمة تقيت بحق الله فيها من الشكر . وأوفر حادثة ثواباً حادثة أدّى حق الله فيها من الرضا والتسليم والصبر . ومثلك من قدّم ما يجب لله عليه في نعمة فشكرها ، وفي مصيبة فأطاعه فيها . وقد قضى الله سبحانه وتعالى في محمد ابن اسحاق مولى أمير المؤمنين (عفا الله عنه) قضاءه السابق والموقع . وفي ثواب الله ورضا أمير المؤمنين (أدام الله عزه) وتقديم ما يقدم مثله أهل الحجا والفهم ما اعتاضه معترض وقدمه موفق . فليكن الله (عز وجل) وما أطعته به وقدمت حقه فيه أو لى بك في الأمور كلها ؛ فانك إن تنقرب اليه في المكروه بطاعته يحسن ولايتك في توفيقك لشكر نعمه عندك

ومن رسائله القصار على لسان المتوكل لاهل حمص الخارجين عليه . وهى من الرسائل التى أغنت عن الجيوش :

أما بعد فان أمير المؤمنين يرى من حق الله عليه مما قوم به من أودى ، وعدل به من زيغ ، ولم به من منتشر ، استعمال ثلاث يقدم بعضهن على بعض ، وألاهن ما يتقدم به من تنبيه وتوقيف ، ثم ما يستظهر به من تحذير وتخويف ، ثم التى لا يقع بحسم الداء غيرها

أناة فان لم تُغن عقب بعدها وعيداً فان لم يُغن أغنت عزائمهُ

### ابن العميد

هو الاستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب المشرق ، وعماد ملك آل بويه وصدرو وزراءهم

وهو فارسى الأصل من أهل مدينة (قم) (١) كان أبوه كاتباً مترسلاً بليغاً

(١) بلد بفارس



من كبار كتّاب الدولة السامانية<sup>(١)</sup> فنشأ ابنه مؤلفاً بمعرفة العلوم العقلية واللسانية ؛ فبرع في علوم الحكمة والنجوم ، ونبغ في الأدب والكتابة حتى قيل فيه : ( بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد ) ثم رحل عن أبيه الى آل بويه ، وتقلد شريف الأعمال في دولتهم الى أن تولى وزارة ركن الدولة<sup>(٢)</sup> سنة ٣٢٨ فساس دولته ووطد أركانها ، وتشبه بالبرامكة ففتح بابه للعلماء والفلاسفة والشعراء والادباء وكان يشاركونهم في كل ما يعلمون إلا الفقه . وما زال في وزارته محطّ الرحال وكعبة الآمال ، حتى توفاه الله سنة ٣٦٠ هـ

كتابه

وكان ابن العميد أوّل من فتح باب الوُلوغ بالرسائل البديعية ، متوخياً فيها السجع القصير الفقرات ؛ مقتبساً من القرآن الكريم بعض الآيات ، ومن السنة بعض الأحاديث الماثورة ، مشيراً الى الحوادث المشهورة ، ناثراً فيها الآيات الحكيمة ، مؤثراً بعض الحلية البديعية : كالجناس والمطابقة ، مضمناً الأمثال السائرة . وحاكاه في طريقته هذه فحول معاصريه ، فأصبح عميد رُفقتهم وضليع حلبتهم ؛ وكلهم كارع

(١) هي من الدول التي استقلت في أواسط الدولة العباسية استقلالاً داخلياً وكانت تملك أواسط آسيا ، ومقرها بخارى وما وراء النهر ، وهم من سلالة الاكسرة أمراء الدولة السامانية

(٣٥٠ - ٣٤٣)	عبد الملك بن نوح	(٢٧٩ - ٢٦١)	نصر بن احمد الساماني
(٣٦٦ - ٣٥٠)	منصور بن نوح	(٢٩٥ - ٢٧٩)	اسماعيل بن احمد الساماني
(٣٨٧ - ٣٦٦)	نوح بن منصور	(٣٠١ - ٢٩٥)	احمد بن اسمعيل »
(٣٨٩ - ٣٨٧)	منصور بن نوح	(٣٢١ - ٣٠١)	نصر بن احمد
ثمانية أشهر	عبد الملك بن نوح	(٣٤٣ - ٣٢١)	نوح بن نصر

بقية خلفاء العباسيين

(٥٣٠ - ٥٢٩)	المنصور الراشد بالله	(٣٣٤ - ٣٣٣)	عبد الله المستكفي بالله
(٥٥٥ - ٥٣٠)	محمد المقتدى لأمير الله	(٣٦٣ - ٣٤٤)	القاسم المطيع لله
(٥٦٦ - ٥٥٥)	يوسف المستنجد بالله	(٣٨١ - ٣٦٣)	أبو بكر الطائغ لله
(٥٧٥ - ٥٦٦)	حسن المستضيء بأمر الله	(٤٢٢ - ٣٨١)	احمد القادر بالله
(٦٢٢ - ٥٧٥)	احمد الناصر لدين الله	(٤٦٧ - ٤٢٢)	عبد الله القائم بأمر الله
(٦٢٣ - ٦٢٢)	محمد الظاهر بأمر الله	(٤٨٧ - ٤٦٧)	عبد الله المقتدى بأمر الله
(٦٤٠ - ٦٢٣)	منصور المستنصر بالله	(٥١٢ - ٤٨٧)	احمد المستظهر بالله
(٦٥٦ - ٦٤٠)	عبد الله المستعصم بالله	(٥٢٩ - ٥١٢)	فضل المسترشد بالله

(٢) ركن الدولة هو أبو علي بن بويه والد عضد الدولة المشهور



من حياضه ، قاطف من رياضه ، ان لم يكن بالاقباس منه فبالمشاكهة له ، وان كان هو أقلمهم التزاماً للمسجوع ، وأقربهم الى المطبوع  
ومن رسائله إلى عبد الله الطبرى :

كتابى إليك وأنا بحال لو لم يُنغصها الشوقُ اليك ، ولم يُرنقْ (١) صفوها التزوع  
نحوك ، لعددتها من الاحوال الجميلة . وأعددت حظى منها فى النعم الجميلة . فقد  
جمعتُ فيها بين سلامة عامة ، ونعمة تامة ، وحظيت منها فى جسمى بصلاح ، وفى سعيا  
بنجاح . لكن ما بقى أن يصفوا لى عيش مع بعدى عنك ، ويخلو ذرى (٢) مع خلوى  
منك ، ويسوغ لى مطعم ومشرب مع انفرادى دونك ، وكيف أطمع فى ذلك وأنت  
جزء من نفسى ، وناظم لشملى أنسى . وقد حُرمت رؤيتك ، وعدمت مشاهدتك ،  
وهل تسكن نفس متشعبة ذات انقسام (٣) وينفع أنس بيت بلا نظام (٤) . وقد قرأت  
كتابك جعلنى الله فداءك فامتلت سروراً بملاحظة خطك ، وتأمل تصرفك فى  
لفظك . وما أقرظهما ؛ فكل خصالك مقرظ عندى ، وما أمدحهما ؛ فكل أمرك  
مدوح فى ضميرى وعقدى (٥) . وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقة لتقديرى فيك ،  
فان كان كذلك (٦) وإلا فقد ( غطى هواك وما ألقى على بصرى )

### الصاحب بن عباد

هو كفى الكفاة أبو القاسم اسمعيل الصاحب بن عباد وزير آل بويه وكاتبهم  
وأحدُ المذيعين للسمع والجناس

ولد سنة ٣٢٦ هـ بطالقان قزوين . وكان أبوه من خيرة كتّاب دولة بنى بويه  
وزرائهم . تعلّم العلم والأدب والكتابة من أبيه ، ثم اتصل بابن العميد ، فلزم  
صحبته وأخذ عنه الأدب ، وتولّى له كتابة خاصته . ثم تنقلت به الأحوال فى خدمة

(١) يكدر (٢) الذرع : الخلق - أى لا يتسع خلقى وصدرى مع خلوى منك (٣) أى  
شطرها عندى وشطرها عندك (٤) أى انك أنت نظامه وقد غبت عنه ففاته النظام  
(٥) أى اعتقادى (٦) أى فهو ما أرجوه - وكثيراً ما يجذفون الجواب فى مثل هذا المقام



ملوك بني بُوَيه ، فكان وزيراً لمؤيد الدولة ، ثم لأخيه فخر الدولة ، وله في ملكهما اليدُ المطلقةُ والامرُ النافذُ حتى مات سنة ٣٨٥ هـ . وكان مجلسه على تبهه وعُجبه بنفسه آخرَ مجلسٍ لوزير جمع بين العلماء والقراء والكتّاب والمصنّفين والمتكلمين والشيعية ، ولهم منه حظٌ موفور ، وله منهم لسانُ شكور

كتابه

ويعدّ ابن عباد في الكتابة ثانياً ابن العميد في حابته وأبلغ من سلك طريقته غير أنه أولع بالسجع والجناس ، ولا يُعرف بعدهما من بلغ بشرف العلم والأدب مبلغهما ولا حلّ من شرف الملك والسلطان بمهنة الكتابة منزلتهما

وهو في العلم من كبار المصنّفين . ومن أعظم مصنّفاته الكثيرة كتابه ( المحيط ) في اللغة في سبع مجلّدات أو عشر

ومن رسائله ما كتب به الى بعض السادة وقد أهدى الى ابن عباد مُصنّفحاً : البرُّ « أدام الله الشيخ » أنواع ، تطوّلُ به أبواع<sup>(١)</sup> وتقصر عنه أبواع ، فان يكن فيها ما هو اكرمُ منصباً ، وأشرفُ منسباً فتحفة الشيخ ، إذ أهدى ما لا تشاكلة النعم ، ولا تعادله القيم : كتاب الله وبيانه ، وكلامه وفُرْقانه ، ووحية وتزليله ، وهده وسبيله ، ومعجز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودليله ، طبع<sup>(٢)</sup> دون معارضته على الشفاء . وختم على الخواطر والأفواه ، فقصر عنه الثقلان ، وبقى ما بقى الملوّان . لا تخُ سراجهُ ، واضحٌ منهاجهُ ، منيرٌ دليلهُ ، عميقٌ تأويلهُ ، يقصمُ كلَّ شيطانٍ مرّيد ، ويبدلُ كلَّ جبارٍ عنيد ، وفضائلُ القرآن ، لا تحصى في ألف قرآن<sup>(٣)</sup> ، فأصف الخط الذي بهر الطرف ، وفاق الوصف ، وجمع صحة الاقسام<sup>(٤)</sup> ، وزاد في نخوة الاقلام ، بل أصفه بترك الوصف فأخباره آثاره ، وعينه فراره<sup>(٥)</sup> ، وحقاً أقولُ اني لا أحسبُ أحداً ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت ، وابتدع

(١) جمع باع (٢) ختم بالطابع أى لا يعارض (٣) القراءان الثانية بمعنى الجمع أى

أن فضائله لا تحصى في ألف كتاب جامع (٤) أى الاجزاء أى نسبة أجزاء الحروف

(٥) مصدر فر عن الامر بحث عنه و (عينه فراره) مثل يضرب لمن يدل ظاهره على باطنه



في استكتابها ما ابتدعت ، وان هذا المصحف لزائد عن جميعها زيادة الفرع على  
الغرّة ، بل زيادة الحج على العمرة

### أبو بكر الخوارزمي

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر اللغوي الأديب  
الرحالة فخر خوارزم وصاحب الرسائل المشهورة  
وُلد بخوارزم<sup>(١)</sup> ونشأ بها ، وكان ضليعاً في كل فن من فنون العربية وخاصةً  
الكتابة والشعر . جاب الأقطار ، ودخل الأمصار ، من الشام الى أقصى خراسان ،  
في استفادة العلم والأدب وافادتهما . وكان كثير الحفظ للشعر غزير مادة اللغة .  
قيل انه قصد حضرة الصاحب بن عباد وهو بأرجان فلما وصل الى بابه قال لأحد  
حجابه قل للصاحب على الباب أحد الأدباء وهو يستأذن في الدخول . فدخل الحاجب  
وأعلمه ، فقال الصاحب : قل له قد ألزمت نفسي ألا يدخل عليّ من الأدباء الا من  
يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب ، فخرج اليه الحاجب وأعلمه بذلك :  
فقال له أبو بكر ارجع اليه وقل له هذا القدر من شعر الرجال أم شعر النساء ؟ فدخل  
الحاجب فأعاد عليه ما قال ، فقال الصاحب هذا يكون أبا بكر الخوارزمي ، فأذن له  
في الدخول فدخل عليه فعرفه وانبسط له

(١) أقليم على بحر خوارزم المسمى الآن بحيرة أرال . وما رواه ياقوت عن بعض متأخري  
أدبائها وعن مستعجمي أهلها من أنهم ينطقونها بضم الحاء ضمة محتلثة الى الفتحة وأنه لا تحقيق  
لواو ولا للاف أى أنه ينطق بهما كحرف ( O ) الفرنسي عدول عن التعريب الصحيح  
المطابق لقواعد النطق العربي ، ولذلك لم يقع في شعر فصحاء الادباء ، من أمثال الصاحب  
ابن عباد في قوله :

أقول لركب من خراسان قافل أمات خوارزميكم قيل لي نعم  
فقلت اكتبو بلجص من فوق قبره ألا لعن الرحمن من كفر النعم  
فلو نطقت في هذا الشعر كما ينطقها مستعجمو أهلها لاختل الوزن . والذي يدل على أن تحقيق  
الواو واللاف هو أصل العربية ما رواه ياقوت نفسه عن شاعر عربي من بني أسد في أبيات :  
وخافت من جبال السغد نفسي وخافت من جبال خوارزم  
لجرى الشاعر عل أنها مركبة من كلمتين خوار بمعنى ( اللحم ) ووزم بمعنى ( حطب ) في قصة  
مروية عن قداماء أهلها . فانهم ذلك وارفص كل تعريب لا يطابق الهجاء العربي



وتقلب الخوارزمي في خدمة كثير من الملوك والأمراء والوزراء ، في الدول المتفرقة عن الخلافة ، وجُلبهم يومئذٍ من الشيعة ؛ فاصطبغ بصبغة التشيع أيضاً ، حتى ألقى عصا التسيار بمدينة نيسابور<sup>(١)</sup> وطاب عيشه بها الى أن مُني في آخر أيامه بمساجلة بديع الزمان الهمداني ومناظرته ومنازلته ، وأعان عليه قوم من أعيان البلدة ووجوهها ، فانخذل انخذالاً شديداً ، وكسف باله . ولم يحل عليه الحول حتى مات سنة ٣٨٣ هـ

كتابه

وكان الخوارزمي ممن يجرى على طريقة ابن العميد في الكتابة متوخيّاً جزالة الألفاظ محتفلاً بصحة المعاني مع ميل فيه الى الغريب ومن قصار رسائله ما كتبه الى تلميذه له :

ان كنت ( أعزك الله ) لا ترانا موضعاً للزيارة ، فنحن في موضع الاستزارة ، وان كنت تعتقد أنك قد استوفيت ما كان لدينا ؛ فسقط حقنا عنك وبقي حقك علينا ، فقد يزورُ الصحيحُ الطيبُ بعد خروجه من دائه ، واستغناؤه عن دوائه ، وقد تجتازُ الرعيةُ على باب الأمير المعزول ، فتتجملُ له ولا تعيره عزلةً ، ولو لم تزرنا إلا لترينا رجحانك ، كما طالما رأينا نقصانك ، لكان ذلك فعلاً صائباً ، وفي القياس واجباً

### بديع الزمان الهمداني

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الكاتب المترسل والشاعر المبدع ؛ حافظ عصره وأذكي دهره ، وقدوة الحريري في انشاء المقامات ، وقريرع الخوارزمي في المباديات والمكاتبات

نشأ بهمدان<sup>(٢)</sup> ، ودرّس العربية والأدب ونبغ فيهما ، وضرب في الأرض يتكسب بأدبه ، ثم أقام بنيسابور مدةً أملى بها أربعائة مقامة<sup>(٣)</sup> بلفظ رشيق ، وسجع

(١) كانت مدينة شهيرة من مدن خراسان دمرها التتار عند اجتياحهم الممالك الاسلامية فخرت ولم تعمر بعد (٢) مدينة شمالي فارس (٣) اطلقت المقامة في ذلك العصر على كل قصة خيالية انشئت بعبارة مسجوعة غالباً ، محلاة بأنواع البديع ، وشتملة على كثير من الغريب



رقيق ؛ وعلى منوالها نسج الحريرى . ثم شَجَرَ بينه وبين الخوارزمى ما كان سبباً  
فى هبوب ريحه وبعده صيته ؛ إذ لم يكن فى الحُسن أن أحداً يجترى على الخوارزمى  
وبوت الخوارزمى خلاله الجوُّ عند الملوك والأمراء ، فجوِّل فى حواضرهم ، ثم  
استوطن هَرَاة<sup>(١)</sup> وصاهر أحد أعيانها العلماء ، فحسنت حاله ، ونعم بالله ، ولكن  
المنية عاجلته وهو فى سن الأربعين سنة ٣٩٨ هـ

وكان البديعُ أسرع أهل زمانه بديهياً . وأكثر كتابته وشعره مرتجل .  
وكانت عبارته لينة سهلةً قصيرة السجع ، تشهد بأن صاحبها لم يكدر فيها خاطره .  
ولم يتعمَّل فى صنعتهما . وكان لحدِّ ذهنه ، وغزارة مادته ، وتمكنه من صناعته  
تلقى عليه القصيدة الفارسية فيترجمها فى الحال الى العربية شعراً ، ويُقترح عليه  
الكتابُ فينتدى بأخر سطره وينتهى بأوله ويُخرجه كأحسن ما يكون  
( ومن كتابته : ما كتبه موصياً وارث مال ) :

وصلت رُقعتك يا سيدى والمصابُ لعمر الله كبير ، وأنت بالجزع جدير ،  
ولكنك بالصبر أجدر ، والعزاء عن الأعرزة رشد كأنه الغنى ، وقد مات الميت  
فليحى الحى ، فاشدد على مالك بالخمس ، فأنت اليوم غيرك بالأمس ، قد كان ذلك  
الشيخ ( رحمه الله ) وكيلك ، تضحك ويبكى لك ، وقد موِّلك بما ألف بين سراه  
وسيره ، وخلفك فقيراً الى الله غنياً عن غيره ، وسيعجمُ الشيطانُ عودك ، فان  
استلانه رماك بقوم يقولون : خير المال ما أُلِف بين الشراب والشباب ، وأنفق بين  
الحبَاب والأحباب ، والعيش بين الأقداح ، والقِداح ، ولولا الاستعمال ، لما أريد  
المال ، فان أطعمهم فالיום فى الشراب ، وغداً فى الخراب ، واليوم واطر باللكاس ،  
وغداً واحراباً من الافلاس . يا مولاي ذلك الخارج من العود يسميه العاقل فقراً ،  
والجاهل نقراً ، وذلك المسموع من الناي هو اليوم فى الآذان زَمْر ، وغداً فى الأبواب  
سَمْر ، والعمر مع هذه الآلات ساعة ، والقنطار فى هذا العمل بضاعة ؛ وان لم يجد

(١) هى مدينة عظيمة ببلاد الافغان قبل أن الاسكندر المقدونى هو الذى بناها



الشیطان مغمراً فی عودك من هذا الوجه ، رماك بأخرین یمثلون لك الفقر حذاء  
عینك ، فتجاهد قلبك ، وتحاسب بطنك ، وتناقش عرسك ، وتمنع نفسك ، وتبوء  
فی دنیاك بوزرك ، وتراه فی الآخرة فی میزان غیرك ، لا ! ولكن قصداً بین  
الطریقین ، ومیلاً عن الفریقین ، لا منع ولا إسراف ؛ والبخل فقر حاضر ، وضیر  
عاجل ، وانما يبخل المرء خيفة ما هو فيه ، فلیكن لله فی مالك قسط ، وللمروءة قسم ،  
فصل الرحم ما استطعت ، وقدر اذا قطعت ، فلأن تكون فی جانب التقدير ، خیر  
لك من أن تكون فی جانب التبذیر

### ابن زیدون

هو الكاتبُ الشاعرُ ذو الوزارتین أبو الولید أحمد بن عبد الله المشهور بابن  
زیدون الخزومی الاندلسی. ولد سنة ٣٥٤ ، ونشأ فی مدينة قرطبة<sup>(١)</sup> حیث كان أبوه  
من أعیان فقهاها ، وتأدب علی كبار أمتها وقال الشعر وأجاده ، وحفظ من مشهور  
شعر القدماء والمحدثین ما جرى مجرى الأمثال ، ومن أخبار العرب وأيامها  
وأماها وحكمها شیئاً كثيراً

ولما نبه شأنه بین شعراء قرطبة وكتّابها وأدبائها ، اتصل بأبي الولید بن جهور  
أحد ملوك الطوائف ، فحظي عنده : ومدحه بالقصائد الطنانة وصدرت عنه فی دولته  
الرسائل البديعة حتى أصبح لسان دولته الناطق ؛ وحسامها المسلول . فحسده أعداؤه  
وأفسدوا ما بینه وبين ملیكه ، وأحس منه ابن جهور دالة علیة ظنّها ممالةً لأعدائه  
فاعتقله . ومكث فی محبسه مدة استشفع فیها الیه بقصائد أبدعها ورسائل استنفذ  
فیها جهده ، فما ألانت له قلباً ، ولا ثنت له عطقاً ، فأعمل الحيلة فی فراره من سجنه  
وخلص الی المعتضد بن عبّاد ملك إشبيلية<sup>(٢)</sup> اذ كان أشد ملوك الطوائف رغبة

(١) مدينة عظيمة علی نهر الوادی الكبير بالاندلس . وكانت قاعدة الدولة الاموية وآل جهور  
من ملوك الطوائف بعدهم (٢) مدينة عظيمة علی نهر الوادی الكبير أيضاً بالغرب الجنوبي  
من الاندلس ولا تزال الی الآن من أعمر مدنها



فيه وأكثرهم تمسكاً بالأدب كما كان أبسطهم رُقعة مُلكٍ، فألقى إليه مقاليد وزارته،  
وأصبح صاحب أمره ونهيه، وشريكه في مجلس جدّه وأنسه  
ولما مات المعتضدُ وخلفه ابنه المعتمدُ كان له كما كان أبوه وأغدق عليه بره ونعمه.  
ومكث ابن زيدون على هذه الحال حتى مات باشبيلية سنة ٤٦٣ هـ

ولما كان ابنُ زيدون منذ نشأته مطبوعاً على الشعر غلبت ملكته عليه في  
كثير من كتابته إذ كانت مجموعةً أبياتٍ منشورة، وتلميحات إلى حوادث مشهورة  
وأمثال وحكمٍ في فقارٍ غير مسجوعة غالباً، سائكاً فيها طريق التحويل والمبالغة  
في فروضه وأقيسته وتشبيهاه. وجرى على ذلك في رسالتيه الهزلية التي كتبها  
على لسان ولادة بنت المستكفي يتمم فيها بالوزير أبي عامر بن عبدوس، والجدية  
التي استعطف بها ابن جهور

وقد شرحهما الأدباء وعنوا بتفصيل ما فيهما من الأخبار والأشعار والحكم وتراجم  
الشعراء، وأشهر تلك الشروح شرح ابن نباتة للهزلية والصفدي للجدية. ولولا جمع  
هاتين الرسالتين لكثير من فنون اللغة والأدب والتاريخ ما نسخت شهرته بالكتابة  
عند المتأخرين شهرته بالشعر عند المتقدمين حتى كان يلقب عندهم بـ *بِخَيْرِي* المغرب  
ولا يقدر ذلك في بلاغته، وفصاحة عبارته، فقام الرجل في سعة اطلاعه وسرعة  
خاطره أشهر من أن يُنوّه به، فقد قيل انه دفن بنتاً له، ووقف ليشكر الناس  
لتشيع جنازتها فما أعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لأحد، وتلك غاية لا تدرك في  
القدرة على صناعة الكلام

ومن فصوله في الرسالة الجدية :

هذا العتبُ محمودٌ عواقبه وهذه النبوةُ (١) غمرةٌ (٢) ثم تنجلي، وسحابة

(١) الجفوة (٢) أصلها من غمرة الماء تستعمل في كل كربة تعترى المرء



صيفٍ عن قليلٍ تتشع (١) ، ولن يريني (٢) من سيدى أن أبطأ سببه (٣) ، أو تأخر - غيرَ ضنين - غناؤه (٤) فأبطأ الدلاء (٥) فيضاً أمؤها ، وأثقل السحائب مشياً أحفلها (٦) ، وأنفع الحياء (٧) ما صادف جدباً ، وأذ الشراب ما أصاب غليلاً (٨) ؛ ومع اليوم غدٌ ، ولكل أجل كتابٌ . له الحمد على اهتباله (٩) ولا عتبَ عليه في اغتفاله (١٠)

فان يكن الفعل الذى ساء واحداً فأفعاله اللاتى سررن أوف (١١)

### القاضى الفاضل

هو أبو على عبد الرحيم البيسانى (١٢) اللخمي (١٣) ، كاتب الديار المصرية ، وصاحبُ الطريقة الفاضلية ، والكتابة البديعية . ولد بمدينة عسقلان (١٤) سنة ٥٢٩ وتعلم على أبيه (١٥) وغيره . ولما شدا من العربية شيئاً قديم مصر وهو شابٌ أواخرَ الدولة الفاطمية لتعلم الكتابة والخدمة في الديوان وتوجه إلى ثغر الاسكندرية . وتعلم في ديوان ابن حديد قاضياً وكاتبها . وظهر فضله فيما كان يرسله الى القاهرة من الرسائل ، فاستقدم أيام الظاهر اليها ، وكان من كتاب ديوانه . ولازم خدمة أكبر القضاة والكتاب في الديوان وأخذ عنهم وحاكهم ولما سقطت الدولة الفاطمية تولى وزارة صلاح الدين بن أيوب ، وكان يتردد بين مصر والشام في الحروب الصليبية ، ودبر المملكة أحسن تدبير . وبقي في الوزارة حتى مات صلاح الدين فوزر لابنه العزيز على مصر ثم وزر من بعده لأخيه الأفضل ومات سنة ٥٩٦ هـ

(١) تزول (٢) يوقنى في الرب وسوء الظن (٣) عطاؤه وعرفه ، والمراد به هنا الرضا والمعفو (٤) نغمه ومعروفه (٥) جمع دلو (٦) املؤها (٧) المطر (٨) شدة عطش (٩) الاهتبال الاغتنام - أى على اغتنامى منه نعمته السابقة (١٠) أى اهماله لى (١١) البيت للمتنبى وواحداً خبر يكن (١٢) نسبة الى بلدة بفلسطين (١٣) نسبة الى قبيلة لحم الجمانية (١٤) بلدة على ساحل فلسطين شمالي غزة وهى خربة الآن (١٥) هو قاضى عسقلان بهاء الدين على البيسانى



وكان خيرًا. دينيًا، مُحسنًا، وفيًا، مغرمًا بجمع الكتب. وبلغ عدد ما جمعه من أقطار الأرض منها نحو مائة الف مجلد. ومهر القاضى الفاضل فى الكتابة، وطوَّح به استنقلاله فيها الى توليد طريقة غريبة أخذ أصولها عن بعض كُتاب الشام والعراق ومصر فجعل أصولها السجع الطويل غالبًا والاستعارة والطباق ومراعاة النظير والتاميح. وغالى جدًّا فى التورية والجناس فأصبحت الكتابة بهذه الطريقة صناعيةً محضة تجرى مع مناسبات الألفاظ أكثر من جريانها مع اصابة الغرض والبلاغة. وكانت كتابة القاضى الفاضل مع كل هذه القيود بليغةً فى ذاتها لسعة اطلاعه وغزارة مادته، وسرعة بديهته، وصفاء خاطره؛ إلا أن طريقته خدعت بعده كُتاب مصر والشام وغرَّبت إلى الأندلس، فتكلف الجرى عليها كلُّ قليل البضاعة من الأدب مُعتمداً على عمل البديع الذى لا يكلف صاحبه أكثر من معرفة خمسين أو ستين نوعاً منه. فظهرت سيئات هذه الطريقة فى العصور التى تلت عصره

وكتب من رسالة يصف قلعة فتحت: هى نجم فى سحاب، وعُقاب فى عقاب (١)، وهامة، لها العمامة عمامة، وأتملة اذا خصَّبت الأصيل كان الهلال لها قلامة (٢) عاقدة خبوة (٣) صالحها الدهر إلا يحلها بقرعه (٤) بادية عصمة صاحبها الزمن على أن يروعها بخلجها (٥) فاكتسفت بها عقارب منجنيقات لم تطبع طبع حمص فى العقارب، وضربتها بحجارة أظهرت فيها العداوة المعلومة فى الأقارب (٦)؛ فلم يكن غير ثلاث إلا وقد أثرت فيها الحجارة جُدرياً بضر بها، ولم تصل الى السابعة إلا والبحر مؤذن بنقها؛ فاتسع الخرق على الراقع، وسقط سعده عن الطالع، الى مولد من هو اليها طالع، وفتحت الابراج فكانت أبواباً، وسيرت الجبال فكانت سرايا

(١) جمع عقبة (٢) ما يقص من الظفر (٣) أن يجمع الاعرابى بين ظهره وساقه فى جلوسه بثوب أو عمامة وهى جلسة مريجة (٤) بجادته (٥) الخلع نوع من الطلاق (٦) أى أن حجارة المنجنيقات تضرب حجارة القلعة



## التدوين والتصنيف

كانت الحاجة الى التدوين قد اشتدّت في مبداء الدولة العباسية لانتساع ممالك الاسلام ، ولدخول كثير من الأمم المتحضّرة فيه ولتعدّد الوقائع والحوادث التي لم يكن لها نظيرٌ فيما سبق من السنة . فهبّ العلماء الى تهذيب ما كتُب في الصحف المتفرّقة ، وما حفظوه في الصدور . ورتبوه وبوّبوه وصنّفوه كتُبًا . وكان من أقوى الأسباب لإقبال العلماء على التصنيف حتّى الخليفة أبي جعفر المنصور عليه ، وحمله الأئمّة والفقهاء على جمع الحديث والفقّه . وبذله في سبيل ذلك الأموال الجزيلة . ولم يقتصر على معاضدة العلوم الاسلامية ، بل أوعزّ الى العلماء والمترجمين من السريان والفرس أن ينقلوا الى العربية من الفارسية واليونانية فنون الطب والسياسة والحكمة والفلك والتنجيم والآداب . وتابعه في ذلك أولاده وأحفاده . حتى زخرت بحجور العلم واخترعت الفنون وتفرّعت المسائل ودونت الكتب في كلّ فنّ واقسمت بذلك العلوم قسمين عظيمين :

(١) العلوم الإسلامية من شرعية ولسانية (ب) العلوم الكونية المنقولة  
ولكل من هذين في نشأته طريقٌ محدودةٌ ، ورجالٌ معدودة . ويعتبرون أن سنة ١٤٣ هـ هي مبداء النهضة العلمية العربية<sup>(١)</sup>

### كتابة التصنيف والتدوين

وكانت كتابة التصنيف والتدوين في القرن الأول وبعض الثاني من النهضة عبارةً عن سلسلةٍ من الروايات المسندة الى روايتها : من أحاديث نبوية ، أو أقاويل صحابة ، أو فتاوى فقهاء ، أو أشعار أعراب ، أو أخبار فتوح ، أو نوادر أو غير ذلك . وبعضها يروى بلفظ أصحابها غالبًا كما في الشعر والخطب والرسائل ، وبعضها

(١) وهي السنة التي حج فيها المنصور والتقى في المدينة بمالك بن أنس وأمره بتأليف كتاب الموطأ في الفقه والحديث ، وعند رجوعه الى الامصار أوعز بنفسه وبولاته الى العلماء بتدوين الكتب في كلّ فن ، وكان أكثرهم يحجم عن التأليف تورعا وخوفا من الزلل ومن أن عملهم قد يفضي على طول الزمان الى تحريف الدين وخطئه بأراء الناس



بلفظ الراوى، كما فى أخبار الفتوح والتاريخ والقصص. ثم ظهرت بعد ذلك فى العلوم الشرعية واللسانية طبقات الاستنباط والتعليل والتفريع والشرح والاختصار وجمع الفروع تحت كليات عامة؛ فلم يكن للمؤلفين بدٌّ من حذف أسانيد الروايات وترك المحافظة على نقلها بلفظها الا فى الحديث ونحوه

أما كتب العلوم المترجمة فكانت عبارتها هى تفسير الفاظها الأعجمية بالعربية. ولم تكن ترجمتها جيدة فى عهد المنصور. ثم صُحِّحت ترجمتها فى زمن الرشيد والمأمون. ثم لما أُنقِنَ كثيرٌ من فلاسفة المسلمين هذه العلوم كتبوا فيها بعبارتهم. وكانت أول أمرها بليغة مفهومة ثم عمَّوها على بعض القهَّاء المُكفِّرين لهم والمغربين الأمراء والسلاطين بقتلهم، حتى أصبحت عبارة كتب الفلسفة والتوحيد أصعب ما يقرأ باللسان العربى

### العلوم اللسانية ونشأتها

العلوم اللسانية هى الأدب، والتاريخ، والعروض، والنحو، واللغة، والبلاغة

### الأدب

علم الأدب بالمعنى الذى ذكرناه فى أوّل الكتاب يمتاز من بقية العلوم الصناعية ذوات القواعد كالنحو والبلاغة، ومن التاريخ وفروعه، وان كان يتوقف على الإلمام بها. وكانت كتبه أوّل هذا العصر رسائل يَبْحَثُ كلُّ منها فى ضرب خاصٍّ من ضروبه، كرسائل ابن المقفّع ورسائل سهل بن هرون<sup>(١)</sup> فى الاخلاق، وكتاب النوادر وكتاب الاراجيز، وكتاب الشعر للاصمعى، وكتاب الشعر والشعراء لأبى عبيدة<sup>(٢)</sup> وإذا تابعنا من يقول إن ابن المقفّع هو الذى ابتدع كتاب كلية ودمنة ونحلّه الهند والفرس كان هذا الكتاب أوّل كتاب ظهر فى الادب العربى الخاصّ بموضوع واحد

(١) هو أحد الكتاب والمؤلفين من أبناء الفرس وكان شعوبيا يتفلسف ويفضل البخل على الجود، وخدم فى دولة المأمون بالترجمة والتأليف والقيامه على المكتب (٢) هو مومر بن المنثى احد أئمة العربية وقرين الاصمعى فى المنزلة والتلمذة للخليل. وكان شعوبيا أيضا توفى سنة ٢٠٩



وأول كتاب ظهر فيه جامع لفنون كثيرة منه كتاب البيان والتبيين ،  
وكتاب الحيوان للجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ ، واقتفى أثره احمد بن طيفور<sup>(١)</sup> في كتابه  
العظيم المنظوم والمنثور في أربعة عشر جزءاً ، ثم أبو العباس محمد المبرّد<sup>(٢)</sup>  
في الكامل والروضة ، ثم أبو حنيفة الدينوري<sup>(٣)</sup> ، وأبو بكر محمد الصولي<sup>(٤)</sup>  
وابن قتيبة<sup>(٥)</sup> صاحب أدب الكاتب ، وابن عبد ربه صاحب العقد الفريد ،  
وأبو علي القالي<sup>(٦)</sup> صاحب الأملی ، وأبو الفرج الاصبهاني<sup>(٧)</sup> صاحب الأغاني وغيرهم  
ومن أشهر المؤلفين في الأدب الجاحظ واحمد بن عبد ربه والحريري . وها هي  
ذی تراجمهم :

### الجاحظ<sup>(٨)</sup>

هو إمام الأدب أبو عثمان عمر بن الجاحظ بن بجر بن محبوب الكِنَاني  
البصريّ صاحب التصانيف الممتعة والرسائل المبدعة

ولد حوالي سنة ١٦٠ بمدينة البصرة ، ونشأ بها ، وفتاوى كل فن ، ومارس كل  
علم عرف في زمانه ، مما وضع في الاسلام ، أو نقل عن الأمم الأوائل ، فأصبح له  
مشاركة في علم كل ما يقع عليه الحسّ أو يخاطر بالبال ؛ فهو راوية ، متكلم ،  
فيلسوف ، كاتب ، مصنف ، مترسل ، شاعر ، مؤرخ ، عالم بالحيوان والنبات

- (١) هو من تلاميذ الجاحظ توفي سنة ٢٨٠ ويوجد من كتابه هذا ثلاثة أجزاء في دار  
الكتب المصرية (٢) أخذ العلم من تلاميذ الاصمعي وكان أمام البصريين في زمانه وكتابه  
الكامل من خيرة كتب الادب المطبوعة وتوفى سنة ٢٨٥ (٣) هو أعلم علماء النبات وكتاب  
النبات له من أمهات كتب هذا الفن وله غيره تأليفات كثيرة في الادب وتوفى سنة ٢٨٢
- (٤) من كبار مؤلفي الادب وظرفاء الندمان وألب أهل زمانه بالشرنج وتوفى سنة ٣٣٥
- (٥) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم من كبار كتاب الادب وأئمة اللغة والنحو توفى سنة ٢٧٦
- (٦) كان من كبار أدباء المشرق رحل الى خلفاء بني أمية بالاندلس وحظي عندهم وأصله  
من قالي فلا بأرمينية توفى سنة ٣٥٦ (٧) هو علي بن الحسين من سلالة بني أمية - وكتابه  
الاغاني أشهر من أن يذكر توفى سنة ٣٥٦ (٨) يسمى الجاحظ والحدق أيضا لبحوظ  
حدق عينيه وكان دمهم الوجه



والموات ، وصَّافٌ لأحوال الناس ووجوه معاشهم واضطرابهم وأخلاقهم وحياتهم  
الآن أنه غلب عليه أمران : الكلام على طريقة المعتزلة ، فهو بذلك امام الطائفة  
الجاحظية من المعتزلة ، والأدب الممزوج بالفلسفة والفكاهة ؛ فهو أوَّل من ألف  
الكتب الجامعة لفنونه ككتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وغيرها  
وكان غايةً في الذكاء ودقة الحسِّ وحسن الفراسة ؛ الى دُعابة فاشيةٍ ، وقلة  
أعدادٍ بما يأخذ به الناس أنفسهم وينتحلونَه من الرسوم والعادات وأنواع العصبية  
المذهبية ، وعدم مبالاةٍ بوقوع المتورِّعين فيه . وكان سمحاً جواداً كثير الموااساة  
لاخوانه . وكان على دمامة خاتمه وتناقض خلقه خفيف الرُّوح ، فكِية المجلس ،  
غايةً في الظُّرف وطيب الفكاهة وحلاوة الكلام . وهو على الجملة أحد أفذاذ  
العالم ، وإحدى حجج اللسان العربيّ

### فصاحته وكتابته

قرأ الجاحظ أ كثر الكتب المعروفة في زمنه اسلاميةً ومنقولةً ، فاستخلص  
بذكائه العجيب من كل ذلك علوماً جمّةً فألف أشتاتاً على تنافرِها ونسقَ ضروبها  
مع تضارُبها ، فتظامن له بلطفه شامحُها واتقاد له بحسن رياضته حرونها فتهيأ لملكته  
منها جملةٌ مطاوعة لارادته يستنبط منها ما شاء ويصرفها أي شاء ، وانتحل لنفسه من  
طرق البلغاء والمصنِّفين طريقةً كان أبا عذرتها وابن بجدتها<sup>(١)</sup> وهي طريقته التي  
تحبب القراء في القراءة : بتوحيّ التصنيف في الموضوعات الشبيهة اللذيذة ، أو التي لم  
يسبق إليها كاتب ، أو الأمور الحقيرة التي لا يخطر على البال أن يؤلف فيها كلاماً ،  
مع سهولةِ عبارةٍ وجزالةِ لفظٍ وإطنابٍ غير مملِّ باستعمال كثير من مترادفِ  
الألفاظ والجمال العذبة واستطرادٍ مروِّح على النفس : بايراد طريف الاخبار والنوادر  
ومزج للجد بالهزل ، واستقصاءٍ وتغلغلٍ في وصف ما يعني بشرحه أو الاحتجاج له ،  
وتلطفٍ لتعظيم الصغيرِ حتى يعظم وتصغيرِ العظيمِ حتى يصغر

(١) يقال فلان أبو عذرة هذا الامر أى أول من سبق اليه ، والبجدة العلم وباطن الامر  
وداخله وابن بجدة هذا الامر أى العالم به



وأقام الجاحظ أكثر عمره بالبصرة يعيش معيشة الأدباء والعلماء محبوباً لولاتها وأعيانها محبوباً منهم بالعطايا والمنح بما يصنّفه لهم من الكتب المتفهمة مع أهوائهم المختلفة وتكسب قليلاً بالكتابة في ديوان السلطان زمن وزارة ابن الزيات وكان كثير الانتجاع للخلفاء والوزراء ورجال الدولة ببغداد وسراً من رأى حتى فليج بالبصرة وبقى مفلوجاً بها مدةً إلى أن انتقل إلى بغداد فمات بها ودفن بمقبرة الخيزران<sup>(١)</sup> سنة ٢٥٥ هـ وله أكثر من مائتي كتاب طبع منها في مصر كتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وكتاب البخلاء وكتاب التاج (في أخلاق الملوك) ومجموع لبعض رسائله

### أحمد بن عبد ربه

هو أديب الأندلس وشاعرها أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي صاحب العقد الفريد

ولد رحمه الله تعالى سنة ٢٤٦ هـ ، ونشأ بمدينة قرطبة ، ودرس علوم العربية من الشعر والأخبار والملح والنوادر والتاريخ واللغة والنحو ، فنبغ في جميعها ، وحفظ منها ما لم يحفظه أحدٌ من علماء زمانه ، وقرأ رسائل المحدثين من المشاركة وما ترجم من كتب الأوائل في أكثر العلوم وأودع زُبْدَ ذلك كتابه العقد الفريد

وكان رحمه الله يشتغل في حديثه بالشعر ويجرى في مضمار اللهو والطرب ونظم في ذلك من القصائد والمقطعات الرقيقة الجميلة ما جعل المتنبي - على صلّفه وكبره - حين سمع شعره يسميه (مليح الأندلس) . ثم ألقع في كبره عن صبوته وأخلص لله في توبته فاعتدّ أشعاره التي قالها في الغزل واللهو عملاً باطلاً وعمل على أعاريضها وقوافيها قصائد في الزهد يعارضها بها وسماها الممحّصات . ونال من خلفاء بني أمية بالأندلس دنيا عريضةً وحلّ عندهم في المكان الأسمى

وبقى بقرطبة رئيساً مسوداً حتى فليج . وعاش كذلك عدّة سنين ثم مات بها

سنة ٣٢٨ هـ

(١) الخيزران هي أم الرشيد



## كتاب العقد الفريد

لا يختلف اثنان في أن كتاب العقد الفريد من أجمل كتب الأدب العربي وأربابها فائدة وأصدقها خبراً وأحسنها تبويباً وتفصيلاً

اقتصر مؤلفه في أكثره على جمع أخبار المشرق ، وأخبار كتابه وأدبائه ليتحف بها أهل وطنه ؛ إلا أن اشتهاره وجزالة فائدته لم يقف به عند هذا الحد ، بل رجع إلى أهل المشرق وعدّ من أركان الأدب بين كتبهم ، فأقبلوا على دراسته والاعتباس منه ولا سيما متأخريهم . وأما منزلة الكتاب بيننا الآن فهو استاذ كل متأدب في عصرنا هذا ، ولبت الناس في نصف القرن الماضي وقلما كانت لهم في الادب والكتابة مادّة سواه وسوى مقدّمة ابن خلدون لسبقهما في الطبع والنشر أكثر الكتب ؛ ولولا أنهما وقعا محرّفين في جميع مرار طبعهما لقل أن يفضّلهما كتاب أدب طبع إلى الآن

وللعقد الفريد فوق هذا منزلة لا يعد له فيها سواه ، وهي جمعه لكثير من الرسائل والخطب والقصص والفوائد التاريخية التي بادت الأصول المأخوذة هي عنها وبقيت مخلّدة فيه مثل مشاورة المهدي لأهل بيته ، وخطب الوفود وغير ذلك . ويؤخذ عليه بعض هفوات صغيرة في نقله بعض أخبار المشرق بلا تحقيق ، وعذره في ذلك مقبول

## الحريريّ

هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري الكاتب الشاعر الغوي النحوي صاحب البدائع المأثورة في مقاماته المشهورة

وهو عربي الأصل ينتسب في ربيعة الفرس . ولد سنة ٤٤٦ بمشأن البصرة ، وسكن محلّة بني حرام بمدينة البصرة فنسب إليها ، وانقطع لتعلم اللغة والنحو والأدب حتى صار نادرة زمانه فيها ، وامتاز بصناعة الانشاء البديعي . فحاكي بديع الزمان الهمداني في عمل المقامات ، وأنشأ خمسين مقامة ، أتى فيها على كثير



من موادّ اللغة وفنون الأدب ، وأمثال العرب وحِكَمها ، وبعض مسائل العلوم الدقيقة - بعبارة مُسجّعة مزينة بأنواع البديع ، ولا سيما الجناس ترغيباً للطلاب في حفظ اللغة وأدبها وتفكيكها لهم بقراءتها . ونحلّ وقائعها أبا زيد السُّروجي ، وهو أعرابيٌّ فصيحٌ من سُرُوج<sup>(١)</sup> كان قد قدّم البصرة وأعجِب به علماؤها ، وسمى راويها عنه الحارث بن همام (يُرِيدُ نفسه) وأهداها الى الوزير جمال الدين بن صدقة وزير المسترشد العباسي ، فأصبحت هذه المقاماتُ أمثالٌ مثالٌ يَحْتَدَى في الكتابة البديعية التي غلبت على الكتابِ أواخر العصر العباسي ، وتوارثها من بعدهم إلى قَبيلِ عصرنا الحاضر وان لم يستطيعوا الإِجادة فيها . وقد شُرِحت المقامات عدّة شروح ، وتُرجمت الى عدة لغات . وغاية ما أخذه كتاب الإفرنج عليها وحدة مغزاهوا أن أكثرها لا يخرج عن اكتساب المال بطرق خسيصة كالشحاذة والاستجداء وللحريري العذر في ذلك لأن فرض روايتها عن الاعراب (وهم كانوا لا يقدّمون المدن إلاّ منتجعين مستجدين) يجعل خياله مقبولاً

وله غير المقامات شعراً كثير ورسائل بديعة وكتب في النحو واللغة ، منها كتابة درّة الغواص في أوهام الخواص ، وملحة الإعراب في النحو ، وتوفي بالبصرة سنة ٥١٥

### فن التاريخ

قدمنا أن أوّل ما وضع في التاريخ باللغة العربية هو الكتاب الذي وضعه عبيد ابن شربة لمعاوية رضوان الله عليه ، وفي صدر الدولة العباسية وضع كثير من العلماء كتباً في التاريخ بأقسامه التي من أشهرها :

- (١) فن السير والمغازي - وأشهر من ألف فيه من الأوائل محمد بن اسحاق<sup>(٢)</sup>
- (٢) فن الفتوح - وأشهر من ألف فيه منهم الواقدي<sup>(٣)</sup> والمدائني<sup>(٤)</sup> وأبو مخنف<sup>(٥)</sup>

(١) بلدة كانت بالجزيرة الفراتية . (٢) توفي سنة ١٥١ (٣) هو أبو عبد الله محمد ابن عمر بن واقد مولى بني هاشم توفي وهو قاض ببغداد سنة ٢٠٧ (٤) هو المؤرخ الثقة أبو الحسن علي بن عبد الله المدائني توفي سنة ٢٢٥ (٥) هو لوط بن يحيى المؤرخ الاخباري توفي سنة ١٥٧



(٣) فن طبقات الرجال - وأشهر علمائه القدماء ابن سعد (١) كاتب الواقدي  
والبخاري

(٤) فن النسب - وأشهر قدماء علمائه الكلابي (٢) وابنه

(٥) فن أخبار العرب وأيامها - وأشهر علمائه أبو عبيدة والأصمعي

(٦) قصص الأنبياء وكتب فيه كثيرون

(٧) تاريخ الملوك ومن أقدم من كتب فيه ابن قتيبة والهيثم بن عدى (٣) وابن

واضح اليعقوبي (٤) ثم شيخ المؤرخين وعمدتهم محمد بن جرير الطبري (٥) الجامع كتابه

هذه الفنون السابقة مرتباً على حسب السنين الهجرية وحاكاه بعده ابن الأثير (٦)

على في تاريخه الكامل

### العروض والقافية

أول من اخترع علم العروض الخليل بن أحمد من غير سابقة تعلم على أستاذ  
أو تدرّج في وضعه ، بل ابتدعه جملة واحدة وحصّر فيه أوزان العرب في خمسة عشر  
بجراً وزاد عليه تلميذ تلميذه الأخفش بجزراً آخر ثم لم يزد عليهما أحد من تأخر  
عنهما شيئاً يُعتدُّ به

أما القافية فقد كان العلماء قبل الخليل يتكلمون فيها ولكن الخليل هو أول  
من فصل الكلام فيها وجعلها علماً مدوّناً

### النحو

جاءت الدولة العباسية والنحو علم يدرّس في المساجد بالبصرة والكوفة ولكن  
البصريين سبقوا الكوفيين في الاشتغال به كما سبقهم الكوفيون في الاشتغال  
بالشعر وعلم الصرف

(١) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري توفي سنة ٢٣٠ (٢) هو أبو نصر

محمد بن السائب النسابة المفسر توفي سنة ١٤٦ هـ . وابنه هو النسابة أبو المنذر هشام بن محمد

توفي سنة ٢٠٤ (٣) هو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدى الراوية المؤرخ توفي سنة ٢٠٦

(٤) هو أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الرحالة توفي سنة ٢٧٨ (٥) توفي سنة ٣١٠

(٦) توفي سنة ٦٣٠



ومن أكبر الأئمة الذين اشتغلوا بالنحو وهذبوه وفصلوه من البصريين أبو عمرو ابن العلاء<sup>(١)</sup> وتلميذه الخليل وتلميذ الخليل سيديويه صاحب أول كتاب عظيم جامع وضع في النحو، ثم بعده الأخفش<sup>(٢)</sup> تلميذ سيديويه وشارح كتابه . ومن الكوفيين معاذ الهراء<sup>(٣)</sup> والرؤاسي<sup>(٤)</sup> وتلميذهما الكسائي وتلميذه الفراء<sup>(٥)</sup>

ثم لما زحرت بغداد بالعلوم وكثرت الفتن بالبصرة والكوفة، هاجر منها إليها كثير من العلماء امتزجت مذاهبهم وتكوّن منها مذهب بغدادى جديد . وكذلك اختار الاندلسيون لأنفسهم مذهباً رابعاً<sup>(٦)</sup> . وكل هذه المذاهب مقتبسة إما من مشافهة الأعراب الفصحاء أو من مدارس دواوين شعرهم . أو من مدارس القرآن الكريم . وفي النحو والصرف ما لا يحصى من الكتب : مطولات ومختصرات . وهو من العلوم التي نضجت وأينعت

### علم اللغة

ويسمى متن اللغة ، ونعنى به معرفة معانى ألفاظها المفردة، وأول ما وضع الأئمة فيه رسائل وكتبٌ صغيرة في موضوعات خاصة : كالألفاظ المتعلقة بخلق الانسان أو الجمل أو الفرس أو النخلة أو السيف . فلما ظهر الخليل أحصى ألفاظ اللغة بطريقة حسابية في كتاب ، ورتبه على حروف المعجم ، مقدماً حروف الخلق ومبتدئاً منها بالعين ،

(١) هو الحجة الثبت القنوي النحوى الراوية واسمه كنيته . توفى سنة ١٥٤ (٢) هو

أبو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش الاوسط توفى سنة ٢١٥

(٣) هو أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء واضع علم الصرف وأقدم نحاة الكوفة ، توفى سنة ١٨٧

(٤) هو أبو جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي شيخ الكسائي والفراء وأول من ألف في نحو الكوفيين

(٥) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء امام النحاة الكوفيين والبغداديين توفى سنة ٢٠٧

(٦) لم يتكوّن مذهب الاندلسيين الا بعد أن قلت رحلاتهم الى المشرق في القرن الرابع وما

بعده لكثرة الفتن فيه ولكساد سوق العلم عند ملوكه من الاعاجم وفساد السليقة في الجزيرة .

وكان الاندلسيون قد نقلوا من السنة وكلام العرب الكثير الجم فكفوا عليه واستدركوا على المشاركة

ما فاتهم من قواعده ، وعدلوا عن بعض آرائهم فيه . وحفظوا تراثه لاهل العربية زمناً كاد يصفر

الشرق من أهله أواخر العصر العباسي والمصر الذي بعده . ومن أشهرهم في هذا العصر ابن

سيده وابن خروف وابن عصفور والاعلم الشنتمرى وابن الضائع



ولذلك سمي معجمه « كتاب العين ». ثم ألف أبو بكر بن دُرَيْدٍ (١) معجمه العظيم الذي سماه الجَمْهْرَةَ مرتباً له على حروف المعجم بترتيبها المعروف الآن . وأدرك عصره الأزهرى (٢) فألف كتاب التهذيب على ترتيب الخليل . ثم وضع الجوهري (٣) كتابه المسمى بالصحاح على ترتيب الجَمْهْرَةَ ، وابن سيده (٤) الأندلسي كتابه المحكم على ترتيب الخليل . وابن فارس (٥) كتابه المجمل ، والصاحب ابن عباد كتابه المحيط . وهذه هي أصولُ كتب اللغة ، وما بعدها : من العُباب والتكملة ومجمع البحرين للصاغاني (٦) والنهاية لابن الأثير (٧) ، ولسان العرب لابن مُكْرَم (٨) ، والمصباح للفيومي (٩) والقاموس الفيروزآبادي (١٠) فهو جمع لها أو اختصار منها

### علوم البلاغة

#### المعاني والبيان والبديع

لم يصنف العلماء في هذه العلوم إلا بعد أن فرغوا من تدوين العلوم التي تحفظ الكلام العربي من حيث اعرابه وتصريفه ومادته . فلما أتوا ذلك بحثوا في بلاغة الكلام

ويظهر أن أوّل كتاب دُوّن في هذه العلوم كان في علم البيان وهو كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة تلميذ الخليل ، ثم تبعه العلماء . ولا يعلم أوّل من ألف في المعاني بالضبط وإنما أثير فيها كلامٌ عن البلغاء ، وأشهرهم الجاحظ في أعجاز القرآن وغيره . وأوّل

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي توفى سنة ٣٢١ هـ (٢) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر المتوفى سنة ٢٧٠ هـ (٣) هو أبو نصر اسمعيل بن حماد الجوهري المتوفى في حدود سنة ٤٠٠

(٤) هو أبو الحسن علي بن اسمعيل الأندلسي الضرير المتوفى سنة ٤٥٨ هـ

(٥) هو أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي المتوفى سنة ٣٩٥ هـ

(٦) هو أبو الفضائل رضى الدين الحسن بن محمد الصاغاني الرحالة المتوفى سنة ٦٥٠ هـ

(٧) هو أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الجزري المتوفى سنة ٦٠٦ هـ

(٨) هو أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المشهور بابن منظور أيضا توفى سنة ٧١١ هـ

وهو من أهل العصر التالي

(٩) هو أحمد بن محمد علي المقرئ الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠ هـ من أهل العصر التالي

(١٠) هو أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب المتوفى سنة ٨١٦ هـ من أهل العصر التالي



من دون كتباً في علم البديع ابن المعتز وقدامة بن جعفر<sup>(١)</sup>. وقبل ذلك كان البديع يُستعمل في الشعر عملاً. وبقيت هذه العلوم تتكامل ويزيد فيها العلماء حتى جاء فحلُ البلاغة عبدُ القاهر الجرجاني<sup>(٢)</sup> فألف في المعاني كتابه دلائل الإعجاز. وفي البيان كتابه أسرار البلاغة. وجاء بعد السكاكي<sup>(٣)</sup> فألف كتابه العظيم مفتاح العلوم: فبسط مسائل البلاغة بما لم يزد عليه غيره فيها شيئاً كبيراً من أصول الفن

### الخليل بن احمد

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي البصري نابعة العرب، وسيد أهل الأدب، ومخترع العروض ومبتكر المعجمات، وصاحب الشكل العربي المستعمل الآن

ولد سنة ١٠٠ بالبصرة ونشأ بها، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة زمانه وأكثر الخروج إلى البوادي، وسمع الأعراب الفصحاء، فنبغ في العربية نبوغاً لم يكن لاحد من تقدمه أو تأخر عنه، وكان غاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله، فبسطه وفرّع على أصوله وجعله علماً مضبوطاً ولقن ذلك تلميذه سيبويه، فكان كتابه الذي يعتبر أصل كل كتاب في النحو معقوداً أكثره بلفظ الخليل. والخليل هو الواضع للشكل المستعمل الآن في ضبط الحروف ومما يشهد له بجدّة الفكر وبعد النظر اختراعه العروض علماً كاملاً لم يحتاج إلى تهذيب بعده، وابتكاره طريقة تدوين المعجمات بتأليف كتاب العين، وتدوينه كتاباً دقيقاً في الموسيقى على غير معرفة بلغة أجنبية واشتغال بلهوه. وزاد في الشطر نج قطعة سماها جملاً لعب بها الناس زمناً. وبقي الخليل مقماً بالبصرة طول حياته زاهداً متعففاً متقشفاً مكباً على العلم والتعليم حتى مات سنة ١٧٠ هـ ويقال في سبب موته انه قال أريد أن أعمل نوعاً من الحساب تضي به الجارية إلى البقال فلا يظلمها، فدخل المسجد وهو يعمل فكره فاصطدم في سارية صدمة شديدة اترج منها دماغه واعتل من ذلك ومات رحمه الله تعالى

(١) هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٣١٠ هـ

(٢) هو ابو بكر عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ

(٣) هو ابو يعقوب سراج الدين يوسف السكاكي الخوارزمي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ



سيبويه

هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبرَ إمامُ البصريين وحجة النحويين وصاحب الكتابِ شيخِ الكتبِ (١)

ولد بالبيضاء من سلالة فارسية؛ ونشأ بالبصرة، وكان يطلب أوّل أمره الحديث والفقّه. فعبيدٌ عليه لحنَةٌ لحنها في مجلسِ شيخه فنجلٍ وطلب النحوَ ولازم الخليلَ، وأخذ عن غيره أيضاً. وكان الخليلُ يُؤثِّره على أصحابه، فدوّن جميع ما أخذه عنه ونقله عن غيره في كتابه الذي لم يُجمَع قبله مثله. ولولا هذا الكتابُ الذي رواه عنه وشرّحه تلميذه الأخفشُ ما كان لسيبويه خبرٌ يشهر: لوفاته كهلاً ولقلة من أخذ عنه هذا الكتابُ؛ ولأنه لا يُعرف له كتابٌ غيره، وبحسبِكَ هو. ولما أحس فضل معرفته في النحو وأنه أصبح شيخَ البصريين، خرج إلى بغداد وافداً على البرامكة، فجمعه يحيى بنُ خالد الكسائي شيخ الكوفيين. فتناظرا في مجلسٍ أعد لذلك، فكان من مسائل المناظرة أن سأله الكسائي: ما تقول في قول العرب: (كنت أظن أن العقرَبَ أشدُّ لسعةً من الرُّثْبُورِ فاذا هو هي، أو فاذا هو اياها) فقال سيبويه: فاذا هو هي، ولا يجوز النصب. فقال الكسائي: العربُ ترفع ذلك وتنصبه. واشتد بينهما الخلافُ، وتحاكما إلى رُواة الأعرابِ يباب يحيى فقصوا للكسائي، فاستكان سيبويه، فقال الكسائي ليحيى (أصلح الله الوزير) وقد عليك مؤملاً فإن رأيت أن لا تردّه خائباً. فأمر له بعشرة آلاف درهم

وما يُروى في هذه الحكاية من غير هذا الوجه فمن زيادة متعصبي البصريين، وليس في العلم كبيرٌ. وخرج سيبويه بعد هذه المناظرة إلى ناحية بلدته البيضاء بفارس ومات بها سنة ١٨٠ هـ بعد نحو عشر سنين من المناظرة. وسنه نيف وأربعون سنة

(١) كان إذا ذكر الكتاب عند النحويين والادباء فأنما ينصرف إلى كتاب سيبويه فهو علم عليه بالغلبة، وهو أصل كل كتاب في النحو ولهذا ولقدّم وضمه أطلقنا عليه (شيخ الكتب)



## الكسائي

هو أبو الحسن علي بن حمزة أحد القراء السبعة وإمام الكوفيين في النحو واللغة نشأ بالكوفة وتعلم على الكبر بعد لجنة لحنها أمام جمع من طلبة العلم، فلزم أمة الكوفة حتى أفد ما عندهم، ثم خرج الى الخليل بالبصرة وجلس في حلقة، وأعجبه علمه فقال له: من أين علمك هذا؟ قال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة؛ فخرج اليها وأفد خمس عشرة قنينة خبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ عنهم. ولما رجع من البادية وجّه اليه المهدي فخرج الى بغداد فخطب عنده وضمه الى حاشية ابنه الرشيد، ثم جعله الرشيد مؤدّب ولده الأمين، وبقي وجيباً عنده فكان يُجلسه هو والقاضي محمد بن الحسن<sup>(١)</sup> صاحب أبي حنيفة على كرسيين متميزين بحضرتهم، ويأمرهما أن لا ينزعجا لقيامه ومجيئه. ومازالا على هذه الكرامة حتى خرج الرشيد الى الرّي<sup>(٢)</sup> وهما في صحبته، فماتا في يوم واحد فبكاهما وقال: دفنتُ الفقه والعربية بالرّي وذلك سنة ١٨٩ هـ. وقد انتهت اليه إمامة القراءة والعربية بالكوفة وبغداد، واختار لنفسه قراءة أقرأ بها الناس. وكان يروى الشعر وليس له فيه جيدٌ نظر

## العلوم الشرعية

### التفسير

لم يدوّن علم التفسير في كتب جامعة تجمع سور القرآن الكريم كلها إلا في عصر الدولة العباسية. وكان التفسير عبارة عن نقل روايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه تبين المراد من آياته، وأوّل طبقة من المفسرين أدركت الدولة العباسية أو نشأت في صدرها طبقة سفيان بن عيينة<sup>(٣)</sup> ووكيع بن الجراح<sup>(٤)</sup>

(١) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني وأحد صاحبي أبي حنيفة (٢) كانت من حواضر بلاد فارس والقرب من اطلالها انشئت مدينة طهران الحالية (٣) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون مولى بني هلال المحدث الفقيه المفسر توفي سنة ١٩٨ بمكة (٤) هو أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح صاحب أبي حنيفة وأحد المحدثين المفسرين العباد توفي سنة ١٩٨ هـ



وشعبة بن الحجاج واسحق بن راهويه<sup>(١)</sup> ومقاتل بن سليمان<sup>(٢)</sup> والفراء  
ومن أشهر التفاسير التي رُويت من طريقهم تفسيرُ ابن عباس<sup>(٣)</sup> ، وقد رُوِيَ  
من طرق مختلفة صححاً وضعفاً ، وطُبِعَ ببعض طرقه الضعيفة في مصر ، فهو بذلك  
أقدمُ تفسيرٍ نعرفه. ثم جاءت بعد هذه الطبقة طبقة أبي جعفر محمد بن جرير الطبري<sup>(٤)</sup>  
وتفسيره أوّل كتابٍ عظيمٍ صحيحٍ وضع في التفسير على مذهب السلف ، وتابعه  
في ذلك الثعلبي<sup>(٥)</sup> وتلميذه الواحدي<sup>(٦)</sup> . ومنهم استمدّت كل ذى تفسير بعدهم .  
ثم نشأت طائفةٌ أدخلت في التفسير بعض مباحث العلوم الأخرى كالنحو . والفقه ،  
والأصول ، والكلام ، والبلاغة ، والقصص . ثم تجردت طائفة إلى التفسير  
بالرأى والقياس ؛ فانقسم التفسير قسمين ، سلفياً وفنياً . واستمر الأمر على ذلك  
إلى وقتنا هذا

### الحديث

أوّل كتابٍ جمع في الحديث الكتابُ الذي أمر الخليفة الأموي عمر بن  
عبد العزيز بتدوينه ، ولم يعرف له خبرٌ بعدُ . ثم أخذ العلماء يدوتون فيه بحض  
الخليفة العباسي أبي جعفر وأولاده . فدوّن الإمام مالكٌ موطأه في الحديث والفقه .  
ولما اشتدّت رغبة الناس في طلب الحديث ، وضع كثيرٌ من الزنادقة واليهود  
المتظاهرين بالإسلام كثيراً من الأحاديث فتجرد لها الأئمة الأعلام وبيّنوا صحیحها  
من فاسدها ، وكان من أفضل القائمين بذلك اسحق بن راهويه وتلميذه محمد بن  
اسماعيل البخاري الذي دوّن كتابه في الأحاديث الصّحاح فقط ، وتبعه تلميذه

(١) هو ابو يعقوب اسحق بن ابراهيم الملقب براهويه التيمي الحنظلي نسبة المفسر المحدث  
توفي سنة ٢٣٨ هـ (٢) هو مقاتل بن سليمان البلخي المفسر منهم بضعف الرواية توفي سنة ١٥٠ هـ  
(٣) هو عبد الله بن العباس عم النبي ( صلى الله عليه وسلم ) بن عبد المطلب بن هاشم حبر  
قريش وعالمها توفي بالطائف سنة ٦٨ هـ (٤) هو ابو جعفر محمد بن جرير الفقيه المجتهد المفسر  
المؤرخ توفي سنة ٣١٠ هـ (٥) هو ابو عبد الله احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري  
المفسر المشهور توفي سنة ٤٢٧ هـ (٦) هو ابو الحسن علي بن احمد بن محمد الواحدى المصنف  
المفسر توفي سنة ٤٦٨ هـ



مسلم بن الحجاج<sup>(١)</sup> والإمام أحمد بن حنبل وأصحاب كتب السنة الصحاح وهم الترمذى<sup>(٢)</sup> - وأبو داود<sup>(٣)</sup> - والنسائي<sup>(٤)</sup> - وابن ماجه<sup>(٥)</sup> . هذه هي أصول الكتب في الحديث . وبعضهم جمعها كلها ، وبعضهم اختصرها

### الإمام البخارى

هو أبو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن المغيرة ، إمام المسلمين ، وسيد المحدثين ، وصاحب الجامع الصحيح أجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله العزيز

ولد ببخارى من سلالة فارسية سنة ١٩٤ هـ ونشأ بها يتيماً حفظ القرآن وألم بالعربية وهو صبي ، وحُبب إليه سماع الحديث ، فكان أوّل سماعه من علماء بخارى ، وهو لم يناهز البلوغ حتى حفظ عشرات الألوف من الأحاديث ؛ وكان أهل الرغبة في الحديث يتعادون خلفه ويجلسونه في بعض الطريق ويكتبون عنه وهو بعد شاب لم يطرّ شاربه<sup>(٦)</sup> وخرج مع أمه وأخيه الى مكة فحجوا وتحلف هو لطلب الحديث ، ودخل من أجله أكثر ممالك المشرق : من خراسان والجبيل والعراق والشام ومصر ، وأخذ عنه علماءؤها وأتمها ومنهم أحمد بن حنبل ، وتفقه على مذهب الشافعى ، ثم صار له مذهب خاص . ولما نضج علمه واجتمع له يقينه ، شرع في تمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها بعد أن عرّف عليها ووجوهها معرفة لم تتم لأحد قبله ، فكان بذلك المقدم على علماء الأرض . واستخرج كتابه ( الجامع الصحيح ) من ستائة الف حديث في ست عشرة سنة جمع فيه تسعة آلاف

(١) هو أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابورى أحد الشيخين وصاحب ثاني الصحيحين ، ولد سنة ٢٠٦ هـ وتوفى سنة ٢٦١ هـ (٢) هو أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى الضرير المتوفى سنة ٢٧٩ (وترمز مدينة على جيحون) (٣) هو أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ « وسجستان الاقليم الشمالى من بلوچستان » (٤) هو أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ ونسأ بفتح النون وفتح السين وبعدها همزة مدينة بخراسان (٥) هو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه المتوفى سنة ٢١٣ هـ (٦) أى لم يثبت شاربه



حديث مكرّر بعضها بتكرّر وجوهها . وقال انى جعلته حجةً بينى وبين الله . فأجمع علماء السنة على أنه لم يكن فيها أصحُّ منه

وبقى طول حياته يتردد بين الأمصار حتى اشتاق إلى بلاده فرجع إليها وابتلى فيها بفتنة خلق القراء ، فأثار عليه ، والى بخارى العامة فأخرجوه منها ، ومات في ( خَرْتَنَك ) قرية من قرى سمرقند سنة ٢٥٦ هـ

### علم الفقه

لما كان المروى عن رسول الله وظاهر نص القراء لا يستوعبان كل أحكام الوقائع المختلفة المتجددة بتجدد الزمان والمكان . كان الاجتهاد ضرورياً في الدين ، وجاءت الدولة العباسية وأهل الحجاز يرجحون جانب الأخذ بالحديث لكثرة روايته بينهم ، وأمأمهم في مذهبهم مالك بن أنس ، وأهل العراق يرجحون الأخذ بالقياس ، وأمأمهم في مذهبهم أبو حنيفة لكثرة ما وضعه متزندقه العراق في الحديث . ثم لما دخل أهل الحجاز العراق وتساوى الفريقان في معرفة الأحاديث عملوا بهما ، ونشأ من ذلك عدة مذاهب أشهرها مذهب الشافعى ومذهب أحمد بن حنبل ، وهذه المذاهب الأربعة هي التى ارتضاها معظم الأمة في أمر دينها ودنياها ثم كان لكل مذهب أئمة مجتهدون فيه

### الامام أبو حنيفة النعمان

هو الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت فقيه العراق وقدوة أهل الرأى وصاحب المذهب المقضى به الآن فى أكثر الممالك الاسلامية

ولد سنة ٨٠ هجرية ، من سلالة فارسية ونشأ بالكوفة وعاصر بعض الصحابة ، واشتغل بالفقه ، وأخذ كل علمه عن شافه الصحابة ونقل عنهم ، واستنبط فقهه من القراء الكريم وما صح عنده من الحديث على قلته مع استعمال الرأى والقياس وتابعة فى ذلك أكثر أئمة العراق : لقلة رواة الحديث الصحيح بينهم ، وكثرتهم فى الحجاز وكان من أعبد الناس وأكثرهم تهجداً وقراءة للقراء الكريم ، وأكثرهم



ورعاً وتوخيّاً للكسب من وجه حلّ . رَضِيَ أَنْ يَعِيشَ تاجِرَ خَزْرٍ وَرَغِبَ عَنِ  
وظائف الملوک والخلفاء ، وعرض عليه القضاء من قِبَلِ أمراء بني أمية ثم المنصور فأبى ،  
فسجنه وأذاه ، حتى قيل : أنه مات في سجنه ، وكان يتعذر بأنه لا يأمن نفسه أن  
تزلّ . وقرأ عليه علماء الكوفة وبغداد ، وتخرج عليه منها الأئمة من أصحابه كـ محمد  
ابن الحسن وأبي يوسف <sup>(١)</sup> وزُفر <sup>(٢)</sup> ومات رحمه الله ببغداد سنة ١٥٠ هـ

### الامام مالك

هو ابو عبدالله مالك بن أنس امام دار الهجرة وسيد فقهاء الحجاز . وهو عربي  
من سلالة أقيال حمير

ولد سنة ٩٥ بالمدينة المنورة ونشأ بها ، وأدرك خيار التابعين من الفقهاء والعباد  
ورحل اليهم ، وأخذ عنهم ، وما زال يدأب في التحصيل وجمع السنة حتى صار  
حجةً من حجج الله في أرضه وضرب به المثل فقيل ( لا يفتى ومالك بالمدينة )  
وعرف الخلفاء قدره فأجلّوه ، وحملوا اليه بدرهم . وسعى به الى عامل المنصور بالمدينة  
فجرّده وضربه سبعين سوطاً . ولما بلغ ذلك المنصور غضب على عامله وعزله وأقدمه  
الى بغداد على قتب ، ولقي المنصور مالكاً من قابل في موسم الحج فاعتذر اليه ،  
واستسمحه فاتحته في كثير من مسائل الدين ، وطالب منه أن يجمع ما ثبت لديه  
ويُدونه في كتاب ويؤتمه للناس ، فاعتذر ، فلم يقبل منه عذراً فألّف كتابه الموطأ  
في الحديث والفقّه ، فجاءه وليُّ عهد المهدى من قابل حاجاً فسمعه منه وأمر له  
بخمسة آلاف دينار وألّف لتلاميذه . ولم يلبث أن مات المنصور ، وزاحم فقه  
أهل العراق فقهه ، ولكن ذلك لم يمنع الرشيد أن يرحل هو وأولاده اليه بالحجاز  
ليسمع موطأه فسمعه وأعندق عليه . وكان مالك أول أمره فقيراً ، فلما كثرت منح  
الخلفاء له حسن حاله فأظهر نعمة الله عليه ، ووصل أهل العلم وأشركهم في ماله ومنهم

(١) هو ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصارى نسبا صاحب أبي حنيفة وناصر مذهبه  
وأول من تسمى بقاضي القضاة بمدينة السلام (بغداد) توفي سنة ١٨٢ هـ (٢) هو ابو  
الهدنيل زفر بن الهدنيل التميمي العنبري صاحب أبي حنيفة توفي سنة ١٥٨ هـ



الشافعي . أما أخلاقه : من الكرم والطلاقة والوقار والنبل والتواضع والحب لرسول الله عليه الصلاة والسلام فإنها تجلّ عن الوصف ، حتى انه كان لا يركب دابة في المدينة اجلالاً لأرض ضمت جسد رسول الله . وتوفي سنة ١٧٩ بالمدينة ودفن بالبقيع (١)

### الامام الشافعي

هو أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع عالم قرشي وفخرها ، وامام الشريعة وحبرها . وهو من ولد المطلب بن عبد مناف ، ولد بمدينة غزة (٢) سنة ١٥٠ ومحل إلى مكة وهو ابن سنتين ونشأ بها فقيراً تربيه أمه ويواسيه ذوو قرابته من قرشي ، وما ميّز حتى صار نادرة الدنيا ذكاءً وحفظاً : حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين وأولع بالنحو والشعر واللغة ورحل إلى البادية في طلبها ولم يناهز سن البلوغ حتى حفظ منها شيئاً كثيراً . ثم تفقه وحفظ موطأ مالك وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة ، ثم رحل في هذه السن الى مالك وقرأ عليه الموطأ من حفظه ، فقال مالك : ان يكن أحد يفلح فهذا الغلام ؛ وأضافه وخدمه بنفسه . ثم رجع الى مكة ، وعلم بها العربية والفقه ، وصحح عليه الاصمعيّ شعر الهذليين . ثم ان الرشيد ولي أحد أصدقاء الشافعي عملاً باليمن فخرج معه وولي بعض الأعمال فأحسن التصرف ، ثم وشى به الى الرشيد ، وقبض عليه ، فلم يتبين شيئاً في أمره ، فأطلقه . ثم دخل بغداد سنة ١٩٥ فاجتمع عليه علماءها وأخذوا عنه ، وأملى بها مذهبه القديم . وفي سنة ١٩٩ أو سنة ٢٠٠ خرج الى مصر فألقى بها عصاه وسكن الفسطاط فكانت دار هجرته ، وبها أملى مذهبه الجديد (٣) بجامع عمرو . واستنبط الشافعي مذهبه من القرآن والحديث والقياس وبعض الرأي فكان مذهبه وسطاً بين أهل الرأي من أصحاب أبي حنيفة وبين أهل الحديث من أمثال مالك وأحمد ، وتوفي سنة ٢٠٤

(١) هي مقبرة المدينة المنورة (٢) من مرافئ الشام قريبة من حدود البلاد المصرية  
(٣) لانه أثناء اقامته بالعراق وأثناء مروره بالجزيرة والشام في رحلته الى مصر لقي كثيراً من ثقات المحدثين وعلم منهم ما لم يعلم ورأى من عرف الناس في الحجاز واليمن والعراق والجزيرة والشام ما جعله يعدل عن بعض آرائه في جلب المصلحة ودرء المفسدة



وقبره بمصر معروفٌ مشهور . وكان الشافعيُّ أفضل من رأى الناسُ ذكاءً وعقلاً  
وحفظاً وفصاحة لسانٍ وقوة حجة ، ولم يناظر أحداً إلا ظهر عليه  
واجمال القول انه كان إماماً في كل شيء حتى الرمي بالسهم فكان يصيب منه  
تسعة من عشرة

### الامام احمد بن حنبل

هو الامام الصابر المحتسب أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني نسباً ، حافظ  
السنة وقدوة أهل الحديث وأبداً أهل زمانه . ولد ببغداد من سلالة عربية سنة ١٦٤  
فتعلم العلم وطب الحديث وسمع من أئمة وقته ، وكان الحديث وقثداً قد أئع  
وكرت رجاله وصنفت كتبه وتميز صحيحه من موضوعه ، فلقى من لا يحصى من  
رجاله ، فجاب البلاد وطوف الأمصار حتى حفظ مئات الألوف من الأحاديث ،  
واختار منها نيفاً وأربعين ألف حديث ضمنها كتابه المسند ؛ واستنبط مذهبه من  
السنة مشوباً بشيء من القياس والرأى ، وظهرت في مدته فتنة خلق القرآن (١)  
فامتحن بها في مجلس المعتم لم يجيبهم إلى القول بخلق القرآن فلم يفعل فضرب  
سبعة وعشرين سوطاً ضرباً موجعاً فسال منه الدم وأغشى عليه ، ولما خيف عليه  
التلف أطلق فبق في منزله مدة مريضاً ثم عوفي واشتغل بالعلم والتعليم ببغداد حتى  
مات سنة ٢٤١ هـ

### علم الكلام

كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يستدلون على عقائدهم بظاهر الكتاب  
والسنة . وما وقع فيهما من المتشابه أو أوهم التشبيه المنافي لتنزيه المعبود توقفوا فيه  
خوف أن يجيد بهم تغلُّهم في التأويل عن القصد فيقعوا فيما وقع فيه الأمم قبلهم  
فيتفرق أمرهم ويكونوا شيعاً ، ومن لم يتوقف منهم لم يبعد عنهم كثيراً ، غير أن

(١) كان الخليفة المأمون ينكر على من يقول أن القراءان قديم لان ذلك يقتضى تعدد القدماء  
المفضى الى تعدد الآلهة بل يقول أنه حادث مخلوق



ذلك لم يقنع من دخل الاسلام من الطوائف التي امتلأت دياناتها بالشبه والأوهام، فكثير جدلهم في شبههم بالأقيسة الصناعية والعقلية، فاضطرّ العلماء أن يجاروهم ويعارضوهم بمثل ذلك، وساعدهم الحلفاء وأولهم المهدي الذي حرضهم على تدوين علم الكلام (التوحيد). فافترق المرضى عن مذهبهم من علماء الكلام فرقتين: فرقة اعتقدت ما يقرب من مذهب السلف وسُموا الجماعة وأصحاب الحديث، وفرقة اعتزلتها وخالفتها في بعض المسائل ومقدمها واصل بن عطاء<sup>(١)</sup> وسُموا المعتزلة أو أصحاب العدل. وجرى رجال الحكومة العباسية على هذا المذهب ونصروه، حتى ظهر أبو الحسن الأشعري فألف من مذهب المعتزلة ومذهب غيرهم مذهب الكلامي الذي سمي بعد بمذهب الأشاعرة وغلب على كل مذهب سواه الأبعض مذاهب قليلة كمذاهب الشيعة (وبقي كثير منها الى الآن) ومذاهب الخوارج والإباضية وبقى منهم الى عصرنا بقية في الجبل الأخضر من برقة وفي جزيرة جربة على ساحل تونس وفي جنوبي الجزائر وبلاد البحرين وعمان

### أبو الحسن الأشعري

هو أبو الحسن علي بن اسماعيل شيخ طريقة أهل السنة والجماعة، وامام المتكلمين وصاحب المذهب الكلامي، المنتشر الآن في أكثر بقاع العالم الاسلامي وُلد بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ ونشأ بها وأخذ علم الكلام عن أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة، وتبعه في الاعتزال واحتجّ له حتى صار لسان المعتزلة أكثر من ثلاثين عاماً. ثم هداه البحث في السنة ومذاهب المتكلمين من الصفاتية والفقهاء وأصحاب الحديث، فرأى أن كلا الفريقين من هؤلاء ومن المعتزلة غال في نظره، فتوسط، وتغيّب عن الناس مدّة ألف فيها كتبه في نصرة أهل السنة والردّ على أكثر عقائد

(١) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء الخطيب المتكلم كان يجلس الى الحسن البصري يأخذ عنه العلم فلما قالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وان فسقوا بالكبائر خرج واصل عن الفريقين وقال ان الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر ومنزلة بين المنزلتين فغضب منه الحسن فاعتزل مجلسه وانضم اليه عمرو بن عبيد بن باب وتبهما أقوام سموا المعتزلة ومات سنة ١٨١



المعتزلة ، ثم خرج الى المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة ورقى المنبر وعرف الناس بنفسه وبمذهبه القديم والجديد ودفع الكتب التي ألّفها على مذهب أهل السنة للناس فنصب له المعتزلة بالردّ والتزييف . فما زال يُدحض حججهم حتى انقطعوا عن مناظرتة ، وتبعه كثير منهم ومن غيرهم

وكان أبو الحسن من أروع الناس وأزهدهم مع دُعاة ومزاح ، وكان يعيش من غلة قرية وقفها جده بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله على ذريته . وكان شافعيّ المذهب . توفي سنة ٣٢٤ وممن نصر مذهب الفخر الرازي والغزالي ، وقاربه في مذهبه القاضي أبو منصور الماتريديّ

### الغزاليّ

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزاليّ الطوسيّ الشافعيّ حجة الاسلام وصاحب كتاب أحياء علوم الدين

ولد سنة ٤٥٠ ونشأ بطوس<sup>(٢)</sup> وتعلم بها مبادئ العلوم ثم رحل الى نيسابور ولازم امام الحرمين الجويني<sup>(٣)</sup> وهو يومئذ عالم الشافعية في الشرق فما زال يتلقى عنه العلم حتى صار من أكابر متكلمي الأشاعرة وفقهاء الشافعية . وحتى أصبح استاذه يفاخر به العلماء ويتباهى بتعليمه وتخرجه . ولما مات الجويني ذهب الى بغداد ولقى الوزير نظام الملك<sup>(٤)</sup> صاحب المدرسة النظامية الشهيرة . وناظر بحضرة العلماء فظهر عليهم وأقر له فحول العراق بالفضل فتولى التدريس بالمدرسة النظامية أربع سنوات . ثم طرأت عليه حال زهادة في الدنيا فسلك طريق الصوفية باعتدال . ورغب عن

(١) الغزالي بتشديد الزاي نسبة الى الغزال قال ابن خلكان وذلك هو المشهور وقيل أنها مخففة نسبة الى غزالة قرية من قرى طوس (٢) طوس مدينة عظيمة بخراسان دفن بها الرشيد وعلي بن موسى الرضا (٣) هو ابو المعالي ضياء الدين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الفقيه الشافعي توفي سنة ٤٧٨ و (الجوين) ناحية كبيرة بخراسان (٤) هو الوزير ابو علي الحسن بن اسحق بن العباس الملقب بنظام الملك ، قوام الدين العالم الصالح المتصوف محب العلم والعلماء ، وزير للسلطان ألب ارسلان وولده السلطان ملك شاه السلجوقيين المتغلبين على خلفاء بغداد ، وبنى مدرسته النظامية ببغداد وهي أول مدرسة بنيت خاصة بالتدريس ، وكان يكون قبل في المساجد الجامعة ، وجعل لها الرواتب للمدرسين وللطلبة ، واجرى عليهم الجرايات ، وقتل سنة ٤٨٥ هـ



الاختلاط بالناس . ثم حج وذهب الى الشام يدرس ويسيح لزيارة بعض مشاهد  
أنبيائها ، ثم دخل مصر وأقام بالاسكندرية مدة ، ثم عاد الى وطنه طوس واشتغل  
بتأليف الكتب الجليلة ، ثم لزم التدريس بنيسابور ، ثم عاد الى وطنه حيث قضى  
بقية عمره بين التدريس ووعظ الصوفية وعمل البر حتى مات بالطابان قسبة  
طوس سنة ٥٠٥

ويعتبر الغزالي من مؤيدي مذهب الأشاعرة المسمين بأهل السنة ومن أكبر  
أئمة الشافعية . وهو يعد خير من تكلم في التصوف بحال لم تشبهها نحل غلاة الصوفية  
الخارجين بها عن مألوف العقل البشري المعتاد . ويعتبر كتابه (أحياء علوم الدين)  
من أفضل كتب التصوف والأخلاق واطهار حكمة القرآن والشريعة . وأصبحت  
كتابته فيه أبلغ كتابة توخى أسلوبها علماء هذه المقاصد وغيرهم من المصلحين حتى  
عصرنا هذا

### نشأة العلوم الكونية المنقولة وترجمتها

وأشهر المترجمين والمستغلين بها من المسلمين ومواليهم

وكانت تسمى علوم الفلسفة والحكمة . وتشمل أربعة علوم - المنطق ، والطبعيات ،  
والرياضيات ، والالهيات

وتشمل الطببعيات علم الطبيعة والكيمياء وفن المواليد الثلاثة والطب  
والصيدلة والفلاحة

وتشمل الرياضيات علم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وعلم الآلات والحيل  
( الميكانيكا<sup>(١)</sup> ) وعلم الفلك الشامل للهيئة والتنجيم ؛ ومن متعلقاته علم الجغرافيا  
الرياضية

ويلحق بهذه العلوم علم السياسة وتدبير المنزل والمال وعلم الأخلاق والموسيقى  
وتشمل الالهيات علم ما وراء الطبيعة من الروحانيات والمدركات العقلية كالبحث  
عن صفات الخالق والقوى النفسية والجن والملائكة ونحو ذلك

(١) يرى بعض مهندسي عصرنا تسمية هذا العلم بعلم القوى



وهذه العلوم فطرية في الإنسان من حيث إنه متفكر متمدين لا تختص بها أمة دون أخرى ، فكان الاشتغال بها ضرورياً لكل أمة أصبحت ذات حضارة ، ولذلك ترجم المسلمون بعضها في عصر بني أمية ، واستقدم المنصور العباسي كثيراً من الأطباء والمترجمين ، فترجموا له كتب اليونان والفرس والهنود في الطب والفلك والسياسة . ومن أشهر هؤلاء جرجيس الكبير (١) ابن بختيشوع ونوبخت (٢) وابنه أبو سهل وابن المقفع . ولما مات المنصور قتر أمر الترجمة الى زمن الرشيد والبرامكة فحثوا العلماء على ترجمة الكتب اليونانية ، وصححوا بعض ما ترجم زمن المنصور

ثم جاء عصر المأمون فزخرت بحور الترجمة ، وبعث الى بلاد الروم جماعة من المترجمين كابن البطريق (٣) وسليم صاحب بيت الحكمة ، والحجاج بن مطر ، وحنين (٤) ابن اسحق ، فاختروا كتباً حملوها الى بغداد ، وترجمت وتعلمها الناس وصححوا أغلاطها واستدركوا عليها . ولم يمض قرن من تأسيس الدولة العباسية حتى برع المسلمون في هذه العلوم كلها وظهر منهم من الحكماء والفلاسفة من كاد يلحق فلاسفة اليونان . ومن هؤلاء فيلسوف الاسلام والعرب أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندي (٥) وتلميذه أحمد بن الطيب السرخسي (٦) . وبنو موسى (٧) بن

(١) كان رئيس البيارستان بجنديسابور زمن المنصور فاستدعاه اليه واتخذ طيبه الخاص حتى سنة ١٥٢ فاستأذنه في العودة الى بلده فمات به (٢) آل نوبخت كثيرون كلهم اشتغل بالفلك والنجوم والحكمة ، وكانوا ينقلون من الفارسية . وكان نوبخت ينقل هو وأولاده من الفارسية واليونانية ، وكان منجما للمنصور فلما ضعف عن الخدمة أحضر ولده أبا سهل الى المنصور ليقوم مقامه فقبله وهو الذي كناه أبا سهل (٣) هو يوحنا بن البطريق الترجمان مولى المأمون كان أميناً على الترجمة تولى ترجمة كتب ارسطو وبعض كتب بقراط (٤) هو حنين بن اسحق العبادي عربي الاصل من العباديين نصارى الحيرة برع في الترجمة من اليونانية توفي سنة ٢٦٠ (٥) من سلالة الاشعث بن قيس ، كان مترجماً عالماً بالطب والفلسفة والحساب والمنطق وتاليف اللحن والهندسة وطبائع الاعداد والهيئة ، وترجم من كتب الفلسفة الكثير وأوضح منها المشكل ، وله اكثر من ٢٣٠ مؤلف (٦) هو العالم المتفنن في كل علم والمؤلف في كل فن ، كان نديما للمعتضد الخليفة العباسي فأنكر عليه بعض أمور فقتله سنة ٢٨٦ (٧) كان بنو موسى بن شاكر وذريتهم من أفاضل علماء الرياضة والفلك ، وكان أبوهم موسى من أتباع المأمون فمات وترك أولاده الثلاثة صغاراً فرباهم المأمون وعنى بتعليمهم الحكمة وعلوم الاوائل فبرعوا فيها للغاية ولا سيما الرياضيات



شاكر محمد وأحمد والحسن أشهر رياضي هذا العصر وأول المخترعين من المسلمين في الحيل والهندسة، ومحمد بن موسى الخوارزمي<sup>(١)</sup> مخترع علم الجبر والمقابلة. ومذيع الحساب الهندى بين العرب

ثم ذهب طوّرُ الترجمة والتصحيح وتلاه طورُ التأليف والتكميل والاختراع. فأتى فيه بالعجب العجاب أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي<sup>(٢)</sup> الحكيم الكبير. مخترع آلة الطرب المسماة بالقانون والتي استنبط الافرنج بحاكتها آلة المعزف (البيانو) المتوفى سنة ٣٣٩ هـ وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي<sup>(٣)</sup> الطبيب الكيميائي الشهير المتوفى سنة ٣١١ هـ والشيخ الرئيس حكيم المشرق أبو علي الحسين بن سينا<sup>(٤)</sup> المتوفى سنة ٣٢٨ هـ وأبو الريحان أحمد بن محمد البيروني<sup>(٥)</sup> الفلكي الرياضي المقوم المتوفى سنة ٤٣٠ هـ - وكان لدولة الفواطم في مصر اشتغال بهذه العلوم فاشتهر في دولتهم في الفلك والرياضيات ابن يونس<sup>(٦)</sup> وفي الطب ابن رضوان<sup>(٧)</sup> وغيرهما. ولم يُعنَ أهل الاندلس بهذه العلوم عناية أهل المشرق، وأشهر من نبغ منهم فيها

والحيل والآلات، وانفقوا على نقل كتب اليونان وترجمتها أموالاً طائلة وهم الذين حققوا للمأمون مقدار الدرجة الارضية وصححوه وكان أحلهم أبو جعفر محمد توفى سنة ٢٥٩

(١) ليس من أولاد موسى وكان منقطعاً لحزنة كتب الحكمة للمأمون، وبرع في الفلك والعدد (٢) هو حكيم المسلمين بلا مدافع والذي تخرج بكتبه الرئيس ابن سينا. والفارابي من أصل تركى من مدينة فاراب احدى مدن الترك فيما وراء النهر، دخل بغداد فتعلم العربية ومهر بها ثم قرأ المنطق والفلسفة على أبي بشر متا بن يونس، ثم ذهب الى حران بالجزيرة فقرأ على يوحنا بن خيلان الحكيم، ثم رجع الى بغداد ودرس وألف، ثم رحل الى الشام ومصر، ثم أقام بدمشق زمن سيف الدولة بن حمدان فأجرى عليه أربعة دراهم كل يوم حتى مات بدمشق سنة ٣٣٩ (٣) هو من أهل الرى كان في أول أمره ضارباً بالعود ثم اكب على كتب الحكمة والطب وعانى بنفسه صناعة التحليل والكيمياء فاستنبط كثيراً من المركبات الكيميائية مثل زيت الزاج (الحامض الكبريتي) والنفول (الاسبرتو) وكان يقيم بالرى وبغداد ويتنقل بالبلدان، وله اكثر من ٢٠٠ مؤلف

(٤) كان أبوه من بلخ عمل ببيخارى للدولة السامانية فنشأ ابنه بها، وتعلم من صغره الحكمة فبدأ الاوائل والاواخر، ولم يجيء في الملة بعده من فاقه فيها عدا ما اهتدى اليه المحدثون في الطب الحديث، وتنقل في أواسط آسيا، وخدم في الدولة السامانية والبيوية ووزر لاحد ملوكهم

(٥) بيرون من بلاد السند (٦) هو أبو الحسن علي الشهير بابن يونس صاحب الزيج

الحاكمي في أربع مجلدات كبار وكان آية في الفلك والتنجيم والرياضيات مات سنة ٣٩٩

(٧) هو الطبيب المنجم علي بن رضوان مات سنة ٤٦٠



أبو الوليد القاضى أحمد بن رشد وأبو القاسم الزهراوى ؛ ومن كتب هؤلاء الأئمة اقتبس أهل (أوربة) كثيراً من أصول مدنيّتهم

## الشعر

كان الشعر فى عصر صدر الإسلام ينبع من المعين الذى تنبع منه أئمة العربية وفحول الفصاحة أعنى جزيرة العرب والعراق والجزيرة الفراتية . فلما قرت دولة العرب فى العراق والأندلس أصبحت بغداد وقرطبة قبلة الشعراء . ووجهة الأدباء ، ومن لم يقصدهما للإقامة فى ظلال الخلفاء والملوك ، قصدهما للنجعة والامتيّاح . ولم يمض على بغداد وقرطبة قرن من تأسيس دولتيهما حتى صارتا عشرين للأدب وميدانين لتسابق جياذ الفحول فى كل فنّ ولا سيما الشعر ؛ فقد كان له عند الخلفاء والوزراء والقواد سوقٌ نافقة حتى عند رؤساء الاعاجم من الديلم والترك ، وحتى تكلف بعضهم أن يعانیه وينظّمه بل ينبغ فيه . ودام كذلك الى انتهاء الدولة العباسية ، وبهذه العناية العظيمة به وكثرة قائله ومُتَحَلِّيه تَنَنَّ الناسُ فأدخلوا عليه فنوناً لم تُعهد فيه ، واستعملوه فى كل غرض حتى التعبّد به ، وتشكّل أسلوبه وتنوّعت معانيه بما يطابق أغراض استعماله ولكنهم لم يخرجوا بها فى الجملة عن أسلوب العرب فى ابتدائهم بالنسيب بالديار والأطلال : تذكّاراً لوطنهم القديم ، وتطرُّفاً بالتشبيه بالأعراب . على أن النسيب بمثل هذه الامور لم يعد ملتزماً فى مطالع القصائد منذ صدر الدولة العباسية ، بل كثيراً ما كان يُحل محلّه ذكرُ القصور<sup>(١)</sup> ونعيم العيش وضحبه اخوان الطرب<sup>(٢)</sup> وغناء القيان والرحلة الى المدوح على السفن<sup>(٣)</sup> ونحو ذلك ، أو يستبدل به ذكر الخمر<sup>(٤)</sup>

- (١) كقول أشجع : قصر عليه تحية وسلام نشرت عليه جلالها الايام  
 (٢) كقول ابن هانيء : بسم الصباح لا عين الندماء وانشق جيب غلالة الظلماء  
 (٣) كقول بشار فى وصف سفينة :

تلاعب تيار البحور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجرى  
 الى ملك من هاشم فى نبوة ومن حمير فى الملك والعدد الدر  
 (٤) كقول أبى نواس : الافاسقنى خمرأً وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سراً اذا أمكن الجهر



وأوصافها والحثُّ على اصطباحها واغتباقيها ، بل لم يقف الأمر عند هذا الحد حتى تعداه الى التنديد بالنسيب بالأطلال وتمجيد من يليج بذكرها (١)  
أما التعميرات التي طرأت على الشعر أبان الدولة العباسية فهي :  
أولاً - ما يتعلق بفنون الشعر واغراضه . ثانياً - ما يتعلق بلفظه وأسلوبه .  
ثالثاً - ما يتعلق بمعانيه وأخيلته . رابعاً - ما يتعلق بأوزانه وقافيته

### الأمور التي حدثت في فنون الشعر وأغراضه

- ( ١ ) زيادة استعماله في إثارة العصبية والمفاخرة في النسب (٢) والمذهب السياسي (٣) والديني والعلمي (٤) . وفي الأغراض السياسية من استحقاق الخلافة وتحريض ولاة الأمور وتهديدهم وانتقاد أعمالهم في شعر كثير من شعراء الدولة
- ( ٢ ) الإغراق في التملق المشين في شعر كثير من شعراء الدولة ، وذلك لكثرة المشتغلين بالشعر من الأدباء وقلة موارد الكسب الشريف فلم يجد الشاعر سقياً راحة لبضاعته إلا أبواب الخلفاء ، ولم ير لنفسه شعراً أسير ولا جائزة أربي إلا بمديح أغرق فيه وخرج به عن الذوق (٥) بل العقل (٦) بل الشرع (٧)
- ( ٣ ) ازدياد المجون والتهتك وحكاية المخازي والفسوق ونحو ذلك . والإقذاع

- ( ١ ) يظن أن أول من خلع هذا التقليد أبو نواس في جملة قصائده له . ومن قوله في ذلك :  
يأربع شغاك انى عنك في شغل لا ناقتي فيك لو تدرى ولا جملي  
وكقوله :  
صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم
- ( ٢ ) أما بين العرب والمعجم كما في شعر بشار وعبد الله بن طاهر وسعيد بن حميد وغيرهم من طوائف الشعوبية ، وأما بين اليمانية والمضربة كما في شعر مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر وأبي نواس وخلف الاحمر ( ٣ ) كالفاخرة بين شيعة آل أبي طالب وآل العباس كما في شعر مروان بن أبي حفصة والسيد الحميري وعلي بن الجهم ودعبل الخزاعي ( ٤ ) كما في شعر أبي محمد اليزيدي وغيره ( ٥ ) كقول أبي نواس في ممدوحه :

كيف لا يدنيك من أمل من رسول الله من نقره  
( ٦ ) كقول المتنبى في ممدوحه :

ونالوا ما اشتهاوا بالحزم هونا وصاد الوحش نملهمو ديبيا  
وقول علي بن جبلة :  
أما الدنيا أبو دلف بين يديه ومحتضره  
فأذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره

( ٧ ) كقول ابن هاني الاندلسي :  
ما شئت لاما شاءت الاقدار فأحكم فانت الواحد القهار



في الهجاء والتصريح المغيّب بأسماء العورات والتعرّض للحُرْم لتناقص الوازع الديني  
وازدیاد الزنادقة وفجّار الموالى والكتّاب بعدوى تمازج الأخلاق والعادات  
(٤) اغراق شعراء (المسلمين) في وصف الحجرة وتشبيهاها والدعوة اليها والنشوة  
بها وذكر سُقاتها وندمائها<sup>(١)</sup> والغزل بالمذكر والاستقصاء فيه حتى غلب على  
ما سواه<sup>(٢)</sup>

(٥) ازدياد وصف الرياض<sup>(٣)</sup> والبساتين والقصور ومجالس الأُنس وأحوال  
الطبيعة ومصايد الوحوش والطير والسّمك والأمور الدقيقة  
(٦) ازدياد الوعظ والتهديد في الدنيا<sup>(٤)</sup> والحكمة وضرب المثل وتأديب  
النفس والقصص والحكايات<sup>(٥)</sup> وأوّل من نظم ذلك أبان بن عبد الحميد اللاحق<sup>(٦)</sup>  
ناظم كليلّة ودمنة للبرامكة  
(٧) ضبط قواعد العلوم من فقه وغيره<sup>(٧)</sup>

### الأُمور التي حدثت في المعاني والأخيلة الشعرية

(١) ترتيب الأفكار وأخذ بعضها بمجّز بعض بحيث قلّ الاقتضابُ وشدّوذ  
الانتقال من معنى الى مبان له كما كان يقع كثيراً في الشعر القديم  
(٢) استعمال الخيال الفرضي الوهمي الذي لا يتصوّر تحقّقه في الخارج أو في  
الذهن مما يستدعيه الغلوّ والتغلغل في المدح أو الهجو أو التشبيه  
(٣) اختراعُ الأخيلة الجميلة التصور في التشبيه والاستعارة والأوصاف  
وحسن التعليل  
(٤) استعمال طرق الحكمة وقواعد الفاسفة وشعائر الدين ونحو ذلك<sup>(٨)</sup> في  
محاولة الاقتناع

(١) كما في شعر أبي نواس ومن تابعه (٢) كما في شعر والبة بن الحباب وأبي نواس  
والحسين بن الضحّاك والبحترى وغيرهم (٣) راجع نماذج الوصف وابن المعتز وابن خفاجة  
(٤) كما في شعر أبي العتاهية وبقية الصوفية (٥) أنظر ترجمة الطغرّائي (٦) هو  
مولى الرقاشيين بصري ذهب الى بغداد واتصل بالبرامكة ومنحوه على نظم كليلّة ودمنة خمسة  
عشر ألف دينار

(٧) واكثر من ذلك بعد أبان بن عبد الحميد اللاحق أبو العتاهية ومن بعده  
(٨) كما في شعر صالح بن عبد القدوس وأبي العتاهية وأبي تمام والمتنبي وأبي العلاء وغيرهم



## الأموال التي حدثت في لفظ الشعر وأسلوبه

- (١) هجرُ الألفاظ الغريبة بالتدرج
- (٢) زيادةُ دخول الكلمات الأعجمية فيه نظرُفناً كما في شعر أبي نواس وغيره
- (٣) رقةُ الأسلوب مع بقاء الجزالة ووضوح المعنى
- (٤) اختراعُ البديع والاستكثارُ من أنواعه

## الأموال التي حدثت في الأوزان الشعرية والقافية

- (١) الاكثار من النظم في البحور التي لم تنظم منها العرب الا قليلاً كالمضارع والمقتضب.
  - (٢) اختراع أوزان ولدها الخليل من محور الشعر ونظم منها كثير من المولدين
  - (٣) اختراع أوزان أخرى كبعض أوزان اخترعها مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو العتاهية ونظموا منها وكالموالي<sup>(١)</sup> وزاد هذا الأمر تفاقماً اختراع الموشحات<sup>(٢)</sup> والزجل<sup>(٣)</sup> في أواخر الدولة العباسية
- ومن الأموال التي حدثت في القافية

- (١) الخمس<sup>(٤)</sup> : وهو أن يؤتى بخمسة أقسمة من وزن وقافية ثم بخمسة أخرى من الوزن وقافية أخرى الى آخر القصيدة
- (٢) المزدوج<sup>(٥)</sup> : وهو أن يؤتى بشطرين من قافية ثم بأخرين من قافية أخرى وأكثروا منه جداً في نظم كتب الأدب والعلوم كما في نظم الألفية

(١) وأول من اخترعه مولاة للبرامكة كانت تزيههم به وتصبح بعد كل قطعة منه (واموالياه) حملت الى الرشيد، وكان قد تقدم بماقبة من يزيههم بشعر فقالت الجارية ليس هذا شعراً لانه عامي ملحون (وان جاء على وزن البسيط) فسمي نظمها المواليا لصباحها (٢) اخترعها مقدم ابن معافر الفريرى من الاندلسيين وأخذ عنه أحمد بن عبد ربه صاحب العقد (٣) اخترع بعد التوشيح في الاندلس أيضاً، وبرع فيه أمام الرجالين أبو بكر بن قزمان وستأني أمثلة هذه الفنون في العصر التالي لكثرة شيوعها فيه

(٤) يقال أن أول من نظمه بشار ثم تبعه أبان وأبو العتاهية

(٥) كقول خالد القناس :

وما نطقت واستجمعت حين كلت      وما رجعت قولاً وما إن ترممت  
وكان شفائى عندها لو تكلمت      الى ولو كانت أشارت وسلمت  
ولكنها ضنت على بتبيان



## نماذج من الشعر في الأغراض الآتية

الحماسة - قال بشر بن برد :

وجيشٍ كجُنْحِ الليل يزحفُ بالحصى      وبالشوكِ والخطى حُمُرٌ تعالِبُهُ (١)  
غدونا له والشمسُ في خِدرِ أمِّها      تطالِعنا والطلُّ لم يجر ذائبُهُ  
بضربِ يدوقِ الموتِ من ذاقِ طعمه      وتُدركُ من نجى الفرارُ مثالبَهُ (٢)  
كَانَ مَثَارَ النَّقْعِ فوقَ رؤوسنا      وأسِيفنا ليلٌ تهاوى كواكبهِ  
بعثنا لهم موتَ الفُجاءةِ إننا      بنو الموتِ خفاقٌ علينا سيائبُهُ (٣)  
فراحوا فريقٌ في الإِسارِ ومثلهُ      قنيلٌ ومثلٌ لاذَ بالبحرِ هاربه  
وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي يفتخر بولائه لحزيمة بن خازم النهشلي من

سروات أمراء العرب في الدولة العباسية :

إذا مضرُّ الحمراءِ كانت أرومتي      وقام بنصرى خازمٌ وابنُ خازمِ  
عطستُ بأنفِ شامخٍ وتناولت      يداى الثريّا قاعداً غير قائمِ

وقال أبو الطيب المتنبى :

وانى لمن قوم كان نفوسهم      بها أنفٌ أن تسكن اللحم والعظما  
فلا عبرت بي ساعة لا تعزنى      ولا صحبتي مهجة تقبل الظلما

المدح - وقال مروان بن أبي حفصة يمدح معن بن زائدة الشيباني :

بنو مطرٍ (٤) يوم اللقاء كأنهم      أسودٌ لها في غيلِ خفانٍ (٥) أشبُلُ  
همُ ينعونُ الجارِ حتى كأنما      لجارهمُ بين السماكينِ منزلُ  
بها ليلٍ (٦) في الإسلام سادوا ولم يكن      كأولهمُ في الجاهلية أولُ

(١) الثعالب جمع ثعلب وهو هنا طرف الرمح الداخل في جبة السنان: أى والرمح حمر أطرافها من دماء الأعداء (٢) أى مثالب الفرار من الحزى والعار (٣) جمع سيبية وهى الشفة من الثياب (٤) بطن من شيبان منها معن (٥) مأسدة قرب الكوفة (٦) جمع بهلول وهو السيد الجامع لكل خير



هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا  
ولا يستطيع الفاعلون فعالمهم  
أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا  
وإن أحسنوا في النابت وأجملوا

وقال أبو تمام :

تعوّد بسط الكف حتى لو أنه  
ولو لم يكن في كفه غير روحه  
ثناها لقبض لم تجبه أنا مله  
لجاد بها ، فليتق الله سائله  
وقال أبو عبادة البحرى :

كلا قلت أطلق الشكر رقي  
أين عمر الزمان حتى أودى  
رجعتني له أياديه عبدا  
شكر إنعامك الذي لا يودى  
وقال أبو الفيض الطبرى :

يد تراها أبدا  
ما خلقت بناها  
فوق يدٍ وتحت فم  
إلا لسيفٍ أو قلم

الرتاء - قال الحسين بن مطير يرثى معن بن زائدة :

ألمأ على معن فقولاً لقبره :  
فيا قبر معن أنت أول حفرة  
سقتك الغواذى مرعاً ثم مرعاً (١)  
ويا قبر معن كيف وارىت جوده  
من الأرض خطت للساحة مضجعا  
وبلى قد وسعت الجود والجود ميت  
وقد كان منه البر والبحر مترعا (٢)  
فتى عيش في معروفه بعد موته  
ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا (٣)  
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى  
كما كان بعد السيل مجراه مرتعا (٤)  
وقال أشجع السلمى :

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق  
وما كنت أدري ما فواضل كفه  
ولا مغرب إلا له فيه مادح  
على الناس حتى غيبته الصفايح

(١) الغادية السحابة تنشأ غدوة (٢) المترع الملائن (٣) تصدع . تصدع أى تشقق  
(٤) منبتا ترع فيه الابل (٥) المرين الانف أو أوله مما بلى الحاجبين وهو موضع الشمم  
الوسط م (٣٢)



فَأُصْبِحَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مَيْتًا      وكانت به حَيًّا تَضِيقُ الصَّحَاحِ (١)  
وما أنا من رُزءٍ وَإِنْ جَلَّ جَارِعٌ      ولا بسرورٍ بعد موتك فارح  
كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ وَلَمْ يَقُمْ      على أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَّوَاحِ  
لَنْ حَسُنْتَ فِيكَ الْمَرَاتِي وَذِكْرُهَا      لقد حَسُنْتَ مِنْ قَبْلُ فِيكَ الْمَدَائِحُ  
الهجاء - وقال حماد عجرد :

حُرَيْثُ أَبُو الصَّلْتِ ذُو خَبْرَةٍ      بما يُصْلِحُ الْمَعْدَةَ الْفَاسِدَةَ  
تَخَوَّفَ تَحْمَةَ أَضْيَافِهِ      فعوِّدْهُمْ أَكْلَةَ وَاحِدِهِ  
وقال خلف الأحمر :

لَنَا صَاحِبٌ مَوْلَعٌ بِالْخِلَافِ      كثيرُ الخَطَاءِ قَلِيلُ الصَّوَابِ  
أَلْبَجُّ لَجَاجًا مِنَ الْخُنْفَسَاءِ      وأزهى إِذَا مَا مَشَى مِنْ غَرَابِ  
وقال أبو علي البصير :

لِعَمْرٍ أَيْبُكَ مَا نُسِبَ الْمُعَلَّى      إِلَى كَرَمٍ وَفِي الدُّنْيَا كَرِيمٌ  
وَلَكِنْ الْبِلَادَ إِذَا اقشَعَرَّتْ      وَصَوْحٌ نَبَتْهَا رُغْبَى الْمَهْشِيمِ (٢)  
وقال العتّابي :

لَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا أَنَا لَتِكَ ثَرَوَةً      فأصبحت ذَا يُسْرٍ وَقَد كُنْتَ ذَا عُسْرٍ  
لَقَدْ كَشَفَ الْإِثْرَاءُ مِنْكَ مَخَازِيَا      مِنَ اللُّؤْمِ كَانَتْ تَحْتَ سِتْرٍ مِنَ الْفَقْرِ  
وقال الأبيوردى :

وقصائد مثل الرياض أضعفها      في باخل ضاعت به الاحساب  
فاذا تناشدها الرواة وأبصروا الـممدوح قالوا : ساحر كذاب  
الاعتذار - وقال علي بن الجهم للمتوكل :

عفا الله عنك ألا حرمةً      تجود بعفوك أن أبعدا

(١) الصحاح جمع صحصح وهو ما استوى من الارض (٢) صوح يبس وتتشقق -  
الهشيم الجاف من النبات



لئن جلّ ذنب ولم أعتد  
ألم ترَ عبداً عدا طوره  
وأنت أجل وأعلى يدا  
وموئى عفاورشيداً هدى  
ومفسد أمرٍ تلافيته  
فعاد فأصلح ما أفسدا  
أقلنى أقالك من لم يزل  
يقيك ويصرف عنك الردى

وقال ابراهيم بن المهدي في أبيات يعتذر بها للمأمون :

الله يعلم ما أقول فانها  
جهد الألية من مقرّ خاضع  
ما ان عصيتك والغواة تمدني  
أسبابها إلا بنية طاع

وقال أيضاً :

ذنبى اليك عظيم وأنت أعظم منه  
فخذ بحقك أولاً فاصفح بفضلك عنه  
ان لم أكن في فعالي من الكرم فكنته

وقال الحسن بن وهب :

ما أحسن العفو من القادر  
ان كان لي ذنب (ولا ذنب لي)  
لا سيما عن غير ذي ناصر  
فما له غيرك من غافر  
أعوذ بالود الذي بيننا  
أن يفسد الأول بالآخر

الوصف - وقال ابن المعتز يصف طبيعة الكون عند انسلاخ النهار عن الليل

ما ترى نعمة السماء على الأر  
ض وشكر الرياض للامطار؟  
قد تولت زهر النجوم وقد  
بشّر بالصبح طائر الأسحار  
وغناء الطيور كل صباح  
وانفتاق الأشجار بالأنوار  
وكأن السحاب يجلو عروساً  
وكأننا من قطره في تشار

وقال ابن طباطبا يصف الليل والنجوم :

ربّ ليل صحبته كاسف البال  
ل كئيباً حليف همّ شتيت  
مؤنساً ربه بطول أنين  
وهولى موحش بطول السكوت  
تحت سقف من الزمرد قد رصع  
حسناً بالدرّ والياقوت



وقال أبو بكر الصنوبري يصف ديكاً :

مغرّد الليل ما يألوك تغريدا ملّ الكرى فهو يدعو الصبح مجهودا  
لما تطرب هز العطف من طرب ومدّ للصوت لما مدّه الجيدا  
كلابس مطرفاً مرخياً ذوائبه تضاحك البيض من أطرافه السودا  
حالي المقلد لو قيست قلائده بالورد قصر عنه الورد توريدا  
الاجتماع والسياسة - قال شبل بن عبدالله مولى بني هاشم لعبد الله عم السفاح

يغريه بالأمويين وقد حضروا لديه ووضعت لهم الكراسي والتمارق :

أصبح الملك ثابت الأساس بالبهايل من بني العباس  
طلبوا وترّ هاشم فشفوها بعد ميل من الزمان وياس  
لا تقمين عبد شمس عثاراً واقطعن كل رقلة<sup>(١)</sup> وغراس  
ذلها أظهر التودد منها وبها منكم كحدّ المواسي  
ولقد ساءني وساء سوائى قربهم من تمارق وكراسي  
أنزلوها بحيث أنزلها الا ه بدار الهوان والاتعاس  
واذكروا مصرع الحسين وزيد<sup>(٢)</sup> وشهيد بجانب المهراس<sup>(٣)</sup>  
والقتيل الذي بحرّان<sup>(٤)</sup> أضحى ثاويّاً بين غربة وتناسي  
وقال يزيد المهدي من قصيدة يرثي بها المتوكل ويبكت بها بني العباس في نبذهم

العرب واستغنائهم بماليك الترك :

لما اعتقدتم أناساً لا حلوم لهم ضيغتم وضيغتم من كان يُعقد  
ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم حتمكم السادة المذكورة الحشد  
قوم هم الجذم والأنساب تجمعهم والمجد والدين والأرحام والبلد  
إذا قرّيش أرادوا شدّ ملكهم بغير قحطان لم يبرح به أود<sup>(٥)</sup>

(١) نخلة (٢) هو ابن زين العابدين علي بن الحسين (٣) ماء بأحد قتل عنده  
حزة عم النبي (٤) بلد بالشام قتل فيها ابراهيم الامام ابن محمد بن علي بن عبدالله بن  
عباس -- و ابراهيم هذا أخو السفاح (٥) عوج



الحكمة والمثل - قال صالح بن عبد القدوس :

وإنَّ من أدبته في الصِّبا      كالعودِ يُسقى الماء في غرسه  
حتى تراه مُوتقاً ناضراً      بعد الذي أبصرت من يئسه  
والشَّيخُ لا يترك أخلاقه      حتى يُوازي في ثرى رمسه  
إذا أرعوى عاد إلى جهله      كذى الضنى عاد إلى نكسه

وقل بشار بن برد :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً      صديقك لم تاف الذي لا تعاتبه  
فمش واحداً أو صل أخاك فانه      مقاريف ذنب مرّة ومجانبه  
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى      ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه  
وقال أبو تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة      طويت أتاح لها لسان حسود  
لولا اشتعال النار فيما جاورت      ما كان يعرف طيب عرف العود  
قال أبو الطيب المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله      وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم  
لا يخذعك من عدوٍ دمه      ورحم شبابك من عدوٍ ترحم  
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى      حتى يراق على جوانبه الدم  
والظلم من شيم النفوس فان تجد      ذا عفة فلعله لا يظلم  
ومن البلية عدل من لا يرعوى      عن غيّه وخطاب من لا يفهم  
ومن العداوة ما ينالك نفعه      ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

## الشعراء

لم يقصر الشعر على الموالي في صدر الدولة العباسية كالكتابة بل اشتركوا فيه هم وغيرهم من أعراب البادية أحياناً ومن سلائل العرب بالأمصار أخرى ،



غير أن بضعة من فحول صدر الدولة كانوا موالي مثل بشار وأبي نواس ومسلم  
وأبي العتاهية وابن الرومي

ومن أشهر شعراء الأمصار من العرب أبو تمام والبحترى وابن المعتز والمنبجي  
وأبو فراس وأبو العلاء المعري وابن هاني الأندلسي والشريف الرضي . ثم فتر  
أمر الشعر في البادية إلا قليلاً ، وأصبح الشعراء المجودون لا ينجمون الا من  
الحواضر عرباً كانوا أو موالي

### التكسب بالشعر

أتى عصر الدولة العباسية والتكسب بالشعر ضاربٌ بجِرائنه ، والرحلة به الى  
الخلفاء والولاة خَلَّةٌ مألوفةٌ ، فلم يتركها بنو هاشم وولاتهم من العرب ومستعربي  
الأعاجم حرفة تمشي على رِسلها حتى ساقوها قدماً إلى غاياتها بوفير عطاياهم ، وجزيل  
جوائزهم ، وجعل لهم المهدي والرشيدي والمأمون أياماً ملاقاتهم ، واستماع ما تنتجه  
قرايحهم ، ترفيهاً للغة واعلاءً لشأن الأدب ، وبالغوا في إكرام الشعراء الى حدٍّ أوجب  
الشكَّ في صحة الأخبار المروية عنهم في ذلك ؛ فبعد أن كانت جوائز الصدر الأول  
حقائب الحنطة والزبيب والتمر أو الاذواد من الأبل وبعض التخوت من الثياب ،  
صارت بدر الدنانير وعشرات الألوف من الدراهم ، عدا الجوارى المولدة ، والعبيد  
الفارهة . والخيول المطهّمة ، بل الضياع العامرة ، ذات الغلات الوافرة . ولقد ارتقى  
كثير من الشعراء بشعرهم إلى رتبة الوزارة ، وولاية النواحي ، كسلم بن الوليد ،  
وأبي تمام ، ومحمد بن عبد الملك الزيات <sup>(١)</sup> ، وابن زيدون ، وابراهيم الصولي ،  
حتى طمع بعضهم أن ينال به الملك ، كالمنبجي ، وابن عمار الأندلسي <sup>(٢)</sup> ، غير أنه  
دهى هذه الصناعة ما دهى العرب عامة أخريات هذا العصر باستعجاب السلاطين

(١) هو الوزير العظيم الشاعر الكاتب السياسي الجبار محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم  
والواثق والمتوكل ، نكبه المتوكل لحقد قديم وعذبه حتى مات سنة ٢٣٣ (٢) هو الشاعر  
البلغلي ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار المهري الأندلسي الشابي وزير المعتمد بن عباد صاحب  
أشبيلية من ملوك الطوائف خرج عليه واستقل بناحية تدمير فقتله المعتمد سنة ٤٧٧



والقواد فتكسب كثير من الشعراء بالكتابة في الدواوين ، وقصر ومدحهم على ملوكهم وقلت الرحلة بالشعر الى الأقاليم ، واستبدل الشعراء بالمدح الأوصاف والألغاز والأحاجي والسخرية والمزاح مما بلغ أشده في العصر التالي

١ - بشار بن بُرْد

هو أبو معاذ بشارُ المرَعثُ<sup>(١)</sup> بن بُرْدَ أشعر مُحَضَّرَمِي الدولتين ورأس الشعراء المحدثين ، وممهّد طريق الاختراع والبديع للمتفنين ، وأحد البلغاء المكفوفين وأصله من فُرس طُخارستان<sup>(٢)</sup> من سبى المهلب بن أبي صفرة ، ووقع ملكُ أبويه لبني عقيل بن كعب فنشأ بشارٌ فيهم ، وتربى في منازلهم ، واختلف الى الاعراب الضاربين بالبصرة حتى خرج نابعة زمانه في الفصاحة والشعر . وكان أكمه مجذور الوجه ، قبيح المنظر ، مفرط الطول ، ضخّم الجثة ، متوقّد الذكاء ، صادق الحس ، لطيف الهداية ، شديد الجون والاستخفاف بالناس ، كثير الاستهتار بالدين ، قليل المبالاة بالوقوع فيه متهمًا بالزندقة ، شعوبياً متعصباً على العرب ، شديد التبرم<sup>(٣)</sup> بالناس ، نهائشاً لأعراضهم ، لا يسلم من لسانه خليفة ولا سوقة ؛ وكان من سعادة الرجل من أهل البصرة ألا يعرف بشاراً ولا بشاراً يعرفه : فانه إن لم يصبه في عرضه أصابه في ماله

وقال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين . وما بلغ الحلم إلا وهو مخشى معرفة لسانه . وقد أجمع رواة الشعر وتقّده على أن بشاراً هو رأس المحدثين واسبقهم الى معاطاة البديع وطرق أبواب الجون والحلاعة والغزل الرقيق الحضري والهجاء المقذع ، وانه أول من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين ، وفنق عن المعاني الدقيقة والأخيلة اللطيفة حتى عدّ شعره برزخاً بين الشعر القديم والحديث ومجازاً يعبر عليه الشعر من مراع البداوة الى مقاصير الحضارة

(١) لانه كان في أذنه (رعمة) أي قرط (٢) اقليم بناحية ما وراء النهر على نهر

جيحون (٣) التضايق بالناس



وقد طرق كل باب من أبواب الشعر التي عرفت قبله وأرّب عليها. وغلب عليه الهجاء والتشبيب بالنساء والخروج به عن الحد المألوف عند أهل زمنه حتى أنكره عليه العلماء والمتورّعون لما رأوا من سوء أثره في شبان البصرة. وقد نهاه المهدي عن التشبيب فكان إذا مالت له نفسه يذكر منه ما يشاء، ويقول ان الخليفة منعه من كذا وكذا وأنه له مطيع. وضمن ذلك بعض قصائد مدح بها الخليفة فلم يزد على أن حرّمه الجائزة، وشجّه على ذلك وزيره يعقوب بن داود وكان متورعاً فهجأها، فكان ذلك الى زندقته سبب قتله سنة ١٦٧ وقد نيف على التسعين. وهاجي بشار الشعراء المفلّحين، ونصب له منهم حماد عجرد واحتدم بينهما اللجاج والتقاذف بالأقوال المقذعة، وظهر حماد عليه في بعض أهاجيه وآلمه وان لم يسقط منزلته ومن شعره في المشورة والحكم والنصائح:

طائفة  
من شعره

إذا بلغ الرأي المشورة فاستمع  
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة<sup>(١)</sup>  
وما خير كف أمسك الغل<sup>(٢)</sup> أختها  
وخل الهويني<sup>(٣)</sup> للضعيف ولا تكن  
وقال يفخر بولائه لمضر:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية  
إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة  
وقال يهجو عبيد الله بن قرعة:  
خليلى من كعب أعينا أحاكما  
ولا تبخلًا بخل ابن قرعة إنه  
هتكنا حجاب الشمس أو أمطرت دما<sup>(٤)</sup>  
ذرا منبر صلى علينا وسلاماً<sup>(٥)</sup>  
على دهره ان الكريم معين  
مخافة أن يرّجى نداء حزين

(١) مذلة ونقيصة (٢) حديد أو حبل تشد به اليد الى العنق (٣) تصغير الهوني مؤنث الاهوز، ومعناه التباطؤ والتمهل (٤) أى شققنا النقع الذى يحجب الشمس كالسحب يبروق سيوفنا حتى تظطر السماء (المفهومة من المقام) دما، ويدل على ذلك رواية (هتكنا سماء الله أو تقطر الدما)  
(٥) يريد أن كل خطيب تفتتح خطبته بالصلاة والسلام على محمد وآله وهم من مضر



كأن عبيد الله لم يلق ماجدا ولم يدر أن المكرمات تكون  
فقل لأبي يحيى متى تدرك العلاء وفي كل معروف عليك يمين  
إذا جئت في حاجة سدّ بابها فلم تلقه إلا وأنت كمين  
ومن أبياته السائرة :

الحر يلحى والعصا للعبد وليس للمأخيف مثل الرد  
تسقط الطير حيث ينتثر الحَبُّ وتغشى منازل الكرماء  
ولا بد من شكوى الى ذى مروءة يُواسيك أو يسليك أو يتوجع

٢ - أبو نؤاس

هو أبو عليّ الحسن بن هانيّ ، الشاعر المتفنن ، الجادّ الماجن ، صاحبُ  
الصّيت الطائر ، والشعر السائر ورأس المحدثين بعد بشار  
وهو فارسي الأصل ولد بقرية من كورة خوزستان (١) سنة ١٤٥ ونشأ يتيماً ،  
فقدمت به أمه البصرة بعد سنتين من مولده فتعلم العربية ورغب في الأدب ، فلم  
تعباً أمه بحاله ، وأسلمته الى عطار بالبصرة ، فسكت عنده لا يفتقر عن معاناة الشعر  
والاختلاف الى الأدباء والمجان الى أن صادفه عند العطار والبة بن الحباب الشاعر  
الماجن الكوفي في احدى قدماته الى البصرة ، فأعجب كل منهما بالآخر ،  
فأخرجه والبة الى الكوفة ، فبقى معه ومع ندمائه من خلعاتها ، وتخرّج عليهم  
في الشعر وفاقهم جميعاً . وقدم بغداد وقد أربت سنه على الثلاثين ، فاتصل ببعض  
الأمراء ومدحهم ، وبلغ خبره الرشيد فأذن له في مدحه ، فمدحه بقصائد طنانة ،  
وحبسه مرة على هجومه مضر

وكان يقصد بعض عمال الولايات ويمدحهم ، ومنهم الخصيب عامل مصر ، ثم  
انقطع الى مدح محمد الأمين . وثبت عنده بعض ما يوجب تعزيره فسجنه ، ولم يلبث  
بعد خروجه من السجن أن مات ببغداد سنة ١٩٩ (٢)

(١) شرق البصرة (٢) هذا رأى جامع ديوانه حمزة الاصهباني ، وفي ابن خلكان روايات أخرى  
الوسيط م (٣٣)



وكان أبو نواس جميل الصورة، فكفة المخضّر، كثير الدّعاة، حاضر البديهة، متيناً في اللغة والشعر والأدب، متعصباً لليمانية على المضّرية. وأكثر علماء الشعر وتقديته وفحول الشعراء على أن أبان نواس أشعرُ المحدثين بعد بشار وأكثرهم تفناً، وأرصنهم قولاً، وأبدعهم خيالاً مع دقة لفظ وبديع معنى، وأنه شاعرٌ مطبوع برّز في كلّ فن من فنون الشعر، وامتاز بقصائده الخمريات ومقطعاته المجونيات وأراجيزه الطرديات<sup>(١)</sup> وكان شعره لِقاحِ الفسادِ، والقُدوة السيئة لنقله الغزل من أوصاف المؤنث الى المذكر، والخروج بذلك من مألوف العرب وآدابهم، اذ لم يكن ذلك معروفاً قبله وقبل شيطانه والبة. وزاد على ذلك انفراده (بالإبداع) في وصف الخمر فكان نموذج سوء لمن تأخر؛ فافتتن بشعره الشبان في زمانه وبعده وحاكوه، وغلب عليهم هذا المذهب حتى صار الشاعر لا يُعَدُّ ظريفاً الا اذا مزج شعره بشيء من ذلك وان لم يقع في محظوراته

شعره

ومن جيد شعره قوله في التشبيب والمدح :

تقولُ غداةَ البين احدى نسايمهم      لى الكبدِ الحرّى فسِرّ ولك الصبر  
وقد خضبتُها عبْرَةٌ فلدمعها      على خدّها خد<sup>(٢)</sup> وفي نحرها نحر<sup>(٣)</sup>  
وقالت: الى العباس؟ قلتُ: فمن اذّا؟      ومالى عن العباس معدّى<sup>(٤)</sup> ولا قصر!  
فهل يُكفّلننّ إلاّ براحتة الندى؟      وهل يُزهونّ الا بأوصافه الشكر

طائفة  
من شعره

وقوله في الحماسة :

ومستعبدٍ اخوانه      بثراثة  
اذا ضمنى يوماً واياه      محفل  
أخالفه فى شكله وأجره      على المنطق المنزور والنظر الشّرر  
لقد زادنى تيّها على الناس أنى      أرانى أغناهم وان كنت ذا فقر  
فوالله لا يبدي لسانى حاجة      الى أحد حتى أغيب فى القبر

(١) هي أقواله في مطاردة الصيد وفيها يصف تبكيره الى الصيد وكلايه واوايد الوحش وكان من ابرع خلق الله وصفا لكب حتى تحله الرواة طرديات غيره (٢) شق (٣) شق أيضا (٤) أى تجاوز لانه مصدر ميمي من عدا بمعنى تجاوز



فلا تطمعن في ذاك منى سُوقة ولا ملك الدنيا المحجَّب في القصر  
فلو لم أرث فخرا لكان صيانتى فمى عن سؤال الناس حسبي من الفخر  
وقوله ينعت كلباً :

أنعت كلباً أهله من كده قد سعت جدودهم بجدّه  
وكل خير عندهم من عنده يظل مولاه له كعبده  
يبيت أدنى صاحب من مهده وان عرى جلاله ببرده  
ذا غرة محجلاً بزنده تلذ منه العين حسن قدّه  
تأخير شذقيه وطول خده تلقى الأطباء عنتاً من طرده  
يشرب كأساً شدها بشده يصيدنا عشرين في مرقدّه (١)

يا لك من كلب نسيج وحده

ومن أبياته السائرة قوله :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت له عن عدوِّ في ثيابِ صديق  
لا أذود الطير عن شجرٍ قد بلوت المر من ثمره  
ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

٣ - مسلم بن الوليد

هو صريع الغواني أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري أحد الشعراء المفلتقين

والبغاء المبدعين

قال الشعر في صباه ولم يتجاوز به الأمراء والرؤساء ، مكتفياً بما يناله من قليل  
العطاء ، ويُنفقه على مَلذّاته مع اخوانه من خُلعاء الشعراء ، ثم انقطع الى يزيد بن مزيد  
الشيباني قائد الرشيد ، ثم اتصل بالخليفة هرون الرشيد وعدّ من شعرائه ومدحه  
ومدح البرامكة وحسن رأيهم فيه . ولما أصبح الحل والعقد بيد ذى الرياستين :  
الفضل بن سهل وزير المأمون في أوّل خلافته ، قرّبه وأدناه : لأنه كان من خاصته



قبل وزارته وولاه أعمالاً بجرّجان اکتسب منها الف الف درهم ، ثم لزم منزله الى أن انفقها في اللذات وعاد الى الفضل فقلده الضياع بإصهبان فاكتسب منها ألف ألف أيضاً . ولما مات الفضل لزم منزله ونسك ولم يمدح أحداً حتى مات بجرّجان (١)

سنة ٢٠٨

ومسلم أوّل من تكلف البديع في شعره واستكثر منه في قوله ، وسبقه بشائر إلى استعمال البديع إلا أنه لم يبلغ شأو مسلم فيه ، وقد عدّ العلماء هذا التصنع والتكلف إفساداً للشعر إذ قد تبعه في ذلك الشعراء مثل أبي تمام والبُحترى وابن المعتز وغيرهم وقد مزج مسلمُ كلامَ البدويين بكلام الحضريين فضمّنه المعاني اللطيفة وكساه الألفاظ الظريفة ، فله جزالة البدويين ورقة الحضريين

شعره

ومن كلامه في المدح :

وَرَدْنَ رِوَاقَ الْفَضْلِ فَضِلَ بِنَ خَالِدٍ  
بَكْفِ أَبِي الْعَبَّاسِ يُسْتَمَطَّرُ الْغَنَى  
فَحِطَّ الثَّنَاءَ الْجَزَلَ نَائِلُهُ الْجَزْلُ  
وُتَسْتَنْزَلُ النِّعْمَى وَيُسْتَرْعَفُ (٣) النَّصْلُ  
وَإِذَا الْأَمْرُ لَمْ يَعْطِفْهُ تَقْضٌ وَلَا قَتْلٌ  
وَيُسْتَعْطَفُ الْأَمْرُ الْأَبْيُّ بِحِزْمِهِ

طائفة  
من شعره

وقوله :

قالوا أبو الفضل محموم فقلت لهم  
يأليت علته بي غير أن له  
ومن قوله في الرثاء :

أما القبور فانهن أوانس  
عمت مصيبيته وعم هلاكه  
بجوار قبرك والديار قبور  
فالناس فيه كلهم مأجور  
ردت صنائعه اليه حياته  
فكأنه من نشرها منشور

ومن هجائه لدعبل الخزاعي :

أما الهجاء فدقَّ عَرْضُكَ دُونَهُ  
والمدح عنك كما علمتَ جليل

(١) بلدة عظيمة كانت بالقرب من بحر قزوين الى الجنوب الشرقي منه (٢) رعى سال بالدم أى يستدى السيف



فاذهب فأنت طليق عَرَضِكَ انه عَرَضٌ عَزَزْتَ به وأنت ذليل  
ومن جيد قوله:

أرادوا ليُخَفُوا قبره من عدوه فطيبُ ترابِ القبرِ دلّ على القبرِ

يجودُ بالنفس ان ضنَّ الجوادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غايةِ الجودِ

دلّت على عيبها الدنيا وصدّقها ما استرجع الدهر مما كان أعطاني

#### ٤ - أبو العتاهية

هو أبو اسحقَ اسماعيلُ بن القاسمِ بن سُويد، أطع أهل زمانه شعراً وأكثروهم  
قولاً وأسهمهم لفظاً وأسرعهم بديهة وارتجالاً، وأوّل من فتح للشعراء باب الوعظ  
والتزهيد في الدنيا والنهي عن الاغترار بها وأكثروا من الحكمة

ولد بعين التمر (١) سنة ١٣٠ ونشأ بالكوفة في عمل أهله وكانوا باعة جرار إلا أنه  
رباً بنفسه عن عملهم . وقال الشعر في صباه وامتزج بلحمه ودمه حتى صار كما قال  
هو في نفسه : ( لو شئتُ أن أجعل كلامي كأه شعرأً لفعلتُ ) فداع صيتهُ وسلك  
طريق خُلعاء الكوفة - ثم قدّم بغداد ومدح المهديّ وتعرّف ببعض خدم قصر الخلافة  
وجواريه ، فتعشّق منهن فتاة تدعى عتبة . ولما ينس منها لها عنها بعض الشيء ،  
ودرس كثيراً من مذاهب المتكلمين والشيعة والجريرية والزهاد ، فكان يسلك  
كل مذهب منها عدة أيام ثم ينتقل عنه الى الآخر حتى اختار له من كل ذلك عقيدةً  
مختلطةً أفضت به الى العبادة والزهد في الدنيا قولاً ومعيشةً على إفراط منه في حب  
المال والجمع له والبخل به على الأهل والولد والخدم

ولم يأت عصر الرشيد حتى أضرب عن الغزل وقصر قوله على الزهد في الدنيا  
والتذكير بالموت وأهواله ؛ وهو في خلال ذلك يمدح الخليفة وملوك الدولة ويأخذ  
جوائزهم . ثم عرضت له حالٌ امتنع فيها عن قول الشعر البتة ، حتى حبسه الرشيدُ  
لعدم تلبية ما اقترحه عليه من القول فيه . ثم أطلقه بعد أن أجاب طليته وعاد إلى

(١) قرية قرب الانبار



قول الشعر على عادته فيه وترك الغزل والهجاء، وبقى على ذلك مدة الرشيد والأمين  
وأكثر أيام المأمون حتى مات سنة ٢١١ ببغداد

شعره ويمتاز شعره بالسهولة المتناهية بالإضافة الى أهل عصره وانطباعه ورقته وقرب  
معانيه مما يجول بخواطر الخاصة والعامة ولا سيما الزهاد منهم فكان بذلك شاعر  
الملوك والسوقة

ومن شعره يمدح المهدي :

أنته الخِلافةُ مُنْقَادَةٌ	اليه تجرّر أذيالها
فلم تك تصلح إلا له	ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامها أحدٌ غيره	لزُلزِلت الأرض زلزالها
ولو لم تُطعمه بناتُ القلوب	لما قبلَ اللهُ أعمالها
وإن الخليفة من بغض لاً	اليه ليُبغض من قالها

وكتب على البديهة في ظهر كتاب :

ألا إننا كلنا بائدٌ	وأى بنى آدم خالد
وبدوهم كان من ربهم	وكلٌّ الى ربه عائد
فيا عجباً كيف يعصى الاله	أم كيف يجحدُه الجاحد
ولله في كلِّ تحريكةٍ	وفي كلِّ تسكينةٍ شاهد
وفي كلِّ شئٍ له آيةٌ	تدلُّ على أنه واحد

ومن حكمه وأمثاله مزدوجته التي ضمنها أربعة آلاف مثل، ومنها :

حسبك مما تبغيه القوت	ما أكثر القوت لمن يموت
هي المقاديرُ فلمنى أو فدر	إن كنت أخطأتُ فما أخطأ القدر

ومنها :

ان الشباب والفرّاغ والجده	مفسدةٌ للمرء أى مفسده
---------------------------	-----------------------



ومن قوله :

ما الناسُ إلا للكثيرِ المالِ أو ملسطُ ما دام في سلطانه  
فاذا الزمانُ رماها ببيلة كان الثقات هناك من أعوانه<sup>(١)</sup>

ومن قوله أيضاً :

عذيري من الانسان لا ان جفوته صفالى ولا ان صرت طوع يديه  
وانى لمشتاق الى ظل صاحب يروق ويصفو ان كدّرت عليه

### ٥ — أبو تمام

هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائيُّ أسبق ثلاثة الشعراء الذين سارت  
بذكرهم الرُّكبانُ وخلد شعراهم الزمان ، ثانيهم البحتري ، وثالثهم المتنبي .  
والمشهور في نسبه أنه عربي طائي<sup>(٢)</sup> ولد سنة ١٩٠ بقرية جاسم على ثمانية فراسخ  
من دمشق ، وكان أبواه فقيرين ، وتقل صغيراً الى مصر فنشأ بها فقيراً ، وكان يسقى  
الماء بالجرّة في جامع عمرو . ولعل طول مقامه بالمسجد ( وهو يومئذ عيش العلماء )  
حبب اليه العلم والأدب ؛ فتعلم العربية وحفظ ما لا يحصى من شعر العرب ، ونبغ  
في قوله . ثم خرج الى مقرّ الخلافة فمدح المعتصم وحظي عنده ، ومدح وزيره محمد  
ابن الزيات والحسن بن وهب<sup>(٣)</sup> صاحب ديوان رسائله وغيرهم ، ورحل الى  
كبار العمال بمالكهم ومدحهم بالقصائد الخالدة ، وقرّبوه منهم الى حد الصداقة  
والإخاء ، ورغبوا به عن التكسب بالشعر ؛ فولاه الحسن بن وهب يريد الموصل ،  
فأقام بها الى أن مات سنة ٢٣١ هـ<sup>(٤)</sup>

وكان أسمر طويلاً فصيحاً حلوا الكلام فيه تتمّة يسيرة ، حاضر الذهن ، سريع

(١) أى من أعوان الزمان

(٢) اختلف في صحة نسبه الى طي فكثير يقول ان أباه كان نصرانيا من أعاجم الشام وكان  
اسمه ( تدوس ) فقير الى ( أوس ) ونحن نرجح رأى من يقول بعربيته ومنهم صاحب الاغانى  
الذى يقول فيه انه ( من نفس طي صليبية )

(٣) أجداد آل وهب وذريتهم أهل كتابة وبلاغة كتبوا للامراء والخلفاء منذ صدر الاسلام  
الى أواسط الدولة العباسية (٤) في مولد أبي تمام ووفاته روايات عدة اخترنا منها هذه



الجواب ، قلما عُرِفَ من أهل زمانه مثله في حِدَّةِ الخاطر ولطافة الحِسِّ (١)  
ويُعَدُّ أبو تمام رأس الطبقة الثالثة من المحدثين ، انتهت إليه معاني المتقدمين  
والمُتأخِرِينَ ، وظهرَ والدنيا قد مُلِئَتْ بترجمة علوم الأوائل وحِكْمِهَا : من اليونان  
والفرس والهند فحُصِفَ عقله ولطُفَ خياله بالاطلاع عليها ، واستخرج من جملة ذلك  
طريقته التي آثر بها تجويدَ المعنى على تسهيل العبارة . وكان أوَّلَ من استكثر من  
الحِكمِ والأمثال في القصائد والاستدلال على الأمور بالأدلة العقلية ، والكنائيات  
الخفية ، ولو أفضى به ذلك الى التعقيد أحياناً ، وحاول ستر ذلك بالجناس والطباق  
والاستعارة فسلم له بعضُها واعتلَّ عليه بعضُها (٢) ، فأتى من الجناس بما التاث به  
شعره ، وصار كالكلف في صفحة البدر ، ومع هذا قد سلم له من كلامه جملة لم  
يُحْمَ حولها سابق ، وعجز عن محاکاتها كلُّ لاحق

وهو الذي مهدَّ طريق الحِكمِ والأمثال للمتنبي وأبي العلاء وغيرهما ؛ ولذلك  
كان يقال : إن أبا تمام والمتنبي حكيمان والشاعر هو البحترى  
ولم يُرْزَقَ أحدُ السعادة في شعره وتناول الناس له نقداً وشرحاً واشتهاراً به مثل  
هؤلاء الثلاثة

وأجاد أبو تمام في كل فن من فنون الشعر . أما مرثيته فلم يعلق بها أحد جاش  
صدره بشعر

وأشهرها القصيدة التي رثى بها محمد (٣) بن حُمَيْدِ الطائي ومنها :

- (١) حكى انه لما مدح احمد بن المعتصم بقصيدته السنية واتهمى فيها الى قوله :  
اقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم احنق في ذكاء اياس  
قال له ابو يوسف يعقوب الكندي الفيلسوف وكان حاضرا « الامير فوق من وصفت » فاطرق مليا  
وقال ارتجالا : لا تنكروا ضربى له من دونه مثلا شرودا في الندى واليباس  
فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس  
(٢) كقولوه : خان الصفاء اخ خان الزمان اخا عنه فلم يتخون جسمه الكمد  
وكقولوه : يوم أفاض جوى اغاض تمزيا خاض الهوى بجوى حجاج المزيدي  
(٣) هو أبو نصر محمد بن حميد وهو واخوته من شيعة الدولة العباسية وأنصارها وقوادها  
قتل في احدى وقائع الحرّمية أصحاب بابك الحرّمي



نموذج  
من شعره

كذافيئجل الخطبُ وليقدح الأمرُ  
توفيت الآمال بعد محمد  
وما كان الأمال من قلّ ماله  
وما كان يدري مجتدي جود كفه  
الآ في سبيل الله من عطّلت له  
فتي كلما فاضت عيون قبيلة  
فتي دهره شطران فيما ينوبه  
فتي مات بين الطعن والضرب ميته  
وما مات حتى مات مَضْرِبُ سيفه  
وقد كان فوت الموت سهلاً فرده  
ونفسه تعاف العار حتى كأنما  
فأثبت في مستنقع الموت رجله  
غدا غُدوة والحمد نسج ردائه

وله من قصيدة يمدح بها الحسن بن رعاء (١) :

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى  
فالسيل حرب (٢) للمكان العالى  
وتنظري (٣) خيب (٤) الركاب (٥) ينصّبها (٦)  
محي القريض (٧) الى مميت المال

ومن قوله في الحجاب :

ياأيها الملك النائي بغيرته  
ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا  
ومن أبياته السائرة قوله :

فلو صورت نفسك لم تزدّها  
على ما فيك من كرم الطباع

(١) من رؤساء الكتاب في دولة المأمون والمعتمد (٢) أى محارب (٣) انتظري  
(٤) سرعة سير (٥) ابل السفر (٦) يسوقها (٧) يريد نفسه (٨) قريب  
الوسط م (٣٤)



وقال :

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل      ويكدي الفتى في دهره وهو عالم  
ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا      هلكن إذاً من جهلن البهائم  
وقال في وصف سحابة :

سحابة صادقة الأنواء      تجرُّ أهداباً على البطحاء  
تجمع بين الضحك والبكاء      بدت بنار وثنت بماء  
ومن أخم قصائده قصيدته البائية التي هنا بها الخليفة المعتمد بفتح عمورية  
ويسخر فيها بالمنجمين وأولها :

السيف أصدق أبناء من الكتب      في حده الحدّ بين الجدِّ واللعب  
بيض الصفائح لا سود الصحائف في      متونهن جلاء الشك والريب

### ٦ — المُحتَرى<sup>(١)</sup>

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي الشاعر المطبوع ، أشهر من استحق لقب  
(شاعر) على الاطلاق بعد أبي نواس

منشؤه

ولد سنة ٢٠٦ بناحية منبج<sup>(٢)</sup> في قبائل طي وغيرها من البدو الضاربين في  
شواطئ الفرات ، ونشأ بينهم فغلبت عليه فصاحة العرب . ولازم وهو فتى أبا تمام  
وعليه تخرج واقتبس طريقته في البديع بغير إفراط . وخرج إلى العراق وأقام في  
خدمة المتوكل والفتح بن خاقان محترماً عندهما مرعياً الجانب إلى ان قُتلا في  
مجلس كان هو حاضره ، فرجع إلى منبج . وبقي يختلف أحياناً إلى رؤساء بغداد  
وسرّ من رأى حتى مات سنة ٢٨٤ هـ

وكان على فضله وفصاحته ورقة كلامه وبديع خياله من أبجل خلق الله وأوسعهم  
ثوباً وأبعضهم إنشاداً ، وأكثرهم خراً بشعره ؛ حتى كان يقول إذا أعجبه شعره :  
أحسنْتُ والله ، ويقول للمستمعين : ما لكم لا تقولون أحسنت ؟ هذا والله ما لا  
يحسن أحد أن يقول مثله

(١) نسبة إلى بختر بطن من طي (٢) بين الفرات وحلب



والكثير على انه لم يأت بعد أبي نواس من هو أشعر من البحترى ولا بعد  
البحترى من هو أطبع منه على الشعر ولا أبدع منه في الخيال الشعري . ولنشأته  
البدوية ابتعد في شعره عن مذاهب الحضريين وتعمتهم وفلسفتهم ؛ فكان شعره  
كله بديع المعنى حسن الديباجة ، صقيل اللفظ ، سلس الأسلوب ، كأنه سيل ينحدر  
الى الأسماع ، مجوداً في كل غرض سوى الهجاء ، ولذلك اعتبره كثير من أهل  
الأدب هو الشاعر الحقيقي ، واعتبروا أمثال أبي تمام والمتنبي والمعري حكماً ، ولسهولة  
شعره ورقته كان أكثر الأصوات التي يتغنى بها في زمنه من شعره . وله ديوان  
كبير طبع في جزأين في الاستانة وغيرها . ومن أحسن قوله :

دنوت تواضعاً وعلوت مجداً      فشاناك انحدار وارتفاع  
كذاك الشمس تبعدان تسامى      ويدنو الضوء منها والشعاع

ومن قوله في سرى الليل وطلوع الفجر :

ولقد سریت مع الكواكب راكباً      أعجازها (١) بعزيمة كالكوكب  
والليل في لون الغراب كأنه      هو في حلوكته (٢) وان لم ينعب (٣)  
والعيس (٤) تنصل (٥) من دجاء كما انجلى      صيغ الخضاب عن القدال (٦) الأشيب  
حتى تبدى الفجر من جنباته      كلما يلعب من خلال الطُّحلب (٧)  
ومن قوله في الحكمة :

إذا ما نسبت الحادثات وجدتها      بنات زمان أرصدت لبنيه  
متى أرت الدنيا نباهة حامل      فلا ترتقب إلا خمول نبيه  
وقال يمدح أمير المؤمنين المتوكل :

بسر من رأ لنا امام      تعرف من بجره البحار  
خليفة يرتجى ويخشى      كأنه جنة ونار  
كلتا يديه تفيض سخاً      كأنها ضرة تغار

(١) ما خيرا (٢) في شدة سواده وظلامه (٣) نقيب الغراب صياحه (٤) الابل البيض  
(٥) تخرج (٦) شعر مؤخر الرأس (٧) ما يظفو على وجه الماء الآسن من الحضرة



فليس تأتي اليمين شيئاً  
الا أتت مثله اليسار  
فالملك فيه وفي بنيه  
ما اختلف الليل والنهار

وقال يصف الربيع :

أتاك الربيعُ الطلقُ يخال ضاحكا  
وقد نبه النيروزُ في غسقِ الدجى  
يُفتقها برْدُ الندى فكأنه  
فمن شجرِ ردِّ الربيعِ لباسه  
أحلَّ فأبدى للعيون بشاشةً  
وكان قذَى للعين إذ كان مُحْرَما  
ورقٌ نسيمِ الريحِ حتى حسبته  
يجيءُ بأنفاسِ الأُحبة نِعْمًا  
من الحسنِ حتى كاد أن يشكلا  
أوائلَ ورْدٍ كُنَّ بالأمسِ نُومًا  
يُبثُّ حديثًا كان قبلُ مَكْتَمًا  
عليه كما نشرتُ وشيأ منمنما  
وكان قذَى للعين إذ كان مُحْرَما  
ورقٌ نسيمِ الريحِ حتى حسبته

### ٧ - ابن الرومي

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج الرومي مولى بنى العباس ، الشاعر  
المكثر المطبوع ، صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ، والمعاني المخترعة ،  
والأهاجي المقذعة

ولد ببغداد سنة ٢٢١ ونشأ بها وأقام كل حياته ، وكان كثير التطير جداً ، وله  
فيه أخبار غريبة ، حتى كان أصحابه إذا أرادوا أن يعبثوا به أرسلوا اليه من يتطير  
من اسمه فلا يخرج من بيته ، ويمتنع من التصرف سائر يومه . وكان القاسم بن  
عبيد الله وزير المعتز يخاف هجوه وقلبات لسانه ، فيقال انه دس عليه من أطعمه  
خُشْكِنَانَةً<sup>(١)</sup> مسمومة فأكلها ، ثم أتى منزله وأقام به أياماً ومات سنة ٢٨٣  
ببغداد . وقيل بل مرض ووصف له الطيب دواءً فيه سُمٌّ فغلب في مقداره واكثر  
منه فمات

وقال ابن الرومي الشعر في كل غرض ولا سيما الوصف والهجاء ونبغ في الشعر  
نبوغاً لم يقصّر به كثيراً عن درجة البحترى ، وربما فاقت في اختراع المعاني النادرة

شعره

(١) ترادف ما يسمى الان ( بسكويتا )



أو توليدها من معاني من سبقه بشكل جديد، ووضعها في أحسن قالب؛ وكان اذا اخترع المعنى أو ولده من كلام غيره لا يزال يستقصى فيه وينظمه بوجوه مختلفة حتى لا يدع فيه بقية؛ وهو ممن جمع صقال اللفظ وإجادة المعنى. ويكفيه فضلاً أن يكون المتنبي أحد رواة ديوانه والآخذين عنه. وكان يكثر القول في مطولاته. فيرذل منها الكثير. وله ديوان كبير طبع بعضه، ومن معانيه البديعة قوله:

وإذا امرؤ مدح امرأ لنواله      وأطال فيه فقد أطال هجاءه  
لوم يقدر فيه بعد المسنقى      عند الورود لما أطال رشاءه<sup>(١)</sup>

وقال يمدح:

كأن مواهبه في المحو      ل آراؤه عند ضيق الحيل  
فلو كان غنياً لعم البلاد      ولو كان سيقاً لكان الأجل  
ولو كان يعطى على قدره      لأغنى النفوس وأغنى الأمل

وقال:

كم من يد بيضاء قد أسديتها      تثنى اليك عنان كل وِداد  
شكر الإله صنائعاً أوليتها      سلكت مع الأرواح في الأجساد  
وقوله في صانع رفاق:

ما أنس<sup>(٢)</sup> لا أنس خبازاً مررت به      يدحو<sup>(٣)</sup> الرقاقة مثل اللحم بالبر  
ما بين رؤيتها في كفه كرة      وبين رؤيتها قوراء<sup>(٤)</sup> كالقمر<sup>(٥)</sup>  
إلا بمقدار ما تنداح<sup>(٦)</sup> دائرة      في لجة الماء يلقى فيه بالحجر

وقال في بغداد وقد غاب عنها في بعض أسفاره:

بلد صحبت به الشيبية والصبا      ولبست ثوب اللهو وهو جديد  
فاذا تمثل في الضمير رأيتها      وعليه أغصان الشباب تميد

(١) حبله (٢) (ما) شرطية و(انس) فعل الشرط و(لا أنس) جوابه — والمعنى ان نسيت شيئاً لا أنس كذا (٣) يبسط (٤) واسعة (٥) في حسن الاستدارة والبياض (٦) تعظم وتنبسط



وقال وهو يوجد بنفسه :

غَطَّ الطَّيِّبَ عَلَى غَلْطَةِ مُورِدٍ عَجَزَتْ مَوَارِدُهُ عَنِ الإِصْدَارِ  
وَالنَّاسَ يَلْحَوْنَ الطَّيِّبَ وَأَمَّا غَلْطُ الطَّيِّبِ إِصَابَةُ الأَقْدَرِ

### ٨ - ابن المعتز

هو أمير المؤمنين أبو العباس عبد الله ابن أمير المؤمنين محمد المعتز بالله ، أشعر  
بني هاشم ، وأبرع الناس في الأوصاف والتشبيهات

ولد سنة ٢٤٧ هجرية في بيت الخلافة ، وتربى تربية الملوك ؛ وأخذ عن المبرد<sup>(١)</sup>  
وثعلب<sup>(٢)</sup> ومؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقي<sup>(٣)</sup> وغيرهم ، ومهر في العربية والأدب  
وكل علم يعرفه أمة عصره وفلاسفة دهره ، حتى هابه وزراء الدولة وشيوخ كتّابها ،  
وعملوا على أن لا يقلدوه الخلافة خشية أن يكفأ أيديهم عن الاستبداد بالملك ،  
وولّوا المقتدر صبياً . ثم حدثت قنن عظيمة قسرع محمد بن داود بن الجراح<sup>(٤)</sup>  
( وكان من أفاضل الكتّاب والأدباء ) وجمع العلماء والكتّاب والقضاة وخلعوا  
المقتدر ، وبايعوا ابن المعتز بالخلافة على غير طلب منه ، فلما رأى غلمان المقتدر أن  
الأمر سيخرج من أيديهم حملوا على أتباع ابن المعتز فاختموا في دار بعض التجار<sup>(٥)</sup> ،  
فقبض عليه وخنق من ليلته ودفن ببحر بة بجوار داره سنة ٢٩٦ هجرية

وكان ابن المعتز سهل العبارة ، كثير مراعاة البديع في قوله مع رشاقة وقلة  
تكلف وتصنع . ولما كان مقامه يجلّ عن الاكتساب بالشعر قلّ المدح في كلامه  
إلا في أهل بيته من الخلفاء وبعض وزراء الدولة ، وزاد في التشبيهات البديعة ،

شعره

(١) هو النحوي البصرى العظيم والاديب الكبير أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الأزدي  
المتوفى سنة ٢٨٥ صاحب الكامل والروضة والمقتضب (٢) هو النحوي العظيم الكوفي أبو  
العباس احمد بن يحيى المشهور بثعلب ، توفى سنة ٢٩١ (٣) كان أديباً متفلسفاً أدب عبد الله  
وروى عنه أخباره وشعره (٤) كان كاتباً عارفاً بأخبار الناس ودول الملوك ، له جملة مصنفات ،  
قتل في قننة ابن المعتز سنة ٢٩٦ (٥) هو ابو عبد الله الحسين المعروف بابن الجصاص التاجر  
الجوهري أخذ منه المقتدر في حادثة ابن المعتز التي الف دينار وسلم له بعد ذلك سبعمائة الف  
دينار ، وكان فيه غفلة وبه على غنى مفرط ، توفى سنة ٣١٥



وأوصاف محاسن الطبيعة، ومجالس الأُنس، ومراسلة الاخوان في الدعوة اليها،  
ووصف الصيد وكلابه وبواشقه وفهوده، والقلم والقرطاس، ونحو ذلك  
والمتمامل في شعره يعرف فيه نَضْرَةَ النعيم، وتَرَفَ الملك ورقة الخيال،  
ولطف الوجدان

ومن ابتداءاته الجميلة قوله :

أخذت من شبابي الأيام وتولى الصبا عليه السلام  
وارعوى باطلي فبان حديث النفس منى وعفت الاحلام  
وقوله :

ما المغاني من بعدهم بالمغاني فليكن شأنك البكاء وشاني  
امتحنى ربهم وكان جديداً ونأى منهم الذي كان داني  
ما مررنا على لوى فيه نَعْمٌ<sup>(١)</sup> مذ مررنا على لوى نعمان<sup>(٢)</sup>

ومن شعره قوله يصف فصل الربيع :

حبذا آذار شهراً فيه للنور انتشار  
ينقص الليل اذا حل م ويمتد النهار  
وعلى الأرض اصفرار واخضرار واحمرار  
فكان الروض وشئ بالغت فيه التجار  
نقشه آس ونسرين وورد وبهار

ومن تشبيهاته قوله في الهلال :

وانظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر  
وقوله :

انظر الى حسن هلال بدا يهتك من أنواره الحندسا<sup>(٣)</sup>  
كمنجل قد صيغ من فضة يحصد من زهر الدجى نرجسا

(١) من أسماء نساءهم (٢) مكان وجيلان ببلاد العرب (٣) الظلام



وقال يصف :

كأن سماءنا لما تجلّت      خلال نجومها عند الصباح  
رياض بفسج خضيل نداء      تفتح بينه نور الأماحي

وقال :

قد أغتدى والليل في جلابه      كالحبشى فرّ من أصحابه  
والصبح قد كشر عن أنيابه      كأنما يضحك من ذهابه

وقال :

وفتيان غدوا والليل داج      وضوء الصبح متهم الورود  
كان بزاتهم أمراء جيش      على أكتافهم صدا الحديد

## ٩ - أبو الطيب المتنبي

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي المتنبي ، الشاعر الحكيم صاحب الأمثال السائرة ، والمعاني النادرة ، وخاتم ثلاثة الشعراء ، وآخر من شارف شعره غاية الارتقاء

وهو من سلالة عربية من قبيلة جعفي بن سعد العشيرة : إحدى قبائل اليمانية ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ في محلة كندة ونسب إليها ، وليس بكندي . ونشأ بها وأولع بتعلم العربية من صباه . وكان نادرة في الحفظ لا يسأل عن شيء إلا استشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر : وكان أبوه فيما يقال سقياً ، فخرج به الى الشام ، ورأى أبو الطيب أن استتمام علمه باللغة والشعر لا يكون إلا بالمعيشة في البادية فخرج الى بادية بني كلب ، وهو بعد فتى لا يزيد عمره على عشرين سنة ، فأقام بينهم مدة ينشدهم من شعره ويأخذ عنهم اللغة إذ كانت لا تزال صحيحة بالبادية حتى أحاط بغريبها وحوشها ؛ فاعظم شأنه بينهم . وكانت الأعراب الضاريون بمشارف الشام



شديدي الشعب على ولايتها فوشى بعضهم الى لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيدية (١)  
 بأن أبا الطيب ادعى النبوة في بني كلب (٢) وتبعه منهم خلق كثير ويخشى على  
 ملك الشام منه . فخرج لؤلؤ الى بني كلب وحرارهم وقبض على المتنبى وسجنه طويلاً  
 ثم استتابه وأطلقه (٣)

فخرج من السجن وقد لصق به اسم المتنبى مع كراهته له . ثم تكسب بالشعر  
 مدة انتهت بلحاقه بسيف الدولة بن حمدان (٤) فمدحه بما خلد اسمه أبد الدهر ، وتعلم  
 منه الفروسية ، وحضر معه وقائعه العظيمة مع الروم حتى عد من أبطال القتال طمعاً  
 منه أن يكون صاحب دولة . وبقى أثراً عنده مقدماً على جميع حاشيته وبطانته مع  
 صلغته وتيئه . فوشوا به الى سيف الدولة . وكان أشدهم حسداً له ابن خالويه النحوي (٥)  
 مؤدب سيف الدولة . فجرت مناظرة بينه وبين أبي الطيب في مجلس سيف الدولة ،  
 فضر به ابن خالويه بفتح حديد في وجهه فشجّه ولم ينصفه سيف الدولة منه . فقصده  
 أبو الطيب كافوراً الاخشيدى أمير مصر رجاء أن ينال عنده ما لم ينل عند سيف  
 الدولة ، ومدحه بقصائد سنية . ووعد كافور أن يقلده امارة أو ولاية . ولكنه لما  
 رأى تغاليه في شعره وفخره بنفسه عدل أن يوليه ، وعاتبه بعضهم في ذلك فقال :

(١) الدولة الاخشيدية هي دولة استقلت بمصر والشام والحجاز استقلالاً داخلياً من سنة  
 (٣٢٤ — ٥٣٥٨ هـ) ورأسها (محمد بن طفح الاخشيد) مات سنة ٣٢٤ وخلفه ابنه أبو القاسم  
 أنوجور وكان صغيراً فجعل الاستاذ أبو المسك كافور الخصى الاسود قيماً عليه فمات أنوجور سنة ٣٤٩  
 وخلفه أخوه علي ولم يكن له مع كافور من الامر شيء ومات سنة ٣٥٥ فتولى كافور ملك مصر  
 وجاء تقليد الخليفة ومات سنة ٣٥٧ فتولى احمد بن علي بن الاخشيد فاقام شهوراً حتى جاءت  
 الدولة الفاطمية وفتحت مصر (٢) راجع مصور جزيرة العرب الملحق بهذا الكتاب

(٣) راجع كتاب تاريخ أدب اللغة في العصر العباسي

(٤) هو أبو الحسن علي أشهر أمراء الدولة الحمدانية من قبيلة تغلب ، وكان سيف الدولة  
 يملك حلب والعواصم ، ثم أخذ دمشق من الاخشيدية ومات سنة ٣٥٦ وكان أخوه الحسن ناصر  
 الدولة تملك الموصل والجزيرة وخلف سيف الدولة ابنه سعد الدولة ، وخلف ناصر الدولة ابنه أبو  
 تغلب ثم أخوه الفضنفر (٥) هو أبو عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه كان اماماً في اللغة  
 والنحو توفي سنة ٣٧٠



يا قوم : من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم أما يدعى المملكة بعد كافر! فحسبكم . فعاتبه أبو الطيب عتاباً أمضه وآلمه ، واستأذن في الخروج من مصر فأبى ، فتغفله ليلة عيد النحر سنة ١٣٥٠ هـ وخرج منها يريد الكوفة ، ومنها قصد عضد الدولة بن بويه بفارس ماراً ببغداد ، فدحه ومدح وزيره ابن العميد فأجزل صلته وعاد الى بغداد ؛ وخرج الى الكوفة . فخرج عليه أعراب بنى ضبة وفيهم فاتك ابن أبي جهل وكان المتنبي قد هجاه هجاءً مقدما ، فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل هو وابنه وغلامه سنة ٣٥٤

منزلته في الشعر - لا خلاف عند أهل الأدب في أنه لم ينبغ بعد المتنبي في الشعر من بلغ شأوه أو دناؤه ، والمعري على بعد غوره وفرط ذكائه وتوقد خاطره وشدة تعمقه في المعاني والتصورات الفلسفية يعترف بأبي الطيب ويقدمه على نفسه وغيره على أنهم مجمعون أن البحترى من حيث رقة اللفظ وحسن التخيل يفضل أبا تمام والمتنبي ، ويختلفون في المفاضلة بين الأخيرين من حيث الحكم والمعنى ، ولعل المتنبي أرجحهما . وقد قال المتنبي الشعر في كل غرض من أغراضه ، وأجاد في وصف المعارك والعتاب والمراثي ، أما مدائحها فهي أكثر بضاعتها ، وقلماً ترك فيها معنى لم يطرقة . ولثقتة بنفسه في اللغة وعلوم العربية جعل غايته في شعره إبراز معانيه الشريفة وأفكاره الدقيقة على أى لفظ كان وبأى أسلوب تهيأ له ، ولو لم يجر على مشهور القياس (١) أو ينطبق على وجوه البلاغة والأساليب الشعرية (٢) السهلة ؛ ولذلك تجدد في كلامه كثيراً من الغرابة (٣) والتعقيد اللفظي (٤) . وله من الحكم والأمثال ما يربو به على كل شاعر تقدمه . وقد أصبح للغة العربية وآدابها من كلامه

موازنة بين المتنبي والطائيين

شعره

- |                                       |                            |
|---------------------------------------|----------------------------|
| (١) كقوله ولا يبرم الامر الذى هو حال  | ولا يحل الامر الذى هو مبرم |
| (٢) » لو لم تكن من ذالورى اللذ منك هو | عقت بمولد نسلها حواء       |
| (٣) » مبارك الاسم أغرّ القلب          | كريم الجرشى شريف النسب     |
| (٤) » انى يكون أبا البرية آدم         | وأبوك والثقلان أنت محمد    |



ثروة لم تكن لها لولاه ، وما من كاتب أو خطيب أو متكلم أو مناظر أو مدرس  
إلا وله من حكم المتنبي مدد أيما مدد

ومن قوله :

إذا رأيت نيوب الليث بارزةً  
أعيدها نظراتٍ منك صادقةً  
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره  
يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم  
ان كان سرِّكم ما قال حاسدنا  
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفةً  
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم  
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا

فلا تظننَّ أن الليث يتسمُّ  
أن تحسب الشحْمَ فيمن شحمه ورم  
إذا استوت عنده الأنوار والظلم  
وجداننا كلَّ شيءٍ بعدكم عدم  
فما لجرحٍ إذا أرضاكم ألم  
ان المعارف في أهل النهي ذمم  
ويكره الله ما تأتوت والكرم  
ألا تفارقهم فالراحلون هم

ومن قوله يمدح سيف الدولة ويصف معركة :

أثوك يجرون الحديد كأنما  
خمس بشرق الأرض والغرب زحفه  
تجمع فيه كل لسن (٣) وأمة  
وقفت وما في الموت شك لواقف  
تمر بك الأبطال كلهم (٤) هزيمة  
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهي  
ضمت جناحيهم على القلب ضمةً  
بضرب أتى الهامات والنصر غائب  
حقرت الردينيات (٦) حتى طرحتها  
ومن طلب الفتح الجليل فأنما  
نثرهم فوق الاحيدب (٧) كله

سروا بجياد ما هن قوائم (١)  
وفي أذن الجوزاء منه زمازم (٢)  
فما يفهم الحداث إلا التراجم  
كأنك في جفن الردى وهو نائم  
ووجهك وضاح وثغرك باسم  
الى قول قوم أنت بالغيب عالم  
تموت الخواف في تحتها والقوادم  
وصار الى اللبات (٥) والنصر قادم  
وحتى كأن السيف للرمح شاتم  
مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم  
كما نثرت فوق العروس الدراهم

(١) كناية عن أنهم مسربلون هم والحيل بالحديد الى الارض (٢) أصوات الرعد وأراد بها  
الاصوات الشديدة (٣) لغة (٤) مجروحة (٥) أعلى الصدور (٦) الرماح (٧) جبل الحدث



ومن قوله يرثي :

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى      أن الكواكب في التراب تمور  
ما كنت أمل قبل نعشك أن أرى      رَضوى<sup>(١)</sup> على أيدي الرجال يسير  
خرجوا به ولكلِّ باك حوله      صعقات موسى يوم ذكَّ الطور  
حتى أتوا جدثاً كأنَّ ضريحه      في كلِّ قلبٍ مُوجِدٍ محفور  
كفلَ الثناء له بردَّ حياته      لَمَّا انطوى فكأنه منشور

وديون شعره مشهور شرح وانتقد وكتب فيه أكثر من أربعين تأليفاً ومن  
شروحه المطبوعة شرح العكبري وشرح الواحدى

١٠ — ابن هانيء الأندلسي

هو أبو القاسم محمد بن هانيء الأزدي الأندلسي ، شاعرُ الغرب ومُتنبِّيه ،  
والمؤثرُ فخامةً ألفاظه على رقة معانيه ، وأحد المفرطين في غلو المدح واستعمال  
الاستعارة والتشبيه

ولد بإشبيلية سنة ٣٢٦ ولما نبه شأنه اتصل بعامل اشبيلية زمن المستنصر  
الاموي<sup>(٢)</sup> ومدحه بغير القصائد فأحله منه منزلة سنوية وأغدق عليه العطايا فأكب  
على اللهو والطرب والاستهتار ، واتهم بالزندقة والكفر لاشتغاله بمذاهب الفلاسفة  
وظهور أثرها في شعره باستعمال الغلو المفرط في وصف ممدوحه بصفات المعبود  
وغير ذلك

ولما شاع ذلك عنه تقمه منه أهلُ اشبيلية وأشركوا عاملها في التهمة وكادوا  
يهمون به ، فأشار عليه بالهجرة من إشبيلية فاجتاز البحرَ إلى عدوة المغرب ، ومدح  
ولاته من قبل المعز الفاطمي . ثم نبى خبره إلى المعز<sup>(٣)</sup> فوجه في طلبه فوفد عليه

(١) جبل بالحجاز راجع مصور جزيرة العرب الملحق بهذا الكتاب

(٢) هو الحكم بن عبد الرحمن الناصر توفى سنة ٣٦٦ (٣) هو أبو تميم معد بن اسماعيل  
رابع خلفاء الدولة الفاطمية وباعت القائد جوهر لفتح مصر ففتحها وأسس القاهرة وانتقل إليها  
المزومات بها سنة ٣٦٥ وأوائل خلفاء هذه الدولة كانوا بالمغرب ورأسهم عبيد الله المهدي توفى  
سنة ٣٢٢ ثم خلفه ابنه القائم بأمر الله أبو القاسم محمد نزار وتوفى سنة ٣٣٣ ثم خلف هذا ابنه  
المصور اسماعيل توفى سنة ٣٤١ ثم ابنه المعز المذكور آنفاً وحكم مصر أولاده وأحفاده وأشهرهم  
ابنه العزيز ثم ابن العزيز الحاكم بأمر الله ثم ابنه الظاهر ثم عدة منهم وانقرضت دولتهم سنة ٥٦٧



بأفريقية ومدحه فبالغ في الانعام عليه ، ودخل في دعوة الفاطميين وأغرق فيها ،  
فاصطفاه المعز واتخذه شاعر دولته

ولما فتح جوهر مصر وبني القاهرة ، ورحل اليها المعز ليتخذها دار ملكه شيعة  
ابن هانيء ورجع لأخذ عياله والاتحاق به فتجهز وتبعه ؛ فلما وصل الى برقة نزل  
على بعض أهلها فأقام عنده أياماً في مجلس أنس ، فيقال انهم عربدوا عليه وقتلوه  
سنة ٣٦٢ وعمره ٣٦ سنة ، وقيل في سبب موته غير ذلك

ولم ينبغ في شعراء جزيرة الأندلس ولا بر المغرب جميعه من مثقدمهم أو  
متأخريهم من يفوق ابن هانيء في صناعة الشعر أو يساويه ؛ فقد كان عندهم في الشهرة  
والاجادة وشرف الشعر بمنزلة المتنبي عند المشارقة لا في الطريقة والمعاني ، وكانا في  
عصر واحد . ويسميه كثير من الأدباء بمتنبي المغرب

ولما بلغ المعز الفاطمي خبر وفاته وهو بمصر تأسف عليه كثيراً وقال ( هذا الرجل  
كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك ) ويمتاز شعره بكثرة  
غريبه ، وفخامة لفظه ووطننة تراكيبه ، وجلبة عبارته وهول وقعها في نفس سامعها  
وان لم تكن كل معانيه مشاكلةً للفظه في العظم والروعة ، كما امتاز بحسن تصوير  
الخيال ، وإجادة التشبيه والاستعارة المتلازمة العلائق والقرائن ، وكثرة الغلو الذي  
يقرب من الكفر في المديح ونحوه ، مع شدة تحامى الأندلسيين ذلك في شعرهم  
وانشأهم . وابن هانيء ممن يجيد المطولات من القصائد ولو كانت صعبة القوافي  
ومن قوله في وصف الخيل :

وصواهلٍ لا الهضْبُ (١) يوم مُغارها (٢)  
هَضْبٌ ولا البيد الحزون (٣) حُزون  
عُرِفَتْ بساعة سَبِقِهَا لا أَنُهَا  
عَلَقَتْ بِهَا يَوْمَ الرهان عيون  
وأجلُّ عِلْمِ البرق فيها أَنُهَا  
مَرَّتْ بِجَانِحَيْهِ وهى ظُنُون  
ومن قوله الموهم الكفر في مطلع قصيدة يمدح بها المعز :

ما شئتَ لا ما شاءت الأقدارُ فاحكم فأنت الواحد القهار

(١) الهضب والهضبة الجبل المنبسط على الارض (٢) أى يوم اغارتها (٣) جمع حزن ضد السهل



وقوله من قصيدة في مدح المعز ويخاطب حامل مَظَلَّتِهِ :  
 أُمْدِيرَهَا مِنْ حَيْثُ دَارَ لَشَدِّ مَا زَا حَمَتْ تَحْتَ رِكَابِهِ جَبْرِيلاً  
 ومن قوله في مبداء قصيدة رثاء :

صَدَقَ الْفَنَاءُ وَكُذِّبَ الْعَمْرُ وَجَلَا الْعِظَاتُ<sup>(١)</sup> وَبَالَغَ النُّذْرُ  
 إِنَّا وَفِي آمَالِ أَنْفُسِنَا طَوْلٌ وَفِي أَعْمَارِنَا قَصْرٌ  
 لَنَرَى بِأَعْيُنِنَا مَصَارِعًا لَوْ كَانَتْ الْأَبَابُ تَعْتَبِرُ  
 مِمَّا دَهَانَا أَنْ حَاضِرْنَا أَجْفَانُنَا وَالْغَائِبُ الْفِكْرُ  
 وَإِذَا تَدَبَّرْنَا جَوَارِحِنَا فَأَكَلْنَهُ الْعَيْنُ وَالنَّظْرُ  
 أَيَّ الْحَيَاةِ أَلَذُّ عَيْشَتَهَا مِنْ بَعْدِ عَلَمِي أَنَّنِي بَشَرٌ  
 خَرَسَتْ (لَعَمْرُ اللَّهِ) أَلْسِنَتُنَا لَمَّا تَكَلَّمْنَا فَوْقَنَا الْقَدَرُ

### ١١ — أبو العلاء المعرّي

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّي التَّنُوخِي<sup>(٢)</sup> الشاعر الفيلسوف  
 المتفنن الزاهد ، صاحب التصانيف والرسائل المأثورة  
 وهو عربي النسب من قبيلة تنوخ من بطون قُضَاعَةَ ، وبيته بيت علم وقضاء .  
 وُلِدَ بِمَعْرَةَ النِّعْمَانِ<sup>(٣)</sup> سنة ٣٦٣ وجرى في الثالثة من عمره فكُفِّ بصره ، وتعلم  
 النحو والعربية على أبيه وغيره من أئمة زمانه . وكان يحفظ كل ما يسمعه من مرة .  
 وانتفع كثيراً من دار كتب آل عمار<sup>(٤)</sup> أمراء طرابلس الشام . وقال الشعر  
 وعمره إحدى عشرة سنة . ودخل بغداد وأقبل عليه السيد المرتضى<sup>(٥)</sup>

(١) المفعول محذوف أي جلا العظات والشبهات والغفلات في أمر الدنيا

(٢) راجع مصور جزيرة العرب في هذا الكتاب (٣) بلدة بين حماه وحلب أضيفت إلى  
 النعمان بن بشير الصحابي لانه اجتاز بها فدفن بها ولد له ثم أقام بها (٤) هم أسرة استبدوا  
 زعمنا بطرابلس الشام وملحقاتها وجمعوا من الكتب مالا يحصى فأحرقها الصليبيون عند استيلائهم على  
 طرابلس وأشهر هذه الأسرة أبو طالب بن عمار قاضي طرابلس المتوفى سنة ٤٦٤ ثم ابن أخيه  
 جلال الملك أبو الحسن بن عمار (٥) هو السيد الشريف أبو القاسم علي بن الحسين أخو الشريف  
 الرضي . وهو صاحب (أمالي السيد المرتضى) توفي سنة ٤٣٦



اقبالاً عظيماً ثم جفاه (١)

ولما رجع الى المعرّة أقام ولم يبرح منزله ونسك وسمى نفسه رهن المحبسين :  
محبس العمى ومحبس المنزل . ووفد عليه الطلاب والأدباء والرواة والمتفلسفون ،  
وكتبه الوزراء والعلماء . وبقى في منزله مكباً على التدريس والتأليف ونظم الشعر مقتنعاً  
بعشرات من الدنانير في العام يستغلها من عمار له مجتنباً أكل الحيوان وما يخرج  
منه مدة ٤٥ سنة مكتفياً بالنبات والفاكهة والدبس (٢) متعللاً بأنه فقير وأنه يرحم  
الحيوان . وعاش عزباً إلى أن مات سنة ٤٤٩ بالمعرة . وأوصى أن يكتب على قبره :

هذا جناه أبى على ما جنيت على أحد

وله كثير من الشعر يناقض بعضه بعضاً (٣) في حقيقة العالم والشرائع والمعبود ،  
وللناس في اعتقاده أقوال كثيرة والظاهر أنه كان شاكاً متحيراً

شعره

وكان أبو العلاء المعري أحكم من رأى الناس بعد المتنبي ، ويزيد عليه في الغريب  
والأخيلة الدقيقة والتكلم في الطبائع ووسائل الاجتماع وعادات الناس وأخلاقهم  
ومكرهم وظلمهم ونظام الدول والقوانين والشرائع والأديان ، ولذلك يفضله  
الإفرنج ومستعربوهم عليه وهو في هذه الأمور معدوم النظر ، ولم ينظم في الملة أحد  
غيره فيها . وشعره في المدائح والمرثى والوصف وبقية أغراض الشعر الأدبية أرق من

(١) وذلك أنه جرى يوماً بحضرة المرتضى ذكر المتنبي فتنقصه فقال المعري وكان يتعصب له لو  
لم يكن له الا القصيدة التي مطلعها « لك يامنزل في القلوب منازل » لكفاه فضلاً . فغضب المرتضى  
وأمر فسحب برجله وأخرج من مجلسه وقال لمن بحضرة أتدرون أى شيء أراد الاعمى بذلك  
هذه القصيدة فان للمتنبي ما هو أجود منها لم يذكرها فقيل السيد النقيب أعرف  
فقال أراد قوله في هذه القصيدة :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لى بانى كامل

(٢) هو غسل التمر والفاكهة (٣) فيبينا هو يقول :

لا أطب الارزاق والمــــولى يفيض على رزقى

ان أعط بعض القوت اعــــلم أن ذلك ضعف حقى

اذ يقول :

اذا كان لا يحظى برزقك عاقل وترزق مجنوناً وترزق أحقماً

فلا ذنب يارب السماء على امرى . رأى منك مالا يشتهى فنزدقا



شعره في النقد والفلسفة ، إلا أن أكثر شعره من هذا القبيل ضمنه ديوانه المسمى لزوم ما لا يلزم فنقيد فيه بقيود حبست أفكاره ونهكت معانيه فجاءت ألفاظه فيه غريبة وأساليبه معقدة ، وعندنا أن هذا أمقت شدوذ له ، وإلا فما للفيلسوف والقيود اللفظية ، وقد كان له في نظم الأفكار التي لم تخطر على قلب أحد سواه غنية وشهادة على براعته وسبقه ؛ والله في خلقه شئون

ومن مراثيه مرثيته المشهورة ، ومنها :

غَيْرُ مُجْدِي فِي مَلَّتِي وَاعْتِقَادِي    نَوْحُ بَاكِ وَلَا تَرْتُمِ شَادِ  
وشبيهه صوت النعي إذا قيد بسبب صوت البشير في كل ناد  
أَبَكْتَ تَلَكُمُ الْحَمَامَةُ أَمْ غَضَّتْ عَلَى فَرْعِ غَضْنِهَا الْمِيَادِ (١)  
صاح هدى قبورنا تملأ الرُحْبَ فأين القبور من عهد عاد  
خَفَّفِ الوَطَاءَ مَا أَظُنُّ أُدِيمُ ال    أَرْضُ الْآ مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ  
وقبيح بنا وإن قدم العهد هوانُ الآباء والأجداد  
سر إن اسطعت في الهواء رويدا لا اختيالا على رفات العباد  
رَبِّ لِحْدٍ قَدْ صَارَ لِحْدًا مِرَارًا    ضاحك من تراحم الاضداد  
ودفين على بقايا دفين في طويل الأزمان والآباد  
فاسأل الفرقدين (٢) عن أحسنًا    من قبيل وأنسا من بلاد  
كم أقاما على زوال نهار وأنارا لمُدْلِجٍ فِي سَوَادِ  
تعب كلها الحياة فما أء    جَبُّ الْآ مِنْ رَاغِبٍ فِي اِزْدِيَادِ  
إن حزنًا في ساعة الموت أضعا    فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيْلَادِ  
خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ    أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمُ لِلنَّفَادِ  
أما ينقلون من دار أعما    لِي إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رِشَادِ

(١) أي أني لا أعرف الفرق بين صوت النعي وصوت البشير كما لا يعرف الناس صوت

الحمامة وبعضهم يسميه بكاء وبعضهم يسميه غناء

(٢) هما نجمان في بنات نعش الصغرى (الدب الاصفر)



وهي طويلة ومنها :

بان أمرُ الإلهِ واختلف النأ  
والذى حارت البرية فيه  
فألبيب اللبب من ليس يفتـ<sup>ر</sup> بكونِ مصيره للفساد

ومن قوله الموهم فى اللزوميات :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة  
تحطمننا الأيام حتى كأننا  
وحتى أسكان البسيطة أن يبكوا  
زجاج ولكن لا يعادُ لنا سبك

## ١٢ - ابن خفاجة الأندلسى

هو أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الله بن خفاجة ، شاعر شرقى الأندلس ، وأحد

وصاف الطبيعة

وُلد بمجزيرة شقر<sup>(١)</sup> من أعمال بلنسية سنة ٤٥٠ فتعلم وتأدب ونظم الشعر ،  
وأحسن فيه ، وكتب الرسائل الاخوانية البليغة . وما زالت شمس أدبه فى صعود  
حتى صار واحد زمانه فى الأندلس : شعراً ونثراً ، وحلاوة منطق ، وحسن محاضرة  
وعلوّ همة ، فقلما تعرض لاستماحة ملوك الطوائف<sup>(٢)</sup> مع تهاقهم على أهل الأدب .  
وكان فى صباه طروباً وعاكفاً على الملذات ثم أقبع فى كهولته عن صبوته . وغلب  
على شعره وصف الحوادث الجووية ومناظر الطبيعة بأخيلة جميلة ، وتشبيهات بدیعة .  
وله غزل رقيق ، ومدح بارع ، وثناء بليغ . ويمتاز شعره بالجزالة وكثرة المعانى  
وازدهامها فى اللفظ حتى يحتاج فى فهمها الى التأمل على خلاف مذهب الأندلسيين  
فى ذلك ، وتوفى سنة ٥٢٣ هـ

شعره

(١) هى بليدة بين شاطبة وبلنسية من شرق الأندلس ، وسميت جزيرة لان الماء يحيط بها  
من أكثر جهاتها (٢) لما انقضت دولة بنى أمية بالأندلس تقسم ولائها نواحها واستبد كل  
منهم بعمل وسموا ملوك الطوائف



ومن قوله يصف زهرة :

ومائسة تزهى وقد خلع الحيا  
عليها حليّ حمراً وأردية خُضراً  
يذوب لها ريق الغمامِ فضّةً  
ويجمدُ في أعطافها ذهباً نَضراً

وقوله :

ويوم جري برقه أشقراً  
يطارد من مزنه أشهباً  
ترى الأرض فيه وقد فضضت  
ووجهه السماء وقد ذهباً

وقوله يصف نهراً :

متعطفٌ مثل السوار كأنه  
الزهر يكنفه بجرّ سماءٍ  
قد رقّ حتى ظنّ فُرصاً مفرغاً  
من فضة في بُردية خضراءٍ  
وغدت تحفُّ به الغصون كأنها  
هُدب يحف بمقلة زرقاءٍ  
والريح تعبت بالغصون وقد جرى  
ذهب الأصيل على لجين الماء

### ١٣ — الطغرائي<sup>(١)</sup>

هو مؤيد الدين الاستاذ العميد فخر الكتاب أبو اسماعيل الحسين بن محمد الطغرائي صاحب لامية العجم . وهو اصهبائي الأصل ، برع في الكتابة والشعر حتى كان أوحد زمانه ، ولم ينبغ بعده في الشرق من يضاويه . وترقت به الحال في خدمة سلاطين آل سلجوق الى أن صار وزيراً للسلطان مسعود بن محمد السلجوقي ، صاحب الموصل . ولما قهره أخوه السلطان محمود كان أول من اعتقل الوزير ابو اسماعيل الطغرائي ، ففسد بعض حسدته من رؤساء الكتاب الى السلطان محمود أنه ملحد فقتله ظالماً سنة ٥١٣

وله ديوان شعر جيد مطبوع في الاستانة

ومن شعره لامية العجم المعتبرة من عيون الشعر وقد كان قائلها ببغداد سنة ٥٠٥

(١) الطغرائي من يكتب الطغراء ( وهي الطرة ) وكانت تكتب في الدولة السلجوقية فوق

البسملة بخط مملوك فيها نفوت السلطان وألقابه



يشكو فيها الزمان وأهله . وهي مشهورة مشروحة بشروح كبار وصغار أكثرها مطبوع ، وأولها :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل  
وحلية الفضل زاتني لدى العطل  
ومنها :

حب السلامة يثني همَّ صاحبه  
فان جنحت إليه فاتخذ نفقاً  
ودع غمار العلا للمقدمين على  
رضا الدليل بمفض العيش مسكنة  
وقال يصف :

وكأنا الشمس المنيرة إذ بدت  
متحاربان : لذا مجن صاعه  
والبدر يجنح للمغيب وما غرب  
من فضة ، ولذا مجن من ذهب  
وقال يصف سحابة :

سارية ذات عبوس برقها  
كحلة دكناء في حاشية  
إذا دنت عشارها صاح بها  
وقال يصف غديراً :

عجنا الى الجزع الذي مد في  
حول غدير ماؤه المنتحي  
لو لاذت الريح سموماً به  
حصباؤه درّ ورضراضه  
وقد كسته الريح من نسجها  
والبسته الشمس من صبغها  
كأنها المرآة مجلوة  
أرجائه الغيم بساط الزهر  
الى نبات المزن يشكو الخصر  
لا تقلبت وهي نسيم السحر  
سحالة العسجد حول الدرر  
دِرعاً به يلقي نبال المطر  
نوراً به يخطف نور البصر  
على بساط أخضر قد نشر



وقال وقد رزق مولوداً على كبر :

هذا الصغير الذى وافى على كبر  
سبع وخمسون لومرت على حجر  
ومن كلامه فى القصص والأمثال :

شؤم الوشاية

لقد جاء فى أمثالهم ان ثعلبا  
أضربه جوع شديد فشقه (١)  
فجاز لديه الذئب يوماً بخلوة  
فكله وأطعمه (٢) فما هو شكلنا  
فلما أحس الثعلبان (٣) بكيده  
وقال : أرى بالملك داء مماطلاً  
وفى كبد الذئب الشفاء لدائه  
فصادف منه ذا قبولاً فعندها  
فأقلت مسلوخ الاهداب (٥) مرماً (٦)  
وصاح به يالابس الثوب قانئاً (٧)

وذئباً أصابا عند ليث تقدماً  
وأبقى له جلدأ رقيقاً وأعظماً  
فقال : كفاك الثعلب اليوم مطعماً  
ولست أرى فى أكله لك ماثماً  
تطبب عند الليث واحتال مقدماً  
تهدم منه جسمه وتحطماً  
فان نال منها ينبج منه مسلماً  
أحال (٤) على الذئب الخبيث فصماً  
فلما رآه الثعلبان تبسماً  
متى تخل بالسلطان فاسكت لتساماً

١٤ — البهاء زهير

هو الوزير الشاعر الكاتب أبو الفضل بهاء الدين زهير بن محمد بن على المهلبى الأزدي المصرى صاحب السهل الممتنع والغزل الرقيق والعتاب الرقيق ولد بوادى نخلة قرب مكة سنة ٥٨١ ، ونشأ بمصر وأجاد فنون العربية ؛ فبرع فيها نظماً ونثراً وخطاً . ثم اتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب ( من ملوك الدولة الأيوبية ) وخرج معه فى خدمته الى بلاد الشام والجزيرة . فلما نكسب الملك الصالح بخيانة عسكره وانضواهم الى

(١) شفه الهم والمرض انحله (٢) أى وأطعنا منه (٣) الثعلب المذكور (٤) أقبل  
(٥) الجلد (٦) أى ملطخاً بالدم (٧) أى شديد الحمرة



ابن عمه الملك الناصر صاحب الكرك وقبض على الصالح واعتقله بقلعة الكرك حفظ  
البهاء عهد صاحبه ولم يخدم غيره . وأقام بنا بلس حتى تقلبت الأحوال واسترد  
الصالح ملك الديار المصرية ، فقدم اليها في خدمته واتخذه وزيره وموضع سره ،  
وأحله منزلة لم تكن لغيره : لحسن وفائه ورياضة أخلاقه ودماثة سجايه . ونفع  
بخدمته خلقاً كثيراً . وبقي أثيراً عند الملك الصالح حتى مات ، فلزم داره . وحدث  
في القاهرة في شوال سنة ٦٥٦ وباء مات به ودفن بالقرافة وهي السنة التي سقطت  
فيها بغداد في أيدي التتار

وكانت سهولة طباع زهير تفوق سهولة شعره . وان كان الشعر يشف عن  
أخلاق صاحبه ورقته فأحرى به أن يكون شعر زهير . ولم يك في متأخري المحدثين  
من هو أسهل نظماً ولا أرق لفظاً ولا أكثر تشريفاً للمعاني المتبدلة منه . وأجود  
شعره ما كان في المغازلة والمعائبة والمعائب ، ولم تنفق له سوق كبيرة في غيرها  
وأكثر معانيه عادية عامية إلا أنه كساها ديباجة من لفظه وسهولة أسلوبه رفعتها  
في أعين اهل الذوق الى مرتبة أحرار المعاني . وله ديوان شعر طبع مراراً فراجعه  
ومن شعره في غير الغزل وقد غرقت به سفينة فسلم بنفسه منها وذهب  
ما كان معه :

لا تعتب الدهر في خطب رماك به      إن استردّ فقدماً طالما وهبا  
حاسب زمانك في حاليّ تصرفه      تجده أعطاك أضعاف الذي سلبا  
والله قد جعل الأيام دائرة      فلا ترى راحة تبقى ولا تعباً  
ورأس مالك وهي الروح قد سلمت      لا تأسفنّ لشيء بعدها ذهباً  
ما كنت أول مقروحٍ بمحادثة      كذا مضى الدهر لا بدعاً ولا عجباً  
ورُبّ مالٍ نما من بعد مرزئه      أما ترى الشمع بعد القطف ملتهباً  
وقال يمدح :

أنا ذا زهيرك ليس إلا م جودُ كفك لي مزيّنة (١)

(١) يشير الى زهير بن أبي سلمي المزني الجاهلي مادح هرم بن سنان



أهوى جميل الذكر عنك كأنما هو لي بثينة<sup>(١)</sup>  
فأسأل ضميرك عن ودا دى انه فيه جهينه<sup>(٢)</sup>

وله لغز في قفل :

وأسودُّ عارٍ أنحلُّ البَرْدُ جسمه وما زال من أوصافه الحرص والمنعُ  
وأعجب شيء كونه الدهر حارساً وليس له عينٌ وليس له سمع

## الرواية والرواية

جاءت الدولة العباسية وقد اتسع نطاق الرواية ، واختص كل فريق من الناس برواية شيء فمنهم : من انقطع لرواية القراءات ، ومنهم من انقطع لرواية الحديث ، ومنهم من انقطع لرواية العربية والشعر والأخبار ، ومنهم من انقطع لرواية الفتوح والسير وغير ذلك

فلما دُوِّنت الكتب في عصر الدولة العباسية أفرغ الرواة ما حفظوه في هذه الكتب خوفاً عليه من الضياع فكان عصرهم الأول عصر جمع وتدوين حتى اذا ما جمعت كل هذه العلوم في بطون الكتب أخذ أمر الرواية يضمحل شيئاً فشيئاً في أكثر العلوم ولا سيما الأدب ، ثم اقتصر في الرواية على تصحيح النطق والأداء فيقرأ التلميذ على الشيخ القرآن أو الحديث أو اللغة أو الشعر وهو يجيز له أدائها كما سمع

وكانت الرواية الشغل الشاغل للعالماء في صدر الدولة العباسية لاهتمام الأمة بها وبذل الخلفاء المعونة لأربابها ، فاندس بين الرواة كثير من الوضّاعين وأدخلوا كثيراً من الروايات المكذوبة في الحديث وغيره ، واضطّر العلماء الى البحث عن تمحيص الصحيح فعنوا شديداً العناية بتاريخ الرجال ، ومراتب الأخذ عنهم ، وميزوا ما أمكن تمييزه من الموضوع . ولكل علم رواية مشهورون . وقد سبق

(١) يشير الى جميل الشاعر المحب صاحب بثينة (٢) يشير الى قبيلة جهينة المضروب بها المثل في تعرف الاخبار



الكلام على رواة العلوم والفنون في تاريخ وضعها . ونزيد هنا من ذكر بعض رواة  
الأدب اذ كان هو غايةً درسنا

فمن رواة الأدب والشعر خاصةً حمادُ الرواية الكوفيُّ (١) وخَلَفُ الأحمَرُ (٢)  
البَصْرِيُّ وأبو عمرو الشيبانيُّ الكوفيُّ (٣) والسكرىُّ البغداديُّ (٤)

ومن رواة الأدب بجميع فنونه لغةً وشعراً وأخباراً أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة  
مَعْمَرُ بنِ المثني والأصمعي وأبو زيد الانصاري وأبو عبيد القاسم بن سلام (٥) ومحمد  
ابن سلام الجُمحِي (٦) وغيرهم . ونذكر على سبيل الاختصار ترجمة أشهرهم في الرواية  
وهو الأصمعي فنقول :

### الأصمعيُّ

هو شيخُ رواة الأدب الامامُ التَّبْتُ الحِجَّةُ الثقةُ التَّقِيُّ ، أبو سعيد عبد الملك  
ابن قُرَيْبِ بنِ عبد الملك بن علي بن أصمَعِ الباهلي البصري  
نسب الى جدّه أصمَع . وولد سنة ١٢٣ هجرية من بيت عربي قديم العهد  
في الكتابة

ونشأ بالبصرة فأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة البصرة كأبي عمرو

- (١) هو أبو القاسم حماد الراوية بن أبي ليلى سابور الكوفي الديلمي مولى بكر بن وائل  
كان أعلم الناس بآيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ، وهو الذي جمع السبع الطوال المسماة  
بالمعلقات توفي سنة ١٥٥ (٢) هو أبو محرز خلف الاحمر بن حيان مولى بلال بن أبي بردة  
ابن أبي موسى الاشعري وفيه يقول الاخفش لم ندرك أحداً اعلم بالشعر من خلف ، مات في  
حدود سنة ١٨٠ هـ (٣) هو أبو عمرو اسحق بن مرار الشيباني الكوفي كان راوية أهل  
بغداد واسع العلم باللغة والشعر ثقة في الحديث نبيلاً فاضلاً جمع أشعار العرب في عدة دواوين  
لكل قبيلة ديوان فكانت نيفا وثمانين قبيلة . عمر كثيراً حتى أتى عليه ١١٩ سنة وتوفي سنة ٢٠٦  
(٤) هو أبو سعيد الحسن بن الحسين كان راوية ثقة من كبار الجامعين للشعر جمع شعر جماعة  
من الشعراء منهم امرؤ القيس والناطقة الذيباني والجمسدي وزهير ولييد وأشعار بني هذيل وبني  
شيبان وبني يربوع وبني ضبة والازد وبني نهشل وتوفي سنة ٢٧٥
- (٥) كان أبوه عبداً رومياً اشتغل بالحديث والادب والفقه فبرع في جميعها . وكان ثقة ديناً  
توفي سنه ٢٢٤ (٦) هو أبو عبد الله محمد بن سلام الجُمحِي البصري صاحب كتاب طبقات  
الشعراء وكان من أعلم الناس بالشعر والاخبار توفي سنة ٢٣١



ابن العلاء والحليل بن أحمد ، وأخذ عن فصحاء الأعراب الذين كانوا يفدون  
البصرة . واكثر الخروج الى البادية ، وشافه الاعراب وساكنهم . وربما استغرقت  
بعض رحلاته سنواتٍ يُحجُّ في أثنائها ويلتقي بالفصحاء في المواسم ، حتى اجتمع له  
من الأخبار والنوادر والغريب ما لم يجتمع لغيره

وتعلم من خلف الأحمر تقد الشعر ومعانيه . وكان أحفظ أهل زمانه حتى قال  
مرةً انى أحفظ اثني عشر ألف أرجوزة فقال له رجلٌ : منها البيت والبيتان ،  
فقال : ومنها المائة والمائتان . وراجت بضاعة الأصمعي عند الرشيد وأخذ جوائزه  
الكثيرة ورزق السعادة في رواية الأخبار والملح دون أهل زمانه ، فتهافت الناس  
على نقلها في كتبهم لرضاهم عن مذهبه وتسنيته <sup>(١)</sup> : وكان يُحجم عن تفسير القراءان  
الكريم والحديث تخرُّجاً <sup>(٢)</sup> وخوفاً من الزلل . وكان مع كل صفاته الحسنة بخيلاً  
مخشوشناً . وعمر حتى أدرك زمن المأمون . وأراد المأمون أن يقدمه اليه فاعتذر بكبير  
السن ، ومات سنة ٢١٦ هجرية . وله من الكتب المؤلفة والرسائل والأمالى شئ كثير

### خلاصة أثر الحضارة العباسية في اللغة العربية

لما كانت حضارة الدولة العباسية قائمة على أساس الحضارتين الفارسية واليونانية  
باتخاذ خلفائها من أولئك أكثر شيعتهم ونصرائهم ، وإيثارهم على العرب بالملك  
والزعامة ، وتقليدهم أيامهم في نظام ملكهم وطرق معايشهم ، وتقلهم عن هؤلاء علومهم  
وفلسفتهم ، كان لذلك آثار واضحة في حالة اللغة العربية حسناً وقبحاً  
أما الآثار الحسنة فهي :

١ - اتساع أغراض اللغة من حيث تدوين العلوم بها ، وترجمتها اليها وتدريسها ،  
والمناظرة فيها ، وتأدية مقاصد الصناعات ، ومظاهر الملك والترف والنعيم : من  
وصف القصور والبساتين ، ومناظر الطبيعة ، وأدوات الزينة ، وأساطيل الحرب ،  
وحصونها وقلاعها ونحو ذلك

(١) أى أخذه في أعماله بالسنة النبوية المطهرة (٢) أى ابتعاداً عن الحرج والاثم



٢ - اتساع أفكار المتكلمين بها وتنوع أخيلتهم مما أدى الى ابتكار معان جديدة أو توليد حديثة من قديمة

٣ - سهولة الألفاظ وتنوع الأساليب ، والتأنق في صوغها ، وانفساح طرق التشبيه والكنيائية والاستعارة ، ووضع كثير من اصطلاحات العلوم والصناعات ، وحدوث لغة أدبية متعددة الصور والرسوم، ولغة تأليفية تقاس بمعيار المنطق والبرهان العقلي دُونَ بها ما لا يحصى من المؤلفات التي جعلت العربية أكثر من سبعة قرون أغنى لغات العالم علوماً وآداباً  
وأما آثارها السيئة فهي :

١ - كثرة ما دخل عليها من الدخيل الذي قلما خضع لقوانينها الصرفية والنحوية بل كان كالصخرة الخشنة التي لم يصقلها استعمال الفصحاء ، ولا تهافت العامة

٢ - كثرة التأنق في الحلية اللفظية كالسجع والجناس والتورية والمبالغة والتمويل في الألفاظ والمعاني ، والتفخيم في الألقاب وصدور المكاتبات وكثرة التملق في المدح ، والاقذاع في الذم ، والاغراق في وصف الخمر ، ومجالس الفجور ، والغزل بالمذكر والمجون والخلاعة ، مما ورثوا أكثره من المدينة الفارسية

٣ - ضعف قوة الارتجال واستعجاب الألسن مما أفضى الى اضمحلال أمر الخطابة بالتدريج





## العصر الرابع

عصر الدول المتتابعة التركية

٦٥٦ - ١٢٢٠ هـ

حالة اللغة العربية وأدبها

في ذلك العصر

لما اكنسح النارُ ممالكَ الدولة العباسية وخرَّبوا البلادَ وقتلوا العباد وأبادوا الكتبَ ، افترقوا الى ممالكَ متعدِّدةٍ بآسيا وشرقي أوربة ولم يلبثوا اكثر من نصف قرن حتى أسلموا وشرعوا يخدمون الاسلام بنقريب العلماء اليهم وترغيبهم في التآليف ، فأفاد ذلك في إدامة الحركة العلمية في الجملة ، وإن لم يفد اللغة العربية فائدة تذكر لمكان العجْمَةِ منهم . أما علومُ العرب وأدبها فلم يكن لها مَبَاءَةٌ ترجع اليها إلا البلادَ العربية كالشام ومصر : فأصبحت القاهرةُ هي المأبئة الاخيرة للعرب والعربية ؛ نعم إن حكومتها كانت تركيةً أو شركسيةً ولكن لم يكن لرجالها وجُنودها عصبيةٌ قويةٌ تجعل لغتهم تُزاحمُ العربية ، فبقيت بطبيعة الحال اللغةُ الرسمية هي العربية ، وأصبح العلماء هم رجالُ الإدارةِ والكتابةِ والقضاءِ والحسبة وغيرها من المناصب الملكية ، واقتصر المماليك على مراتب الجنديّة والمناصب العسكرية . غير أن تلك الحال لم تدُم أكثر من مدة المماليك وصدرِ الدولة العثمانية الوارثة لهم ، ثم أصبحت اللغة التركية العثمانية هي اللغةُ الرسمية للأعمال الديوانية والسياسية في جميع الممالك العثمانية ، فزاحت العربية مزاحمة ظهر أثرها بيننا في تحرير الرسائل الديوانية والمعاهدات السياسية . ودخل في اللغة أثناء دولتي المماليك والعثمانيين كثير من الالفاظ التركية والفارسية<sup>(١)</sup>

(١) من ذلك : الاتابكي ، الجاشنكير ، الدوادر ، الحواجه ، اسفهلار ، شراب خاناه ،

فراش خاناه ، طبلخاناه



وعاصرَ دولة المماليك بمصر والشام دولة بنى الأحمر بالأندلس<sup>(١)</sup> ودولة بنى مرين<sup>(٢)</sup> والدولة الحفصية<sup>(٣)</sup> بشمالى أفريقيا، فكانت حالة لغة الأدب فيها وخاصة الأندلس أخريات هذا العصر خيراً منها فى مصر، إذ كانت جمهرة السلاسل العربية فيها حافظةً صبغتها لقلّة طرء العناصر الأجنبية عليها

## النثر

### لغة التخاطب

كادت تحل محلّ اللغة العامية العربية ( فى أعلى الجزيرة وشرق العراق ) اللغةُ الفارسية والتركية والكرديّة ممزوجةً بشيء من الألفاظ العربية أما بقية الجزيرة والعراق ومصر والشام ؛ فقد بقيت العامية العربية لسانَ الجميع فيها حتى الملوك والسلاطين لغلبة العناصر العربية فيها ولما لم يتهياً لرؤساء المماليك وسلاطينهم اجادةُ العربية الفصيحة عضدوا العامية باقبالهم على ادبائها واحسانهم الى من ينظم بها ، فكان ذلك سبباً فى اتساع دائرة الزجل والمؤاليا ومزاحمتها للشعر الفصيح ، بل دونَ بها بعضُ العلماء ، وان لم يكن ذلك كثيراً ؛ فأصبحت بذلك لغةَ أدب وكتابة وقراءة ، ثم أخذت العناية بها فى الانحطاط أواخر هذا العصر حتى صارت أخطأ ما كانت عليه فى عصر من العصور وكادت تتساوى فيها لغة النساء والرجال

قال فى صبح الاعشى ( الطبلخانة ) ومعناه بيت الطبل ، ويشتمل على الطبول والابواق وتوابعها من الآلات ، ويحكم على ذلك أمير من أمراء العشرات يعرف ( بأمر علم ) يقف عليها عند ضربها فى كل ليلة ، ويتولى أمرها فى السفر ولها ( مهتار ) متسلم لحواصلها يعرف ( بمهتار الطبلخانة ) وله رجال تحت يديه ما بين ( دبندار ) وهو الذى يضرب على الطبل و ( مفتر ) وهو الذى يضرب بالبوب ( وكوسى ) وهو الذى يضرب بالصنوج النحاس بمضها على بعض وغير أولئك من الصناعات . ومن ذلك أيضاً أون باشا وييك باشا ويوز باشا وبرنجى وآخرنجى وقهوجى ونوبنجى وبلطجى وخستخانة وكتبخانة وأدب خانة ( ١ ) هى آخر دولة عربية بالأندلس ويسمى سلاطينها بنى نصر ( ٢ ) هى دولة بربرية من الدول المتفرعة من دولة الموحدين ، كانت تملك المغرب الاقصى

( ٣ ) هى احدى الدول المتفرعة من دولة الموحدين ورثها الترك العثمانيون



## الخطابة

لم تتغير الخطابة عما كانت عليه أواخر الدولة العباسية من حيث قصرها على خطب الجمع والأعياد وتلاوة بعض المرسومات والمنشورات إلا قليلاً من الخطب السياسية كان يدها ملوك المغرب قبل القاهنا

وبقيت لغة الخطابة العربية وحدها أو مع الترجمة الأعجمية في الممالك التي استعجم لسانها، لمكان العربية من الدين . ولم يبق من أمرها أواخر هذا العصر إلا ما كان يُقرأ مكتوباً في الكتب، بل قلّ حفظها واستظهارها في غير القاهرة، وانتقل وعظها من حسن الذكرى في أمر الدين والدنيا الى التخويف من القبر ووحشته ووصف الجنة ونعيمها وجهنم وأهوالها

## الكتابة

### الكتابة الخطية

درج الخط في هذا العصر في الطريق التي مهدها ابن مقلة وابن البواب وياقوت الملكي وياقوت المستعصي، واستعملت فيه أكثر أنواعه، إلا أنه اشتهر من بينها تسعة أنواع :

(١) الجليل (على قاعدة الثلث المعروفة لنا) وتشاهد نماذجه المتعددة على

جدران مساجد القاهرة، ومدارسها وأربطتها، وخرائب قصور أمراءها

(٢) قلم الطومار (على قاعدة الثلث أيضاً) وكانت تكتب به أسماء

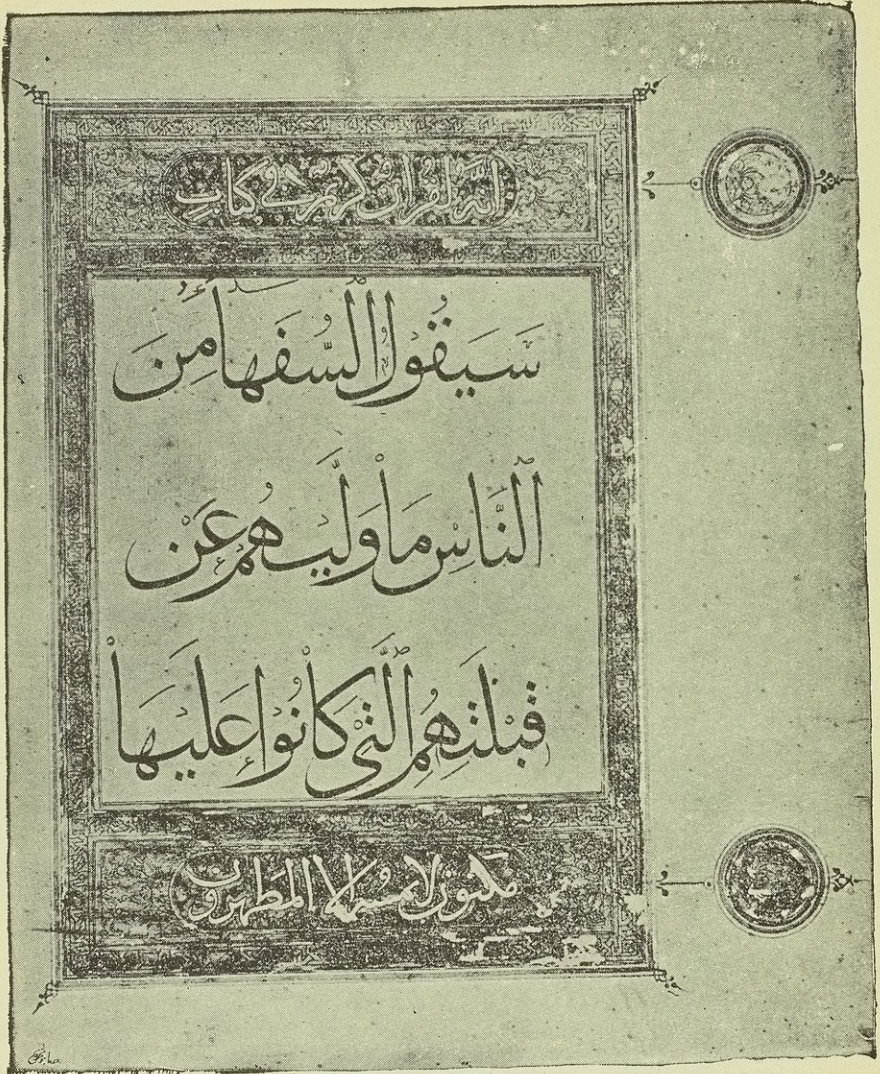
السلطين وعلاماتهم على المنشورات والعهود ونحوها (راجع صبح الأعشى

الجزء الثالث)

(٣) قلم الثلث ويشبه قلم الثلث عندنا، ومنه الثلث المبسوط الحروف المسمى

الآن بالريحاني كما في هذا الشكل :





- (٤) النسخ على قاعدته المعروفة إلا أن بعض حروفه معلق الأطراف الى فوق  
ويقرب مما نسميه الآن خط التعليق - وكانت تكتب به كتب العلم والأدب
- (٥) التعليق - وكان يطلق على الثلث الخفيف عندنا مع تعليق خراطيم الحروف  
الى أعلى
- (٦) قلم الرقاع - وكان وسطاً بين النسخ والتوقيع ، وكانت تكتب به كتب  
العلم والأدب والرسائل



(٧) القلم المسلسل المشتبك الحروف - وكانت تكتب به عامة الرسائل المطولة والعقود وكتب الوقف ونحوها

(٨) الخط الفارسي - وكان استعماله عاماً في أواسط آسيا وفارس

(٩) الخط الاندلسي - وكانت أنواعه لا تختلف إلا بالصغر أو الكبر ، وربما مال الجليل منه الى بعض قواعد الثلث في أواخر عصورهم كما يشاهد على جدران الحمراء بغرناطة

وكان النقط والشكل في هذا العصر قليلين الاستعمال في الرسائل من الديوانية والإخوانية كثير يهما في كتب العلم

وما زال الخط يجرى في مضماره حتى قبض على عنانه مُمكِّتو الترك العثمانيين فحولوا بعض أنواعه وخاصةً قلم الرقاع ( الرقعة ) الى ما نعرفه ، وارتقوا بالمسلسل الى الغاية ، وولدوا منه خط العلامة السلطانية ( الهمايوني ) وأبدعوا في بقية الانواع بما جعل جميع العالم يعترف لهم بالسبق

ومن أشهرهم الشيخ حمد الله الأماسي إمام الخطاطين العثمانيين وجلال الدين والحافظ عثمان

### الحافظ عثمان

هو الحافظ عثمان بن علي أحد نبغاء المجوِّدين من خطاطي الترك العثمانيين ، والبارعين في كتابة مصاحف القرآن المبين

ولد رحمه الله بالاستانة ونشأ بها وتعلم بمدارسها ، وحفظ القرآن الكريم فلقب لذلك بالحافظ واتصل بالوزير مصطفى باشا الشهير بكبريلى زاده فأظله برعايته زمنًا. وحبب اليه من صغره تجويد الخط فكان يختلف لذلك الى أشهر الخطاطين في عصره كالأستاذ درويش علي وغيره حتى حصل على اجازة تعليم الخط ، ولم تعد سنه ثمانى عشرة سنة ، ولم يكتبف بفوقه قرناه في الاجادة حتى خطر له أن يصحح محركاته لاسلوب الاستاذ المولى حمد الله الأماسي ، فانقطع الى من يجيد هذه الطريقة كالمولى



اسماعيل فأجادها ، وأصبح بذلك نابغة عصره وبذّ الخطاطين جميعاً حتى قال فيه اسماعيل افندى المعروف بأغاقبولى أحد الخطاطين المشهورين : اننا رغم تجويدنا هذه الصناعة لا نرى من يستحق لقب خطاط على الاطلاق غير مولانا عثمان . ولما ذاع صيته اختير معلم خط للسلطان مصطفى خان الثانى والسلطان احمد خان الثانى سنة ١١٠٦ فنال بذلك حظوة رفيعة ومنزلة سنية لم يقابلها بغير القناعة والزهد والتواضع والاخلاص لتعليم تلاميذه ولو على قارعة الطريق

وكان يخصص يوم الأحد بتعليم الخط للفقراء مجاناً ، ويوم الأربعاء لتعليم الأغنياء . وللحافظ عثمان جليل الفضل على الخط العربى بما كتبه من نسخ المصاحف التى بلغت خمسة وعشرين مصحفاً عدا مقداراً عظيماً جداً من الرقاع والألواح وأجزاء القرآن ودلائل الخيرات ، اذ قد تقل بعض هذه بالتصوير الشمسى فذاع فى الأقطار الإسلامية وطبع منه مئات الألوف وحاكاه بها من لا يحصى من المعلمين والمكتبيين ومن هذه المصاحف مصحف حفظ بجامع أياصوفيا وبجزارة جامع نور عثمانية . وبجزارة حضرة الفضال نور الدين بك مصطفى<sup>(١)</sup> بشارع درب الجماليز بالقاهرة جملة رقع من خطه

وأصيب رحمه الله فى آخر عمره بالفالج وشفى منه وعاد الى خدمة الصناعة ولكنه لم يطل عمره بعدُ أكثر من ثلاث سنوات فتوفى رحمه الله سنة ١١١٠ . ودفن برباط ( قوجه مصطفى باشا ) بعد أن غبر نحو أور بعين سنة يعلم الخط

## الكتابة الانشائية

### كتابة الرسائل

أتبعت فى كتابة الرسائل أثناء هذا العصر طريقة القاضى الفاضل ، التى أساسها المعانى الخيالية والتزام السجع واطالة فقاره ولا سيما الأخيرة منها ، والاستعارة ، والطباق ، ومراعاة النظير ، والتوجيه ، والغلو فى التورية والجناس . وعصّد هذه

(١) وعنه نقل حضرة الفاضل محمود افندى حمزة خلاصة هذه الترجمة منقولة عن التركية



الطريقة من كتاب هذا العصر شهاب الدين محمود الحلبي<sup>(١)</sup> ومحي الدين بن عبد الظاهر، وابن فضل الله العمري وأولاده . وبقيت هذه الطريقة مرعية في مصر والشام حتى نهاية دولة المماليك وصدر حكومة العثمانيين ولما غلبت اللغة التركية العثمانية على كتابة الدواوين وأصبحت رسمية في الحواضر والأمصار، أخذ شأن الكتابة العربية في الاضمحلال، وتناقصت الرغبة في احسان صناعتها، وقل الناغون فيها، ولم يعد في استطاعة الكاتب العربي إصابة وجوه البلاغة فضلاً عن احسانه استعمال المحسنات اللفظية . فأصبحت الكتابة بذلك مجرد فقار من السجع المتكلف، خالية من كل مزية الألبالغة والتهويل وأكثر ما كانت تستعمل في الرسائل الإخوانية وما أشبهها، بل عجز الكتاب في أواخر هذا العصر أن يكتبوا لإخوانهم من إيشائهم فوضعت دواوين كتابية تشمل عدة صور من المكاتبات المعتادة، يستعير منها المراسل صورة قد تناسب غرضه وقد لا تناسبه - أما كتابة من عاصر المماليك من أهل الأندلس فكانت أمثل كتابة في هذا العصر على ما فيها من التكلف أيضاً بحيث يمكن قياسها بكتابة المتأخرين من أهل العصر الماضي

## الكتاب

القاضي محي الدين بن عبد الظاهر

هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الجذامي المصري مؤيد الطريقة الفاضلية، ورأس المترسلين في دولة المماليك البحرية وولد سنة ٦٢٠ ورباه والده تربية شريفة جمع بها بين علوم الفقهاء، وبلاغة الأدباء وظرف الشعراء، فكان في زمانه زعيم كل هؤلاء . وبرع في كتابة الرسائل سالكاً طريقة القاضي الفاضل، وخدم في ديوان الانشاء مدة الملك الظاهر بيبرس

(١) ولد بدمشق وتخرج على ابن مالك النحوي وعلماه الشام ثم انتقل الى مصر وأقام بها مدة يتقلب في مناصبها ثم جهز الى دمشق رئيساً لديوان انشائها الى ان توفي سنة ٧٥٥



البندقاري<sup>(١)</sup> وولديه وبعض أيام المنصور قلاوون<sup>(٢)</sup> ويعتبر محيي الدين وابنه محمد فتح الدين من واضعي اصطلاح الانشاء ونظام ديوانه الذي بقي مرعياً في مصر والشام حتى نسخته النظام التركي العثماني ، وتوفي سنة ٦٩٢ . وله تأليف ورسائل ومكاتبات سلطانية كثيرة ، وشعر رائق

ومن فصوله فصل من رسالة كتبها على لسان الملك المنصور قلاوون يردُّ على صاحب اليمن في تعزيتة على موت ابنه ، ويظهر التجلده على فقده

« ولنا ( والشكر لله ) صبرٌ جميلٌ ، لا نأسف معه على فائت ولا نأسى على مفقود ، وإذ علم الله ( سبحانه ) حسن الاستنابة الى قضائه ، والاستكانة الى عطائه ، عوّض كل يوم ما يقولُ المبشر به : هذا مولى مولود . وليست الإبل بأغلظَ أكباداً ممن له قلبٌ لا يبالي بالصدّامات كثرت أو قلت ، ولا بالتياريح حقرت أو جلّت ولا بالأزمات إن هي تواتت أو تولّت ، ولا بالجفون ان ألقّت ما فيها من الدموع والهجوع وتخلّت . ويخافُ من الدهر من لا حابَ أشطره ، ويأسفُ على الفائت من لا بات نبياً الخطوب الخطرة . على أنّ الفادح بموت الملك الصالح ( رضى الله عنه ) وان كان مُنكياً<sup>(٣)</sup> ، والنافع بشجوه وان كان مُبكيّاً ، والناجح بذلك الأسف وإن كان لنار الأسف مذكياً ، فان وراء ذلك من تثبتت الله عز وجل ما ينسفه نفساً ، ومن إلهامه الصبر ما يُجددُ لمزيق القلوب أحقّ ما به تُرفى ، وبكتاب الله ( تعالى ) وسنة رسوله ( صلى الله عليه وسلم ) عندنا حسنُ اقتداء يضرب عن كل رثاء صفحاً »

شهاب الدين بن فضل الله العمرى

هو الشاعر الكاتب المصنف القاضي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محيي الدين يحيى بن فضل الله العمرى ، سليل عمر بن الخطاب وصاحب كتاب مسالك الأبصار

(١) هو أشهر سلاطين المماليك البحرية توفى سنة ٦٧٦ أما ولده فهما الملك السعيد محمد بركة ، تولى الملك سنتين وشهراً وخلع ، والملك العادل سلامش ملك خمسة أشهر وخلعه الامير قلاوون وتولى بدله (٢) هو الملك المنصور قلاوون الصالحى النجمى من أعظم ملوك المماليك توفى سنة ٦٨٩ (٣) الصواب ناكيا . وهى لجنة كانت شائعة فى كتابة ذلك العصر



ولد بمدينة دمشق سنة ٧٠٠ وتفقّه وتآدب على أبيه وغيره من أئمة وقته فخرج  
واحدَ زمانه علماً وأدباً وترشلاً وتصنيفاً وشعراً ، ولم يكن بين عصره وعصر القاضي  
الفاضل من يدانيه في شيء من ذلك على كثرة النابغين فيهما ، وكان أعلم أهل  
القُطرين بتاريخ الملوك وطبقات العلماء والأدباء ، وعلم وصف الأرض وأحوال الممالك  
النائية : كاهند والصين والترك وغيرها ، فوق الفقه الذي نال فيه مرتبة الافتاء .  
وكان أبوه وعمه يتناوبان كتابة السر في مصر والشام لسلاطين آل قلاوون ونوابهم ،  
وخلفهما في ذلك شهاب الدين وأخوه وأولادهما في مناصب رياسة دواوين الانشاء  
وكتابة السر وغيرهما لآل قلاوون وآل برقوق . وتوفي ابن فضل الله سنة ٧٤٩  
ومن انشائه في وصفِ قِطِّ زَبَادٍ من رسالة طويلة : وقط الزبَاد الذي لا تحكيه  
الاسود في صُورِها ، ولا تسمع غِرْلانُ المسك بما يخزُنه من عرفة الطيب في سُرها  
كم تنقل في بيوت طابت موطنًا ، ومشى من دار أصحابه فقالوا ( ربنا عَجَلْ لنا قِطَّنًا )  
ومن فصول رسائله فصل كتبه من رسالة على لسان سلطانه الى نائب الشام مع  
طيور صيد جَوَارِحِ أرسلها اليه :

« صدرت هذه المكاتبة الى الجناب العالي بسلامٍ جميل الافتتاح ، وثناء يطير  
اليه وكيف لا تطير قادمةً بجَنَاح ، ونعلمه أن مكاتبته المنقدمة الورود تضمنت التذكار  
من الجوارح بما بقي من رسمه ، وجرت عادة صدقاتنا الشريفة أن تُحَسَّب في قَسَمه  
وقد جهزنا له الآن منها ثلاثة طيور لا يبعدُ عليها مَطَار ، ولا يوقد للقرى في غير حماليقها  
جدوة نار ، ولا تؤمُّ طيراً إلا وترشُّ الأرض بدمه فلا يلحق لها بغيار . وهي طائرٌ كم  
لها من فتكٍ أخذ الطير من مأمنه ، وسلب ما تحلى به من ريش الريش ثم تزيياً بأحسنه »  
ومن تأليفه كتاب « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » في بضع وعشرين  
مجلدة ولا يعلم قبله كتاب وسيع من علوم التاريخ ووصف الأرض والملك والأدب  
ما وسعه ، وكتاب التعريف بالمصطلح الشريف في فن انشاء الدواوين وكتاب  
« فواضل السمر في فضائل آل عمر »



## لسان الدين بن الخطيب

هو ذو الوزارتين ، الكاتب الشاعر ، الفقيه ، المصنف ، الحكيم المتطرب ،

أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله المعروف بابن الخطيب

ولد سنة ٧١٣ بمدينة غرناطة من بيت عربي عريق في العلم والأدب والخطابة والرياسة وقيادة الجند ، وقرأ وتأدب وتفقه على مشيختها . واجتمع له من الحكمة والأدب ملكة بذتها أديب الأندلس كتابةً وشعراً وتصنيفاً وسياسة

واشتهر بادئ أمره بنظم الشعر فأنشأ القصائد البليغة ، وأشاد بمدح السلطان أبي الحجاج يوسف أحد ملوك بني الأحمر فجعله في عداد كتّابه ، ثم اجتباه وأضاف إليه الوزارة وفوض إليه جميع شؤون المملكة . وما برح على هذه الخطوة حتى مات سلطانه وتولى ابنه مكانه فأقره على الوزارة ، ثم وشى به حساده من الفقهاء والكتاب عند السلطان ، وكادوا له المكاييد ، واتهموه بالإلحاد في الدين حتى أحفظوه عليه . فلما أحسّ تنكره له فر إلى المغرب الأقصى . فأكرمه سلطانه ثم ابنه من بعده إلى أن ثار عليه ثائر وساعد ملك بني الأحمر هذا الثائر بشرط أن يسلمه ابن الخطيب . فقم له أمره وسُجن بفاس وخنق في سجنه ، ثم دفن من الغد بها سنة ٧٧٦

وكان ابن الخطيب خاتمة بلغاء الأندلس وآخر الرؤساء الأعيان من كتاب الرسائل والتأليف . وكان في عدوة الأندلس يضارع ابن خلدون في عدوة افريقية : فقهياً ولغةً وأدباً وتاريخاً وشعراً ؛ غير أن ابن خلدون كان قليل الحفل بالسجع والزخرف ، وكان بابن الخطيب لؤثةً منها

وكانت عبارة رسائله مشوبةً بصبغة يسيرة من أسلوب الفقهاء ورسوم العلماء ، وتُسفع غالباً بشيء من شعره : إما متخللاً لها وإما متقدماً صدرها . وقلماً صدرت عنه رسالة موجزة ، شأن أكثر كتاب الأندلس

ومن قصار رسائله رسالة في الشوق كتبها إلى ابن خلدون وهي بعد الديباجة ( أما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج ، وأما الصبرُ فسئل به أية درج ، بعد أن



تجاوز اللوى والمنعرج ؛ لكن الشدة تعشق الفرج ، والمؤمن ينشق من روح الله الأرج . وأتى بالصبر ، على إبر الدبر ، ومطاوله اليوم والشهر ، وهل للعين أن تسلو سلو المقصر ، عن إنسانها المبصر ، أو تذهل ذهول الزاهد ، عن سرها الرأى والمشاهد ، وفي الجسد مضغة يصلح اذا صلحت ، فكيف حاله ان رحلت عنه ونزحت . واذا كان الفراق هو الحمام الأول ، فعلام المعول ؟ أعت مرأوضة الفراق ، على الراق ، وكادت لوعة الاشتياق ، أن تفضى الى السباق :

تركتونى بعد تشييعكم أوسع أمر الصبر عصياناً  
أقرع سنى ندماً تارة وأستمح الدمع أحياناً

### التدوين

ألف علماء هذا العصر تأليف جمّة أخلفت على العربية بعض ما أباده النثار والصلبيون : من الكتب النفيسة ، ويرجع أكثر الفضل فى ذلك الى علماء مصر والشام وجالية الأندلس اليهما . أما أعاجم المشرق فهم وان الفوا فى العلوم الاسلامية والفلسفية كان تأثير بيتهم الأعجمية جاعلاً كتبهم على شرف موضوعها وجلال مباحثها صعبة التناول ، ضعيفة الأثر فى تقدم اللسان العربى ونذكر هنا لمعاً يسيرةً من أحوال العلوم العربية ومؤلفيها فى هذا العصر

### الأدب

قد كان لأدباء القاهرة من الكتاب السابق فى وضع الكتب الجامعة التى تبحث فى عدة علوم أدبية أو ملحقه بها . ومن هؤلاء :

شهاب الدين النويزرى (١) صاحب نهاية الأرب (٢) وابن فضل الله العمري صاحب مسالك الأبصار ، وشهاب الدين القلقشندي صاحب صبح الأعشى (٣)

(١) هو شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب بن احمد البكرى النويزرى المؤرخ الاديب ، نسب الى نويرة احدى قرى مديرية بني سويف توفى سنة ٧٣٣ (٢) باشرت دار الكتب المصرية طبعه وانجزت منه بضعة اجزاء (٣) هو شهاب الدين احمد بن على بن احمد القلقشندي نزيل القاهرة ، تفقه ومهر وعانى الادب وكتب فى الانشاء ، وكتابه صبح الاعشى فى صناعة الانشاء أحسن



ومن الف في الأدب بمنح مختلفة :  
جمال الدين الوطواط صاحب الغرر والغرر ، وشهاب الدين الحلبي صاحب منازل  
الأحباب ، وحسن التوسل الى صناعة الترسل ، وشهاب الدين أحمد الأبيشي  
صاحب المستطرف ، والنواجي<sup>(١)</sup> صاحب حلبة الكميت

### بقية العلوم الاسلامية

لم تكن مصر ولا الشام في العصور الأولى ميداناً لتسابق جياذ علماء اللغة كما  
كان العراق والأندلس

ولما أباد النارُ بقية العلماء والنحاة في الشرق ، كاد أفق المشرق والشام ومصر  
يصغر من النحاة وأهل اللغة لولا أن تداركها الله بدخول التثارة في الاسلام ومعاضدتهم  
هم والدول التي خلفتهم للعلم والعلماء ، وبجلاء بعض كبار النحاة واللغويين من الأندلس  
والغرب قبيل حادث التثارة وبعده كابن مالك<sup>(٢)</sup> والشاطبي<sup>(٣)</sup> وأبي جيان<sup>(٤)</sup> وابن  
منظور الافريقي ، فجددوا النحو واللغة بمصر والشام ، وتخرج عليهم تلاميذ أفضل  
كانوا كواكب العصور المتأخرة ، فدوتوا العلم وحفظوه لمن أتى بعدهم ممن نشأوا  
في العصور المظلمة

على أن أكثر هؤلاء العلماء المتأخرين لم يكونوا منقطعين للعربية وحدها بل  
كان لهم تخرُّجٌ في كثير من العلوم ولا سيما الشرعية التي كانت الرغبة فيها حينئذٍ

---

ماكتب في تاريخ الانشاء طبع في مصر في ١٤ مجلدة ٦ ، وتوفي سنة ٨٢١ و ( قلقشنده احدى  
قرى مديرية القليوبية )

(١) هو شمس الدين محمد بن حسن بن علي فاق أهل عصره في الادب وألّف كتباً كثيرة  
فيه توفي سنة ٨٥٩ و ( نواج ) احدى قرى مديرية الغربية (٢) هو العلامة جمال الدين ابو  
عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي ، الجياني ، نزيل دمشق الشام ، امام النحاة ، ومجدد  
النحو في المشرق ، وحافظ اللغة وصاحب الالفية والتسهيل توفي سنة ٦٧٢ و ( جيان ) بفتح الجيم  
وتشديد الياء مدينة من مدن الأندلس شرقي قرطبة (٣) هو الشاطبي النحوي محمد بن علي بن  
يونس الأندلسي البلنسي تصدر بالقاهرة في اللغة والنحو وروى عنه ابو جيان وتوفي سنة ٦٨٤  
(٤) هو الامام أمير الدين محمد بن يوسف الفرناطي نحوي عصره ولغويه ومقرئه توفي سنة ٧٤٥



تفوق كل رغبة . ولم يعن في مصر والشام والغرب بنوع من العلوم الكونية الأ  
بالرياضة العملية من الهندسة والحساب والميقات . وهجرت العلوم الفلسفية والمنطق ،  
بل حكم بعضهم بكفر منتحلها ، وبقى كثير من علماء المشرق من الفرس والأفغان  
والهندوزاؤها الى وقتنا هذا من غير تأثير لهم في ترقية شأنها عما كانت عليه

### كتابة التدوين والتصنيف

أما كتابة التدوين فكانت في المتون ونحوها موجزة جداً ، جارية على أسلوب  
الأقيسة المنطقية . وكانت في الشروح المطولات مبسوطاً ، كثيرة النقل عن  
الأئمة ، غزيرة الاستدلال بالبراهين والأدلة العقلية والنقلية ، وكان للشافعية في الإيجاز  
وتتقيح التحرير الباع الأطول . وبقيت هذه الحال حتى أوائل الحكم العثماني .  
ثم اخترع تأليف الحواشي والنقريات والرسائل الخاصة بشرح قاعدة أو جملة  
أو قصيدة . وضعفت عباراتها وازدادت تعقيداً وغوضاً حتى أصبح ذلك مما يتنافس  
فيه ، ويظن في صاحبه العلم والدقة

ومن أشهر المؤلفين في هذا العصر ابن خلكان - وابن خلدون - والسيوطي  
وابن مكرم - والفيروز ابادي - وعز الدين بن عبد السلام<sup>(١)</sup> - وابن حجر  
العسقلاني<sup>(٢)</sup> وابن هشام النحوي<sup>(٣)</sup> - ولسان الدين بن الخطيب - وسعد الدين  
التفتازاني<sup>(٤)</sup> - والسيد الجرجاني<sup>(٥)</sup> - والشهاب الحفاجي

(١) هو الفقيه المجتهد الشافعي علامة الزمان عز الدين . نشأ في الشام وتعلم بها واتصدر وقدم  
مصر فاقام بها اكثر من ٢٠ سنة وتوفي سنة ٦٦٠ (٢) هو امام الحفاظ في زمانه قاضي  
القضاة ابو الفضل احمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ثم المصري صاحب شرح البخاري  
والاصابة في تمييز الصحابة وغيرهما من نفائس الكتب توفي سنة ٨٥٢ (٣) هو امام النحويين ،  
وفخر المصريين ، عبد الله بن يوسف بن احمد بن عبد الله بن هشام الانصاري صاحب معنى  
الليب ، عن كتب الاعراب ، ولد سنة ٧٠٨ وتوفي ٧٦١ ودفن بجوار باب النصر ولا يزال  
قبره معروفًا (٤) هو سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله العلامة في النحو والتصريف  
والبلاغة والنحو والالفقه والاصول ، انتهت اليه معرفة العلوم بالمشرق توفي بسمرقند  
سنة ٧٩١ (٥) هو علامة المشرق السيد الشريف علي بن محمد بن علي الحنفي الجرجاني ،  
كان نظير سعد الدين في اكثر العلوم ويزيد عليه في فصاحة المنطق ، وجرت مناظرات بينهما في  
مجلس الطاغية تيورلنك وتوفي بشيراز سنة ٨١٦



## ابن خَلِّكان

هو قاضى القضاة شمسُ الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن أبى بكر

خَلِّكان الإربلى

وُلد سنة ٦٠٠ بمدينة إربل<sup>(١)</sup> من بيت كبير عريق فى الفضل ، وتوفى والده وهو ابن سنتين . فنشأ بإربل وأقام بها الى سنة ٦٢١ فرحل الى حَلَب ومكث بها سنين ثم الى دمشق وأقام بها مدة ، ثم أقام بمصر وتولى القضاء بها ، وفيها ألف أكثر تاريخه العظيم ( وفيات الاعيان ) ثم تقلبت به الأحوال بين مصر والشام الى أن مات بدمشق سنة ٦٨١

وكان كاتباً بليغاً ، وشاعراً مجيداً ، حسنَ المحاضرة لطيف المعاشرة ، واسع الاطلاع شديد التحرى والضبط

وتاريخه ( وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ) أفضل ما بأيدي الناس من كتب التراجم لشدة عنايته بضبط الأعلام وأسماء البقاع والبُلدان ، وتحقيق الحوادث بحسب الامكان ؛ هذا فوقَ مزيته الكبرى : وهى بناؤه على تعيين الوفيات ، وتنزُّهه عن رواية أقوال الفحش والحنأ ، وان كان يؤخذ عليه روايته لكثير من الأخبار التى لا تخلو من مبالغة أو وضعها على علاتها متوخياً فى ذلك أمانة النقل . وقد اشتمل هذا التاريخ على ٦٤٦ ترجمة ، ثم تم عليه محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ بكتابه الذى سماه فوات الوفيات ولكنه لم يدرك شأو سابقه لافى الضبط ولا فى ذكر تاريخ الوفيات

## ابن خلدون

هو حكيم المؤرخين ، وعلمَ المحققين ، الفقيهُ القاضى الكاتب الشاعر المصنف عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون

وكان بيت خلدون هذا من أشرف بيوتات الشرف والرياسة وقيادة الجند

(١) تقدم انها من مدن الجزيرة



بأشبهية من قديم الزمان ولم ينقطع منهم الى خدمة العلم والأدب غير المترجم وأبيه  
وكان أهله قد انتقلوا الى تونس عند تغلب الأسيان على أشبيلية . ويتصل نسبهم  
بوائل بن حُجر من أقيال اليمين من حَضْرَ مَوْت

وُلد ابن خلدون بتونس سنة ٧٣٢ هجرية فحفظ القرآن الكريم وقرأه بالسمع  
وتلقى العلم والأدب من أبيه ومن كبار العلماء ، وقرأ العلوم العقلية والفلسفية على  
بعض حكماء المغرب

ولم يزل مُكَبِّاً على تحصيل العلم حتى دهم أفريقيا طاعونٌ جارف مات فيه أبواه  
واكثر ذوى قرابته وشيوخه فاحترف بصناعة الكتابة وهو شاب لم يُطْرَّ شاربه ؛  
فكُتِبَ لبعض ملوك الدولة الحفصية بتونس ودولة بني مرين بفاس ، ثم وصل بعد  
ذلك إلى ملوك بني الأحمر بالأندلس فخطى عندهم حتى حسده على ذلك صديقه  
لسان الدين بن الخطيب فأقنع عنها ، وذهب الى صاحب بجاية بالمغرب الأوسط  
فوزر له ، وبقي يتردد بين المغرب الأوسط والأقصى وأفريقية والأندلس حتى  
حسن في عينه التخلي عن السياسة والانتقطاع الى العلم فنزل على بعض قبائل العرب  
على حدود الصحراء أربعة أعوام ألف فيها تاريخه ومقدمته التي لم ينسج أحد من  
المتقدمين ولا المتأخرين على منوالها ، ثم عزم على الحج فدخل مصر سنة ٧٨٤ هـ  
زمن سلطانها برقوق (١) . ثم استقدم أهله وولده من المغرب فغرقت بهم السفينة  
فأقام بمصر حزيناً وجلس للتدريس بالجامع الأزهر وتولى قضاء المالكية سنة ٧٨٧ هـ  
وأظهر العدل في أحكامه ، واستقال من القضاء ثم عاد اليه ، وخرج مع كثير من  
علماء مصر في جيش السلطان فرج (٢) بن برقوق لمدافعة تيمورلنك (٣) عن الشام

(١) هو الملك الظاهر سيف الدين برقوق بن انص الجركسي أول ملوك الجراكسة وسمى  
برقوق لجحوظ عينيه ، حكم مصر والشام ثم خلع ثم حكم ثانية وبقي سلطاناً حتى توفي سنة ٨٠١  
(٢) هو الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق حكم ثم خلع ثم حكم ثم قتل سنة ٨١٥  
(٣) هو الطاغية الجبار تيمورلنك من سلالة جنكيزخان من جهة النساء ملك أواسط آسيا  
واعلى الهند وفارس وكاد يقضى على الدولة العثمانية في بدء نشأتها مع اسلامه والمامة بكثير من  
العلوم توفي سنة ٨٠٧ ودفن بسمرقند



فوقع مع كثير من العلماء في أسر تيمور فأدخل عليه فخلبه بسحر بيانه فأكرمه وسرّحه الى مصر ليأتي له بتاريخه ومقدمته فذهب ولم يعد اليه ، وبقى بمصر يشتغل بالتدريس تارة والقضاء أخرى حتى مات وهو قاضى المالكية بمصر للمرة السادسة<sup>(١)</sup> سنة ٨٠٨ هـ

### منزله في الكتابة والتاريخ والشعر

أحيا ابن خلدون في عصره الكتابة المرسلّة الفطرية الخالية من السجع وتكلف البديع في عصر بلغ فيه غايته ، والى ذلك عمد في كثير من فصول مقدمة تاريخه فجاء بعض كتابته فيها بمنزلة من البلاغة لا تقل عن كتابة فحول القرن الثالث ، ولم يكن الانتفاع بالمقدمة وكتابته في وقت أظهر مما كان في أوائل العصر الحاضر ، إذ كانت هي الأسلوب الأمثل لكتاب الصحف والمجلات في بدء نهضتنا الأخيرة

وكان ابن خلدون إماماً حكيماً في التاريخ أكثر مما كان اماماً في الكتابة فانه يعتبر من أكبر واضعي علمي العمران والاجتماع بما خطه في مقدمته . ولم تعد أحكامه في سياسة الممالك الاستبدادية التي ذكرها في مقدمته مطردة في عصرنا هذا ؛ إذ أصبحت طريقة الحكم بممالك عصرنا دستورية ، إلى أن معدت الحروب وظواهر المدنية الحاضرة تختلف كثيراً عن حالتها السابقة

ويؤخذ على ابن خلدون في مقدمته انحواؤه على العرب وقسوته في الحكم عليهم في كثير من سياسة الملك

ويمتاز تاريخه بأنه التاريخ الوحيد الذي فصل الكلام على دول المغرب من البربر وغيرهم

وكان ابن خلدون شاعراً ، طويل النفس ، وشعره بالاضافة الى شعر عصره غاية في الجودة وان وصفه هو بأنه متوسط بين الجودة والقصور تواضعاً منه

(١) كذا في حسن المحاضرة للسيوطي



## جلال الدين السيوطي

هو عبد الرحمن جلال الدين ابن الامام كمال الدين الحَضَيْرِي السيوطي العالم  
المحدث المفسر المتقن الجامع المختصر، صاحب التصانيف المشهورة، ورسائل  
العلم الماثورة

ولد سنة ٨٤٩هـ ونشأ يتيماً وحفظ القرآن وعمره دون الثمان، ثم حفظ متون الفقه  
والنحو، وأخذ العلم عن مشايخ وقته وابتدأ في التصنيف وسنه ١٧ سنة. ثم لازم  
الاشيخ وطلب العلم في بقاع الأرض فدخل الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب  
والتكرُّر<sup>(١)</sup> ونبغ في كثير من العلوم، ورزق التبجُّر في التفسير والحديث والفقه  
والنحو والمعاني والبيان والبديع

وتولى التدريس والافتاء ولم يكن أشهر منه في زمنه. ويُعدُّ السيوطي من الأئمة  
الذين حفظوا العلم للخلف وسهلوا سبيله للمتأخرين، وقد ترك للناس أكثر من  
ثلاثمائة مُصنَّف، ولو لم يكن له إلاَّ الإِتقان في علوم القرآن، والمزهر في أصول اللغة،  
والأشباه والنظائر في دقائق النحو وأصوله، والهمع على الجمع في فروع النحو  
وأصوله والصرف، لكفاه ذلك فخراً

وتوفي سنة ٩١١ هجرية ودفن بالمقبرة المنسوبة اليه شرقي القاهرة الجنوبي

## الشعر<sup>(٢)</sup>

لما كان أكثر سلاطين الإسلام وملوكه وأمرائه في هذا العصر بالمشرق  
والشام ومصر أعاجم بالفطرة، كان ميلهم الى الشعر العربي غير طبعي، وعظفهم على فحول  
الشعراء البلغاء ضعيفاً، ولذلك انقرض الشعر العربي من أواسط آسيا وبقيت صُبابَةٌ

(١) هي جزء من السودان الغربي يقابل بلاد مرا كس جنوبا والسنغال شرقا وهي المسماة عند  
الاوربيين باعالى ( النيجر ) وكان من أعظم بلاده مدينة ( تنيكتو ) يضم فسكون مكررين ثلاثا  
ومدينة ( مالى ) وهي من البلاد التابعة لفرنسا الآن (٢) يجدر بمن يريد التوسع في معرفة أحوال  
الشعر غرضاً ولفظاً ومعنى في هذا العصر أن يقرأ على الأقل شرح بدوية ابن حجة المسماة بجزانة الادب



منه بالعراق والجزيرة، وبقي على شيء من الرونق في الشام ومصر والأندلس  
والمغرب غير أنه قلَّ التكبُّبُ به فيها، فمال أكثر الشعراء إلى انتحال الكتابة في  
الدواوين صناعة، واستعملوا الشعر في تملق الملوك والرؤساء وفي إظهار التفصُّح والتسليية .  
فمَجِر قولُهُ في الأغراض الهامة، وعُدلَ به إلى أغراض غير فطرية إما مقبولة في الجملة  
كمدح النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> والشكوى إليه<sup>(٢)</sup> أو مدح بعض الأولياء<sup>(٣)</sup>  
أو اللَهْجِ بِأحوال التصوف والزهادة ونحو ذلك . وإما تافهية كالأغراض الآتية :  
(١) الغزل غير الحقيقي وبخاصة المذكر، وزاده مَقْتاً وسَمَاجَةً صدوره عن كبار  
العلماء ومشايخ الصوفية

- (٢) اظهار البراعة بنظم مقطعات تتضمن غزلاً أو وقائع خيالية لمجرد العثور  
على لفظ تصح فيه تورية<sup>(٤)</sup> أو يلتئم معه جناس<sup>(٥)</sup>  
(٣) ازدياد المَجَانة والخَلَاعَة والهجاء المقذع  
(٤) وصف كثير من الأشياء والآلات التي لا يُؤْبَهُ لها كالناعورة<sup>(٦)</sup> والمخدة<sup>(٧)</sup>

(١) كما في البردة والهزبية وبديعيات ابن حجة وصفي الدين وعز الدين وديوان البرعي  
وغير ذلك (٢) وغاب ذلك في الأندلس عند مضايقة الاسبانيين لهم  
(٣) ويكثر ذلك في دواوين المتصوفين والقصاص وكتب مناقب الأولياء وطبقاتهم

(٤) كقول السراج الوراق :

وأحمق أضافنا بيقله      لنسبة بينهما ووصله  
فن أقل أدبا من سفله      قد مد في وجه الضيوف رجله

(٥) كقول الصلاح الصفدي :

يا من إذا ما أتاه      أهل المودة أولم  
أنا محبك حقاً      إن كنت في القوم أولم

(٦) كقول ابن الوردي :

ناعورة مذعورة      ولهانة وحائره  
الماء فوق كتفها      وهي عليه دائره

(٧) كقول النواجي :

في تقع ولذة للنفوس      وحياة وراحة للجليس  
كم نديم أرحته باتكاه      وتواضعت عند رفع الرعوس



والبساط<sup>(١)</sup> ورقعة المصلى<sup>(٢)</sup> وكالمروحة والسكين والدواة والسراج والمبخرة

(٥) الألفاظ والأحاجي<sup>(٣)</sup>

أما معانيه فقلَّ فيها الاختراع ودقة التصوير وضرب الأمثال وإبراز الحكمة،  
وان كثر تنوع التشبيه وتخييل الاستعارة  
وأما ألفاظه وأسلوبه فشاع فيها ما يأتي :

(١) الاقتصارُ على الألفاظ السهلة، وهجرُ الغريب بل اللفظ الجَزَلُ حتى  
استعملوا الألفاظ العامية<sup>(٤)</sup> أو التركية الفاشية في ذلك الزمان

(٢) الاقتصارُ على التراكيب السهلة، واستعمال كثير من الأمثال العامية<sup>(٥)</sup>

(٣) تكلف البديع ولا سيما التورية والجناس، ثم قلَّ ذلك في أواخر هذا  
العصر: لضعف الشعراء عن استخراجِه والترفيق في استعماله

(٤) اظهار الحذق بالاستكثار من الألفاظ المصغرة<sup>(٦)</sup> أو المهملة أو المعجمة<sup>(٧)</sup>

(١) كقول ابن نباته :

بساط يملأ الاحداق حسنا ويهدى للقلوب بها سرورا  
ويشرح حين يسط كل صدر وخير البسط ما يرضى الصدورا

(٢) كقول ابن الوردي :

سجادة أذكرتني منك الذي كنت أعلم  
أهديتها لمحبي صلى عليها وسلم

(٣) كقول النابلسي في سراج :

ما اسم تراه في النها ركاسدا اذلا احتياج  
وان طرحت الربع منه في الدجى تلقاه راج

(٤) كقول ابن المواهب البكري :

ان في الشاروخ معنى لدوى الالباب عبره  
ان تعالى فهو فرد أو تدلى فهو كثره

(٥) كقول بدر الدين الازهرى :

لقد عثرت بمجنح الليل رجلى على شخص ولم يك في حسابي  
فقال مجاوبا لى أنت أعمى؟ فقلت نعم ودواس الكلاب

(٦) كقول ابن حجة :

لحيظك والمقيلة مع نظيمي سحير في سحير

(٧) كقول الحلي :

غنى يضمن بنض نقي فيقتضى بثبني في بغيتي  
قوله : كم ساهر حرم لمس الوساد وما أراه سؤله والمراد



جملة أو بصورة خاصة<sup>(١)</sup> ، أو لزوم ما لا يلزم ، أو ما لا يستحيل بالانعكاس<sup>(٢)</sup> ،  
أو التاريخ الشعري<sup>(٣)</sup> ، ولا سيما آخر هذا العصر الذي بلغ فيه التاريخ الشعري غايته  
(٥) كثرة تضمين<sup>(٤)</sup> الشعر المشهور ، وكذلك التشطير والتخميس  
(٦) كثرة الاقتباس<sup>(٥)</sup> من القرآن الكريم والحديث ، وقلما يكون بغير تورية  
أما أوزان الشعر فلم يحدث فيها في هذا العصر أوزان جديدة ، وإنما شاع فيه  
استعمال الأوزان المولدة ونظم كثير من الموشحات الفصيحة والعامية وكثير جداً  
من المواليا<sup>(٦)</sup> والزجل<sup>(٧)</sup> والقومة<sup>(٨)</sup> وكان وكان<sup>(٩)</sup> ونحوها ، وأعجب ذلك ملوك

- (١) كقول ابن حجة في المعجم من أعلى فقط :  
وقد أمنت وزال الخوف منحذفا نحو العدو ولم أخفر ولم أضمر  
(٢) كقول عز الدين الموصلي :  
لم يستحل بالنعكاس في سجيته (مدن أأخاطع معط أأخاندنم)  
(٣) كقول الحتائي المصري : مفق البرايا بنى لله مدرسة لها من الانس أنواراً تنشئها  
على الهدى أسست واليمن أرخها دار العلوم فيحيا العدل منشيها  
(٤) كقول الصفدي : ملكت كتابا خلق الدهر رسمه وما أحد في دهره بمخلد  
إذا عابت كتبي الجديدة جلده (يقولون لا تهلك أسي وتجدد)  
(٥) كقول جمال الدين بن نباتة :  
الله سخر لي (وعائتي) من حف في الاكرام والكرما  
حتى تلوت قبل رؤيتهم (يا ليت قومي يعلمون بما)  
وكقول صفى الدين العزى : رب ثقيل أمام قوم يؤم بالناس ثم يجحف  
خالف في الفعل قول طه « من أم بالباس فليخفف »  
(٦) تقدم الكلام في المواليا ومن أمثله في هذا العصر قول بعضهم في التوجيه بالازهار وغيرها :  
لك خد يا حى عالم يا كيت الطرد عليه لو نفس صباره وحر وبرد  
ناداه والعارض التمام حوله فرد ما فاتك الحسن ساعة يا شقيق الورد  
(٧) لاحد لاوزانه وإنما أشهرها (مستفعلن فعلن فعلن) أربع مرات لسلك دور ، وربما  
قالوا (فعلان) بدل (فعلن) الاخرة كقول بعضهم :  
من الكرك جانا الناصر وجب معه أسد الغابه  
وركبتك يا شيخ هنعش ما كانت الا كدابه  
(٨) نوع من الزجل كان يوقظ به الناس للسجود في رمضان ووزنه (مستفعلن فعلان) أربع  
مرات لسلك دور كقول بعضهم :  
ياسيد السادات لك في الكرم عادات  
أنا بن أبو تقطعة تميش أبويا مات  
(٩) نوع من الزجل ودوره مركب من أربعة شطور : الاول وزنه (مستفعلن فاعلان)



مصر ولا سيما بنى قلاوون<sup>(١)</sup> و برقوق فأثابوا الزجالين وقر بوهم ، وراج الزجل في أيامهم حتى كاد ينسخ الشعر الفصيح . ومن أشهر هؤلاء الزجالين شيخهم الشيخ خلف الغبارى زجال آل قلاوون الذى استخدم الزجل فى كل أغراض الشعر

### الشعراء

ظهر فى هذا العصر شعراء كثيرون ، من أشهرهم :

- (١) شيخ شيوخ حماة شرف الدين الأنصارى المتوفى سنة ٦٦٢ (٢) جمال الدين ابن نباتة المصرى وسنترجم له (٣) شهاب الدين التلعفرى المتوفى سنة ٦٧٥ (٤) الشاب الظريف المتوفى سنة ٦٨٧ (٥) الامام البوصيرى وسنترجم له (٦) ابن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ (٧) أبو بكر بن حجة المتوفى سنة ٨٣٧ (٨) صفى الدين الحلى وسنترجم له (٩) فخر الدين بن مكائس المتوفى سنة ٨٦٤ (١٠) ابن معتوق الموسوى وسنترجم له

### ١ - البوصيرى

هو الكاتب الشاعر المتصوِّف ، شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجى<sup>(٢)</sup> البوصيرى صاحب البردة والهمزية كان أحد أبويه من بوصير والآخر من دلاص . وُلد بدلاص<sup>(٣)</sup> سنة ٦٠٨ ونشأ ببوصير<sup>(٤)</sup> ثم انتقل الى القاهرة ، وتعلم علوم العربية والأدب فقال الشعر البليغ فى جِدِّه وهزله ، ونظم من جزَّله ومرذوله ، وفصيحه وعاميه ، وكتب الرسائل والثائق ( مستفعلن مستفعلن ) أو ( مستفعلن مستفعلن ) والثائق مثل الاول والرابع ( مستفعلن فعلان ) كقول بعضهم :

تحضر ولكن قلبك غايب وذهنك مشتغل  
فكيف يا متخلف تحسب من الحضار

- (١) هم أولاد الملك المنصور قلاوون الصالحى النجمى سابع سلاطين المماليك البحرية وأشهرهم الملك الناصر محمد بن قلاوون
- (٢) صنهاجة احدى قبائل البربر وأصل وطنها الصحراء جنوبى المغرب الاقصى (٣) قرية من قرى مديرية بنى سويف (٤) هى بوصير قورديدس من قرى بنى سويف أيضا



الأنيقة ، واتخذ كتابة الدواوين صناعة فتصرف في مناصب كثيرة بالقاهرة والأقاليم ،  
وباشر مديرية الشرقية مدة ، وله في ذم مباشرى الشرقية قصيدة طويلة  
ويمتاز شعره بالرصانة والجزالة وحسن استعمال البديع في مدائح النبوية إلا أنه  
لم يحفل بهذه المزايا في غيرها فجارى شعراء زمانه في أسلوبهم حتى في استعمال بعض  
الألفاظ المولدة والأهاجي المقذعة ، ثم تنسك وتصوف

ومن شعره قصيدة البردة الشهيرة التي وقع الإجماع على أنها أفضل مدائح  
الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بانت سعاد ونحوها من مدائح الصحابة ؛ قيل انه  
فُلج فنظمها في مرضه وتوسل بها إلى رسول الله فشفي من مرضه  
وأولها :

أَمِنْ تَذَكَّرِ جِيرَانِ بَدَى سَلَمٍ	مَزَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مَقْلَةٍ بَدَمٍ
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاطِمَةٍ (١)	وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظَّامَاءِ مِنْ إِضْمٍ (٢)
فَمَا لِعَيْنِكَ إِنْ قَلْتَ اكْفُفْهُمَا	وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قَلْتَ اسْتَفِقْ بِهِمْ
أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنْ الْحَبَّ مِنْكُمْ	مَا بَيْنَ مَنْسَجَمٍ مِنْهُ وَمَضْطَرَمٍ

ومن حكمها البديعة المشوبة بحاسن البديع قوله :

والنفس كالطفل إن تهملهُ شبَّ على	حُب الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمُهُ يَنْفَطِمِ
فأصرف (٣) هواها وحاذر أن توليه	إِنْ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يُضْمِ (٤) أَوْ يَصِمِ
وراعها وهي في الأعمال سائمة (٥)	وإن هي استحلَّت المرعى فلا تَسِمِ
كم حسنت لذة للمرء قاتلة (٦)	من حيث لم يدر أن السَّمَّ في الدَسَمِ
وأخش الدسائس من جوع ومن شبع	فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنْ التَّخْمِ

(١) راجع مصور بلاد العرب بهذا الكتاب (٢) واد بيتدىء من غربي المدينة ويصب في  
بحر القلزم (البحر الأحمر) (٣) الصرف في عرف زمانهم العزل عن الحكم ضد التولية  
(٤) جواب (ما) الشرطية ، أى ما تولى منه من أصميت الصيد اذا قتلته وأنت تراه (أو يصم)  
من وصم العود اذا صده أو من الوصم بمعنى العيب (٥) يلح الى ما يستعمل في رعى الابل  
(٦) الايات الآتية يلح فيها الى صناعة الطب ، والاستفراغ والامتلاء والحجة من الفاظها



واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت من المحارم والزم حمية الندم  
وقد اتخذ شعراء المدائح النبوية هذه القصيدة نموذجاً ينسجون على منواله  
فكانت من أقوى الأسباب التي حملت شعراء هذا العصر وما يليه على الاكثار  
من المدائح النبوية ، وكذلك اتخذها أصحاب البديعيات مثلاً يحتذونه فعارضوها  
بقصائدهم وزناً وقافية فلم يلحقوا لصاحبها غباراً  
وقصيدة البوصيري الهمزية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل عن  
البردة في فصاحتها ، وأولها :

كيف ترقى رُقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء  
لم يساووك في علاك وقد حا ل سنى منك دونهم وسناء  
ومنها :

صاح لا تأس إن ضعفت عن الطاعة واستأثرت بها الأقوياء  
ان لله رحمة وأحق الناس منه بالرحمة الضعفاء  
فابق في العرج عند مُنقلب الدؤوب د ففى العود تسبق العرجاء  
لا تقل حاسداً لفيرك هذا أثرت نخله ونخلى عفاء  
وأنت بالمستطاع من عمل البرم فقد يسقط الثمار الإناء  
وله قصيدة أخرى على وزن بانث سعاد ، وأولها :

الى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسئول  
وتوفى البوصيري سنة ٦٩٥ بالاسكندرية وقبره بها مشهور يُزار

## ٢ - صفي الدين الحلي

هو الشاعر البديع عبد العزيز بن علي الشهير بابن سرايا الطائي الحلي  
شاعر الجزيرة

ولد سنة ٦٧٧ ونشأ بمدينة الحلة من مدن الفرات فتأدب ونظم الشعر وأجاده  
وأصبح فيه أشهر شعراء عصره ، وخدم به الملك المنصور نجم الدين غازي بن قره



ارسلان : أحد ملوك الدولة الأرتقمية ملوك ماردين<sup>(١)</sup> وديار بكر<sup>(٢)</sup> من ذبول  
الدولة السلجوقية فخطى عنده ومدحه بكثير من القصائد ، ومنها جملةٌ بعدد حروف  
المُعجم أوائل حروف أبياتها كروبيها وتسمى القصائد الأرتقيّات ، وطبعت على  
حذتها ومع ديوانه

واتصل بعده بابنه الملك الصالح شمس الدين ثم ذهب الى الحج ، وعرج  
منصرفه منه على مصر فمدح الملك الناصر بن قلاوون ، وأشار عليه كاتب سره  
القاضي علاء الدين بن الأثير بجمع ديوانه فجمعه مرتباً على اثني عشر باباً

وتوفى سنة ٧٥٠ ويعتبر صفي الدين من أئمة البديع المبتدعين في أنواعه المعالين  
في استعماله في شعرهم بلا كثير تكلف ؛ وهو أول من نظم القصائد النبوية الجامعة  
لأنواع البديع المسماة بالبديعات على مثال برودة البوصيري . وقد نظم من كل  
فنون النظم : الفصيح والعامي من جدّيهما وهزليهما : فقال القصائد المطولة ،  
والمقطعات والموشحات والخمسات والمشطرات والمواليا والزجل والقومة وكان وكان ،  
وغيرها ؛ وله جملة مصنّفات غير ديوانه

وشعره في جملته سهل الألفاظ حسن المعاني الا ما كان يتكلفه للمعاياة واظهار  
الحذق فانه ردىء النسج ، ثقيل على السمع ، وله من ذلك في ديوانه شيء كثير<sup>(٣)</sup>  
ومن قوله في الأدب :

اسمع مخاطبة الجليس ولا تكن عجاجاً بنظفك قبل ما تفهم  
لم تعط مع أذنيك نطقاً واحداً الأ لتسمع ضعفاً ما تتكلم  
وقوله :

إذا الجدُّ لم يكُ لي مُسعداً فما حرّكاتي الآ سكونُ

(١) من مدن الجزيرة (٢) هي التي كانت تسمى قديماً آمد

(٣) كقولوه من المنقطع الذي لا يتصل منه حرف بالآخر :

إذا زار دارى زور ودود أود وأورده ورد ودى

وكقولوه من المتصل الذي لا ينفصل منه حرف عن آخر :

سل متلف عطفاً عسى يتعطف فلقد قسا قاباً فما يتلطف



إذا لم يكن ما يُريد القى على رغبه فليُرِدْ ما يكون  
وقوله :

بقدر لغاتِ المرءِ يكثرُ نفعُهُ      فتلك له عند الملماتِ أعوان  
تهافتُ على حفظِ اللغاتِ مجاهداً      فكل لسان في الحقيقة انسان  
وقوله في وصف عود الطرب :

وَعُودٍ به عاد السرور لأنه      حوى اللهوَ قَدِماً وهو رِيانُ ناعم  
يغرِّبُ في تعريده فكأنه      يُعيدُ لنا ما لَقِنْتَهُ الجمائمُ  
وقوله يصف القاهرة المعزّية :

لله قاهرة المعزِّ فانها      بلد تَخَصَّصَ بالمسرة والهنا  
أوَ ماترى في كل قطر منية<sup>(١)</sup>      من جانبيها وهي مجتمَعُ المنى  
وقوله يصف نيل مصر حين وفاته :

وفى النيل اذ وفى البسيطةَ حقها      وزاد على ما جاده من صنائع  
فما إن تُوفى الناسُ من شكرِ منعم      يُشار الى انعامه بالأصابع

### ٣ - ابن نباتة

هو الشاعر الأديب والكاتب المصنف ، جمال الدين محمد بن محمد المعروف  
بابن نباتة ، أشعر شعراء المصريين زمن المماليك ، وصاحب سرح العيون في شرح  
رسالة ابن زيدون ، ووارث القاضي الفاضل في التعصب للتورية

وهو من سلالة ابن نباتة الخطيب عبد الرحيم خطيب سيف الدولة الحمداني  
ولد رحمه الله تعالى بمصر الفسطاط سنة ٦٨٦ ونشأ بالقاهرة ، وتلقى العلم والأدب  
على كبار مشيختها ورؤساء دواوينها ، وأكب على قراءة شعر القاضي الفاضل ورسائله  
فرسخت فيه طريقتة من الولوج بالتورية والتوجيه والطباق ، فعمل على تأييدها

(١) كنية ابن الحبيب ومنية الشريح ومنية غمر



والاشادة بها ، فكان بعد الفاضل إماماً لهذه الطريقة نظماً ونثراً ، وحاكاه آخرون من أدباء عصره كصلاح الدين الصفدى (١) وكثيراً ما أغار على معانيه وتورياته ، وكزين الدين بن الوردي وغيرهما ، ولم يأت بعده من شعراء مصر والشام من بلغ غايته في لطف التصور ورقة اللفظ وانسجام العبارة واستعمال المعاني البلدية وابن نباتة ممن لا يُعنى باستعمال الجناس ، ولا يحفل به كابن الوردي وابن حجة وان وقع أحياناً في شعره . واختلط في أواخر عمره ومات بالبيارستان المنصوري (٢) بالنحاسين سنة ٧٦٨

ومن شعره قوله :

يامشكى الهمم دعه وانتظر فرجا      ودار وقتك من حين الى حين  
ولا تعاند اذا أصبحت في كدر      فانما أنت من ماء ومن طين  
وقوله في رثاء ولده عبد الرحيم :

يا لهف قلبي على عبد الرحيم ويا      شوقى اليه ويا شجوى ويا دأى  
في شهر كانون وافاه الحامم لقد      أحرقت بالنار يا كانون أحشائى

وله ديوان عظيم طبع في مصر ، وله عدة مصنفات منها سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، وكتاب مجمع الفوائد ، وكتاب القطر النبأى ، والفاضل من انشاء الفاضل ، وفرائد السلوك في مصايد الملوك

#### ٤ - ابن معتوق الموسوى

هو شهاب الدين بن معتوق الموسوى شاعر العراق في عصره ، وسابق حلبته

في رقة شعره

ولد سنة ١٠٢٥ ونشأ بالبصرة وبها تعلم وتأدب وقال الشعر وأجاده ، وكان في نشأته فقيراً ، فاتصل بالسيد على خان أحد أمراء البصرة من قبل الدولة الصفوية

(١) هو خليل بن أيك المتوفى سنة ٧٦٤ هـ (٢) هو المشهور الآن بمسشفى

فلاوون ولم يبق منه الا قسم الرمد



الإيرانية، وكانت وقتئذ تملك العراق والبحرين ومدحه مدحا رقيقة، وأكثر شعره مقصوراً عليه وعلى آل بيته فغمره باحسانه

وابن معتوق من كبار شعراء الشيعة لنشوئه في دولة شيعية غالية فأفرط في التشيع في شعره، وجاء في مدح علي والشهيدين بما يخرج عن حد الشرع والعقل؛ ويمتاز شعره بالركة وكثرة الاستعارات والتشبيهات حتى لتكاد الحقيقة تهمل فيه جملة وله ديوان شعر مشهور طبع مراراً بمصر وغيرها، ويشتمل على قصائد ومقطعات ودوبيت ومواليا وبعض فصول من النثر سماها ابنه جامع ديوانه بنوداً

ومن قوله يهنيء أميراً بالنصر على أعدائه، ويصف إيقاعه بهم ويلح لآيات من القرآن الكريم:

وأخرجتهم من ديارهم	وما اعتقدوا هذا الى أول الحشر
وألقوا حبال المنكرات وخيلوا	فعارضتهم في آية السيف لا السحر
كفى الله فيك المؤمنين لدى الوغى	قتال العدا حتى سلمت من الأزر
ولولم يكف البأس عفوك عنهم	لعدت وقد عاد الحديد من التبر <sup>(١)</sup>
فما لبثوا إلا قليلاً فكم ترى	لهم من ظليم <sup>(٢)</sup> فرعن بيضة الخندر
تولوا مع الخفّاش في عسق الدجى	وخافوا طلاب الشمس في عقب الفجر
إذا ما لهم عقبان رياتك انجلت	أعبروا من الغربان أجنحة الغر
رميتهمو في فيلق قد تغرّدت	به طائرات النجح في عذب الشمر

وله من قصيدة:

لله أيام كهوى بالعقيق وان	كانت قصاراً وساءتني قصارها
أوقات أنس كأن الدهر أغفلها	إذ من صروف الليالي ما عرفناها
لم تشك من محن الدنيا الى أحد	من البرية إلا كان إحداها

(١) أي حمرة الدماء (٢) الظليم ذكر النعام يريد به الفارس الفار عن حرمة



## العصر الخامس

وهو عصر النهضة الأخيرة

من ١٢٢٠ - الى الوقت الحاضر

حالة اللغة العربية وآدابها في هذا العصر

كانت حالة البلاد العربية في أوائل القرن الثالث عشر غاية ما وصلت اليه من الفساد والاضمحلال حكومةً وأخلاقاً ولغةً وأدباً، فرأت أوربة أن قد آن الأوان لأن تُجَدِّدَ غاراتها عليها ففعلت ، ولكن لا بشكل الحروب الصليبية الممقوتة ، بل بدعوى نشر متاجرها وبث علومها وآدابها ، وبجاربة الواقفين لها في طريقها ، فابتدئ ذلك بحملة نابليون على مصر والشام ، فكانت هي أوّل ناشر لعلم أوربة وآدابها في البلاد العربية وان سبقها بقليل بعضُ الدعاة المسيحيين من أممها



محمد علي باشا



فما استولى ساكنُ الجنان محمد عليّ باشا على مصر بحذقه ودهائه، كان أول قاعدة أراد أن يبني عليها مملكته وسلطانه متابعةً الأوربيين في الإدارة والتربية وتنظيم الجيش : لما رآه من آثار الفرنسيين بمصر، ولما شاهده من تقدمهم أثناء اشتراكه في حربهم مع الترك والانجليز، فاستعان بفرنسا وبعض ممالك أوربة على ادخال المدنية الأوربية في بلاده فتم له بعض ذلك إلا أن أحوال البلاد الطبيعية والدينية واللغوية لم تكن تُسهّل على مستخدمى الأوربيين ومن معه من الألبانيين والترك أن يستقلوا بجميع أمور البلاد . فرأى بحكمته أن يربّي من أبناء البلاد وجالية الترك والألبان من يكون خبيراً واسطة لنقل معارف الأوربيين إليها ، فبعث الى أوربة بثلاثة بعوثٍ علمية في أزمنة مختلفة<sup>(١)</sup> كونت بعد ثلاث طبقات من العلماء والأطباء والمهندسين والضباط : فنقلوا الى اللغة العربية عشرات الكتب الجليلة في العلوم المختلفة فأحدث ذلك في اللغة العربية انقلاباً عظيماً ، واكتسبت من سعة الأغراض والمعاني والألفاظ العلمية والأساليب الأجنبية وطرق البرهنة والاستنباط وترتيب الفكر ثروة طائلة وعهد إلى هؤلاء الأساتذة ومن سبقهم ومن لحقهم من الأوربيين انشاء المصانع الوفيرة ، والمدارس الكثيرة من ملكية وحرية ، وحاول أن يجعل اللغة التركية أساسية أو شبه أساسية في التعليم والسياسة والادارة فتعدّر عليه ذلك ، واضطرّ الى مجاراة طبيعة البلاد فأصبحت العربية لغة كل ذلك ، وظهرت على اللغة التركية واللغات الأوربية المختلفة التي كانت تدرس وجوباً معها ، وكان من الأزهر الشريف اكثر المدد الذي استمده محمد علي لتربية البعوث العلمية وتدرّيس العلوم العربية بالمدارس ، ورأى العلماء والأدباء أنه صارت لهم دولة منظمة متحضرة تنقبل منهم بقبول حسن كل ما يحسنونه : من نتيجة كدّهم وثمره أفكارهم ، فالتفوا حولها وصار للدولة كتاب وشعراء ومنشئون في جريدتها (الوقائع) أول جريدة عربية

البعوث  
الى أوربة

أثر البعوث  
في اللغة

أثر الازهر

(١) وقد أوردنا في الصفحة التالية صور بعض طلبة البعوث العلمية التي أرسلها محمد علي باشا



## الاسماء مرتبة من اليمين الى اليسار

### الصف الاول

- مصطفى محرجي (مهندس)
- رفاهه بك (ناظر مدرسة الاسن)
- حسن بك (وزير بحرية)
- محمد بيومي (مدرس بمدرسة الطب)

### الصف الثاني

- محمد علي باشا الحكيم (طبيب وجراح)
- محمد شياشي (مدرس بمدرسة الطب)
- الوزير علي مبارك باشا
- أولادى بن كلهود ولد في ليمو (من أهالي الصومال)
- مختار بك (أحد وزراء المعارف)

### الصف الثالث

- محمد السكري (مدرس بمدرسة الطب)
- أمين بك (ناظر الدخائر)
- مظهر بك (مهندس القناطر الخيرية)
- محمد شامعي (أحد نظار مدرسة الطب)





واقندى بمصر أهل الشام وصادف ذلك امتداد نفوذ دعاة المسيحية من الامريكان  
البروتستنت واليسوعيين الكاثوليك وغيرهم فهاجر كثير من السور بين الى مصر  
وانتظم في سلك الحكومة والمدارس المصرية ، ودخل كثير من نصاراهم مدارس  
الدعاة الذين كان اكثرهم من المستعربين العارفين باللغة العربية فدرسوا العلوم  
وألفوا الكتب باللسان العربي ، ونبغ من مدارسهم رجال كانوا زهرة سورية ،  
وغلب عليهم الأدب : من الشعر والكتابة وترجمة الروايات الأدبية ، واتخذوا  
ذلك صناعة لهم يتكسبون بها في الشام ومصر ، فعاد ذلك على القطرين بالتقدم  
في الفصاحة وسعة الخيال وحرية الفكر والإرادة

أثر اسماعيل  
باشا في النهضة

ومن الأسف أن هذه النهضة لم يستمر سيرها في مصر كما استمر في الشام بل  
ركدت ريجها زمن عباس باشا الأول وزمن سعيد باشا ، ثم تنسبت في عصر  
اسماعيل وما لبثت أن صارت رُخاء طيبة فأعاد رحمه الله سيرة جده في نشر العلم  
فافتتح المدارس والمكاتب وأنشأ الجسور والقصور والمصانع ، ووجدا أكثر رجال  
البعوث العلمية الذين رباهم جده على قيد الحياة فاتخذ منهم المدرسين ورؤساء  
الإدارة ، وزاد على جده في ارسال البعوث العلمية الى أوربة ، وظهرت ثمرة أعماله في  
حياته ، وكادت مصر توشك ان تكون قطعة من أوربة كما قال هو في بعض حديثه  
وباطراد سيرها على هذا النظام تصبح زهرة الشرق كله ان شاء الله تعالى  
ويمكننا تلخيص أسباب النهضة الأدبية في الأمور الآتية :

( ١ ) اتصال المدينة الغربية بالمدينة الشرقية من أوائل القرن الماضي وابتداء ذلك  
بجملة بونابرت واتخاذ الدعاة المسيحيين من الامريكان البروتستنت واليسوعيين  
وغيرهم بلاد الشرق مجالاً لأعمالهم ، وجعلهم اللغة العربية في أوّل أمرهم اللغة الرسمية  
لنشر تعاليمهم وآدابهم ، وكان لعلمهم في سورية أثر أبين منه في مصر ، فأنشؤا  
المستشفيات والمدارس وانتظم فيها كثير من نصارى الشام ، فخرجت عدة طبقات  
منهم كان لهم الفضل في نشر اللسان العربي وتوسيع دائرته وعلومه وآدابه



ومن أركان هذه النهضة في سورية الشيخ ناصيف اليازجي وابنه الشيخ ابراهيم  
والدكتور فنديك المتعرب الأمريكاني واحمد فارس وأديب اسحاق وغيرهم

(٢) ازدياد عدد المستعربين بأوربة والشرق وسعيهم المتواصل في إيجاد المطابع  
العربية وطبعهم فيها نفائس كتب العرب ، وعنايتهم بطبعها وتنقيحها . وانشاء  
الجمعية الآسيوية الباحثة في أحوال الشرق وعلومه ؛ وتعد مجلتها الآسيوية من  
كنوز العلم والأدب

(٣) إيجاد المدارس النظامية المتعددة التي أنشأها المغفور له محمد علي باشا بمساعدة  
الأساتذة الأوربيين ثم علماء المصريين ، والمدارس التي أنشأها المغفور له الخديوي  
اسماعيل وأعظمها خدمة للعربية وآدابها مدرسة دار العلوم التي أنشئت في زمنه  
باقتراح رجل مصر وعالمها المرحوم علي مبارك باشا فتخرج في هذه المدرسة مئات  
من المعلمين والقضاة والمحامين وكتّاب الدواوين ، وتربى على أيديهم إما مباشرة  
وإما بواسطة جميع متعلمي العصر الحاضر وفيهم أفاضل الأمة من محرريها وكتابها  
وقضاتها ومحاميتها وشعرائها ، ولا يغمطها هذه الفضيلة إلا كل جاحد مكابر، ويكفي  
دليلاً على إثبات هذا الفضل لها ما أورده حكيم المصر بن الأستاذ الامام المرحوم  
الشيخ محمد عبده في تقريره عن الامتحان النهائي للمدرسة الذي رأسه سنة ١٩٠٤  
قال « واني انتهز هذه الفرصة للتصريح بمكانة هذه المدرسة في نفسى وما أعنقده  
من منزلتها في البلاد المصرية ومن اللغة العربية : ان الناس لا يزالون يذكرون  
اللغة العربية واهمال أهلها في نفوسها ويوجهون اللوم الى الحكومة لعدم عنايتها بأمرها ،  
ولم أسمعمهم قط ينصفون هذه المدرسة ولا يذكرونها من حسنات الحكومة . فإن  
باحثاً مدققاً لو أراد أن يعرف أين تموت اللغة العربية وأين تحيا لوجدها تموت في  
كل مكان ووجدها تحيا في هذا المكان ، وان أوّل فضل في تقدم اللغة العربية  
بتسهيل طرق تناولها وتأليف بعض الكتب المفيدة للمتعلمين في المدارس الابتدائية  
الوسيط م (٤١)



كان للمتخرجين فيها ، ثم هم أساتذة المدارس الابتدائية والثانوية ، ولا يشك عاقل في أن تلامذة تلك المدارس يكتبون وينطقون على نمط أقوم مما كان يكتب وينطق عليه أساتذتهم من قبل « اه والفضل كل الفضل في تأهيل طلابها لقبولهم فيها راجع للأزهر الشريف الذي كان ويكون ان شاء الله المورد العذب لطلاب العربية وفنونها

(٤) البعوث العلمية الذين أرسلهم محمد علي باشا ثم اسماعيل باشا الى ممالك أوربة لتلقى العلوم المختلفة ، وقد كانت مدد هذه البعوث تصل أحياناً الى ١٢ سنة

(٥) شيوع تعلم اللغات الأجنبية وجعل تعليمها اجبارياً بمصر والشام في مدارس الحكومة والجمعيات ومدارس الرهبان والدعاة فنشأ من ذلك نقل كثير من المعاني والأساليب الانجليزية التي يقبلها الذوق العربي فأثرت بذلك اللغة وحصفت أفكار أهلها واتسعت أغراض القول في وجوههم ، وترجم منها ألوف الكتب والروايات والمقالات السياسية والعلمية الى العربية ، فاستفاد منها أيضاً من لا يعرف اللغات الأجنبية علماً جمّاً وأدباً عزيزاً

(٦) إيجاد المطابع العربية بمصر والشام والقسطنطينية وطبعها كثيراً من الصحف

السيارة وكتب العلم والأدب وخاصة الروايات

ومن أهم الكتب المطبوعة التي جددت حياة اللغة والادب كتب المعجمات مثل الصحاح والقاموس وشرحه ولسان العرب والمخصص ، وكتب الأدب مثل الأغاني والعقد الفريد وكامل المبرد والمقامات للحريرى ، والبديع ، وأمالى القالى ، وصبح الأعشى ، ودواوين الشعر والرسائل الكثيرة ، وأمها ت كتب التاريخ : كالطبرى وابن الأثير وابن خلدون ومقدمته الجليلة ذات الأثر البين فى الأدب والكتابة فى العصر الحاضر ، ونفح الطيب وغيرها

وللأوربيين عظيم الفضل باختراع المطابع العربية فى أواسط القرن الخامس عشر المسيحى كما اخترعوا غيرها من قبل ، وطبعوا بها الكتب العربية الجليلة بايطاليا وفرنسا



وأول مطبعة عربية وصلت الى الشرق كانت مع اللجنة العامية التي صحبت حملة بونابارت وطبع بها في مصر كتاب التهجية العربية والتركية والفارسية سنة ١٧٩٨ ثم كتاب القراءة العربية ثم معجم فرنسي وعربي ثم كتاب في نحو اللغة المصرية العامية ولما استولى محمد علي باشا على ملك مصر أنشأ دار الطباعة العامرة ببلاق وصب حروفها على أجل قاعدة نسخية وفارسية من حجوم مختلفة فطبعت ابتداء بعض الكتب التركية والفارسية ثم أخذت في طبع نحو ثمانمائة كتاب من الكتب المترجمة عن اللغات الأجنبية في العلوم الحديثة كالرياضيات والطبيعات والطب والجراحة . أما الكتب الأدبية فتأخر طبعها قليلاً ومن أول ما طبع منها كلية ودمنة وخزانة الأدب الكبرى للبغدادى ومقدمة ابن خلدون ومقامات الحريري وتفسير الرازى والقاموس والأغاني

ثم فشت المطابع في الشام على أيدي رؤساء الرهبانيات والدعاة وطبعت أولاً كتبها الدينية ثم بعض كتب أدبية وظهرت بعيد هذا الوقت دار الطباعة العامرة بالقسطنطينية فطبعت كثيراً من الكتب الشرقية والفارسية ثم طبعت بعد كتباً كثيرة في الفقه والنحو والصرف والبلاغة والفلسفة والأصول والكلام وغير ذلك ثم شرع كثير من المصريين فحاکوا حروف مطبعة بلاق وأنشؤا مطابع عدة بالقاهرة والاسكندرية سهلت طرق العلم على الطلبة وخصوصاً فقراء طلبة الأزهر (٧) انشاء الصحف العربية بمصر والشام والقسطنطينية

وأول جريدة عربية هي الوقائع المصرية التي صدرت سنة ١٨٢٨ وحرر أول عددها باللغة التركية ثم عهد في تحريرها الى الشيخ حسن العطار والشيخ شهاب الدين صاحب السفينة فخرت فصولها بالعربية والتركية ثم اقتصر فيها في الأزمان الأخيرة على العربية ثم صارت تطبع نسخ منها بالعربية ونسخ بالفرنسية وكانت تصدر ثلاث مرات في الأسبوع وبقيت كذلك الى وقتنا هذا

وأول جريدة عربية ظهرت في سورية كانت جريدة حديقة الأخبار الصادرة



في سنة ١٨٥٨ وأول جريدة عربية ظهرت في القسطنطينية سنة ١٨٦٠ كانت الجوائب لصاحبها أحمد فارس وظهرت بعدها في سورية جريدة سورية الرسمية سنة ١٨٦٥ ومن أول الجرائد التي ظهرت بمصر بعد الوقائع جريدة وادي النيل (القديمة) وتلتها جرائد أخرى : مثل الاسكندرية ، والزمان ، والاعتدال ، والفلاح ، والاهرام ، والمقطم ، والمؤيد ، واللواء ، والعلم ، والجريدة ، والشعب ؛ وفي سورية من نظائرهما كثير

ولنصاري السور بين فضل السبق على المصريين في اتخاذ صناعة تحرير الصحف حرفة بسورية أولاً ثم بمصر ثانياً ، وهم أوّل من قام بإنشائها بمصر بعد الوقائع ووادي النيل ولكنهم لم ينفردوا بها أكثر من عشر سنين ، ثم زاحمهم المصريون فاشتركوا معهم في تحرير صحفهم وتصحيحها ، ثم اشتغلوا بجرائد أو مجلات خاصة مثل التنكيت والتبكيك للسيد عبد الله النديم ، والمؤيد للشيخ علي يوسف ، واللواء لمصطفى كامل باشا ، والجريدة ، والعلم ، والشعب ، والأخبار ، والنظام ، ووادي النيل الثانية ، والأهالي ثم السياسة والبلاغ وغيرها لبعض الأحزاب المصرية

ومن أشهر جرائد السور بين التي كان لها جزيل الفضل على نشر العربية ، وتحبيب القارئ في القراءة جريدة الفلاح لصاحبها سليم حموي وقد احتجبت بعد موت صاحبها ، وجريدة الاهرام وأوّل من أسسها سليم ثقلًا ثم خلفه أخوه بشارة ثقلًا ثم ابن بشارة جبريل ثقلًا ، والمقطم لصاحبها فارس نمر ويعقوب صروف

هذا وإلى المطابع والمطبوعات من كتب وصحف ومجلات يرجع أكثر الفضل في تكوين النهضة الحاضرة

فيها قلت مؤونة اقنناء الكتب الى حد لم يحلم به أسلافنا ، فسهلت على الحكومة نشر التعليم بين الناشئين : ونشرت التوسع في العلم والأدب لجميع طبقات الراغبين وضبطت أعمال المصالح والدواوين ، وقربت مسافة الخلف بين أصناف الناس في الأفكار والعادات والأخلاق ومسائل الاجتماع ، وحفظت للتاريخ أخبار الوقائع



والحوادث اليومية : عظيمها وحقيرها بما يطابق الحقيقة أو يقاربها ونحو ذلك مما لا يحصى

(٨) تنظيم التقاضى والترافع منذ انشاء المحاكم الأهلية ونشأ عن ذلك صناعة مستقلة ، أداتها فصاحة اللسان وقوة الحججة فى الخصومة : وهى صناعة المحاماة ، ونشأ بجانبها نظير لها فى مناصب المحاكم هى مرافعة وكلاء النيابة فى اثبات التهم ، واستتبع كتابتهما الإجابة فى تحرير القضاة صور الأحكام ، ووجدت لغة قانون قضائية أ كسبت العربية ثروة عظيمة

(٩) حدوث الأندية والجمعيات العلمية والأدبية لالقاء الخطب والمحاضرات ، وللسيد جمال الدين الأفغانى الفضل فى احداثها بمصر

(١٠) حدوث فن التمثيل باللغة العربية - وأوّل ما ظهر فى الشام ثم انتشر فى مصر ، بيد أنه لم يؤدّ بعدُ كلّ الغرض المطلوب منه لجهل أكثر الممثلين بصناعته وضعفهم فى العربية الفصيحة وسوء اختيار القصص الممثلة الملائمة لبلاد شرقية إسلامية

(١١) إحداث الشهادات الدراسية واعتبار الحصول عليها شرطاً فى خدمة الحكومة ، والاحتراف بالحرف العلمية كالطب والهندسة والمحاماة

(١٢) تنظيم التعليم بالأزهر الشريف والمعاهد الدينية وإدخال كثير من العلوم الحديثة بين مواد دراستها ، وللشيخ محمد عبده جليل الفضل فى اقتراح هذا الإصلاح الذى جعل مساعدة الأزهر بالمال والآراء السيدة وضمان مستقبله موضوع عناية دولتنا السنية - هذا وقد سبقت مصر والشام غيرهما من البلاد العربية ثم اقتفى أثرهما العراق والحجاز واليمن والهند وتونس



## النثر

### المحادثة أو لغة التخاطب

كانت العامية في أوائل هذه العصور غاية في الانحطاط ، ثم لما انتشر التعليم بين طبقات المصريين دخل في عبارتهم كثير من الفصيح ، وانتقل ذلك لمعاشريهم من الأميين وبعض النساء . ومما ساعد على ذلك أيضاً جعل التقاضى باللغة الفصيحة وكثرة الصحف والمجلات والروايات . وترقى الزجل والموااليا والواو<sup>(١)</sup> ، وبلغ الزجل في عصر اسماعيل باشا وتوفيق باشا غايته ، ومن أشهر رجاله المرحوم محمد عثمان جلال بك ، والمرحوم السيد عبد الله النديم ، والمرحوم الشيخ محمد النجار ، والمرحوم الشيخ احمد القوصى وغيرهم ، إلا أنه أخذ يضمحل في عصرنا هذا بغلبة الشعر الفصيح عليه وترفع كبار الرجال عن استماعه

### الخطابة

كان المصريون والسوريون أوائل هذا العصر لا يستعملون الخطابة في غير الأغراض الدينية ، ثم اتسعت دائرة الأفكار في عصر اسماعيل باشا ، وصادف ذلك مجيء السيد جمال الدين الأفغانى الى مصر ، والتف حوله كثير من الأزهريين ولفيف من أدباء المصريين والسوريين ، فأدخلهم في عداد جمعيته وألف منهم أندية كانوا ينتابون الخطابة فيها في الأمور الدينية والأخلاق ، ثم تعدت ذلك الى الأمور السياسية

وانتشرت الخطابة بين شبان مصر وفشت بعد عصر اسماعيل في زمن توفيق باشا وولدت رجال الثورة العراقية

(١) هو نوع من الزجل وزنه مثل بحر المحدث ( مستفعلن فاعلاتن ) أو فاعلاتان أربع مرات واخترع هذا النوع أواخر العصر الماضى وفشا جداً في صعيد مصر صدر العصر الحالى ومنه قول ابن عروس المتصوف :

مسكين من يطبخ الفاس ويريد مرق من حديد  
مسكين من يصحب الناس ويريد من لا يريد



ومن أشهر خطبائهم السيد عبد الله النديم وكان لا يجارى في سرعة البديهة  
وشدة التأثير في سامعيه، ويحسن الخطابة بالفصيحة والعامية، والشيخ محمد عبده  
وغيرهما

ولما أسست الجمعيات والأندية الأدبية بمصر، شغلت موضعاً فسيحاً في عالم  
الخطابة وبلغت في عصرنا هذا بسبب حالة مصر السياسية مبلغاً عظيماً وأصبحت في  
حال زاهرة لا تقل كثيراً عما كانت عليه في عصور الدول الإسلامية الغابرة

## الكتابة

### الكتابة الخطية

وقف الخط في سبيل تقدمه عند الحد الذي رسمته له الطبقة الناشئة في القرن  
العاشر والحادى عشر والثانى عشر من خطاطى الترك، وكل من نشأ بعدهم فانما  
هو متبع طريقهم وحاذٍ حذوهم

وأشهر من نبغ في العصر الذى نحن بصدد الكلام فيه عبد الله الزهدى وهو  
الذى خط بالقلم الجليل جدران المسجد النبوى وجدران سبيل والدته عباس باشا  
الأول بالصليبية بالقاهرة وجامع الرفاعى، ومحمد مؤنس أفندى، وتخرج عليه وعلى  
تلميذه المرحوم محمد جعفر<sup>(١)</sup> بك جميع خطاطى قطرنا المصرى

### عبد الله بك الزهدى

هو الخطاط الشهير والمجود الخطير عبد الله بك الزهدى

ولد بالاستانة ونشأ بها وتلقى الخط على مشهورى عصره أمثال حافظ راشد  
أفندى الشهير بأيوب على ومصطفى أفندى عزت الذى كان قاضى عسكر ومن هذا  
الأخير حصل على إجازة الخط، فعين معلماً له بجامع نور عثمانية بالاستانة، ثم ندبه  
السلطان عبد الحميد لكتابة خط الحرم المدى فسافر الى الحجاز، ولما قدم منه مجتازاً  
مصر أبقاه المرحوم اسماعيل باشا وأمر بتعيينه مدرساً للخط بالمدرسة الخديوية فقام

(١) كان مدرساً للخط بمدرسة دار العلوم وهو الذى كتب حروف المطبعة الاميرية المستعملة الان



بهذه الوظيفة خير قيام، ثم كلفته الحكومة كتابة الآيات القرآنية وغيرها على كسوة الكعبة الشريفة فأبدع فيها أيما ابداع، ولا تزال كتابته عليها تشهد له بالبراعة وحسن الروتق، وقد عهد اليه اسماعيل باشا كتابة الخط على سبيل أم عباس بالصليبية فأجاد كعادته، ولا تزال هذه الكتابة ماثلة للعيان، وقد تخرج عليه كثيرون في القطر المصري ممن جودوا الخط وكان لهم فضل عظيم في نشره وتحسينه : واستمر يعلم الخط بالمدرسة الخديوية حتى توفي سنة ١٢٩٦ هـ وقد رثاه بعض الشعراء بقوله :

مات رب الخط والأقلام قد      نكست أعلامها حزناً عليه  
وانثت من حسرة قاماتها      بعد ما كانت تباهى في يديه  
ولذا قد قلت في تاريخه      مات زهدى رحمة الله عليه

١١٥ ٦٦ ٦٤٨ ٢٦ ٤٤١

١٢٩٦

### الكتابة الانشائية

مضى العصر المتقدم وليس لكتاب الدواوين في أواخره شأن يذكر لجعل التركيبة هي اللغة الرسمية، وأقبل العصر الحاضر والحال لم تتغير في الممالك العثمانية إلا قليلاً وشرعت تتغير في مصر إلا أنه لم يكن تربى بها من فتيان المسلمين من يتولى الكتابة في مناصب الحكومة، فكانت مقاليدها في يد كتبة القبط واشتهر من بينهم المعلم غالى<sup>(١)</sup>

ثم استخدمت الحكومة رجال البعوث العلمية وتلاميذ المدارس المنشأة بمصر والسوريين في أعمال الكتابة فنقدمت شيئاً ما . ويعرف ذلك من صورها السقيمة المدرجة في أعداد الوقائع المصرية لذلك العصر، ثم لما أنشئت المدارس النظامية وتولى التدريس بها مشايخ الأزهر ثم متخرجو مدرسة دار العلوم نشأت طبقة من

(١) كان رئيساً للكتاب وكتب سر محمد دلي باشا وقتل سنة ١٨٢١



كتاب الدواوين رقوا كتابتها . وقد هجر السجع الذي اكثر منه الأقدمون إلا أن عبد الله باشا فكّر في أشهر المصلحين للكتابة الديوانية الفصيحة ألمّ به في كثير من مكاتباته الرسمية

ومن أهم البواعث على اجتناب زخرف البديع في الانشاء تعلم اللغة الأجنبية والترجمة عنها لأنها أقرب الى الطبيعة من الطرق الموروثة عن مستعربى الفرس في العصور الوسطى

أما كتابة التأليف والصحف فانها أخذت تنحصر منحى كتابة ابن خلدون في مقدمته لانكباب كثير من المدرّسين والقارئین والمحرفين على دراستها ومحاماتها ولما ولت الحكومة الشيخ محمد عبده تحرير الوقائع الرسمية والاشراف على تحرير الجرائد ، ترقّت كتابتها كثيراً ودرجت في سبيل التقدم الى الآن

### كتابة التدوين

كان أكثر الكتب التي ألفت أو ترجمت في مصر علمية لشدة احتياجها اليها في تأييد حكومتها . وادخال اصلاحات في زراعتها ومالياتها وادارتها وقضاؤها ؛ أما سورية فكانت حالة الأدب فيها في النصف الأول من العصر الحاضر خيراً منها في مصر ، ولكن مصر نهضت في النصف الثاني ، واسترجعت حياتها الأدبية ، وأدخلت دراسة أدب اللغة في مدارسها وألّف فيه عدة كتب ، وانحط شأن سورية في العربية ، ولا سيما بين طوائف النصرانية : لعدول جمعيات البعث الدينية عن التعليم باللغة العربية الى اللغة الأجنبية ، فلم ينبغ في العربية من السوريين في السنوات الأخيرة من يضارع سابقهم

ويعتبر عصرنا الحاضر من أزهى عصور العربية بمصر فقد أصبحت قبلة العالم العربي ومركز حضارته وبلاغته بمن نشأ فيها : من كبار العلماء والمؤلفين والمترجمين والمهندسين والقضاة والمحامين وكتاب الجرائد والمجلات والخطباء والشعراء والمدرسين ومملك العلم في سيره طريقاً حديثاً غير طريق أهل الأزهر



ومن أشهر العلماء الأزهريين في هذا العصر الشيخ الجبرتي والشيخ حسن العطار  
والشيخ العروسي والشيخ التميمي والشيخ الباجوري والشيخ عlish والشيخ الاياري  
والشيخ السقا والشيخ الانبأبي والشيخ الأشموني الأخير والشيخ الشربيني وغيرهم  
ومن غير الأزهريين من أهل النهضة الحديثة رفاعة بك شيخ المترجمين والمؤلفين  
وعلى مبارك باشا مؤسس دار العلوم وأشهر المؤلفين المصريين ، والنطاسي الشهير  
محمد علي باشا ، والسيد صالح مجدي بك ، ومحمود باشا الفلكي ، وأحمد ندي بك ،  
وعبد الله باشا فكري ، وقدرى باشا ، ودرري باشا

### نماذج من النثر

كتب الأستاذ المرحوم الشيخ حمزه فتح الله الى صاحب السماحة السيد عبد الحميد  
البكري معتذراً :

مولاي - أما الشوق الى رؤيتك فشديد ، وسل فؤادك عن صديق حميم ،  
وود صميم ، وخلة لا يزيد بها تعاقب الملوين ، وتائق النيرين ، إلا وثوقاً في العرا ،  
وإحكاماً في البناء ، ونماء في الغراس ، وتشبيهاً في الدعائم . ولا يظنن سيدي أن عدم  
ازدياري ساحتها الشريفة ، واجتلائي طلعتة المنيفة ، لتقاعس أو تقصير ، فان لي  
في ذلك معذرة اقتضت التأخير ، والسيد أطال الله بقاءه أجدر من قبل معذرة  
صديقه ، وأغضى عن ريث استدعته الضرورة . وبعد فرجائي من مقامكم السامي  
أن لا تكون معذرتي هذه عائقاً لكم عن زيارتي ، فلكم منه طوقتمونيها ، ولكم  
فيها فضل البداية وعلى دوام الشكران ، والسلام ما

وكتب المرحوم الشيخ عبد الكريم سامان وقد أهدي كتاباً :

الانسان الكامل ، والمولى الفاضل ، دام كماله ، وزاد اقباله

كتابي الى الأستاذ ، والهدايا تزيد في التواد ، وتوسع في قوة الارتباط ، ان  
كانت لغير من حظرها عليه الشرع القويم ، والشيخ مني بمنزلة الاخ من أخيه ، وأنا  
منه بمثابة الولد من أبيه ، ولا داعية لي اليه سوى الصلة به ، ولا أريد منه غير الوداد



(قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى) وقد اخترت لك من كتب الأدب العربي القديم كتابًا حديث العهد بالوجود ، بعثته إلى حضرتك معترفًا بأنه نموذج فضلك ، ومعنى أدبك ، يعترف لك مهديه ، بأنه لاحظ المناسبات ، ونظر إلى الرغبات وقبل أن تشتغل بالبحث فيه عن اسمه والأوصاف ، أعلمك بأنه كتاب المنسوب والمضاف ، فهنيئًا له بالشيخ يقدره حق قدره ، وهنيئًا للشيخ به يزيده في أمره ، وان قبول الأستاذ لهديتي مكفول بحسن أخلاقه ، وطهارة أعراقه ، وبعلمه بأن النفع بها وهي عنده أهم وأوفى ، فله الحمد على ما قبل ، والشكر على ما أولى وكتب المرحوم الشيخ حسن أفندي توفيق يعتب على صديق له :

عدلت أيها الصديق ولات حين عدل ، حيث أملت أن أكون لك كما أنت لى ، وأنا ذلك الحذن الذى ملئت جوانحه شوقًا ، وحشيت أحشائه صدقًا ، أغرك إرجاء المكاتبه ، أم صممت الأقلام ، والقلوب كالسبيكة إذا أصدأها السكون فهي خالصة الباطن أو كحجرة الزند تتأجج وهي مغبرة الظاهر ؛ بل تحمك لديك الشك فحكمت وكان عهدى بك اليقين ، ومع هذا فانى أشكرك على عدلك ، وأحمدك على فضلك ، فلا لوم إلا بين أصدقاء ، ولا عتاب إلا بين أوداء ، وما اختياري لهذا أن أقرع عصاك ، بل أن أجعل شكك يقينًا فى صديق رؤيتك أشهى أماله ، ولقاؤك أعظم أمنياته ، والسلام م

## الكتّاب والعلماء

رفاعة بك رافع الطهطاوى

هو الكاتب الشاعر الأديب المترجم السيد رفاعة بك الحسينى الطهطاوى شيخ الترجمة وإمام النهضة الحديثة

وُلد بطهطا من أسرة شريفة افنقرت بعد غنى فنقل به والده فى بعض بلاد مديريته مديريه قنا بضع سنين تعلم فى أثنائها القرآن الكريم ودرس مبادئ العربية وحفظ كثيراً من المتون على أخواله

ثم توفى والده فتولت والدته تربيته فأرسلته الى الجامع الأزهر فأكمل دراسته



فيه ، ثم انتخب إماماً لبعض فرق الجيش ، ولم يلبث أن اختاره المرحوم محمد علي باشا إماماً ومعلمًا لأول بعث علمي أرسل الى فرنسا سنة ١٢٤١ ، فراقته علوم أوربة وعظمتها فأكب بنفسه على تعلم اللغة الفرنسية حتى أجادها فهمًا وانشاء وان لم يُجدّها نطقًا وارتجالًا ، وكتب أثناء إقامته بباريس كتاب رحلته الى أوربة ، وترجم قلائد المفخر ، في غرائب الأوائل والأواخر ، فسر بذلك محمد علي باشا فلما عاد الى مصر سنة ١٢٤٧ هـ اختاره رئيسًا للترجمة بمدرسة أبي زعبل ، فترجم بها كثيرًا من الكتب والدروس



رفاعة بك رافع الطهطاوى

واشترك هو وأستاذه الشيخ حسن العطار في اقتراح انشاء الوقائع المصرية وتحريرها ثم نقل الى مدرسة المدفعية (الطبية) بطرة لترجمة الكتب الهندسية ، ثم صار مديراً لمدرسة الألسن والترجمة فبلغ عدد تلاميذها ٢٥٠ تلميذاً ، ثم على أيديهم ترجمة أكثر ما نقل من علوم أوربة الحديثة الى العربية زمن محمد علي باشا واسماعيل باشا ، ولما أُلغيت مدرسة الألسن زمن عباس باشا الأول ، نقلت في عدة مناصب ثم بقي مدة بلا عمل الى أن أعيد زمن اسماعيل باشا الى نظارة قلم الترجمة ، وانتخب عضواً بلجنة المدارس ، وتولى ادارة مجلة روضة المجالس ، وعكف على الترجمة والتأليف حتى



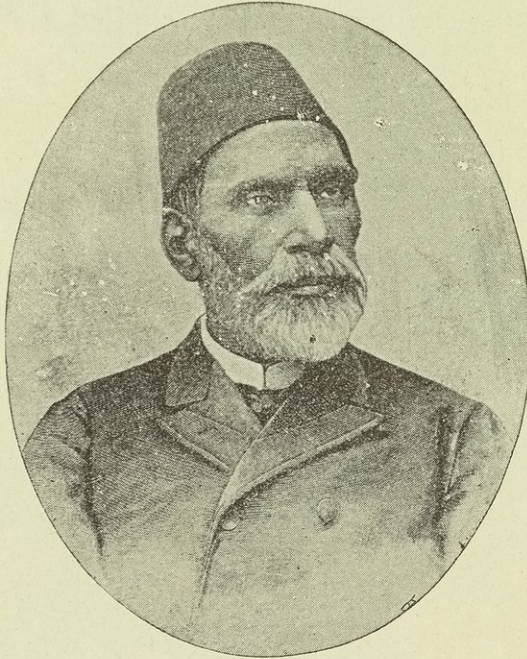
توفى سنة ١٢٩٠ هـ تاركاً لمصر كتباً ورجالاً هم أركان النهضة الحديثة  
وقد ألف وترجم رفاعة بك غير ما تقدم كتباً تزيد على عشرين كتاباً ، أهمها  
ترجمة جغرافية (مطهرون) والتعريفات الشافية لمريد الجغرافية ، والمرشد الأمين  
في تربية البنات والبنين

وترجم القانون المدني الفرنسي ، وكتاب هندسة (ساسير) ، ورواية تليماك ،  
وكتاب مناهج الأبواب المصرية ، وله كتب شتى في الأدب وعلوم العرب ، وآخر  
ما ألفه نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز ؛ وكان في ترجمته وتأليفه ينتجى أحياناً  
طريق السجع ؛ واضطر لانجاز ما يكلفه من الترجمة أن يستعمل بعض الألفاظ  
التركية أو العامية الشائعة في زمنه

عبد الله فكرى باشا

هو الكاتب الشاعر الأديب عبد الله فكرى باشا أحد أركان النهضة الأدبية في

الديار المصرية



عبد الله فكرى باشا



كان أبوه محمد بليغ افندى ضابطاً بالجيش المصرى وهو ابن الشيخ عبد الله  
أحد علماء الأزهر

ولد سنة ١٢٥٠ وتوفى والده وهو فى سن الحادية عشرة فكفله بعض أقاربه  
فعلمه القرآن وبعث به الى الأزهر فأكبَّ على تعلم علومه مشتغلاً أيضاً باللغة  
التركية واستخدم من أجلها مترجماً للعربية والتركية فى عدة مناصب آلت الى نقله  
الى حاشية سعيد باشا ثم اسماعيل باشا ، فعهد اليه بتأديب بنيه الكرام وغيرهم من  
أمراء بيت الملك

ثم تقلب فى جملة مناصب آخرها نظارة المعارف سنة ١٢٩٩ وبقى بها حتى زمن  
الثورة العرابية فسقط مع الوزارة ، وآتمهم فى الثورة فقبض عليه ثم اتضحت براءته فأطلق  
وردَّ اليه معاشه بعد أن استعطف الخديو توفيقاً بقصيدة طويلة وتوفى سنة ١٣٠٧

وكان فكري باشا كاتباً بليغاً سلك فى كتابته طريقة كتاب القرن الرابع كالبديع  
الهمداني والخوارزمي : من التزام السجع القصير القليل التكلف للمحسنات البديعية  
فى اكثر رسائله الصادرة عن القصر والنظارات ، وبذلك يقول فيه المرحوم الشيخ  
حسين المرصفي مدرس الأدب والعربية بدار العلوم ( لو تقدم به الزمان لكان فيه  
بديعان ، ولم ينفرد بهذا اللقب علامة همدان ) . ويعدُّ عبد الله فكري من واضعي  
الاصطلاحات والألفاظ الديوانية المصرية الحديثة ، وبعضها مقتبس من اصطلاح  
دولة المماليك ، وله شعر وسط فى الجودة ، ومن كتابته ما كتب به وصاية بشخص  
قال بعد الديباجة :

رافع هذا الرقيم ، الى حى المقام الكريم ، يذكرُّ أنَّ مسألته طال فيها المدى ،  
وبقى فى انتظارها على مثل رؤوس المدى ، ويشكو من الفقر المدقع ، والضرُّ المضعف  
ما أخرج صدره ، وأخرج عنه صبره ، وأشرف به على اليأس ، والاستسلام  
لخالب البأس ، لولا أمل من مولاى يُبقي على حَوْبائه ، وينشرُ تذكَّاره ميتَ رجائه .  
وله فى سيدى ثناء يبارى نفحاتِ الأزاهر ، ويبقى على صفحات الدهر الداغر . ثم



هو بقية بيت حفظ الأيام نسبة ، وأن أضاعت حوادثها نسبة . وهو أولى من  
تعطف عليه عواطف كرمه ، وتعطف إليه جياذ هممه ، وأرجو أن يحقق مولاي  
في تلك الشيم الكريمة ما أمله . وأهدى من الثناء أتمه واكمله

### على مبارك باشا

هو أبو المعارف المصرية العالم المؤرخ المؤلف المترجم المربي العظيم على بن مبارك  
ابن سليمان بن ابراهيم ؛ مصلح العلم والادارة بالديار المصرية ، ومؤسس دار العلوم  
ودار الكتب المصرية



على مبارك باشا

ولد سنة ١٢٣٩ بقرية برمبال الجديدة من مديرية الدقهلية ، وكان والده الشيخ  
مبارك من أهل الفقه والعلم ببلده فضايق به العيش فانتقل الى مديرية الشرقية وشغل



بالمعاش عن تربيته بنفسه فكان يرسله الى معلم قاس يتعلم عليه القرآن الكريم  
فحفظه وهرب من المعلم لقسوته وضره به : وأخذ يتعلم الكتابة على بعض كتاب المراكز  
والقرى ، ويفر من قسوة هذا إلى ظلم ذلك ، حتى عثر في بعض خرجاته بتلاميذ  
ذاهبين الى مدرسة ابي زعبل فصحبهم ودخل المدرسة

ثم اختير في جملة من تلاميذها لمدرسة قصر العيني وسنه ١٢ سنة ، ودرس  
الرياضة فبرع فيها فانتخب طالباً بمدرسة الهندسة فأكمل في خمس سنوات درس  
فن الهندسة ، وأرسل إلى أوربة سنة ١٢٦٠ لیتتم دراسته بها ، فمكث نحو أربع  
سنوات درس فيها فن الهندسة والحرب ، ثم عاد الى مصر ضابطاً بالجيش ، ثم قدم  
لعباس باشا الأول مشروعاً بنظام المدارس المصرية فأعجبه وعهد اليه في رئاسة  
ديوانها وألف بعض الكتب الدراسية فكان أوّل من نظم المدارس المصرية وفي زمن  
سعيد باشا وشي به اليه فساء حظه وبعث الى البلاد العثمانية في الحملة التي وُجّهت  
لمحاربة روسيا فعاد منها بعد أهوال ، وبقى يعتزل الخدمة طوراً ويخدم آخر ويتجر  
أحياناً ويعلم أخرى حتى كان زمن اسماعيل باشا فألحقه بمحاشيته وتقلد عدة مناصب  
هندسية جرى على يده فيها عظيم الأعمال

ثم عين سنة ١٢٨١ وكيلاً لديوان المدارس وسافر الى فرنسا لمهمة فأحسن  
أداءها وأنعم عليه برتبة الباشا ( الميرميران ) وتزاحمت عليه المناصب فكان مديراً  
للسكك الحديدية وناظراً للمعارف وللأشغال وللأوقاف والقناطر الخيرية فقام بذلك  
في آن واحد خيراً قيام

ومن أعماله العظيمة انشاء دار الكتب ، وانشاء مدرسة دار العلوم ليوفّق بين  
طلبة العلم القديم وطلبة العلم الحديث ، ويحسنّ تعليم العربية فجاءت هذه المدرسة  
بأحسن ما يطلب منها . ومنها تجديد مدينة القاهرة وأنها من القطر بانشاء شوارعها  
وميادينها العظيمة ، وانشاء كثير من الترع والجسور كترعة الابراهيمية والاسماعيلية ،  
وبقي ينقلب في النظارات ووكالاتها حتى جاءت الثورة العراقية فكان من شيعة

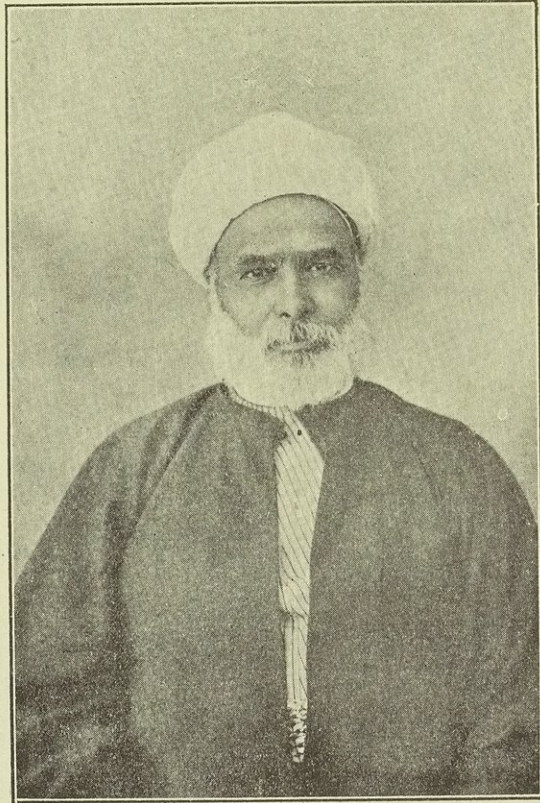


توفيق باشا ، ثم قلد نظارة المعارف وغيرها حتى اعتزل الأعمال قبيل وفاته وتوفى  
سنة ١٣١١

وله مؤلفات جليلة منها الخطط التوفيقية في عشرين جزءاً وكتاب علم الدين  
وكتاب نخبة الفكر في تدبير نيل مصر ، وكتاب الميزان في الأقيسة والأوزان ،  
وكتاب الهجاء والمسامرات وغيرها

الشيخ محمد عبده

هو المصلح الكبير ، والمجتهد الخطير ، والكناب البليغ ، والخطيب المصقع ،  
الأستاذ الامام الحكيم الشيخ محمد عبده أحد أركان النهضة العربية ، ومؤسس  
الحركة الفكرية



الشيخ محمد عبده



ولد باحدى قرى مديرية الغربية ونشأ بين أسرته بمحلة نصر من مديرية البحيرة وترك بلا تعليم حتى ناهزت سنه العاشرة ثم رغب فى التعلم فحفظ القرآن الكريم ، وطلب العلم بالجامع الأحمدي ، ثم انتقل الى الأزهر ونبغ فى علومه

ولما قدم مصر السيد جمال الدين الأفغانى سنة ١٢٨٦ وأعاد الى مصر دراسة الفلسفة وعلوم الحكمة والكلام بعد نضوب معينها عدّة قرون ، لزمه المترجم هو وطائفة من نابغى الأزهر كانوا يعدّون السنة الفصاحة وأئمة الحركة الفكرية ، وكان الشيخ محمد عبده أنبغ تلاميذه ، وأحرصهم على ملازمته والاستفادة منه ، ونال درجة العالمية سنة ١٢٩٤ واختير سنة ١٢٩٥ مدرّساً للأدب والتاريخ العربى بدار العلوم ومدرسة الألسن ، ثم فصل منها ولزم بلده الى أن أُشير على رياض باشا باختيار المترجم لاصلاح لغة الوقائع المصرية ثم صار رئيس تحريرها ، وفى هذه المدة جعله رياض باشا مراقباً على كتابة الجرائد وتحريرها

وحدث عقب ذلك الثورة العراقية فاشترك فيها ونفى من مصر فذهب الى سورية وتولى التدريس بمدارسها ، ثم انتقل الى أروبة فالنقى بالسيد جمال الدين بياريس فأنشأ جريدة العروة الوثقى . ثم عاد الى مصر ورضى عنه الخديو توفيق باشا فجعل قاضياً بالمحاكم الأهلية ، وبقى مدة طويلة مثلاً للعدل الى سنة ١٣١٧ فأسند اليه منصب افتاء الديار المصرية ، وتولى التدريس بالأزهر . وما زال كذلك حتى توفى سنة ١٣٢٣ . وكان رحمه الله من خير من ظهر فى مصر من شيوخ العلم منذ قرون ويعتبر باجتهاده فى كثير من مسائل العلم من أئمة الدين ، كما يعتبر بكتابته البليغة من فحول الكتاب . وله القدم الراسخة فى كتابة الجدل والنقد ، ولم يترك الشيخ كأستاذه كثيراً من المؤلفات لكثرة مشاغله بالمناصب العلمية والادارية ولما نهضة الخصوم له اكثر حياته . ومن مؤلفاته : رسالة التوحيد ، وشرح نهج البلاغة ، وشرح مقامات بدیع الزمان . وأملى تفسير سورة البقرة وآل عمران والنساء بطريقة لم يسلكها مفسر فى انطباقها على مقاصد الاسلام وكتب تفسير جزء عمّ وجزء تبارك .



وله رسائل بليغة منها ما كتب به من مصر الى بعض الأصدقاء الفضلاء قال فيه :  
تناولتُ كتابك ولم يُدِكِرْ مني ناسياً ولم ينبه لذكرك لاهياً . فاني من يوم  
عرفتك لم يرغب عنى مثالك ، ولا تزال تتمثل لي خلالك ، ولو كشف لك من نفسك  
ما كشف منها لي لغننت بها ولحقق لك أن تتبى على الناس أجمعين ، ولكن ستر الله  
عني منها خيراً ما أودع لك فيها ، لتزينها بالتواضع ، وتُجملها بالوداعة ، ولتسعى الى  
ما لم يبلغه ساع ، فتكون قدوة لآخوانك في علو الهمة ، وبذل ما يعز على النفس  
في نفع الأمة ، زادك الله من نعمه ، وأوسع لك من فضله وكرمه ، ومتعني بصدق  
ولائك ، وجعلك لي عوناً على الحق الذي أدعو إليه ولا أحميا إلا به وله والسلام

### الشيخ حمزة فتح الله

هو الشيخ الوقور ، اللغوي الحجة النقي الشيخ حمزة فتح الله المفتش الأول للغة  
العربية بوزارة المعارف المصرية

ولد رحمه الله بغير الاسكندرية سنة ١٢٦٦هـ ( ١٨٤٩م ) ونشأ بها ، وبعد أن  
حفظ القرآن الكريم انتظم في سلك طلبة العلم بجامع الشيخ ابراهيم باشا ثم اكمل  
دراسته بالأزهر الشريف ، وأمعن في قراءة الأدب واللغة ، وقرض الشعر وحرر  
الرسائل وحفظ الغريب . ثم عاد الى الاسكندرية واختير ( في منتصف العقد الثالث  
من عمره ) محرراً في إحدى الصحف التونسية فسكث هناك حوالي ثماني سنوات  
اكتسب فيها الدربة على كتابة الصحف السياسية ، ثم عاد الى مصر فوجد نار الفتنة  
العرايية مستعرة فانضم الى حزب الخديو توفيق ، وكتب وخطب في تأييده ، وعهد  
اليه بعد ضرب الاسكندرية في اصدار صحيفة تكون لسان حال الخديو وتهدئ  
الخواطر ، وبعد أن انتهت الفتنة العرايية استخدم في وزارة المعارف ومكث بها زهاء  
ثلاثين سنة منقلاً بين التفتيش والتدريس حتى كان في سنة ١٩١٠م مفتشها الأول  
لغة العربية وفي غضون تلك المدة ندبته الحكومة مرتين لحضور مؤتمر المتعربين ممثلاً  
لها لما لها فيه من الثقة . ولما له من غزارة المادة ، وسعة الاطلاع ، ثم أحيل الى المعاش



واستمر مشتغلاً بمدرسة العلم حتى بعد أن كف بصره ، ولم يثنه عن ذلك إلا ما  
فاجأه من الموت في فبراير سنة ١٩١٨ م

علمه وأعماله - كان الشيخ أكرم الله مشواه كثير القراءة في كتب اللغة والأدب  
والحديث شديد الحفظ والذكر قلما تحدث أمامه حادثة أو تذكر الأروى فيها  
شعراً أو مثلاً أو قصة . وكان فكاهة المحاضرة صحيح العبارة يحوكمها على سنن العربية  
الفصيحة وهو أملاً من شاهدناه باللغة والأدب والصرف

عهد إليه بالتدريس في دارالعلوم فأحيا بتدريسه وتأليفه ما دثر من آثار السالفين  
كالجاحظ والمبرد والقالى والمرضى ، وأظهر ما كان ذلك في مواهبه الفتحية

أسند إليه تفتيش اللغة العربية في مدارس الحكومة على اختلاف أنواعها فرأى  
المجال فسيحاً لتخليصها من أدران العامية ، وأوضار الدخيل ، وفساد التراكيب ،  
وعجمة الأساليب ، فأخذ يرشد المعلمين الى ما يعثر عليه من ذلك في كتابة التلاميذ ،  
ويتحفهم بمردفه تارة . ويرشدهم الى المظان أخرى ، فتنبه بذلك الغافل ودقق  
المتساهل ، واتهموا أنفسهم في كل كلمة ، وحاسبوها على كل جملة ، وعكفوا على  
مراجعة معجمات اللغة بعد أن طال هجرها ، ووقفوا عند نصوصها ناسحين على منوال  
الشيخ ( من الوقوف عند السماع دون العمل بالقياس ) بل تعالى بعض المفتونين  
منهم . وتعدوا طورهم ؛ فجعلوا يقولون : لا توجد هذه الكلمة في اللغة ، ولو وجدت  
في شعر فحول الأدباء من أهل القرون الأولى ، ولعلمهم لم يعرفوا من اللغة أكثر  
من طريقة الكشف في معجماتها على ندرة المطبوع منها ، فلقى المؤلفون والأدباء  
وبلغاء الناس منهم بلاء عظيماً وعنتاً مقيتاً

أخلاقه : كان الشيخ حليماً رحيماً ، نقياً ورعاً ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، صالحاً  
مهدباً ، يميل الى الصالحين من المعلمين ؛ ويحارب من يشاع عنهم التهاون بشعائر  
الدين ، وربما سعى في فصلهم من عملهم ؛ يعمل ذلك ولا غاية له إلا إحاطة النشء



بسياج من الفضيلة ، حتى لا يتسرب اليهم الزيف في زمن قد كثر فيه أنصار الرذيلة ، وقل طلاب الفضيلة

وكان جزاءه الله خيراً يحب العرب والعربية ، ويرى أن الله قد خصهما بكل مزية ، وأن جميع ما يتجدد من أنواع المدنية الحديثة قد سبق الى نوعه العرب ، وأن لاسمه مرادفاً في لغتهم . يعرف ذلك من خالطه أو قرأ مواهبه

مؤلفاته : مما عرف من مؤلفاته كتاب المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية ، وباكورة السلام في حقوق النساء في الاسلام ، ورسالة في التوحيد ، وأخرى في الخليل وكتيب في المفردات الأعجمية التي في القرآن

شعره وكتابته : كان بدوى الشعر من حيث ألفاظه ومعانيه ، وتراكيبه وأساليبه وتشبيهاته واستعاراته على طريقة شعر العلماء ؛ ولم نرله شعراً مدوناً الا قصيدته البائية التي اختتم بها مؤتمر العلوم الشرقية ، المنعقد باستكمهم أواخر سنة ١٣٠٦ هـ ، سنة ١٨٨٩ م

أما كتابته فيؤخذ مما عثرنا عليه منها أنه كان لا يلتزم فيها طريقة واحدة بل تارة تكون سهلة يكثر فيها السجع وان لم يلتزم غالباً وآونة تكون ضخمة الألفاظ غريبتها عليها مسحة العمل والتكلف ، وأكثر ما كان ذلك في توقيعاته

نموذج من شعره :

كم جامع بالثريا راضه سفر	فوق الثرى بين أكوار وأقتاب
إن الثواء تواء والقصور قبو	ر العاجزين ولا إبراء للخابي
ومن بنى نيل مجد وهو في دعة	فقد بنى من صفاة درّ أحلاب
والمرء في موطن كالدّر في صدف	والتهبر في معدن والنّبع في غاب
والسيف مثل العصان كان معتمدا	وزامر الحى لا يحظى باطراب
وأزهد الناس في علم وصاحبه	أدنى الأحبة من أهل وأصحاب



نموذج من نشره

ومن رسائله ما كتب به الى السيد توفيق البكرى بمدحه :

### إعادة العَرَض يوم العَرَض

مسألة كلامية ثارت فيها عَجَاجَةُ الكلام، بين علماء الكلام، فمن ايجاز وإطناب، في سلب وإيجاب، ( وتعلم أنت أن الألفاظ أعراض سَيَّالَةٌ ) لكنني آمنت عياناً، أن الله تعالى يحيي الموتى أعراضاً وأعياناً، إذ كانت كتبك زيادةً في البيان والبرهان، وإن كان خبر المعصوم أو وثق من الحسِّ، في النفس، فأنشُدُ الله أمراً شيمته العدل، والقول الفصل، أليست كتبك هذه حجة للموجب دامغةً للسالب، أليس ذلك البيان، غاية شأو قُسيِّ وسحبان، أليس قصارى ابن العميد، وحُمادى عبد الحميد؟ وبعد فقد أُعيد العَرَض الذى هو الكلام في الدنيا في الأخرى أخرى، فتراني ياملِك اليراعات، وقسورَ تلكم الغابات، أسيماً على صن الزمان بك الى الآن، فلو أن الله تعالى بَرَّكَ، وخلقك فسوَّاك، حين استعر الخصام، في هذا المقام، لما اختلفَ في شأنه اثنان، ولا انتطح عَنزَان

نموذج من توقيعاته : وقع لبعض المدرسين على قطع المحفوظات التي أرسلت إليه ليقرأها بعد أن ضرب على بعضها

لم أُرِدْ بذلك الترميغ الا الرُّعوى على النشء، فان قُلَّ مع حفظ المبنى وفهم المعنى خيرٌ من كُثُرِ يُطوِّح بهم في مواحي المُنبَتِّ

### باحثة البادية

هي المفكرة، الكاتبة الشاعرة، السيدة ملك حفنى ناصف ميلادها ونشأتها - ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ ولما ميزت، أرسلها والدها الى احدى المدارس الأولية، ثم الى المدرسة السنية، فحصلت منها على شهادة الدراسة الابتدائية سنة ١٩٠٠ م ( وهي أول سنة تقدمت فيها الفتيات المصريات لنيل هذه



الشهادة) ثم أتمت دراستها في قسمها العالى ، واختيرت مدرسة في احدى مدارس البنات بالقاهرة

وفي سنة ١٩٠٧ تركت التعليم العلمى بالمدارس واشتغلت بالتعليم العملى فى بيت زوجها

أخلاقها وأعمالها : كانت مدة دراستها خير نموذج لقريناتها : أخلاق سامية ، وسريرة صافية ، ونفس أبية ، ومثابرة على العمل

وكانت بعد زواجها تباشراً أكثر أعمال بيتها بنفسها ، لا لسبب سوى أن تكون قدوة لغيرها من السيدات اللاتي يلقين حبال أمورهن على غواربها ، ويتركن بيوتهن الى من لا يحسن القيام عليها ، والتدبير فيها ، فيوقعن أزواجهن فى الفقر المدقع والبلاء الشديد . وكانت اذا فرغت من شئون منزلها ، عكفت على قراءة الكتب النافعة ، وتعرف أحوال السيدات ، وزيارة مدارس البنات ، وفحص مناهج التعليم بها

كل أولئك لتكون لها رأياً صحيحاً . وفكراً ناضجاً فى تربية البنات ، واصلاح حال الأمهات وظلت تستسهل فى ذلك الصعب ، وتستحلى المر

وكان من رأيها فى تربية المرأة أن تباشرن أعمال الرجل مالا ينافى الشرع الشريف ، وألا تكون زينتها مشغلة لها ولا عبئاً ثقيلاً ينوء به بعلمها ، ولها فى ذلك خطب فى محافل نسوية كان لها تأثير فى عدول الكثيرات منهن عن جمودهن وأفكارهن القديمة . وكان بيتها مقصداً لزيارة كثير من السيدات الغربيات وللشقيقات يستنرن به فى الوقوف على مبلغ رقى المرأة المسلمة وما ينتظرن من شئونها المستقبلية . ولم يكن شئ من ذلك كله لينسبها ما يجب عليها لزوجها وذوى قرابها ومن يقع تحت نظرها ممن أجهدهم الفقر ، وأعوزتهم الحاجة . وأشد ما كان يربها لوالدها ( أعقد عليهما الله رحمته ) فكانت تألم الألم كله لألمه



آثارها العلمية : -

(١) كتابها الذى أسمته (النسائيات) وهو مجموع ما خطبته وكتبته فى (الجريدة) خاصاً بالمرأة

(٢) حقوق النساء وهو كتاب لم يطبع بعد أنجزت منه ثلاث مقالات الأولى فى الموازنة بين المرأة المسلمة الشرقية، والمرأة المتمدينة الغربية فى الحقوق المالية، والثانية فى حقوق المرأة المسلمة من جهة ادارة الأعمال العامة، والثالثة فى حقوق المرأة المسلمة من جهة الانتخاب

(٣) رسالة ضافية قدمتها للمؤتمر المنعقد فى مايو سنة ١٩١١ بمصر الجديدة ضمنها آراءها السديدة فى وسائل ترقية المرأة المصرية

ثم عاجلتها الحمى الأسبانية سنة ١٣٣٧ هـ فاختضرت وهى فى ميعه شبابها . ويانع عمرها فتركت بفقدائها فى العالم النسوى المصرى فراغا لم يشغل بعد

كتابتها - ان الناظر فى كتاباتها المختلفة يرى عبارة سهلة . صحيحة الألفاظ . عربية الأسلوب . خالية من تصنع السجع . وتعمل البديع . قد عنى فيها بدالاتها على المعانى تمام الدلالة كما عنى فيها بنشر ألفاظ حديثة للسميات التى تسربت الى الشرقيات من المدنية الغربية . وترى ذلك واضحاً فى كتابها النسائيات

شعرها - قالت الشعر وهى فى الحادية عشرة من عمرها ، وكان بدء أمرها فيه أن نقوله معارضة لما تحفظه فى المدرسة تارة جداً وتارة هزلاً . ثم كان لها من حسن استعدادها وكثرة قراءتها ونبوغ والدها فيه خير معوان على تعبيد سبيله . وتدل على أبيه . وأكبر ما كانت تتناوله من الأغراض غرض واحد وهو ترقية المرأة الشرقية . وشعرها حسن الديباجة جميل الأسلوب يعد فى الدرجة الوسطى من شعر هذا العصر

وهاك نموذجاً من نثرها وشعرها :

رسالة كتبتها من رمل الاسكندرية لصديقة لها وهى :

عزيزتى السيدة بلسم

أحييك : ولولا برودة البحر لالتهمت اليك شوقاً ، ولولا تصبؤى لطرتُ اليك



حبا ، واني لم ينسني صفاء السماء صفاء ودِّكِ ولا رقة النسيم رقة حديثك ، انما شجاني  
وذكري ولم أكن ناسيةً

عزيرتي

ليتكِ كنتِ معي ترين الطبيعة بجمالها : ترين البحر يزخر كالرعد ، والأمواج  
تتلاطم زرافات ووحداً ، : صفاء في البحر و صفاء في السماء كأنهما قلبانا ، وتسمعين  
تغريد الطيور وحفيف الأشجار ، انها لعمرك مناظر تلهي المرء ولكن هيهات لمثلي  
أن تلهو ، وهي تعلم ما يكنه الدهر وما يخبئه الليل والنهار . تقبلي مني أحرّ قبلاتي ،  
وأوفر أشواقى ما

المخلصة

ملك ناصف

ومن شعرها تخاطب المرأة المصرية :

سيرى كسير السحب لا تأتى ولا تتعجلى  
لا تكنسى أرض الشوا رع بالازار المسبل  
أما السفور فحكمه فى الشرع ليس ببعضل  
ذهب الأئمة فيه بين محرم ومحلل  
ويجوز بالاجماع منهم عند قصد تأهل  
ليس النقاب هو الحجاب فقصرى أو طولى  
فاذا جهلت الفرق بينهما فدونك فاسألى  
من بعد أقوال الأئمة لا مجال لمقولى  
لا أبتغى غير الفضيلة للنساء فاجملى



## الشعر

كانت حالة الشعر في النصف الأول من هذا العصر لا تزيد شيئاً مذكوراً على ما كانت عليه في العصر الماضي؛ إذ كانت حكومة محمد علي باشا في أول أمرها تركية الصبغة، وكان هو أمياً لا يحلُّ عنده الأدب محل العلم الذي عليه مدارُ تأسيس المملكة ولكن الشعر أخذ بعد ذلك في الترقى. وسارت مصر في طريقه، وانتشرت بينها العربية حتى زمن اسماعيل باشا، وكان هو متأدباً وعصره خاصاً بالأدباء. فنقدم الشعر في عصره خطوات تمثلت في شعر السيد علي أبي النصر والشيخ علي الليثي. ثم طفر طفرة إلى عظيم الشعراء البارودي

ولم يزل للعلم والعلماء مع ذلك المقام الأول في مصر حتى كان العصر الحاضر ونالت مصر بعض حاجاتها من العلم وكتبه، فهب أهله يتفكّهون بالأدب وكتابته والتأليف فيه، ويستمعون الشعر ويحضرون المجمع العظيمة لانشاده، فأقبل الشعراء على نظمهم في كل أغراضه القديمة والحديثة ونحوها به نحو الشعر الفرنجى: من وصف المناظر الطبيعية، وأحوال الوجدان والعواطف النفسية، وكثير من الشعراء بعد البارودي لم يحاكَ القدماء في نَدب الديار ووصف الطعائن وحث المطايا مستغنياً عن ذلك بوصف القطار والكهرباء والمسيرة والبرق. ويقول الآن<sup>(١)</sup> الشعر على هذه الطريقة مئات من الشعراء في مصر والشام والعراق إلا أن المصريين سبقوا السوريين بهراحل في هذا العصر ومما يمتاز به شعرُ هذا الوقت خلوه من تكلف البديع والجناس، والرجوع به إلى حالته القديمة الطبيعية حتى صار شعر فحوله يشبه شعر أهل القرن الرابع والخامس

### نماذج من النظم

قال المرحوم السيد علي أبو النصر:

بصادر آمالي ووارد خاطري      كلّفتُ فيا نفسي الأية خاطري

ولا تجزعي ان هال خطب فرجا      تدين الأماني لامرئى غير قادر

(١) أما قبل الآن أي زمن محمد علي وسعيد واسماعيل فكان يرمى إلى الاغراض القديمة كما



وكوفي على حمل الأذى مستعدة فكم عادل أرخى العنان لجائر  
ولا تشكى الأيام إلا لمنصف فلا خير في الشكوى الى غير ناصر  
ومن لم يكن ذا همة هاشمية أخافته في الهيجا بروق البواتر

وقال المرحوم محمود صفوت الساعاتي يمدح الشريف علي باشا ابن عون ويعاتبه :

ترنو النجوم بلحظها البراق والجو في الارعاد والابراق  
فاذا تبسمت البروق لغبطة بكت السماء بدمعها المهراق  
عاملتموني بالجفاء رويدكم الورد ذو أرج بلا احراق  
مالي أراكم تنكرون مكاني الشمس لا تخفي مع الاشراق  
قلدتم غيري الجميل وقلتم حسب المغرد زينة الأطواق  
أسديتم الجدوى له وسددتم طرُق الرجاء على بالاطراق  
إن لم يكن مثلي يسىء ومثلكم يغضى فأين مكارم الأخلاق

وقال المرحوم السيد علي الليثي في الحكم :

كل حال لضده يتحول فالزم الصبر إذ عليه المعول  
يا فؤادى استرح فما الأمر إلا ما به محكم القضاء تنزل  
قدرٌ غالب وسر الخفايا فوق عقل الأريب مها تكمل  
رب ساعٍ لحفته وهو ممن ظن بالسعى للعلا يتوصل

وقال المرحوم الشيخ شهاب يرثي ابراهيم باشا ويؤرخ وفاته سنة ١٢٦٤

صبراً على ما قد مضى إذ لا ملخص من قضا  
كيف التصبرُ والمننا يا ذات غضب منتضى  
أردت براهيم مذ بلغ المقام المرتضى  
واليه آل الأمر في حكم (الإيالة) واتقضى  
فضى وقلت مؤرخاً (الله يرحم من مضى)



## الشعراء

شعراء هذا العصر كثير ون وانك لترى شعرهم منشوراً في الصحف والمجلات ، وإنَّ سابق حلبتهم وقائدهم في هذا العصر محمود سامي باشا البارودي وهاك ترجمته :

### البارودي

هو رب السيف والقلم أمير الشعراء وشاعر الأمراء محمود سامي باشا ابن حسن حسنى بك البارودي ، أحد زعماء الثورة العرابية وأشعر الشعراء المتأخرين بالديار المصرية

وُلد سنة ١٢٥٥ وتولى أبوه تربيته حتى إذا بلغ سبع سنين توفاه الله وكفله ذوو قرابته حتى بلغ الحادية عشرة فأُدخِل المدرسة الحربية فتعلم فنون العسكرية ورُقِّي منها ضابطاً بالجيش وما زال يترقى فيه حتى كان أحد ضباط الحملة التي أمدت بها مصرُ الدولة العثمانية أثناء ثورة البلقان وإقريطش، وكان له في مواقعها الحربية شهرةٌ ذائعة. ورجع الى مصر فنقلب في مراتب الجيش وغيرها حتى ولاهُ المرحوم الحديو توفيق باشا نظارتى الحربية والأوقاف. ثم استقال منهما واعتزل العمل حتى وُلِّي رئاسة النظار قبيل الثورة العرابية. فلما اضطرت نيران الثورة أرغمه زعماءؤها على اصطلاء نارها فخبَّ فيها ووضع. وحُكِّم عليه بعد اتقضاءها بالنفى الى جزيرة سرنيدب ( سيلان ) حتى عمى وشفع فيه فأذن له بالقدوم الى مصر بعد مضي ١٧ سنة من منفاه ، وبقي في منزله كفيفاً يشتغل بالأدب الى أن مات سنة ١٣٢٢ وقد عانى نظم الشعر من صغره بدون معلّم ولا تخرّيج في العروض والقافية بله النحو والصرف والبلاغة بل كان ينظمه محاكاةً ومعارضة لشعر الأقدمين ، فحفظ من كلامهم كثيراً ونسج على منواله ؛ ولذلك صدر شعره في رتبة شعر فحول القرن الثالث والرابع خالياً من تكلف البديع ضخّم المعانى جزل الألفاظ متين الأسلوب ، وخير ما صدر عنه أيام شبابه وأثناء محنته. ثم ضعف شعره قبيل وفاته لكالل ذهنه ولتحول قريحته . وله شعر كثير جمع في ديوان وطبع منه جزآن





محمود سامي باشا البارودي

ومن قوله :

والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر      وانما صفوه بين الورى لمع  
لو كان للمرء فكر في عواقبه      ما شان أخلاقه حرص ولا طمع  
وكيف يدرك ما في الغيب من حدث      من لم يزل بغير العيش ينخدع  
دهر يغرُّ وآمال تسرُّ وأعمال تترُّ      وأيام لها خدع  
يسعى الفتى لأمر قد تضرُّ به      وليس يعلم ما يأتي وما يدع  
يأبها السادر المزور من صلف      مهلاً فانك بالأيام منخدع  
دع ما يريب وخذ فيما خلقت له      لعل قلبك بالإيمان ينتفع  
ان الحياة لثوب سوف تخلعه      وكل ثوب إذا ما رث ينخلع

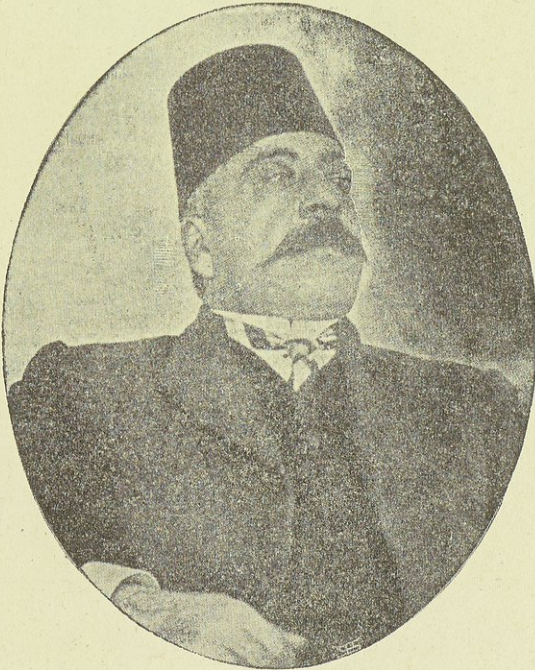


ومن قوله وهو آخر ما قاله :

أنا مصدرُ السكِّمِ البوادي      بين المحاضِرِ والنوادي  
أنا فارسٌ أنا شاعرٌ      في كلِّ مَلْحَمَةٍ ونادي  
فاذا ركبتُ فإِنِّي      زَيْدُ الفوارسِ في الجِلاذ  
وإذا نَطَقْتُ فإِنِّي      قُسُّ بنُ ساعِدَةِ الإيادي

### حفي ناصف بك

هو القاضي الفاضل الشاعر الكاتب المصنف محمد حفي بن الشيخ اسماعيل  
ابن الشيخ خليل بن ناصف ، أحد أركان النهضة الأدبية بالديار المصرية  
ولد ببركة الحج من أعمال القليوبية سنة ١٢٧٢ يتيماً فقيراً ، فكفله خاله وجدته  
أم أبيه



حفي ناصف بك



ولما ترعرع تعلم القرآن على معلم كان يفرض في ضربه ففر ماشياً على قدميه الى الأزهر ؛ حتى علمت جدته لأبيه بخبره ، فحملت له الزاد والمثونة . وجاور في الأزهر عشر سنين ، جَوَّدَ فيها القرآن ، وحفظَ المتون ، ودرس فقه الشافعي ، وعلوم اللسان العربي ، واشتغل بالأدب والشعر فبرع فيهما ؛ حتى أصبح من شعراء الأزهر المعدودين وحج أثناء ذلك . ثم كان أول الناجحين من الطلبة المقبولين في دار العلوم ، وبقى أولهم حتى خرج من المدرسة . ثم اختير مدرساً وضابطاً لمدرسة الخرس والعميان ، فأتى في تعليمهم بالعجب العجاب . ثم نقل الى النيابة كاتب سر للمرحوم شفيق بك منصور يكن ؛ فاستعان به في تحرير جميع كتبه باللسان العربي . واختير في الوفد الذي ندب لحضور مؤتمر علماء الشرقيات بمدينة ويانة ( فينا ) ؛ فلم يقبل بمحاضر جلسات المؤتمر سوى رسالته ( مميزات اللغة العربية ) فطبعت في مجموعة المؤتمر . ثم نقل مدرساً للانشاء والبلاغة والمنطق وآداب البحث والمناظرة بمدرسة الحقوق ، فقام بتعليمها بها خمس سنين نبغ على يده فيها أكثر نابغى العصر من الوزراء والمستشارين وكبار المحامين . وفي أثناء ذلك كلفته نظارة المعارف مع آخرين تأليف سلسلة كتب سهلة لتعليم النحو والصرف والبلاغة ، فألف خمسة كتب لم يزل العمل في التعليم جارياً عليها وعم بها النفع في مصر وغيرها . ثم نقل الى القضاء الأهلى ، فكث يترقى في درجاته مدة عشرين سنة كان في خلالها مثال العدل والنزاهة . ونقل من وكالة محكمة طنطا الأهلية مفتشاً أول للغة العربية بوزارة المعارف ؛ ولم تكن تزيد المدة الباقية من أمد خدمته القانوني على أكثر من ثلاث سنوات خدم فيها اللغة العربية وفن التعليم خدمة لا يزال يذكرها المدرسون والطلبة بالثناء عليه والإعجاب به . وأحالت عليه الوزارة مع مؤلفي هذا الكتاب تطبيق رسم المصحف الشريف الذى طبعته على رسم الإمام عثمان بن عفان (رضى الله عنه ) ، وضبط أئمة العربية ، فأحيل على المعاش أثناء هذا العمل ، وأتمه مع رفاقه بعده ؛ فكان أعظم عمل قامت به دولة إسلامية لخدمة المصحف الكريم منذ



سنة ١٩١٩ م ودفن يوم الأربعاء بالقرافة (مقبرة الامام الشافعي)  
الثلاثاء ٢٦ فبراير سنة ١٩١٩ م ودفن يوم الأربعاء بالقرافة (مقبرة الامام الشافعي)

### خلقه وعامه وأدبه

كان رحمه الله من أطيب خلق الله حديثاً، وأرقهم فكاهة، وأملحهم نادرة،  
وأحضرهم جواباً، مع دعاية فيه . وقلّ أديب من أدباء العصر الحاضر لم يرو عن  
حفنى ناصف نكتة أدبية ، أو نادرة فكاهية ، أو جواباً حاضراً مسكتاً . وكان  
مع ذلك اذا حضر مجلس الأزهرين فكأنه أكبر شيخ فيهم لغة وفقهاً وفهماً  
لكتبهم ومنظوماتهم ، واذا حضر مجلس المتعلمين على نظام الأوربيين فكأنه  
( فيما عدا اللغة الأجنبية ) أحد المتخرجين في باريس

أما شعره فلم ينكر الأدباء عليه أنه أبو الطبقة التي نشأت بعد طبقة البارودي  
وعبد الله باشا فكرى ؛ وكل من نبغ بعد ممن انتهت اليهم الرياسة في الشعر فعليه  
تعلم ، أوله قلْد ؛ حتى أصبحوا شعراء هذا الزمان

وأكثر شعره من نوع السهل الممتنع الكثير الملح المطربة ، والنكت الأدبية  
المعجبة ، حتى في المرثي : لتمثيلها في صورة جدية بديعة

وحفنى بك ممن تم على أيديهم نقل الكتابة من الطريقة البديعية المسجوعة  
الكثيرة التورية ( التي سميناها طريقة القاضى الفاضل ) الى طريقة الترسل الحالية ،  
ويشاركه في ذلك الشيخ محمد عبده ، والشيخ عبد الكريم سلمان ، وابراهيم بك  
المويلحي ، والشيخ على يوسف صاحب المؤيد . وله في كلتا الطريقتين رسائل بليغة

ومن شعره يخاطب أحد الرؤساء

أحييت آمالي وكنت أمّتها  
أدلى باخلاصى لهم وأذود عن  
محضتهم ودى فلما أيسروا  
من طول ما لاقيت من اخواني  
أعراضهم بجوارحى ولسانى  
كانت بداية أمرهم نسيانى



حسبي من الدنيا صديقٌ ثابت فردٌ فكنته ولا احتياج لثان

وقال قطعة تكتب على باب دار سعادة احمد باشا تيمور في دعوة :

زوروا الذى بجميلكم قبل الزيارة يعترف

واسعوا لأحمد إنه عن شكركم لا ينصرف

وقال تاريخاً يكتب على قبر عريان بك :

لقد هوى فى أفق هذا المكان بدرُ العلاء عريانُ فخر الزمان

ومذ أتى الجنات أرخته عريانُ أضحى فى ثياب الجنان

سنة ١٨٨٨

وقال أيضاً :

أقتضى معى - ان حان حينى - تجاربي وما نلتها إلا بطول عنائى

ويُحزنى أن لا أرى لى حيلةً لا عطاها من يستحق عطائى

إذا ورث المئثرون أبناءهم غنىً وجاهاً، فما أشقى بنى الحكماء !

وقال عند ما أعلن بالإحالة على المعاش قبل انتهاء مدة خدمته بعشرين يوماً :

برزت فى سحر البيا ن وشاب فيه مفرق

وقضيت عمرى فى البلا غة سابقاً لم ألحق

وخدمتُ ديوان المعاف مخلصاً بتشوق

والآن أذن بالرحيل مؤذن لم يُشفق

عشرون يوماً قد بقى بين وبعدها لا نلتقى

فتبلى يا نفس بالمفروض للمسترزق

فات الكثير من الحياتة وقل منها ما بقى

كتبه ومؤلفاته :

والمرحوم حفى بك غير كتب النحو والبلاغة الخمسة كتاب مميزات اللغة ،

الوسيط م (٤٥)



وكتاب حياة اللغة العربية ( دروس الأدب بالجامعة المصرية ) ، وكتاب القطار السريع في علم البديع ، ورسالة في البحث والمناظرة ، ورسالة في المنطق ، ورسالة في الأصول ، ورسالة في العروض والقوافي ، وكتاب الأمثال العامية ، وكتاب بديع اللغة العامية ، وكتاب عامية الشام ، وكتاب عامية الصعيد ، ورحلته الى الاستانة ، وديوان شعره ، وديوان رسائله ، وكتابه الذي ألفه مشتركاً مع مؤلفي هذا الكتاب في رسم المصحف وضبطه

وأكثر مؤلفاته لم يطبع ، وبعضها ضاع أثناء تفتيش أوراق أولاده بعد وفاته في الفتن الأخيرة . رحمه الله وجزاه عنا خير ما يجزي مخلص لأمته وعامل على إحياء لغته آمين ما

﴿ والحمد لله أولاً وآخراً ﴾





## فهرس

### كتاب الوسيط في الأدب العربي وتاريخه

صفحة		صفحة
٢٠	عبارة اللغة في الجاهلية	مصور جزيرة العرب قبيل الإسلام
٢١	تقسيم كلام العرب	٢ فاتحة الكتاب
٢١	النثر وتقسيمه الى محادثة وخطابة	٣ تعريف التاريخ، والأدب، واللغة
	وكتابة - وأقسام النثر	٣ نشأة اللغات (هامش)
٢١	مميزات النثر الجاهلي	٤ أدب اللغة - وتاريخ أدب اللغة
٢٢	أمثلة النثر المرسل المسجوع	٥ أهم فوائد اللغة
٢٣	المحادثة أو لغة التخاطب	٥ الأمة العربية وطبقاتها
٢٣	الخطابة ٢٤ دواعيها، وأغراضها	٧ جدول العرب العاربة والبنائدة
٢٥	قلة ما ورد منها، وأدلتها	٨ جدول العرب المستعربة
٢٦	عادة الخطباء، وصفاتهم	٩ جدول نسب قريش
٢٦	أقدم الخطباء وأشهرهم	١٠ عصور اللغة العربية وآدابها
٢٧	تراجم خطباء النعمان (هامش)	١١ العصر الأوّل عصر الجاهلية
٢٨	نماذج من الخطب والوصايا	١١ حالة اللغة وآدابها في عصر الجاهلية
٣٠	قس بن ساعدة	١١ عوامل نمو اللغة، وتوحيد اللغة المروية
٣٢	أكثم بن صيفي ٣٤ الكتابة	١٢ مراتب تهذيب اللغة وسوق عكاظ
٣٦	جدول يبين كيفية اشتقاق الحروف	١٣ اختلاف لهجات العرب
	الهجائية على رأى العرب والأفرنج	١٥ كلام العرب
٣٧	كتابة الرسائل والفنون	١٦ المثل والحكمة، وطائفة من الأمثال
٣٨	علوم العرب وفنونها	١٧ تقسيم الأمثال ١٨ أثرها
٤٢	النظم - الشعر والشعراء - الشعر	١٨ طائفة من الحكم
٤٦	أغراضه في الجاهلية	١٩ أغراض اللغة في الجاهلية ومعانيها



صفحة	صفحة
١٠٠ طائفة من آيات القرآن الكريم	٥٠ معانيه وأخيلته في الجاهلية
١٠١ جمع القرآن وكتابه	٥١ ألفاظه وأسلوبه ٥٢ أوزانه وقوافيه
١٠٢ الحديث النبوي	٥٢ نماذج من الشعر الجاهلي
١٠٢ طائفة من الأحاديث الشريفة	٥٨ الشعراء ٥٩ التكبس بالشعر
١٠٣ النثر وتقسيمه الى محادثة وخطابة وكتابة	٦٠ طبقات الشعراء ٦١ امرؤ القيس
١٠٣ لغة التخاطب ١٠٥ الخطابة	٦٦ النابغة الذبياني
١٠٥ أسباب رقيها ١٠٦ مميزات	٦٩ زهير بن ابى سلمى
١٠٨ نماذج من الخطب والوصايا	٧٣ عنتره العبسى ٧٦ عمرو بن كثوم
١٠٩ الخطباء ١١٠ أبو بكر الصديق	٧٨ طرفه بن العبد ٨٠ أعشى قيس
١١١ عمر بن الخطاب	٨٣ الحارث بن حلزة
١١٣ عثمان بن عفان	٨٥ لبيد بن ربيعة
١١٤ على بن أبى طالب ١١٥ سبحان وائل	٨٩ أمية بن أبى الصلت
١١٦ زياد بن أبيه ١١٩ الحجاج	٩٢ الرواية والرواة
١٢٢ الكتابة الخطية	٩٣ مصور الدولة العربية والبلاد التى خضعت لسلطانها
١٢٤ صورة كتاب النبي عليه السلام للمقوقس	٩٤ العصر الثانى : عصر صدر الاسلام ويشمل بنى أمية
١٢٥ صورة كتاب قديم خال من النقط	٩٤ حالة اللغة وآدابها فى صدر الاسلام
١٢٦ صورة نموذج من المصحف مضبوط بضبط أبى الأسود	٩٤ خلفاء بنى أمية ( هامش )
١٢٧ الكتابة الانشائية	٩٦ أغراض اللغة
١٢٧ كتابة الرسائل والدواوين	٩٦ معانى اللغة ٩٧ عبارة اللغة
١٢٨ مميزات الكتابة الانشائية	٩٧ التعريب ( هامش )
١٣٠ نماذج من الرسائل والأمثال والحكم	٩٨ القرآن الكريم وأثره فى اللغة
١٣٣ الكتاب ١٣٣ عبد الحميد	٩٨ اعجاز القرآن ( هامش )



صفحة	صفحة
١٨٦	١٣٦ موازنة بين النثر في الجاهلية ونثر صدر الاسلام
١٨٧	١٣٧ التدوين والتصنيف
١٨٨	١٣٩ الشعر والشعراء
١٨٨	١٤١ أغراض الشعر وفنونه
١٩٠	١٤٢ معانيه وأخيلته
١٩١	١٤٣ ألفاظه وأسلوبه
١٩٣	١٤٣ أوزانه وقوافيه
١٩٤	١٤٣ نماذج من الشعر في هذا العصر
١٩٦	١٥٠ الشعراء
١٩٦	١٥١ تكسب الشعراء بالشعر
١٩٧	١٥٢ كعب بن زهير
١٩٨	١٥٤ عمرو بن معد يكرب
١٩٨	١٥٦ الخنساء
١٩٨	١٥٨ حسان بن ثابت
٢٠٢	١٦١ الخطيئة
٢٠٢	١٦٣ النابغة الجعدي
٢٠٤	١٦٦ عمر بن أبي ربيعة - ١٦٨ الأخطل
٢٠٥	١٧١ الفرزدق - ١٧٥ جرير
٢٠٨	١٧٨ الكميث - ١٨٢ الرواية والرواة
٢٠٨	١٨٣ العصر الثالث عصر الدولة العباسية
٢٠٩	١٨٣ أثر الحضارة العباسية في أحوال اللغة وآدابها
٢١٠	١٨٣ خلفاء بني العباس الى سنة <sup>٢٢٣</sup> (هامش)
٢١٠	١٨٤ أغراض اللغة
٢١١	
٢١٣	
٢١٤	
٢١٦	
٢١٨	
٢٢٠	
٢٢٠	



صفحة	صفحة
الشعر ٢٤٤	العلوم اللسانية ونشأتها ٢٢١
فنون الشعر وأغراضه ٢٤٥	الأدب ٢٢٢ الجاحظ ٢٢٢
معاني الشعر وأخيلته ٢٤٦	احمد بن عبد ربه ، ٢٢٤
لفظ الشعر وأسلوبه ٢٤٧	العقد الفريد ٢٥٢ الحريري ٢٢٥
أوزان والشعر والقافية- ٢٤٧	فن التاريخ ٢٢٦
نماذج من الشعر ٢٤٨	العروض والقافية ٢٢٧
الشعراء ٢٥٣	النحو ٢٢٧
التكسب بالشعر ٢٥٤	علم اللغة ٢٢٨
بشار بن برد ٢٥٥	علوم البلاغة ٢٢٩
أبو نواس ٢٥٧	الخليل بن احمد ٢٣٠
مسلم بن الوليد ٢٥٩	سيبويه ٢٣١
أبو العتاهية ٢٦١	الكسائي ٢٣٢
أبو تمام ٢٦٣	العلوم الشرعية - التفسير ٢٣٢
البحرئى ٢٦٦	الحديث ٢٣٣
ابن الرومي ٢٦٨	الإمام البخارى ٢٣٤
ابن المعتز ٢٧٠	علم الفقه ٢٣٥
المتنبي ٢٧٢	أبو حنيفة النعمان ٢٣٥
ابن هانئ الأندلسى ٢٧٦	الامام مالك ٢٣٦
أبو العلاء المعرى ٢٧٨	الامام الشافعى ٢٣٧
ابن خفاجة الاندلسى ٢٨١	الامام احمد بن حنبل ٢٣٨
الطغرأئى ٢٨٢	علم الكلام ٢٣٨
البهاء زهير ٢٨٤	أبو الحسن الأشعري ٢٣٩
الرواية والرواة ٢٨٦	الغزالي ٢٤٠
الأصمعى ٢٨٧	نشأة العلوم الكونية المنقولة وترجمتها ٢٤١
خلاصة اثر الحضارة العباسية فى اللغة العربية ٢٧٧	وأشهر المترجمين



صفحة	صفحة
٣١٧ حالة اللغة وآدابها	٢٩٠ العصر الرابع عصر الدول المتتابعة
٣١٧ صورة محمد على باشا	٢٩٠ حال اللغة وآدابها في ذلك العصر
٣١٩ صور رجال البعثة العلمية الى أوربا	٢٩١ النثر - لغة التخاطب
٣٢٠ أسباب النهضة العلمية والأدبية	٢٩٢ الخطابة
٣٢٦ النثر - لغة التخاطب	٢٩٢ الكتابة الخطية
٣٢٦ الخطابة	٢٩٣ نموذج من القرآن بالخط الريحاني
٣٢٧ الكتابة الخطية	٢٩٤ الحافظ عثمان
٣٢٧ عبد الله بك الزهدى	٢٩٥ الكتابة الانشائية - كتابة الزسائل
٣٢٨ الكتابة الانشائية	٢٩٦ الكتّاب - محيي الدين بن عبد الظاهر
٣٢٩ كتابة التدوين	٢٩٧ شهاب الدين بن فضل الله
٣٣٠ نماذج من النثر	٢٩٩ لسان الدين بن الخطيب
٣٣١ الكتّاب والعلماء	٣٠٠ التدوين - الأدب
٣٣٢ رفاة بك الطهطاوى وصورته	٤٠١ بقية العلوم الاسلامية
٣٣٣ عبد الله باشا فكرى وصورته	٣٠٢ كتاية التدوين والتصنيف
٣٣٥ على مبارك باشا وصورته	٣٠٣ ابن خلكان ٣٠٣ ابن خلدون
٣٣٧ الشيخ محمد عبده وصورته	٣٠٦ جلال الدين السيوطى
٣٣٩ الشيخ حمزه فتح الله	٣٠٦ الشعر
٣٤٢ باحثة البادية	٣١٠ الشعراء
٣٤٦ الشعر	٣١٠ البوصيرى
٣٤٦ نماذج من النظم	٣١٢ صفي الدين الحلى
٣٤٨ الشعراء ٣٤٨ البارودى	٣١٤ ابن نباته
٣٤٩ صورة البارودى	٣١٥ ابن معتوق
٣٥٠ حفنى ناصف بك وصورته	٣١٧ العصر الخامس عصر النهضة الأخيرة















COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0064907120

LIBRARY  
COLUMBIA UNIVERSITY



